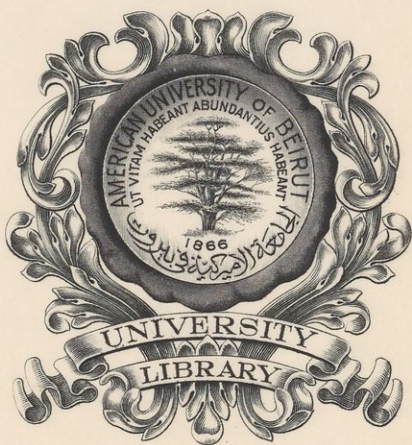


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تأريخ التعليم في مصر

من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق

١٨٤٨ - ١٨٨٢

للدكتور

أحمد عزت حسن الكريم

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

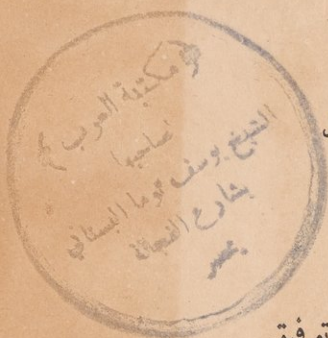
الجزء الثاني

عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق

١٨٦٣ - ١٨٨٢

69553

مطبوعة مصر ٢٢٤ تاريخ فاروق ميمبر لينون ٥٥١٦١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى مقام

مضرة صاحب الجبهة المليك فاروق الاول

مولاي صاحب الجبهة

إن مصر مدينة بنهضةها الحالية في شتى مرافق حياتها إلى جدكم الأعلى محمد علي ، الكبير ، فقد أرسى قواعد النهضة ، وشاد البناء على أساس مكن من قوة الحديد والعلم والمال .

حتى إذا تولى أمر مصر جدكم العظيم « إسماعيل » قوم البناء ، وأصلح ما اعتوره من ضيق أو قصور ، ووصلت مصر — بفضل — إلى مصاف الدول المستنيرة الكبرى .

وكان القدر يدخر لوالدكم الجليل — أحسن الله جزاءه — فضل قيادة مصر إلى طريق الحرية والاستقلال ، واستكمال أسباب النهضة القومية . حتى إذا قضى الله أن تتسلموا — مرموقين بعنايته — علم القيادة ، تبوأتم مصر في حكمكم السعيد مكان الزعامة في الشرق العربي ، وتهيأت لها مقومات الأهلية الدولية .

مولاي صامب الجملان

إن هذه النهضة القومية العامة التي تدين بها مصر للميامين من آبائكم وأجدادكم إنما تعتمد — قبل كل شيء — على قوة العلم والتمكين له في حياة البلاد .

وقد توفرت منذ سنوات على كتابة تاريخ التعليم في مصر الحديثة ، وقد رفعت إلى سادتكم العلية منذ سنوات كتابي الأول (تاريخ التعليم في عصر محمد علي) فحاز من جلالتم حسن القبول .

وهذا البحث الذي أتقدم به اليوم يصف تطور النهضة التعليمية بعد حياة منشئها وراعيها : محمد علي الكبير ، وما حظيت به في عهد جدكم المستنير إسماعيل من ازدهار ، وما حفل به عهده الزاهر من منشآت علمية ورعاية للعلم والعلماء .

وليس هذا البحث — يا مولاي — إلا أثراً للجهود الرائعة التي تبذلها جلالتمكم لتشجيع الدراسات التاريخية : بجمع الأصول ونشر الوثائق ورعاية الباحثين .

وإنه لشرف عظيم — يا مولاي — أن أتقدم بهذا البحث التاريخي إلى سادتكم العلية وأتوجه بهذا الإهداء إلى مقامكم الكريم .

أدامك الله — يا مولاي — ذخراً للعلم والتعليم ، وأعزّ ملكك ، وحقق بك آمال شعبك ؟

المؤلف

المؤلف

فهرس الموضوعات

صفحة

د	إهداء الكتاب
ز	فهرس الموضوعات
ع	تقديم الكتاب : للأستاذ محمد شفيق غربال بك
ت	تصدير : للؤلف

الكتاب الأول

سياسة التعليم وإدارته

- الفصل الأول : السياسة التعليمية (١٨٦٣-١٨٨٢) ... ٣ - ٢٦
 الفصل الثاني : تطور النظام التعليمي في عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣-١٨٨٢) ... ٢٧ - ٩٤

أولاً: مرحلة الإنشاء (١٨٦٣ - ١٨٦٥) ٢٨

ثانيا : مرحلة التوجيه القومي ٣٦ ، قرارات مجلس

شورى النواب (أكتوبر - نوفمبر ١٨٦٦) ٣٩ ، لائحة

١٠ رجب ١٢٨٤ (٧ نوفمبر ١٨٦٨) ٤٨ ، ثالثاً : حركة الإصلاح

(١٨٧٣ - ١٨٧٤) ٦٧ ، رابعاً : مشروع التعليم القومي

(سنة ١٨٨٠) - ٧٤ ، ميزانية التعليم ٨٩ .

الفصل الثالث : الإدارة التعليمية ٩٥ - ١٦٤

- (١) ديوان المدارس ٩٥ ، مديرو ديوان المدارس ١٠٢ ،
وكلاء ديوان المدارس ١١٦ ، الهيئات الاستشارية بالديوان :
القومسيون ١٢١ ، مجلس المعارف ١٢١ ، قومسيون المكاتب
الأهلية ١٢٣ ، مجلس المعارف الأعلى ١٢٤ ، مجالس التحسينات
بالمدارس ١٢٧ ، الهيئات الفنية بالديوان : التفتيش
١٢٨ ، إدارة المدارس الملكية ١٣٥ ، نظارة دروس
المدارس ١٣٧ ، معاونو الديوان ١٣٩ ، أقلام الديوان
١٣٩ ، قلم الوقائع ١٤١ ، قلم الترجمة ١٤٣ ، قلم الروضة
والمطبوعات ١٥٠ ، مكان ديوان المدارس ١٥٥ .
(٢) ديوان المكاتب الأهلية ١٥٦ ، التفتيش
الصحي ١٦٠ .

الكتاب الثاني

التعليم الأولى - الابتدائي

الفصل الأول : المدارس الابتدائية الأميرية ١٦٧ - ٢٣٠

- مدرسة المبتديان (الناصرية) الأميرية ١٧١ ، الأقسام الملحقة
بها : ١ - المكتب العالي ١٧٧ ، ٢ - المكتب الخيري

١٨٥، ٣ - فرقة تجهيزية العمليات ١٨٧، ٤ - فرقة النجارين
 ١٨٨، ٥ - الفرق التجهيزية ١٨٨، مدرسة الاسكندرية
 (رأس التين) الأميرية ١٩٦، مدرسة المنصورة الأميرية ٢٠٥،
 مدارس أميرية أخرى : مدرسة الجيزة ٢٠٨، مدرسة
 قليب ٢٠٩، مكتب طوخ ٢٠٩، خطة الدراسة الابتدائية
 ومناهجها ٢١١ .

الفصل الثانى : المدارس المركزية ٢٣١ - ٢٥٣

مدرسة طنطا ٢٣٥، مدرسة أسيوط ٢٤٠، مدرسة بنى سويف
 ٢٤٥، مدرسة المنيا ٢٤٧، مدرسة رشيد ٢٤٩، مدرسة الفشن ٢٥١ .

الفصل الثالث : المكاتب الأهلية ٢٥٤ - ٢٩٧

مكاتب المدن الكبيرة ٢٥٦، مكاتب الاسكندرية الأهلية ٢٧٢،
 إنشاء ديوان المكاتب الأهلية وأثره ٢٧٤، الناحية المالية ٢٧٩

الفصل الرابع : الكتاتيب الأهلية ٢٩٨ - ٣٢٥

كتاتيب المدن ٢٩٩، كتاتيب القرى والبنادر ٣٠٠، العقبات فى
 طريق الإصلاح ٣١٠، إحصاءات ٣١٦ .

الفصل الخامس : مشروع التعليم القومى : مقترحات قومسيون تنظيم

المعارف لتنظيم التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٨٠ ٣٢٦ - ٣٤٧

المشروع ٣٣٣، المبادئ التى يقوم عليها ٣٣٨، مدى تنفيذه ٣٤٣ .

الفصل السادس : مدرسة العميان والخرس ٣٤٨ - ٣٥٥
تجربة دوزبك ومشروعه ٣٤٨ ، قسم العميان ٣٥١ ، قسم
الخرس ٣٥١ ، إلغاء المدرسة ٣٥٤ .

الفصل السابع : مدارس البنات ٣٥٦ - ٣٧٩
مشروع إنشاء مدرسة للبنات في سنة ١٨٦٧ ٣٥٧ ، مدرسة
السيوفية للبنات ٣٥٩ ، مصير المدرسة ٣٧٣ ، مدرسة القرية
للبنات ٣٧٥ .

الفصل الثامن : التعليم في السودان ٣٨٠ - ٣٩٣
السودان تحت الحكم المصرى ٣٨٠ ، التعليم الدينى فى السودان
٣٨٣ ، السودان والتعليم الحديث ٣٨٧ ، إنشاء المدارس
الخمس بالسودان ٣٩٠ .

الكتاب الثالث

التعليم فوق الابتدائى

التعليم التجهيزى والتعليم الخصوصى (أو العالى)

الفصل الأول : التعليم التجهيزى ٣٩٧ - ٤٢٤
المدرسة التجهيزية بالقاهرة (الخديوية) ٣٩٨ ، المدرسة
التجهيزية بالاسكندرية (رأس التين) ٤١٤ ، الفرق التجهيزية

بمدرسة الناصرية والمدارس الابتدائية بالأقاليم ٤١٧ ، خطة
الدراسة التجهيزية ٤٢٢ .

✓ الفصل الثاني : المدارس الخصوصية ٦١٥-٤٣٥

مدرسة الطب البشرى ٤٣٥ ، مدرسة الولادة ٤٧٤ ، مدرسة
المهندسخانة ٤٨٨ ، مدرسة العمليات ٥٠٢ ، مدرسة
الصنائع ٥٢١ ، فرقة الرسم ٥٢٦ ، مدرسة التلغراف ٥٢٧ ،
مدرسة المساحة والمحاسبة ٥٣١ ، فرق المساحة بمدارس
الأقاليم ٥٤٢ ، فرقة الكتابة التركية والعربية ٥٤٤ ، مدرسة
الإدارة والألسن (الحقوق) ٥٤٦ ، مدرسة الألسن ٥٦١ ،
مشروع إنشاء مدرسة عليا للإدارة ٥٦٧ ، مدرسة اللسان
القديم ٥٦٩ ، مدارس إعداد المعلمين ٥٧٤ : ١ - دار العلوم
٥٧٨ : ٢ - مشروع إنشاء « دار المعلمين » ٥٩٩
٣ - مدرسة المعلمين المركزية ٦٠٧ .

الفصل الثالث : المدارس الحربية والبحرية ٦١٦-٦٩٢

المدرسة الحربية القديمة ٦١٦ ، إدارة المدارس الحربية ٦٢٥ ،
مجلس معارف المدارس الحربية ٦٣٣ ، مدرسة المدفعية والمهندسين
٦٣٦ ، مدرسة الرسان ٦٤٣ ، مدرسة المحاسبة ٦٤٦ ، مدرسة المشاة
٦٤٧ ، مدرسة أركان الحرب ٦٥٤ ، إلغاء المدارس الحربية
وإنشاء (المدرسة الحربية) ٦٦٢ ، مدرسة الخطرية أو (الأطفال

العسكرية (٦٦٤ ، مدرسة ضباط الصف ٦٦٥ ، مدرسة الموسيقى العسكرية ٦٦٥ ، مدرسة الطب البيطرى ٦٦٦ ، اقتراح إنشاء مدرسة للطب البيطرى فى سنة ١٨٨٠ ٦٧٢ ، مدرسة الزراعة ٦٧٣ ، اقتراح إنشاء مدرسة للزراعة فى سنة ١٨٨٠ ٦٧٧ ، المدرسة البحرية بالاسكندرية ٦٧٩ .

الكتاب الرابع

البعوث العلمية إلى أوروبا

تمهيد ٦٩٥

الفصل الأول : البعثات العلمية إلى فرنسا ٧٠١ - ٧٦٢

أعضاء البعثات الباقون من عصر عباس وسعيد ٧٠١ ، الأعضاء الذين أرسلوا فى أوائل حكم إسماعيل ٧٠٧ ، بعثة المعادن (أكتوبر ١٨٦٦) ٧١٠ ، بعثة أركان الحرب (يناير ١٨٦٧) ٧١١ ، بعثات من طلبة الطب ٧١٢ ، بعثة التاريخ الطبيعى (مارس ١٨٦٧) ٧١٥ ، بعثة الإدارة والحقوق (سنة ١٨٦٨) ٧١٧ ، بعثة صناعية (سنة ١٨٦٩) ٧٢٠ ، بعثة الثلاثين طالباً (أوائل ١٨٧٠) ٧٢٠ : بعثة الطب البيطرى ٧٢١ ، بعثة المهندسخانة ٧٢٢ بعثة الرسم ٧٢٢ ، بعثة الحقوق والإدارة ٧٢٣ ، بعثة المساحة والمحاسبة ٧٢٢ ، بعثة المدرسة للتجهيزية ٧٢٣ ، بعثة الطب

(سنة ١٨٧١) ٧٢٥ ، بعثة الحقوق والإدارة (سنة ١٨٧١) ٧٢٦ ،
بعثات الطب والحقوق والمهندسخانة (سنة ١٨٧٣) ٧٢٨ : بعثة
الطب ٧٢٩ ، بعثة المهندسخانة ٧٢٩ ، بعثة الحقوق والإدارة ٧٣٠ ،
بعثة الحقوق والإدارة (أواخر سنة ١٨٧٤) ٧٣٠ ، بعثة طبية
(سنة ١٨٧٣) ٧٣١ ، بعثات متفرقة ٧٣٢ ، بعثات لدراسة الطب
(سنة ١٨٧٩) ٧٣٩ ، بعثات لدراسة الطب والحقوق والعمليات
(سنة ١٨٨٠) ٧٤٠ ، بعثات لدراسة الطب البيطرى (سنة ١٨٨٠)
٧٤٢ ، بعثات الحقوق (سنة ١٨٨١) ٧٤٤ ، بعثات الطب
البشرى والبيطرى والحقوق فى سنتى ١٨٨١ و ١٨٨٢ ، ٧٤٥ .
إدارة البعثة المصرية بفرنسا ٧٤٨ ، إنشاء المدرسة المصرية
بباريس ٧٥٠ ، إلغاؤها ٧٥٦ ، ميزانية البعثة ٧٥٨ .

الفصل الثانى : البعوث العلمية إلى دول أوروبية أخرى ... ٧٦٣ ... ٧٧٥

أولاً — البعوث العلمية إلى إنجلترا ٧٦٣ : بعثة بناء السفن
وصناعة الآلات البخارية (سنة ١٨٦٨) ٧٦٤ ، بعثة من
أركان الحرب (سنة ١٨٧٠) ٧٦٦ .

ثانياً — البعوث العلمية إلى إيطاليا : بعثة إلى المعهد الدولى
بتورينو (مارس ١٨٧٠) ٧٦٧ ، بعثة الرسم والتصوير
(سنة ١٨٧٢) ٧٧١ .

ثالثاً — البعوث العلمية إلى ألمانيا ٧٧٢ .

رابعاً - البحوث العلمية إلى سويسرا ٧٧٤ .

الكتاب الخامس

المعاهد الخارجية عن النظام التعليمي الحكومي
الأزهر

مدارس الطوائف والإرساليات الدينية والجاليات الأجنبية

الفصل الأول : الأزهر : ٧٧٩ - ٨٢٠

الأزهر والمجتمع المصري ٧٧٩، محمد علي والأزهر ٧٨٠، نظاما
التعليم الديني والمدني ٧٨١، بدء حركة التجديد في الأزهر في
عصر إسماعيل ٧٨٣، محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وإصلاح
الأزهر ٧٨٧، الشيخ إبراهيم البيجوري شيخ الأزهر ٧٩٦،
الشيخ مصطفى العروسي ولائحته ٧٩٨، الشيخ محمد المهدي
العباسي وقانونه ٨١٢، إحصاءات ٨١٩ .

الفصل الثاني : مدارس الإرساليات الدينية والجاليات الأجنبية

والطوائف غير الإسلامية (١٨٤٨ - ١٨٨٢) ٨٢١ - ٨٧٥

الأجانب في مصر ٨٢١، إحصاءات ٨٢٨، مشروع مصطفى
رياض باشا ٨٢٩، ١ - مدارس الطوائف غير الإسلامية :
أولا - مدارس الأقباط ٨٣٣، ثانيا - مدارس الإسرائيليين
٨٣٩، ٢ - مدارس الإرساليات الدينية : أولا - الإرساليات

- الكاثوليكية ٨٤١، ثانياً — الإرساليات البروتستنتية ٨٤٩،
٣ — مدارس الجاليات الأجنبية: أولاً — المدارس اليونانية ٨٥٣،
ثانياً — مدارس الأرمن ٨٥٧، ثالثاً — مدارس السوريين
المارونيين ٨٥٧، رابعاً — المدارس الإيطالية ٨٥٧، خامساً —
المدارس الألمانية ٨٥٩، سادساً — مدارس خاصة ٨٦٠،
٤ — المدارس الحرة المجانية العامة ٨٦١: بالاسكندرية ٨٦٣،
بالقاهرة ٨٦٩.
-

تقديم الكتاب

بقلم

مفكرة صاحب العزة الأستاذ محمد شفيق غربال بك

المستشار الفني لوزارة المعارف العمومية

بعد أن أتم « الدكتور أحمد عزت عبد الكريم » كتابه في « تاريخ التعليم في عصر محمد علي » انتقل لدراسة أنظمة التعليم في عهد خلفائه : عباس الأول وسعيد وإسماعيل . وها هو ينشر اليوم كتابه الثاني في هذا الموضوع .

والكتاب الجديد يمتاز بما أمتاز به الكتاب الأول من مزايا الرجوع للأصول ، ودقة البحث ، واتزان الحكم ، واعتدال الرأي ، وتحري وجه الحقيقة في التفسير والتعبير . ويعالج المؤلف في كتابه الجديد ما جرى لما خلفه محمد علي للمصريين من الأنظمة التعليمية . وقد بنى العاهل البناء وأحكمه ، فلم يستطع من جاءوا بعده إلا السكني فيه : فلا هم بقادرين — من جهة — على مغادرته والسكني خارجا عنه ، وليست لديهم — من جهة أخرى — الكفاية والوسائل لهدمه وإقامة غيره . فلم تكن لهم مندوحة عن الاستقرار فيه ومحاولة أن يعدلوا في أقسامه ليتمكنوا من ذلك الاستقرار . ومن هنا جاءت نظم التعليم وخططه ومشكلاته في العهد الذي أَرخ له المؤلف — عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل — متأثرة كل التأثر بما وضع محمد علي من خطط ونظم ، وما واجه من مشكلات . ولا زال ظل محمد علي — وإن انتهى حكمه — يخيم على العصر التالي له ، عصر خلفائه ، ولا زال الميراث الذي خلفه محمد علي ذخراً يستمد منه

خلفاؤه مادة للعمل ، ولا نكاد نلاحظ أثراً لمؤثرات قومية أو خارجية حوّلت تطور تاريخ التعليم عن مجراه المرسوم وعدلت به إلى أهداف جديدة . لهذا جاء تاريخ التعليم في عصر عباس الأول وسعيد وإسماعيل استمراراً لتاريخ التعليم في عصر محمد علي ، وجاء كتاب اليوم للدكتور عزت استمراراً لكتابته الذي وضعه منذ سنين .

هذا في مصر ، أما في أوروبا فإن هذا العصر (من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠) حافل بالحركات التي أثرت في أنظمة التربية والتعليم ، فهذا العصر عصر النهوض القومي . والحركات القومية منها ما يهدف إلى (التجمع) كحركات الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية ، ومنها ما يتجه إلى (التفريق) كالحركات الانفصالية في الإمبراطورية النمساوية والإمبراطورية العثمانية . وكان لهذه الحركات القومية جميعاً أثرها القوي في تنظيم حياة الشعوب السياسية والاقتصادية والفكرية على أساس قومي ، وكذلك كان أثرها قويا في تطور سياسة التعليم ونظمه : فالحركات القومية التي تهدف إلى التجمع أدت إلى إنشاء أنظمة قومية للتعليم ، أنظمة غير متأثرة إلا بالنزعات والأهداف القومية ، وترمى إلى تربية الشعب تربية قومية . أما الحركات القومية التي اتجهت نحو التشتت ، نحو بناء قوميات على أساس عنصري ، فقد أدت - فيما أدت إليه - إلى تأكيد الصبغة القومية في روح التعليم ومعاهده وخططه وبرامجه ، ومن ذلك زيادة الاهتمام بتعليم اللغات القومية والآداب القومية والتاريخ القومي ، ونحو ذلك مما يكون المواطن الحق .

وهذا العصر الذي نؤرخ التعليم فيه عصر نمو الديمقراطية ، والسعي إلى بث الفكرة الديمقراطية في نظم الحكم والاقتصاد الأهلي وفي التربية والتعليم ، فبعد أن كان التعليم ترفا لا يناله إلا الأغنياء والمحظوظون ، أصبح حقاً شائعاً للجميع ، تكفله الدولة للشعب بجميع طبقاته في مدارس التعليم الأولى .

وكان من الواضح أنه لا يستطيع تحقيق هذه الغايات كلها إلا إذا أخذت الدولة - ممثلة في الإدارة المركزية للتعليم - شؤون التعليم كله بين يديها ، فالدولة هي التي ترسم الخطوط الأساسية في السياسة التعليمية وتضع الخطط والأنظمة وتفتح - أو تترعى - معاهد التعليم . وتبعاً لذلك تحتق - أو تقل - المؤثرات المحلية في مسائل التعليم ، فالهيئات المحلية - إن وجدت كما هو الحال في إنجلترا - لا تستطيع أن تواصل نشاطها إلا بهدى الإدارة العامة وإشرافها ، والكنيسة - في فرنسا - يبطل نفوذها في تربية الناشئين .

وعلى هذا النحو يجرى تطور نظم التربية والتعليم في أوروبا من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٨٠ وهو تطور يتأثر - كما رأينا - بالحركات القومية والديموقراطية التي حفلت بها هذه الفترة من التاريخ الأوروبي ، وهو تطور يمس التنظيم أكثر مما يمس النظريات التربوية في حد ذاتها ، اللهم إلا في الدعوة إلى الحد من سلطان الدراسات الكلاسيكية وما تبع ذلك من محاولة إيجاد مكان في المنهج للعلوم الطبيعية والتطبيقية والدراسات الإنسانية الحديثة ، وقد وجدت هذه الدعوة صداها في التعليم الثانوى وفى التعليم الجامعى .

وهذه الفترة من التاريخ الأوروبى (١٨٥٠ - ١٨٨٠) تنتظم في التاريخ المصرى عهد عباس الأول وسعيد وإسماعيل ، وهو العهد الذى وضع هذا الكتاب لتأريخ التعليم فيه . وقد أشرنا في صدر هذه الكلمة إلى قوة التراث الذى خلفه محمد على وقدرته على البقاء من بعده - إن لم يكن بكامل جزئياته فبالروح والتقاليد - حتى كوتن المادة التى عمل عليها خلفاؤه ومنها شكلوا ما وضعوا من نظم أو أنشأوا من منشآت .

وتظهر هذه الحقيقة أقوى ما تكون في عصر عباس وسعيد : فلا ترى فيه

إلا (نشاطاً) محدوداً في دائرة محدودة : هي دائرة المدارس القليلة التي ظلت باقية في ذلك العهد . فمادة العمل هي المدارس التي ظلت باقية من عهد محمد علي ، والأمر لا يعدو فتح مدرسة مفروزة أو إغلاق مدرسة للهندسة أو إعادة مدرسة أخرى للهندسة وهكذا . فهو نشاط محلي ضيق الأفق محدود المعالم ، يلوح فيه ما يميز به ذلك العهد من ضيق الأفق وقلة الإنتاج .

وفي عصر إسماعيل — وفي السنوات الأولى منه خاصة — لا تزال (مادة) العمل موجودة لم تتغير في مجموعها ، ولا يزال النشاط مقصوراً — أو يكاد يكون مقصوراً — على العمل فيها ، وإنما أخذ نطاق العمل يتسع بفضل إغداق الأمير المستنير على معاهد التعليم وما استلزمه تعقد الأداة الحكومية من وفرة الفنيين على اختلاف أعمالهم . فهذا التوسع في التعليم قد فتح أبواب المدارس لعدد من أبناء الأمة أعظم مما كانت له — قبل إسماعيل — فرصة التعليم ، فكثرت معاهد التعليم وتنوعت أنظمتها وارتقت مناهج الدراسة وتغيرت أساليب الحياة المدرسية . ولكن هذا كله لم يواجه المشكلة الحقيقية الكبرى الباقية من عصر محمد علي .

وقد ظهرت هذه المشكلة من أن التعليم الحديث في مصر حين بدأ على عهد محمد علي اتخذ لنفسه هدفاً محدوداً عاجلاً : هو إعداد الفنيين لشتى نواحي النهضة التي ابتعتها محمد علي . فكانت المدارس (الخصوصية) أول ما أنشئ من مدارس ، ثم اضطرت حكومة محمد علي إلى خلق المدارس الأخرى التي تمد هذه المدارس الخصوصية بالتلاميذ . وهكذا بدأ نظام التعليم يتخذ شكل الهرم المقلوب : يبدأ بالقمة دون وضع القاعدة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون نظاماً قومياً للتعليم . ولكن الحق أن (القاعدة) كانت موجودة بالفعل وإن لم تكن من خلق الباشوات أو الولاة ، وتتمثل في تلك الكتائب المنبثة في مدن

مصر وقراها ، وتقدم الى صبيتها تعليمها أو ليّاً محدوداً يقوم على حفظ القرآن . ولكنها بعيدة عن سلطان الدولة ورقابتها ، أكثرها ضئيل في الموارد فقير في المعلمين سقيم الوضع ، ووضح أن مواجهة هذه المشكلة التعليمية الكبرى يقتضى إما أن تترك هذه الكتاتيب ويهمل أمرها إهمالاً تاماً ، ويشرع في خلق نظام قومي للتعليم جديد كل الجودة . وإما أن يوصل ما بين القمة حيث المدارس من الطراز الأوربي والقاعدة حيث المدارس أو الكتاتيب من الطراز العربي أو الإسلامي ، على نحو يحقق تعاون هذين الطرازين في تعليم الناشئة ، إن لم يحقق اتحادهما ليتكون منهما نظام قومي واحد . وسعى على مبارك لبلوغ هذه الغاية ، ووضع لهذا الغرض لائحته الشهيرة (بلائحة رجب) التي تؤرخ المحاولة الحقيقية الأولى لإيجاد نظام قومي للتعليم في مصر . وانتهى عصر إسماعيل والمشكلة الكبرى باقية لم تحل . وشهدت السنوات التالية لحكم إسماعيل (من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٥) - فيما شهدت من محاولات الإصلاح وتجارب الحكم - محاولة أخرى لمواجهة هذه المشكلة التعليمية وحلها .

وقد بدأت التجربة الجديدة بتحديد للمشكلة تحديداً يمهّد لعلاجها من أساسها : ويتضح هذا التحديد في تفكير مصطفى رياض ناظر النظار وعلى إبراهيم ناظر المعارف وإدوار دور المفتش العام للتعليم في ذلك الوقت . أصبح للتعليم العام أغراض واضحة تتجه نحو تمكين الفرد من أن يكون مواطناً نافعاً لنفسه ولوطنه ، أو على حد تعبير على باشا إبراهيم في تقريره لمجلس النظار : « ينبغي اتساع دائرة المعارف بين جميع أهالي الديار المصرية وسريانها بالتدرّج حتى تصل الى أهالي الأرياف ، لكي توجد عند ذرياتهم المستجدة احتياجا الى التعليم وإحساساً بما لهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات في حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » . وفي ضوء هذا المبدأ تقدم (القومسيون) الذي شكّل في ذلك الوقت (سنة ١٨٨٠) لحل المشكلة التعليمية

الكبرى ، حلا يقوم على تصميم بناء قومي للتعليم يستمد مادته من كلا النظامين الأوربي والعربي . واقتضت مواجهة المشكلة الرئيسية بحث المشكلات الجانبية الأخرى وتدير حلول لها : ومن ذلك بحث معاهد التعليم القائمة معهدا ومعهدا وتبين حاجاتها ومعالجة تلك الحاجات ، ومن ذلك أيضا معالجة مشكلة المعلم ومحاولة تنسيق الموارد المالية المشتتة التي ينفق منها على التعليم .

وهكذا جاء تقرير قومسيون ١٨٨٠ فأرسي الأساس لما ينبغي أن تقوم عليه كل المحاولات والتجارب التالية . والحق أن سياسة وزارة المعارف في عهد الإشراف الإنجليزي قد استمدت بعض مقوماتها من هذه التجارب التي أجريت في الفترة القصيرة بين ١٨٨٠ و ١٨٨٥ . فقد بذلت الإدارة التعليمية عنايتها لرفع مستوى معاهد الدراسة القائمة بالتفتيش المنظم ووضع الأنظمة الثابتة وجدية الامتحانات وتخيّر المشرفين ، كما بذلت عنايتها لرفع مستوى المعلم ، وهو العنصر الأساسي لنجاح أى نظام تعليمي . على أن الإدارة التعليمية في عهد الإشراف الإنجليزي قد شغلتها هذه العناية المتصلة بالحالة القائمة عن مسيرة النمو وإفساح المجال لنشر التعليم .

وفيما عدا ذلك ظلت المشكلة التعليمية الكبرى — مشكلة التعليم القومي الشعبي — دون حل ، حتى انتهى المؤلف من كتابه . وغاية ما نرجوه أن يستمر المؤلف في بحثه لتاريخ التعليم في مصر ، إلى أن يصل إلى الوقت الحاضر ، حتى تصبح الصورة أمام القارئ والباحث واضحة والمادة كاملة ووسائل الحكم أهدي سبيلا ؟

— فيو غربال

تصدير

- « أثبت ... محمد على حق ولى الأمر في الهيمنة »
- « على سياسة التعليم من أجل منفعة الوطن ، ولكنه »
- « ترك للأفراد والطوائف قدوا عظيما من الحرية »
- « هو أثمن ما خلفه في سياسته التعليمية (١) . »

هذه العبارة الموجزة وصف أستاذنا شفيق بك غربال سياسة محمد على في التعليم أجمل وصف . فهي تقوم على قاعدتين : أولاهما تتمثل في حق الدولة — بل واجبها — في الإشراف على سياسة التعليم لتوجهها إلى ما فيه صالح الدولة ، وتظهر في النظام التعليمي الحديث الذى وضعه محمد على وأخذه بين يديه وجعل منه أداة لإعداد شباب الأمة لخدمة الدولة . والقاعدة الثانية تتمثل في الحرية التى تركها للمعاهد القديمة : الكتاتيب والأزهر لتتابع سيرها فى الطريق الذى سارت فيه منذ قرون والحرية التى منحها للمعاهد الخارجة عن النظام القومى وهى مدارس الإرساليات والجاليات الأجنبية . حتى إذا انتهى عصر محمد على كانت مصر تملك من نظم التعليم ومعاهد العلم — بفضل سماحة محمد على واتساع أفقه — ما يقدم للباحث فى أصول التربية وطرائق التعليم حقلا مليئا بشتى التجارب والخبرات وللباحث فى تاريخ التعليم وسياسته مجالا متسعا للدرس والبحث والاستقصاء .

ومن حظ الباحث أن أكثر مادة البحث لم يعفَّ عليها الزمان . وجدنا بعضها مشتتة في الكتب والتقارير والإحصاءات ، ووجدنا أكثرها في دور المحفوظات بعابدين والقلعة ووزارة المعارف ومتحف التعليم .

وقد قدمت إلى الجامعة منذ تسع سنوات اثرة الأولى لبثي في تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، ثم نشرته بعد ذلك بعامين . ويسرنى أن أقدم اليوم اثرة الثانية : وهى هذا البحث في تاريخ التعليم من نهاية عصر محمد علي إلى أوائل حكم توفيق (١٨٤٨ — ١٨٨٢) . وقد قدمته إلى الجامعة في صيف سنة ١٩٤١ فأجازته لدرجة الدكتوراه في الآداب مع رتبة الشرف الممتازة .

وهذا العهد الذى أرخت التعليم فيه من أكثر عصور التاريخ المصرى الحديث حساسية : فقد بدأ بحادث خطير هو اختفاء تلك الشخصية التى حكمت مصر طويلا ، وطبعت بطابعها القوى مختلف مرافق البلاد ووجهت مصائرهما فى السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والتعليم وجهة جديدة ، وانتهى هذا العصر بحادث بل - بحادث - لا يقل خطراً وأثراً فى توجيه تاريخ مصر وتشكيل مصائرهما : هو احتلال الانجليز مصر فى ١٨٨٢ . فهذا العهد من - ١٨٤٨ إلى ١٨٨٢ - قد ألقى عليه إذن عبء مرهق مزدوج معاً : فقد كان عليه - أو على حاكمى مصر فيه - أن يحتفظوا بالشعلة التى أضاءها محمد علي ليسلموها إلى الخفدة والذرارى ، على أن يجنبوها ما قد يعتور ضوءها من خفوت ويستعينوا بها فى تعرف الحاجات الناقصة وتفحص أوجه القصور فى شتى مرافق البلاد . ولكن حاكمى مصر فى ذلك العصر - على محاولتهم الاحتفاظ بهذه الشعلة مضيئة - تفادوا فى مدى الاحتفال بها . حتى إذا تولى إسماعيل نفخ فى هذه الشعلة من روحه ، فزاد لها سطوعاً وضوءاً نفوذاً . ولكن هذا كاد يحجب عوامل التعطيل والتعويق

التي فعلت في النهاية فعلها ، فكان الاحتلال في سنة ١٨٨٢ . وهكذا اتهم هذا العهد (من ١٨٤٨ الى ١٨٨٢) بأنه لم يؤد الأمانة ولم يحفظ العهد ، وتنوسيت - أو أنكرت - الجهود الرائعة والخطط الموفقة التي بذلت في نواح كثيرة من النهضة العامة . والحق أن كثيراً من هذه الخطط لو أتيح لها الاستمرار بعد ١٨٨٢ على هدى من التجارب السابقة ، وخاصة ما أجرى منها في الفترة القصيرة (من ١٨٨٠ الى ١٨٨٢) لانتجت خيراً كثيراً .

وإذا كانت العناية بالتعليم تتخذ في كل أمة مقياساً لتقدمها فإن البحث الذي أنشره اليوم يوضح تماماً ما كانت عليه النهضة المصرية عامة في العصر الذي أورخ التعليم فيه . وقد اقتضت دواعي البحث أن أجعله في أجزاء ثلاثة ، ينظم كل جزء منها مجلد قائم بذاته :

- ١ - الجزء الأول : عصر عباس وسعيد (١٨٤٨ - ١٨٦٣) .
 - ٢ - « الثاني : عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣ - ١٨٨٢) .
 - ٣ - « الثالث : ملحقات بأهم الوثائق واللوائح التعليمية ومراجع البحث . وقد كان هدي في طوال البحث درس المسائل الآتية :
 - ١ - نظم التعليم : « الحكومي » و « الأهلي » و « الأجنبي » ، سياسة التعليم في كل منها ، معاهدها ، وعلاقة كل منها بالأخرى .
 - ٢ - المحاولات التي بذلت - في عصر إسماعيل خاصة - لإيجاد نظام قومي للتعليم في مصر .
- وقد أدى بي تشعب البحث إلى درس تفصيلات كثيرة لدقائق العمل بمعاهد التعليم رأيت أن لا غنى عنها لتكوين الصورة التي جهدت في رسمها للتعليم في هذه الحقبة من تاريخ مصر كاملة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

وبعد فقد أتيح لهذا البحث أن ينشر في الوقت الذى يعنى فيه المتحدثون على شئون التعليم برسم سياسة تعليمية جديدة وما يتبعها من أنظمة وخطط جديدة ، فإذا استطاع هذا البحث أن يهدى هؤلاء المتحدثين إلى المحاولات والتجارب السابقة في كثير من المسائل التى لا تزال تواجهنا حتى الوقت الحاضر ، ويشير فيهم من التفكير ما يعين على استقامة الطريق ووضوح الهدف ، لحقق هذا البحث خيراً كثيراً . ذلك لأن دراسة تاريخ التعليم لا تقتصر قيمتها على توضيح ماضى الأمة فى أعزّ ناحية من تاريخها القومى ، وإنما هذه الدراسة خير هاد فى معالجة مسائل التعليم وتدير أحكامه فى حاضر الأمة ومستقبلها .

* * *

والآن — وقد أتيح لهذا البحث أن ينشر — أشعر بأن على واجباً يحذر بى أن أؤديه ويسرنى أن أتبحث لى الفرصة لأؤديه : هو واجب التوجه بالشكر الخالص إلى حضرة صاحب المعالى الأستاذ الدكتور عبد الرازق أحمد السنهورى بك وزير المعارف العمومية ، فقد تفضل بالاطلاع على هذا البحث مخطوطاً ، وسجل لصاحبه كثيراً من عبارات الإطراء والتقدير ، وأمر بأن يطبع الكتاب على نفقة الوزارة ، فمكن لهذا البحث أن ينشر . فلهعاليه منى خالص الشكر وعرفان الجليل .

أما أستاذى الجليل ، محمد شفيق غربال بك ، فأعتقد أن نشر الكتاب فى الوقت الحاضر — وقد كانت له فى التوصية به اليد الطولى — خير مشوبة لما بذل من جهد فى الإشراف على البحث وتتبع مراحلته حتى انتهى إلى المطبعة . ويضاعف شكرى له ما أسبغته على الكتاب وصاحبه من شرف التقديم إلى جمهور القارئ ، فأضاف بهذا فضلاً إلى مآثور أفضاله .

ويسرني أن أقدم خالص شكري للقائمين على دور المحفوظات بعابدين والقلعة
ووزارة المعارف ومتحف التعليم ، فقد كان لمعونتهم الثمينة أثرها في استجلاء كثير من
التناخ الهامة التي وصلت إليها في البحث ، وأخص بالشكر حضرة صاحب السعادة
يوسف جلاد باشا مدير الإدارة الأوروبية بديوان جلالة الملك المعظم وصاحب العزة
جورج جندي بك رئيس قسم المحفوظات التاريخية بالديوان وحضرات الأساتذة
المتخرجين والموظفين بهذا القسم ؟

المحرر عبد الكريم

منشئة البكري — نوفمبر ١٩٤٥

الكتاب الأول

سياسة التعليم وإدارته

الفصل الأول

السياسة التعليمية

١٨٦٣ - ١٨٨٢

تولى إسماعيل حكم مصر في ١٨ يناير ١٨٦٣ ، فكانت توليته فاتحة صفحة جديدة في تاريخ الإصلاح الداخلى وعلاقة البلاد بالغرب . وأتيح لإسماعيل أن يحكم مصر ستة عشر عاما شهدت فيها البلاد من التغيرات العظيمة في شتى مرافقها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ما طبع عصر إسماعيل بطابع خاص وجعل له في تاريخ مصر الحديث مكانة ممتازة .

بدأ إسماعيل حكم مصر بعد أن انقضى على حكم محمد على لها خمسة عشر عاما ، ذلك الحكم العاصف الذى اتجه بتاريخ مصر وجهة جديدة ورسم لحكمها أسلوبا جديدا ووصل ما بين مصر ودول الغرب واستعان بعلم الغرب ونظمه ورجاله ، وأقر علاقات مصر بالدولة العثمانية على أساس يمنح مصر - فى نطاق الالتزامات التى اتخذت صبغة دولية - القدرة على الانتعاش والنمو .

عاش محمد على وحكم فى عصر شهد أخطر الأحداث وأدقها اتصالا بالعالم الإسلامى عامة والعثمانى منه خاصة : كان القرن التاسع عشر قد استهل أيامه الأولى والمسألة الشرقية قد فتحت بابها حملة بوناپرت على مصر ومآصيحها من اعتلاء النفوذ

الروسى فى الدوائر العثمانية ونزول القوات العسكرية البريطانية فى أرض مصر . ثم جلت القوات العسكرية الأوروبية عن أرض مصر : جلا عنها الفرنسيون أولا ثم تبعهم الانجليز ، على أن « المسألة الشرقية » ظلت على هذا من النواحي البراقة فى خطط بونابرت القنصل ثم نابليون الامبراطور ، وواضح أن مصر قد غدت من النقط « الحساسة » التى تنظمها المسألة الشرقية ، بل أصبحت فى الحق واسطة عقد هذه المسألة .

وفى الفترة التى استعرت فيها الحروب النابليونية كان محمد على فى مصر يمد الأرض ليعم عليها أساس البناء ، كان يجتهد فى تجنب مصر ويلات هذه الحرب — إن صح هذا التعبير — بالدأب واليقظة والعمل المستمر ومواجهة التيارات الموائمة حينها المخالفة أحيانا ، وليس من شك فى أن انتهاء هذه الحرب وقد سلم منها العالم العثمانى — ومصر خاصة — قد أزاح عن محمد على عبئا طالما أهمه ، فانصرف إلى تشييد الأساس ثم البناء بناء القوة والعلم والمسال . وفتح محمد على أمام مصر والمصريين آفاقا واسعة ورسم لهم مثلا عليا حملهم إلى التطاع إليها والسعى معه لبلوغها ، رسم لهم ما ينبغي أن تسعى إليه أمة ناهضة فى ظل حكومة واحدة تقضى على تشتت السلطان وتوحد عناصر الأمة جميعا وتدفعها الى البناء والتعمير ، فتح لهم أبواب العلم والحضارة الغربية ، ومد أبصارهم إلى ماوراء حدود بلادهم فى الشمال والجنوب والشرق ، ونبههم إلى التيارات السياسية والاقتصادية التى تجرى حولهم ، وحملهم على أن يدركوا أهمية الموقع الذى تقوم فيه أمتهم ، ورسم لهم الوسائل ليفيدوا من مزايا هذا الموقع وليستجنبوا أخطاره .

وإذا كان فتح المسألة الشرقية من جديد قد وضع حداً لكثير من آمال محمد على وأهدافه ، فقد قضى محمد على وقد خلف وراءه هذه الآفاق الواسعة والمثل العليا التى رسمها ، وقد انحصرت بعد سنة ١٨٤٠ فى تحقيق الخير لمصر وحدها فى ظل تسوية

— إن تكن ظلمة لمصر — فانها تمنحها القدرة على الانتعاش والنمو .

وهكذا رسم حكم محمد على المعالم الأولى لخصائص التاريخ المصرى الحديث وأوضح خلفائه طريق العمل للمحافظة على التراث الذى خلفه من ناحية وللعمل على تنميته والبلوغ به إلى أقصى غاياته من ناحية أخرى . خلفاء محمد على إذن لم يكونوا مطلقى القيد ليختطوا لهم فى حكم مصر وسياستها خطة جديدة ، ولكنهم كانوا مقيدين — سواء أشعروا بذلك أم لم يشعروا به وسواء أرغبوا فى ذلك أم لم يرغبوا فيه — بالتسوية التى انتهى إليها محمد على فى تقرير علاقات مصر بالدولة العثمانية وتوضيح صلاتها بأمم الغرب . أما ماعدا ذلك من الحكم فرجعه خصائص كل منهم من خلق ومزاج ورغبة فى العمل أو صدوف عنه .

ولهذا نرى أن السنوات التالية لحكم محمد على لم تشهد انقلابا عنيفا فى ناحية السياسة العامة لحكم مصر وصلتها بالدولة العثمانية وبالأمم الغربية ، لأن هذه الناحية — كما قلنا — رسمتها اتفاقات معينة اتخذت صبغة دولية . ولكن هذه السنوات لم تشهد مثل هذا الاستقرار فى ناحية الإصلاح الداخلى ، تلك الناحية التى تأثرت بعوامل أخرى منها خلق الحاكم ومزاجه ودرجة ثقافته واتساع أفقه ورغبته فى الاقبال على العمل أو صدوفه عنه . ونضيف إليها هنا قصر المدة التى تتاح لحكمه أو طولها .

ومن هنا لم يتح لجهود محمد على فى الإصلاح الداخلى من بعده اطراد النمو ، بل لم يتح لها ذلك الاستقرار الذى هو مساك كل نهضة اصلاحية . فرأينا عباسا يبغي أن يتخذ فى حكم مصر ودلاج مراقبها الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية أسلوبا جديدا ، حتى إذا جاء سعيد أهمل ما عمله عباس ، ولكنه لم يتقدم لوصل الطريق التى انتهى إليها محمد على ، ولم يستطع سعيد — أو هو لم يرد — أن يرسم لحكم البلاد خطة ثابتة موجهة .

وإذا كانت العناية بالتعليم تتخذ في كل أمة مقياساً لنهضة العامة في سائر مرافقها فان الخطة التي سار عليها عباس ثم سعيد من بعده في التعليم خير مقياس لما بلغته النهضة المصرية العامة على يدى عباس وسعيد . حتى إذا تولى اسماعيل كان ميدان العمل متسعاً لجهوده في شتى مرافق الإصلاح . وكان اسماعيل خليقاً بأن يتابع السير في الطريق التي انتهى إليها محمد على وبأن يترسم خطاه في الإصلاح ، ذلك الإصلاح الذى زاده بهاء وعظمة في أعين المعاصرين سيرة عباس وسعيد من قبله في حكم البلاد .

أما في ميدان التعليم فقد وضع اسماعيل الأساس الذى شاد عليه النظام التعليمى طوال عصره بل في العصور التالية .

وإذا كان خلفاء محمد على — عباس ثم سعيد — قد عملاً للجيلولة دون العودة بمصر إلى مركز الباشويات العثمانية الأخرى ، إلا أنهم ارضخا — ولا نود أن نقول قعنا — بالقيود التي فرضتها هذه التسوية ولم يحاولوا العمل على تحطيمها ، وأكثر من ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يسموا إلى الآفاق البعيدة التي فتحتها محمد على والمثل العليا التي رسمها ، فانهار كثير مما بذل محمد على الجهد والمال في تشييده .

تولى اسماعيل وقد تسلم تراثاً ثقيلاً بالمتاعب : تسلم إدارة مختلة ، دواوين ملغاة ، نظاماً تعليمياً منحللاً ، اقتصاداً أهلياً ضعيفاً حديث التكوين على أثر انفسكاكه من قيود الاحتكار الحكومى ، امتيازات أجنبية وضعت من القرن السادس عشر وتطبق في القرن التاسع عشر ، نظاماً قضائياً معقداً يسوده الظلم والفساد ، وتسلم اسماعيل مع هذا كله عقود امتياز لشركة أجنبية تشق قناة عبر الأرض المصرية وحكماً محتلاً في السودان . وأهم من هذا كله أن الآفاق البعيدة التي فتحتها محمد على قد ضاقت والمثل العليا التي رسمها قد

انكشست ولم يعد يؤمن بها سوى القليلين من (عترة) محمد على وحفظة عهدہ .

٨ حقاً إن اسماعيل قد تولى الحكم في ظروف دولية مواتية : فقد أقفل باب المسألة الشرقية سريعاً بعد انفتاحه في حرب القرم واطمأنت الدولة العثمانية ولو — إلى حين — إلى تقرير علاقاتها بالدول الأوروبية . ولكن عصر اسماعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) كان يجتاز مرحلة من أدق مراحل التطور الأوربي وعلاقته بالشرق : فهذه المرحلة قد شهدت نمو الرأسمالية ، وما صاحبها من انتقال رؤوس الأموال و (تشغيلها) في البلاد التي تقدم فرص العمل والكسب ، وكان من الواضح أن الشرق أصلح الميادين لتقديم هذه الفرص ، وتشغيل هذه الأموال يتخذ أشكالاً متنوعة : فمنها شركات مساهمة للصناعات واستصلاح الأراضي وشق الطرق الخ ، ومنها مصارف مالية ، أو بضائع منقولة ، وسفن حربية وغير حربية ، ومنها تقديم القروض للحكومات والأفراد . والمال يصحبه ضغط اقتصادي وثقافي وسياسي ، وقد ينتهي آخر الأمر — كما حدث في تونس ومصر — بالضغط العسكري .

ولكن إسماعيل — وقد رأيت التراث الثقيل الذي تسلمه — لم تكن عزيمته : والوثائق الباقية من حكمه تدل على أنه بدأ العمل توا منذ تولى حكم مصر في الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ . ^(١) ففي اليوم التالي لتوليته دعا إليه قناصل الدول وصور لهم الرسالة التي عاهد نفسه على أدائها في النقاط الخمس الآتية :

(١) بل إن اسماعيل كان يتمتع بفرصة توليته الحكم نزابة عن عمه سعيد لينشط للعمل : ومن ذلك أنه بدأ سعيه للإصلاح القضائي بإنشاء المحاكم المختلطة في الفترة التي أنابه فيها سعيد في سنة ١٨٦٢ ، فعهد لإسماعيل إلى شريف باشا بوضع مذكرة في هذا الموضوع .

- ١ . النظام والاقتصاد فى المالية ، ومن ذلك تقرير مرتب سنوى له لا يتجاوزہ .
- ٢ . إثناء الشئون الزراعية وتحسينها ، ومن ذلك إلغاء السخرة .
- ٣ . تشجيع التجارة الحرة .
- ٤ . الاهتمام بالتعليم « أس النجاح والرقى » .
- ٥ . إقامة العدالة وتوزيعها بين الناس بالقسطا ط .

كان إسماعيل يدرك أنه لا ينبغي أن يبنى للجيل الذى يعيش فيه وحده وإنما عليه أن يبنى لهذا الجيل وللأجيال التالية ، وقد أدرك أن إصلاحات محمد على لم يقدر لها أن تحيا من بعده إلا لأنها لم تهدف إلى المستقبل قدر استهدافها للحاضر ، وأنها لم تجد ذلك الرأى العام المستنير الذى يحفل لهذه الإصلاحات وينهض لحمايتها من عوادى الجهل ويمكن لها فى البقاء ، أما إسماعيل فقد كان يؤمن — بما آمن به محمد على — من « أن فى أولاد مصر قابلية ونجابة » ، كان يؤمن بخصب العقلية المصرية إيمانه بخصب التربة المصرية ، وقدرتهما على أن يحققا للعاهل المصلح المستنير ما يتطلع إليه من مثل عليا وآفاق واسعة تتمثل فى هذا البرنامج الخصب القوى الذى أخذ على نفسه — فى مستهل حكمه — أن يقوم به . وقد حرص إسماعيل لهذا على أن يوجد — أو يشجع على قيام — الرأى العام المستنير الذى يلبي حاجات النهضة وينافع عنها ، وهذا الرأى العام المستنير لا سبيل إلى تكوينه إلا بالتعليم ينشره إسماعيل حتى يصل إلى الفلاح فى قريته والصانع فى مدينته ، ويتغلغل فى ريف مصر ومدنها ، حتى يؤمن المصريون جميعاً — بفضل انتشار التعليم بينهم — بجدارة المثل العليا التى يريد إسماعيل أن يوجهها نحوها والآفاق الواسعة البعيدة التى يصورها لهم .

وهذه النهضة الحافلة التى اعتزمها إسماعيل وصورها فى خطابه للقناصل تحتاج إلى

القول المفكرة والصفوة المثقفة المتعنية : فاصلا حاته الاقتصادية ودواوينه ، والقضاء وتنظيماته الجديدة ، وإداراته المختلفة في مصر والسودان ، وهذه السفارات التي يبعث بها من وقت لآخر إلى أوروبا وعاصمة الدولة العثمانية كل هذه تحتاج إلى الفنيين والمثقفين ، بل إلى الصفوة من الفنيين والمثقفين .

١١ فالتعليم عند إسماعيل إذن غاية في نفسه بقدر ماهو وسيلة للتوجيه والبعث الجديد . لهذا لا نرى النظام التعليمي — في عهد إسماعيل — كما رأيناه في عصر محمد علي مقصوراً على بضع مدارس ابتدائية وتجهيزية وخصوصية لا تستطيع مهما توفرت على أداء رسالتها أن تحمل ثمرات التعليم الحديث إلى جمهور الشعب المصري في ريفه وحضره ، وإنما السياسة التعليمية — في عهد إسماعيل — تهدف إلى غاية أسمى من هذا : تهدف إلى إنشاء نظام قومي للتعليم يستمد عناصره من كلا النظامين : الحديث الممثل في مدارس الحكومة ، والقديم الممثل في المسكاتب والكتاتيب الأهلية . وإذا كان عصر إسماعيل قد انتهى ولا تزال هذه الغاية بعيدة ، إلا أن التجارب التي أجريت والمشروعات والبحوث التي وضعت والإحصاءات التي جمعت والخبرات التي اكتسبت كل هذه كانت عظيمة الأثر في توضيح السبيل وتمييده لتلك الغاية السامية :

وإذا كان إسماعيل يستطيع أن يؤجل بعض برنامج ريثما يمهّد الأرض ويقيم الأساس ، فإنه كان يشعر بأنه لا يستطيع أن يؤجل اهتمامه بالتعليم ، وهو عنده «أساس النجاح والرقى» ، وهكذا بدأت عنايته بالتعليم وتجديد المدارس منذ الأيام الأولى من حكمه ، وظل طوال حكمه يواليها بالتأييد الأدبي والمادى وسط مناحي العمل المنشعبة ومشاكل الحكم وأزمات السياسة والمال .

بل إن هذه المشاغل والأزمات لم تصرف إسماعيل عن العناية بالتعليم ، وإنما زادت به

عناية واحتفالا ، أن كان التعليم أهم مقومات النهضة وأقوى سند لها .

تولى إسماعيل في الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ ، وكان النظام التعليمي الذي وضعه محمد علي قد غدا أنقضا ، ولن يستطيع أحد أن يقول إن وجود مدرسة للطب بالقاهرة ومدرسة حربية بالقلعة السعيدية ^(١) يكون نظاما تعليميا . ولكن إسماعيل وجد عند توليه معاهد أخرى للتعليم كانت قائمة بمصر منذ قرون ولم يتعرض لها السلطان في قليل أو كثير ، فظلت محتفظة بكيانها وخصائصها ومكاتها في نفوس الشعب ، ونقصد الكتابات في المدن والقرى والأزهر في حاضرة البلاد . ولكن هذه (المعاهد) لا تكون نظاما تعليميا : إذ لم تنظم بينها أية صلة يكون من شأنها أن توجه التعليم نحو تثقيف الناشئ في مختلف مراحل حياته . والتعليم نفسه — قبل محمد علي — لم يصادف من عناية أولياء الأمر ما يدخله في نطاق الخدمات التي تقوم بها الدولة وقنعت الدولة بأن تسير الأمور في الأزهر وهذه المكاتب سيرتها المألوفة . أما محمد علي فكان له في سياسة التعليم وجهة خاصة : اتخذها أداة يكون بها الفنين الذين يحتاج إليهم ليعاونوه في النهوض بأعباء الخدمات التي نظمها في الصناعة والتجارة

(١) يقول إسماعيل : هناك باشا (حقائق الأخبار ... ج ٢ ص ٢٧٩) إن إسماعيل باشا لما تولى لم يكن بمصر سوى ثلاث مدارس أميرية ، ولكنه لم يذكر اسمها . ويقول يعقوب أرئين باشا (L' Inst. publique en Egypte . p. 95) إن إسماعيل باشا وجد عند توليه مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ومدرسة حربية ومدرسة للطب والصيدلة والولادة وكلها بالقاهرة ومدرسة بحرية بالاسكندرية ، وكلها في حالة يرثى لها . والواقع أنه لم يكن بالقاهرة في عصر سعيد مدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية والمدرسة الحربية التي كانت بقلعة القاهرة ألغيت قبل انتهاء حكم سعيد بعامين ، وكذلك انهارت المدرسة البحرية قبيل حكم إسماعيل .

والجيش وغير ذلك من مرافق البلاد . وكان ينبغي أن يتخذ في إعداد العمال أسلوبا معيناً قوامه إشراف الدولة إشرافاً كاملاً على تعليمهم وتربيتهم في مدارس ينشئها لهذا الغرض ويجمع لها صبية البلاد ويقوم على تغذيتهم بالتربية العقلية والثروة المادية ، ذلك لأنهم أعوانه وعدته في النهوض بالبلاد ، فهو يريد - شأن الحاكم المطلق - أن يطمئن إلى إعدادهم على النحو الذي تبغيه الدولة . ورأى محمد على أن هذا الأسلوب في إعداد عماله لا يستطيع تطبيقه في معاهد العلم القديمة التي عاشت على الحرية المطلقة والاستقلال التام عن سلطان الدولة ووسمت بهما طلابها وخريجها .

وهكذا عاش النوعان من التعليم والتربية جنباً إلى جنب ، ولكل وجهة هو موليها ولكل أهداف ظل عاكفا عليها .

ووجد إسماعيل عند توليته لونا آخر من المعاهد العلمية غير بقايا المدارس (الحديثة) ومعاهد العلم (القديمة) ، وجد إسماعيل المدارس التي اصطلاح على تسميتها (المدارس الأجنبية) وهي المدارس التي أنشأتها الإرساليات الدينية والجاليات الأجنبية التي بدأت تفد إلى مصر وتستقر فيها في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، واشتد نشاطها في النصف الثاني منه وما زال من المظاهر البارزة في النهضة الحديثة إلى وقتنا هذا . وهذه المدارس (الأجنبية) كانت لا شك تدعو إلى ثقافة لا نقول معادية لثقافة البلاد ولكنها لا تمت إليها بسبب . وبعض هذه المدارس عكف على رسالته التعليمية وبعضها أضاف إلى هذه الرسالة التعليمية رسالة أخرى تتصل بالدين والدعوة إليه . ولم تقم هذه المدارس في عاصمة البلاد وحدها وإنما أخذت تنتشر في العاصمة والمدن . ولم تقتصر على أبناء الجاليات الأجنبية وحدهم وإنما

استطاعت أن تجذب إليها نفراً من أهل البلاد أخذ عدده يزداد من وقت إلى آخر ، كما استطاعت أن تنال عطف الحكومة ورعايتها المادية والأدبية .

هذه معاهد العلم التي وجدها إسماعيل حين تولى حكم مصر في الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ ، وكل منها له كيانه الخاص وأهدافه الخاصة وأسلوبه الخاص في تربية الناشئة وكل منها يقتضى الحكومة علاجاً خاصاً .

أما المدارس (الحديثة) فقصيرة العمر ، وهى البقية الباقية من النظام التعليمى الحديث الذى وضع محمد على أساسه فى مصر منذ ثلاثة وثلاثين عاماً . ولكن هذا النظام التعليمى الحديث — على قصر عمره — استطاع أن يخلف فى حياة البلاد الثقافية أقوى الأثر : فقد نجح فى اجتذاب عدد كبير من ناشئة البلاد وأخذهم بالوان من التعليم وفنون من التربية كانت حتى ذلك الوقت منعدمة فى مصر أو انقطعت الصلة بينها وبين مصر منذ وقت بعيد . ونجح هذا النظام التعليمى الحديث فى إشاعة نهضة تعليمية قوية بما أنشئ من مدارس وترجم من كتب وخرج من تلاميذ ، ونجح فى توجيه البلاد حكومة وشعباً إلى ضرورة العناية بالتعليم والاحتفال لنجاحه ، فأصبح تعليم الناشئة وظيفة من وظائف الدولة الأساسية ، فالدولة تعنى بحياة الشعب العقلية كما تعنى بحياته المادية ، والدولة تنفق على التعليم كما تنفق على سائر مرافق الإصلاح . وإذا كان هذا النظام التعليمى الحديث قد ذبل فى عهد عباس ثم ذوى فى عهد سعيد فإن أثره القوى ما زال قائماً فى تلاميذه الذين خرجهم وكتبه التى نشرها ، بل ما زال قائماً فى أبنيته التى ضمت سنوات طويلة نابتة البلاد ، وقد أقبلوا عليها يتزودون من التعليم (الحكومى) ما يمهدهم فى خدمة البلاد حياة طيبة ، وانتشر هؤلاء التلاميذ فى ربوع البلاد وأصاب كثير منهم فى الحياة الوظيفية الجاه والمال والمقام السامى ، وكانوا بين

سائر مواطنهم المثل الحى لما يصيبه المتعلمون فى مدارس الدولة من توفيق وإقبال .
لهذا لا يقاس أثر النظام التعليمى الحديث حين تولى إسماعيل حكم مصر فى الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ بالمعهدين الدارسين الباقين من هذا التراث وهما مدرسة الطب والمدرسة الحربية ، وإنما يقاس أثره بالتقاليد القوية التى غرسها فى ثقافة البلاد وبالروح القوية والنهضة الحافلة التى أشاعها فى البلاد ، وإنما يقاس أثره بالتلاميذ الذين درسوا فى معاهد هذا النظام ووصل كثير منهم إلى مراكز الحكم والإدارة فى البلاد وكلهم ينتظرون الإشارة من ولى الأمر فى البلاد ليهبوا إلى العمل على تجديد البناء ، بناء التعليم الحديث .

وجد الخديو إسماعيل فى أدهم ورفاعة وعلى مبارك وشريف ورياض وعلى إبراهيم أصدق الأعوان فى إقامة دعائم النظام التعليمى الحديث وتوطيدها فى البلاد ، ووجد غيرهم كثيرين ممن نسميهم (الجنود المجهولين) وهم معلمو المدارس الذين شتتوا فى خدمات مختلفة بعيدة عن العلم والتعليم وأن لاسماعيل أن يجمعهم ليعهد إليهم مرة ثانية بتعليم أبناء البلاد ، ووجد كثيراً من الأبنية الصالحة ليقم فيها مدارسه ، الجديدة ، ووجد الكتب المدرسية التى يستطيع أن يضعها بين أيدي تلاميذه أول دخولهم فى المدارس الجديدة ، بل وجد إسماعيل كثيراً من التلاميذ الذين شردوا وأن له أن يعود بهم إلى معاهد العلم ^(١) . ولكن وجد إسماعيل فوق هذا كله أمة قد ذاقت حلاوة العلم واستطابت لذته ونعمت بخيراته ، وأصبحت مستعدة — بل متطلعة — أن تؤيد أميرها وتشاركه بالتأييد الأدبى والمادى جهوده لبعث النهضة التعليمية وتمكين لها فى حياة البلاد وحمايتها من عوادي الجهل والحرمان .

لم يكن إسماعيل إذن عند ما تولى حكم مصر في الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ يواجه الموقف نفسه الذى واجهه محمد على قبل ذلك بثمانية وخمسين عاما . ولكن الفضل لثراث محمد على ، ذلك التراث الذى مهد لإسماعيل التربة الصالحة ليضع فيها غرسه وأعدّ هذه التربة بما يمكن لغرسها من قوة ونماء . وهذه الأدوات المختلفة التى وجدها إسماعيل حين تولى حكم مصر كانت كلها صالحة للعمل ، وما كانت تقتضى الأمير إلا أن يجمع بعضها إلى بعض لتبدأ العمل من جديد على النحو الذى كانت عليه وقت أن وصل النظام التعليمى الحديث فى عصر محمد على إلى عنفوان القوة واكتمال النمو .

وعلى هذا النحو كان بعث النظام التعليمى الحديث فى أوائل حكم إسماعيل . فسا كان إسماعيل — وهو الأمير المستنير — يطبق أن يرى البلاد عاطلة من معاهد العلم الحديثة ، وكان إسماعيل — وهو الأمير المصلح — يقدر حاجته إلى الفنين للنهوض بمشروعاته التى عزم على تحقيقها فى شتى نواحي الإصلاح . وكان إسماعيل متعجلا ليفيد من تلك الأدوات الباقية المهيأة للعمل ، لهذا لم ينتج إسماعيل فى أوائل حكمه إلى رسم سياسة تعليمية جديدة ، وإنما سار — سواء أشعر بذلك أم لم يشعر — على السياسة التعليمية التى رسمها جده محمد على الكبير .

ولكن هذه المرحلة الإنشائية لاتدوم إلا ريثما يتبها الوقت ويفرغ الرجال لوضع سياسة تعليمية جديدة على ضوء من التوفيق بين حاجات الساعة وماضى الأمة ومستقبلها ، بين النظام التعليمى الحديث والنظام التعليمى الأهلى — إن جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير — القائم منذ قرون وما زال يقوم على تربية أبناء الشعب فى كتاتيب القرى والمدن .

أدرك إسماعيل — وأدرك معه القوامون على النهضة التعليمية فى عصره ، والاسم

البارز فيهم على مبارك - أن النظام التعليمي الحديث لا يستطيع أن ينهض على دعائم ثابتة مستقرة في ثرى البلاد إلا إذا بدأ (يخرج) من عاصمة البلاد ويتغلغل في سائر أنحائها فيتصل بالفلاحين في القرى والصناع في المدن يحمل اليهم نور العلم الحديث ، ولكن القرى والمدن حافلة بمعاهد التعليم الأهلى وهى الكتاتيب ، فيجب أن تنظم الصلة بين التعليم الحكومى والأهلى على نحو يحقق تعاونهما فى النهوض بالمهمة السامية التى يعكفان على أدائها فى تعليم ناشئة البلاد . وعلى هذه الفكرة قامت لائحة رجب ١٢٨٤ . وبذلك بدأت المرحلة الثانية فى تطور النظام التعليمى فى عصر إسماعيل ، والحق أن بشارتها قد بدأت تبدو منذ العام الثانى من حكم إسماعيل ، ولكنها لم تبد واضحة إلا فى عام ١٨٦٧ - ١٨٦٨ حين وضعت لوائح جديدة ورسمت سياسة فى التعليم جديدة ، فكان هذا العام من الأعوام البارزة فى تاريخ التعليم المصرى الحديث .

وعهد إلى راسم هذه السياسة أمر تنفيذها : وعكف على مبارك على ذلك ماوسعه الجهد وتوفرت له الوسائل من المال والرجال ، وسنرى فى الفصول التالية من هذا الكتاب مدى نجاحه فى بلوغ هذه الغاية .

يستطيع إسماعيل الآن - فى سنة ١٨٦٩ - أن ينظر - بافتخار - إلى النواحي التى أتمها من برنامج : كان قد فرغ من كثير من المصاعب التى ورثها فيما ورث : حل مشاكل القناة ، واحتفل بافتتاحها فى أبهة وروعة جعلتا الناس تتحدث عن مصر وعاهلها طويلا ، صنف بعض مشا كله مع الباب العالى على نحو يحقق له بعض أهدافه ، وبدأ عمله فى توسيع ملكه وتنظيمه فى أفريقية ، وتطد نظام الدواوين ، وزاد عليها مجلس شورى النواب .

وهكذا ختمت هذه المرحلة الأولى من حكمه (من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٩) بهذه الأحداث البارزة التى أرخت من عصر إسماعيل أبهى سنى حكمه :

١ - وفي سنة ١٨٦٧ منح إسماعيل فرمان الذي نال به لقباً خاصاً وأقرّ لمصر - بين الباشويات العثمانية - مركزاً ممتازاً .

٢ - وفي سنة ١٨٦٧ افتتح مجلس شورى النواب الذي بدأ به السطر الأول من الحياة النيابية في مصر .

٣ - وفي سنة ١٨٦٨ صدرت لائحة رجب ١٢٨٤ التي أرخت أول محاولة لإنشاء نظام قومي للتعليم في مصر .

٤ - وفي سنة ١٨٦٩ افتتحت قناة السويس ، فبدأت مصر تعود إلى مسكاتها في حلقة مواصلات العالم واتجهت إليها الأبصار .

وهكذا عادت المثل العليا فانتعشت وعادت الآفاق الواسعة فتفتحت ، وانتعش الأمل في صدر اسماعيل في مستقبل مشرق باسم : فهو يستطيع أن يمضي الآن مطمئناً إلى إكمال برنامجه وتقويم أوجه القصور فيما وضع من خططه وأساليه مما كشفت عنه التجربة ، يستطيع أن يمضي في معالجة مسائله مع الباب العالي الذي كان ينظر بحذر إلى خطط الخديو السياسية ومشروعاته في أوربا ، يستطيع أن يمضي في مفاوضاته مع الدول الأوروبية بشأن الإصلاح القضائي ، وأن يمضي في تحقيق أهدافه التمدنية والعمرانية في السودان ، ويستطيع أن يمضي قدماً في تنفيذ الخطط التي وضعت للتعليم وإصلاح المعوج من أمورها وإكمال الناقص من جوانبها حتى توضع على أساس سليم يمكنها من متابعة العمل في سرعة وإتقان . وكان الزمن يدخر لمصطفى رياض أن يرسم هو الآخر سياسته وينهض لتحقيقها . ورياض لا يميل إلى التوسع قدر ميله إلى الإصلاح .

وشهدت سنة ١٨٧٣ - ١٨٧٤ حركة إصلاحية قوية في التعليم بوضع اللوائح المنظمة لقبول التلاميذ بالمدارس واشتراك أهليهم في أعباء تعليمهم وتربيتهم ، واللوائح المنظمة لواجبات المعلمين والمتحدثين على الطلاب ، والمناهج والخطط المدرسية المنظمة

للتعليم فى المدارس . فكانت سنة ١٨٧٣ - ١٨٧٤ من السنوات الحافلة فى تاريخ التعليم ، وكانت سنة ١٨٧٥ بالذات القمة التى وصل إليها اكتمال النظام التعليمى فى عصر إسماعيل .

والحق أن سنة ١٨٧٥ تختم مرحلة أخرى من مراحل عصر إسماعيل فى التعليم وفى غير التعليم . فقد شهدت هذه المرحلة الثانية من حكم إسماعيل (١٨٦٩ - ١٨٧٥) من الأحداث الخطيرة ما أعطى عصر إسماعيل طابعه الخاص الباقى بين عصور التاريخ المصرى الحديث :

- ١ - فقد استقرت العلاقات بين مصر والدولة العثمانية بالفرمان (الشامل) الذى صدر فى سنة ١٨٧٢ والذى أكد حقوق مصر وامتيازاتها .
- ٢ - وتحقق الإصلاح القضائى بافتتاح المحاكم المختلطة فى سنة ١٨٧٥ .
- ٣ - واطرد سير الإصلاح والتمدين ومقاومة النخاسة فى السودان .
- أما فى التعليم فنستطيع أن نكمل أهم الخطوات التى تمت فيما يلى :
- ١ - إنشاء مدرسة دار العلوم فى سنة ١٨٧٢ وهى أول مدرسة لاعداد المعلم فى مصر ، وبذلك وضع الأساس لبدء أكبر حاجة تعليمية فى مصر .
- ٢ - إنشاء أول مدرسة لتعليم البنات فى مصر فى سنة ١٨٧٢ أيضا .
- ٣ - صدور أول قانون لتنظيم أمور الأزهر ، وهو القانون الذى يرسم الامتحان لمن ينبغى التصدر للتدريس بالأزهر
- ٤ - المضى فى تنظيم وإنشاء المكاتب الأهلية .
- ٥ - تنظيم التدريس فى المدارس على أساس برامج تعليمية مفصلة وموحدة لكل مرحلة من مراحل التعليم .

٦ - تحويل الأساس الذي كانت تقوم عليه الحياة المدرسية : إذ تحولت المدارس من (ثكنات) يجمع فيها الصبية وتقوم الدولة عن أهلهم بكل ما يتطلبه مقامهم بها من تعليم وكساء وغذاء و (مصروف) ! إلى معاهد للعلم يتردد عليها الصبية نهاراً وينقلبون إلى أهلهم مساء ، بل ويؤدون إلى الحكومة بعض ما تتكلفه لأبنائهم من نفقات التعليم والأدوات والسكتب المدرسية .

✓ وفي اعتقادنا أن هذا التحول في الحياة المدرسية كان من أهم الثمرات التي جناها التعليم في مصر في عصر إسماعيل : فقد أصبح التعليم بذلك ليس نشاطاً حكومياً فحسب ، وإنما هو نشاط تشترك فيه الحكومة والأمة جميعاً ، لم يعد التعليم - كما كان في عصر محمد علي وماتلاه حتى هذه السنوات من حكم إسماعيل - (خدمة) تقوم بها الحكومة كما تقوم بالخدمات الأخرى ، وإنما أصبح فوق ذلك مقوماً من المقومات التي لا غنى عنها في حياة الأمة .

✓ ومضى عصر إسماعيل إلى نهايته ، وتشاء الظروف لإسماعيل أن تكون هذه السنوات الأربع (من ١٨٧٥ إلى ١٨٧٩) سنوات جهاد : جهاد ضد شهوات النفس وجهاد ضد « الرأسمالية » الأوروبية التي اعتمدت في أساليبها على « السياسة » الأوروبية ريثما يحين الوقت الذي تعتمد فيه على « العسكرية » الأوروبية . في هذه السنوات سمع صوت الرأي العام لأول مرة في مصر ، هذا الرأي العام الذي استمد - في الحق - مقوماته الأولى من النهضة المحمدية العلوية وما صحبها من إنشاء المدارس وبعث البعث والاتصالات بالغرب ، وشهد المثل العليا التي رسمها محمد علي والآفاق البعيدة التي فتحتها ، وشارك فيها على نحو ما ، تم ترس في ظروف الحكم التي تلت عهد محمد علي ، ثم غذاه إسماعيل من روحه وثقافته ، وأمدّه بالمقوم الأساسي في حياته وهو هذه

النهضة التعليمية الحافلة التي اشاعها إسماعيل وهياً ، له أسباب النمو واليقظة في هذه الصحف التي بدأت بمصر أول مابدأت في عصر إسماعيل ، ومهد له سبيل إبداء الرأي — على نحو متواضع في أول الأمر — في مجلس الشورى الذي أنشأه . حتى إذا استوى هذا الرأي العام المستنير المتحفز على عوده مضى إسماعيل يجرب الاعتماد عليه في مواجهة تيارات التدخل الأوروبي الجاحمة ، ولكن هذه التيارات كانت أقوى في النهاية من أن يضمدا لها هذا الوفاق القومي اليافع بين العاهل الشرعى والرأى العام المستنير . وضخى إسماعيل في هذا الجهاد بعرشه ، بعد أن ضحى بماله ، علّ في هذه التضحية بعض ما يفيد بلاده .

لم يغفل إسماعيل — فى سنى الجهاد هذه (من ١٨٧٥ إلى ١٨٧٩) — مسائل التعليم ، فظل يوالها بعنايته وإذا كانت هذه السنوات قد خلت من خطط إنشائية توسعية فى التعليم فقد انصرف فى خلالها الجهد إلى تحقيق الخطط السابقة ، سواء تلك التى وضعت فى سنة ١٨٦٧ وترمى إلى تحقيق نظام تعليمى قومى عام على أساس المكاتب الأهلية ، أو تلك التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ بقصد توحيد برامج التعليم وتحويل الحياة المدرسية على أساس التوسع فى نظام الأقسام الخارجية والمصروفات الدراسية . فهذه السنوات إذن لم تشهد توسعاً فى النظم والمؤسسات التعليمية القائمة بقدر ما شهدت محاولات لتحسين هذه النظم والمؤسسات ورفعها إلى المستوى الذى رسمته اللوائح والخطط العامة ، وليس من شك فى أن لهذا (التحول) أو وقوف التوسع ما يبرره :

فان اختلال الأحوال المالية واضطرار الحكومة إلى ضغط مصروفاتها لمواجهة أقساط الدين كان لا شك له أثره البارز فى غل يد الحكومة عن التوسع

في إنشاء المدارس والمضى في تنظيم وإصلاح المكاتب الأهلية رغم الموارد (الخاصة) التي رصدت لهذه المكاتب .

ولكن من الحق كذلك أن المتتبع لتاريخ المنشآت التعليمية يرى الفروق ظاهرة بين الأساليب التي لا تزال تسيطر عليها وتلك التي رسمتها اللوائح والخطط العامة : فما زال المستوى العلي للتلاميذ قاصرا عن بلوغ المستوى الذي رسمته الخطط والمناهج الدراسية التي وضعت لمختلف مراحل التعليم في سنة ١٨٧٤ ، وما زالت هيئات التدريس دون المستوى المأمول ، وما زال مشروع إنشاء دار المعلمين معطلا ، وما زال التطور في الحياة المدرسية على النحو الذي رسمته اللوائح التي وضعت في سنة ١٨٧٤ بطيئا . فالحاجة ماسة إذن إلى كبح جماح التوسع في المنشآت التعليمية والانصراف إلى تحسين ورفع مستواها .

وهكذا انتهى حكم إسماعيل في سنة ١٨٧٩ وما زالت الخطة التي رسمت في سنة ١٨٦٧ واللوائح التي وضعت في سنة ١٨٧٤ حظها من النجاح والتفيد ضئيل . وكان عصر إسماعيل بما لا يسه من التغييرات الداخلية المتعددة وبما أثاره من مشكلات في علاقة مصر بالدولة العثمانية ودول الشرق من ناحية والدول الأوروبية من ناحية أخرى باعثاً على اليقظة القومية التي أخذت تعني بمختلف مرافق الأمة ومنها التعليم ، واشتد الشعور بضرورة اتخاذ التعليم أداة للإصلاح ، ولا يتسنى تحقيق هذه الغاية إلا بإصلاح التعليم نفسه بما يحقق وفاء لحاجات البلاد ، وأجدرها بالعناية تثقيف الشعب وإعداد العمال الأكفاء لدوائر الحكومة والأعمال . وكان عصر إسماعيل حافلا بالتجارب التي تهدي المصالحين طريقهم إلى الإصلاح . ومن هنا

جاءت تلك الحركة الإصلاحية الخطيرة في سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٨١ التي حمل لواءها مصطفى رياض باشا .

فهم رياض — مؤيدا من الخديو توفيق — الموقف الذي كانت تجتازه مصر في ذلك الوقت بعد انتهاء حكم إسماعيل حق الفهم : قدر المصاعب المالية والسياسية التي تجتازها البلاد ، وقدر في الوقت نفسه حاجتها إلى متابعة الإصلاحات التي بدأها إسماعيل على ضوء مجانية أو مسيطرة الضغط الأوروبي المائل -- على الخصوص -- في الرقابة على المالية المصرية ، وعلى هدى ما انتهت إليه تجارب ذلك العصر الحافل بالتجارب .

ففي الإصلاح الاجتماعي يمضي رياض في ما عزمه أو بدأه إسماعيل من إلغاء السخرة .

وفي الإصلاح المالي يستصدر قانون التصفية ويبسط نظام الضرائب .
وفي الإصلاح القضائي يمضي في التمهيد لإنشاء المحاكم الأهلية .

وفي النهضة الأدبية يمضي رياض في تشجيع الصحف وينصب الشيخ محمد عبده محرراً للوقائع المصرية ، فيمهد له بذلك أسباب الشهرة ويهيء له مكانا للدرس والاستقصاء ومجالا للقلم الناقد الجريء .

أما الإصلاح التعليمي فالحق أن صفحة رياض فيه من أنصع الصفحات وأكثرها احتفالا بالعمل الجدى .

كان أشد ما أهتم رياض في تلك الفترة القصيرة الحافلة بتنظيم الأداة الحكومية تنظيمًا يؤهلها لتحسن القيام على هذه الإصلاحات التي شرع في إجرائها والتي كانت

لاشك تتطلب الاستناد إلى نظام تعليمي متين تتضافر في تشييده كل العناصر الصالحة القائمة ليمهد للشعب تعليماً أولاً صالحاً ، ثم يرقى حتى يعد للدولة هذه الصفوة المتعلمة التي تستمد منها رجالها في إدارة الأداة الحكومية .

ووجدت هذه الآراء الإصلاحية لمصطفى رياض صداها في ناظر معارفه « على إبراهيم باشا » وفي رئيس التفقيش بالمعارف « دور بك » ، كما وجدت صداها في نخبة من الرجال المستنيرين من المصريين والأجانب الذين خبروا التعليم في مختلف معامده ووضعو أيديهم على مكانن الداء ووصفوا العلاج . وكانت ثمرة بحثهم هذا التقرير القيم الذي وضعه « قومسيون تنظيم التعليم » في سنة ١٨٨٠ والذي نعهده أهم وثيقة تعليمية في القرن الماضي (١) .

ولكن الخطة الإصلاحية التي بدأها رياض في التعليم وفي غير التعليم لم يتح لها من الوقت والاستقرار والهدوء ما يكفي لتحقيقها ، وجاءت حوادث الثورة والاحتلال في سنة ١٨٨٣ فوقفت حركة الإصلاح ريثما ينفصح الوقت للاحتلال لوضع سياسة جديدة لمسائل التعليم والترية في مصر .



وإلى هنا وقفنا في البحث ، وقد أجمنا سياسة التعليم في عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من أوائل حكم توفيق (حتى سنة ١٨٩٢) ، وربطنا بين هذه السياسة والأهداف الأخرى التي كان يتجه إليها الحكم والأحداث البارزة فيه ، أما تفصيل الكلام في النظم التعليمية التي شهدها هذا العصر الحافل الذي نؤرخ التعليم فيه

(١) لأهمية هذا التقرير نشرنا ترجمته كاملة في الجزء الثالث من هذا الكتاب (ملاحقات)

(١٨٦٣ - ١٨٨٢) وتطورها والمؤسسات التعليمية التي أنشئت والبرامج التي وضعت والمحاولات والتجارب التي بذلت . . الخ أما هذا كله فمرعدنا به فصول الكتاب التالية . على أننا نود قبل أن نختم هذا الفصل أن نجمل التراث الذي خلفه عصر إسماعيل والسنوات المتصلة به من أوائل حكم توفيق في ميدان التربية والتعليم :

١ - شهد هذا العصر انتصار الفكرة القائلة بضرورة نشر التعليم القومي والداعية إليه . والحق أن جميع الذين تصدروا لمسائل التربية والتعليم في ذلك العصر قد آمنوا بهذه الفكرة ودعوا إليها وإن اختلفت فيما بينهم وسائل الدعوة والبراعث إليها : آمن بها رفاعة وأدهم ومحمد شريف وعلى مبارك وعلى إبراهيم ومصطفى رياض ومحمد عبده ، وتمثل هذه الدعوة - أقوى ما تكون - في ناحية العناية بنشر التعليم الأولى - الابتدائي كعمل قومي لا يكفي أن تهض به الحكومة وحدها وإنما تهض به الدولة كلها حكومة وشعبا : فيدبغى أن توفر له - إلى جانب ميزانية الحكومة المحدودة مهما تكن - ميزانية « شعبية » توفر على الحكومة بعض أعبائها المالية لتكرسها للعناية بمراحل التعليم الأخرى . على أن هذه الدعوة قد صادفت من العقبات ماحداً من مدى نجاحها : وأهم هذه العقبات أن محاولة تدبير ميزانية « شعبية » للتعليم الأولى - الابتدائي من هبات الخديو والأثرياء من الناس واشتراك الأهالي في إنشاء المكاتب وأداء أجور المعلمين ونفقات التأسيس الخ . (على النحو الذي جرت به لائحة رجب ١٢٨٤ وتقرير القومسيون (١٨٨٠) ، هذه المحاولة لم تتحقق تماماً . ولم تستطع الميزانية « الحكومية » - بما عليها من أعباء وما حل بها من تضيق بعد سنة ١٨٧٥ - أن تلبى الأهداف السامية التي رسمت لنشر التعليم الأولى - الابتدائي .

٢ - وكذلك شهد هذا العصر انتصار الفكرة الداعية إلى أن يتحرر التعليم من

الصبغة الحكومية — بل العسكرية — التي لازمتها منذ نشأته في عهد محمد على (١) في المدارس التي أنشأها والتي كانت أشبه ما تكون بالشكنات يجمع لها الصدية ويحتجزهم فيها ويقيم عليهم الحراس بالنهار والليل ويأخذهم بالنظام العسكرى ، فإذا حدثت صديا نفسه بأن (يهرب) من مدرسته في غفلة من حراسها ردت الحكومة اليها وأخذته بشديد العقاب ، والآباء لا يعلمون عما يتعلمه أبناءهم بها شيئا ، وهم لهذا لا يحفلون بما يصيبونه فيها من نجاح أو فشل ، فهذا الصبي مذ نزعته الحكومة من أهله قد غدا ابنها ، بل جنديها وخادمها ، والله — وحده — يعلم متى يؤوب إلى أهله ! (٢) .

وإذا كان هذا الطراز من الحياة المدرسية قد استطاع — حقا — أن يخرج لمصر في عهد محمد على وبعد عهد محمد على كثيرا من أفذاذ الرجال ، إلا أنه كان لاشك له أثره في تضيق نطاق النهضة التعليمية وتعطيل تكون الرأى العام المستنير الذى يخبر تماما معاهد العلم ويعرف عنها كل شئ ويشارك الحكومة بالتأييد الأدبى والمادى عنايتها بها ويحفل لتقدمها ويقف دونها ينافح عنها ويحميها ، كما أن هذا اللون من الحياة المدرسية كان يكلف الحكومة كثيرا مما يغل يديها عن التوسع فى التعليم ونشره .

واستمر هذا الطراز من الحياة المدرسية قائما فى المدارس القليلة التى بقيت أو أنشئت فى عصر عباس وسعيد وفى المدارس التى افتتحت فى أوائل حكم إسماعيل ، حتى أدركت حكومة إسماعيل أن ليس لها به حاجة وأن الناس قد تفتحت للتعليم نفوسهم وصبت إليه أفئدتهم ، فبدأت تعمل على تحويل الحياة المدرسية على أساس أن

(١) انظر فى موضوع الحياة المدرسية كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على .

(٢) لم يعد على مبارك إلى أهله منذ دخل المدرسة الابتدائية إلا بعد أربعة عشر عاما !

تقتصر على تعليم الصبية - أو القادرين منهم على الأخص - بمدارسها في مقابل رسوم يؤديها آباؤهم ، ثم عليهم فوق ذلك ما بقى من أمور غداء أبنائهم وكسائهم ، أما غير القادرين فهم (أبناء) الحكومة لهم عليها حق التعليم والغذاء والكساء . أى أن الأساس الجديد الذى أخذت تتحول إليه الحياة المدرسية هو نظام الرسوم (أو المصروفات) المدرسية والأقسام الخارجية . ولكن هذا التحول سار ببطء شديد حتى انتهى العصر الذى تؤرخ التعليم فيه .

٣ - واحتفظ هذا العصر بما عدّه الأستاذ شفيق بك غربال « أثنى ما خلفه محمد على فى سياسته التعليمية » ، وهو هذا التنوع فى معاهد التعليم تنوعاً يحول دون أن تصب ثقافة الأمة كلها فى قالب واحد ، ويمكن كل فرد فيها من أن يتجه إلى نوع التعليم الذى يريد : فالى جانب المدارس التى أنشأها محمد على احتفظ بالمكاتب الأهلية ، واحتفظ بالأزهر الشريف ، وترك للجانبات الأجنبية وللطوائف والرساليات الدينية حرية افتتاح المدارس . واحتفظ اسماعيل بهذه الألوان المتعددة المنوعة من معاهد التعليم ، بل إنه شجعها على النمو ومكن لها فى أسباب الرزق والحياة ، ولكنه فعل أكثر من ذلك : إنه رأى أن هذه الحرية (المطلقة) ليست من صالح التعليم والدولة فى شىء ، وأن الخير كل الخير - لافى إهمالها وتركها تسير فى طريقها وتتجه الوجهة التى تريدها - وإنما فى محاولة تنظيمها بقصد ربطها بالنظام التعليمى الحكومى الحديث الذى أنشأت له ديوانا وجمعت له الرجال وربطت له المال ، وهذا الربط بين النظامين التعليميين القديم والحديث يرمى الى تحقيق الأهداف التالية :

الأول : رفع المستوى العلمى والصحى للمكاتب الأهلية واتخاذها أداة لنشر التعليم الأولى - الابتدائى .

الثانى : تنظيم — أو الشروع فى تنظيم — حياة الطلاب بالأزهر من قيدوامتحان وحضور وغياب ، وإذا كانت إصلاحات الشيخ العروسى فى هذه المسائل لم تنفذ إلا بعد وقت طويل ، فإن الشيخ المهدى قد استطاع أن يحقق بعض إصلاحه لنظام التدريس بالأزهر (١) .

الثالث : أذا المدارس (الأجنبية) فلها كيائها الخاص المستند الى مركز الأجانب فى مصر فى ذلك الوقت ، وكان إسماعيل — لاشك — يدرك هذا الكيان ويقدره ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يخشى نتائج التأثيرات المتنوعة لهذه المدارس : فشجع على قيام لون خاص من هذه المدارس لاهو بالأجنبى الخالص ولا هو بالقومى الخالص ، فهذه « المدارس الحرة المجانية المطلقة » (٢) كان إسماعيل يأمل أن يلتقى عندها المصريون والنزلاء الأجانب ، ومن يدرى ؟ ربما كان يأمل أن يأتى الوقت الذى يستغنى فيه بهذه المدارس عن مدارس الجاليات والارساليات الأجنبية . ويبدو أن مصطفى رياض كان يقدر ما يخشاه الخديو : فحاول — فى مشروع لائحة تقدم به إلى الخديو فى سنة ١٨٧٢ (٣) — أن يصل ما بين هذه المدارس الأجنبية والادارة التعليمية (ديوان المدارس) على نحو لا يفقد هذه المدارس كيائها الخاص ، وإنما بحسبه أن يوقف الادارة المصرية ويطمئنها على سير هذه المدارس ومستواها الصحى ونوع التعليم فيها ، والحق أن هذا الربط بين المدارس الأجنبية والادارة التعليمية القومية لا يزال حتى اليوم هدفا نسعى لبلوغه .

(١) انظر فى موضوع الأزهر الفصل الاول من الكتاب الاخير .

(٢) انظر فى موضوع هذه المدارس الفصل الثانى من الكتاب الاخير .

(٣) نشرنا ترجمة هذا المشروع فى الجزء الثالث (ملحقات) .

الفصل الثانى

تطور النظام التعليمى فى عصر إسماعيل

والسنوات المتصلة به من حكم توفيق

(١٨٦٣ - ١٨٨٢)

رسمنا فى الفصل السابق خطوط السياسة التعليمية التى وضعها إسماعيل وتبعنا تطورها حتى بداية الاحتلال ، يتضح منها أن النظام التعليمى قد مر فى مراحل متعددة حددتها معالم بارزة ، وارتبطت كل من هذه المعالم باسم أحد الرجال البارزين الذين خلدوا لهم فى تاريخ التعليم فى القرن الماضى أقوى الأثر : فالمرحلة الإنشائية الأولى ترتبط باسم محمد شريف باشا ومرحلة التوجيه القومى فى سنة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ ترتبط باسم على مبارك باشا ، ومرحلة الإصلاح فى سنة ١٨٧٣ - ١٨٧٤ ترتبط باسم مصطفى رياض باشا ، ومرحلة الإصلاح فى سنة ١٨٨٠ - ١٨٨١ ترتبط باسم على إبراهيم باشا. وليس تاريخ التعليم فى مصر من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٨٢ إلا تاريخ هذه الحركات الإصلاحية . وهذه الحركات الإصلاحية لكل منها أهدافها وخصائصها ، ولكن يجمع بينها جميعا أنها - فى جوهرها - ترمى إلى تحقيق مشروع التعليم القومى الذى هو - كما قلنا - مدار السياسة التعليمية المصرية من عصر إسماعيل إلى الوقت الحاضر . ولذلك سيكون هدفنا الذى نتجه إليه فى هذا

الفصل وفى الفصول التالية أن نتبع الجهود الإصلاحية التى بذلت لبلوغ هذه الغاية وحظها من النجاح . أما فى هذا الفصل فسنقتصر على توضيح (المعالم) العامة أو المراحل الأساسية فى طريق الإصلاح .

أولاً — مرحلة الإنشاء : ١٨٦٣ — ١٨٦٥

لم يمض على تولى إسماعيل حكم مصر أيام حتى وقع اختياره على إبراهيم أدهم باشا ليكون عوناً فيما ينبغي تحقيقه من مشروعات تعليمية . فأصدر إليه أمراً فى ٥ شعبان ١٢٧٩ (٢٦ يناير ١٨٦٣)^(١) بأن يتخذ العدة لافتتاح ثلاث مدارس . منها مدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة بالاسكندرية تنظم قسمها ابتدائياً وآخر تجهيزياً ، ولإنشاء ديوان للمدارس ليدير هذه المدارس ويشرف على الحركة التعليمية فى البلاد .

وتوفر إبراهيم أدهم على عمله الجديد : فافتتح ديوان المدارس بالقلعة ووضع أول «ترتيب» أولاًئحة للمدارس ، صدر بها أمر إسماعيل فى ٢٩ شعبان ١٢٧٩ (فبراير ١٨٦٣)^(٢) . وجرت الاستعدادات لافتتاح المدارس الثلاث التى سبق بها أمر إسماعيل ونظمت شئونها اللائحة الجديدة ، فوقع الاختيار على العباسية لتكون مقراً لمدرستى القاهرة وجمع التلاميذ وعين النظار والمعلمون . وبلغ من حرص الحكومة على أن تبادر إلى

(١) دفتر ٥٢٦ (مكية تركى) ص ١٩ أمر الى ناظر الأوقاف فى ٥ شعبان ١٢٧٩

(٢) دفتر ١٩٥٢ (مجلس خصوصى) ص ٢ رقم ٥ — قرار المجلس الخصوصى

فى ٢٧ شعبان ١٢٧٩ .

النهوض بواجبها في تعليم أبناء البلاد أنها جمعت منهم من رآته صالحاً للتعليم وخصصت لهم بمقر الديوان غرفاً وأتت بالمعلمين يعلمونهم ريثما يتم إعداد المدارس فينقلون إليها^(١).

ولم يكن إسماعيل بالحاكم الذي تخضع مشروعاته التعليمية لأهوائه الخاصة ، لم يفعل ما فعله عباس عند ما تولى الحكم في سنة ١٨٤٨ فكان من أول أعماله إلغاء معاهد التعليم التي وجدها قائمة بمصر منذ عهد محمد علي ، ولم يفعل ما فعله سعيد عند ما تولى الحكم في سنة ١٨٥٤ فألغى معاهد التعليم التي كان أنشأها عباس . لم يفعل إسماعيل شيئاً من ذلك وإنما احتفظ بالمدرستين القائمتين من (مخلفات) حكم سعيد وأنشأ يعمل لإحيائها . ففي حكمه انتعشت مدرسة الطب واستعادت كثيراً من ماضيها المجيد وكذلك انتعشت المدرسة الحربية .

ولكن العمل في إنشاء المدارس كان يقتضى مدير الديوان جهداً ناء به إبراهيم أدهم باشا . فرأى إسماعيل أن يضع أمر التعليم بين يدي محمد شريف باشا . ونهض شريف بالعبء ، وكان عهده في نظارة المعارف حافلاً (بالإنشاء) وإليه يرجع الفضل في رسم الخطوات الأولى التي خطاها النظام التعليمي في عصر إسماعيل ، وقد ظلت المعالم الأولى التي وضعها قائمة حتى نهاية العصر .

ففي عهده افتتحت مدارس القاهرة والاسكندرية الابتدائية والتجهيزية . ونظمت المدرسة الحربية على أساس تقسيمها إلى أسلحة ثلاثة : للمشاة والفرسان والمدفعية ، ثم افتتحت مدرسة لأركان الحرب في سنة ١٨٦٥ .

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربي) ص ٨٧ رقم ٣٨ الى الجمادية في ١٥ ذى الحجة ١٢٧٩

وعهد إلى ديوان المدارس بالاشراف على شئون البعثات العلمية الحسائية والتعليمية (١).

وافتحت مدرسة المهندسخانة وبدأ العمل في إنشاء الرصدخانة (١٨٦٥) وأنشئ مجلس استشارى المعارف (١٨٦٦) ووضعت مشروعات لإنشاء مدارس أخرى كالبحرية والحقوق .

وبدأ العمل في ديوان المدارس يتعقد ويتفرع واتسعت ميزانية التعليم .
وفي سنة ١٨٦٦ - ١٨٦٧ أنشئت مدرسة للطب البيطرى وجعلت من فروع المدارس الحرية .

✓ وأهم ما نلاحظه على التعليم في هذا الدور أن المدارس الحرية تكاد تحتكر النشاط التعليمى . ففنها أربعة مدارس قائمة : المشاة والفرسان والمدفعية وأركان الحرب ثم أضيفت إليها مدرسة للطب البيطرى ، وسيضاف إليها عما قليل مدرسة للحاسبة وأخرى للزراعة . أما المدارس المدنية القائمة فلا تعدو مدرسة واحدة خصوصية هى المهندسخانة ، ومدرسة ابتدائية وأخرى تجهيزية بالقاهرة ومدرسة ابتدائية تجهيزية بالاسكندرية . فالتعليم العسكرى يطحن على ما عده ، بل لقد بلغ من العناية به أن استقدمت لتنظيمه بعثة عسكرية من فرنسا وأنشئت له إدارة خاصة لتقوم على كافة شؤنه ، ونصب على رأسها أحد كبار الضباط الفرنسيين (ميرشير بك) وجعل لها قلم ترجمة خاص وصحيفة خاصة . وكادت المدارس الحرية تحتكر جميع تلاميذ

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) ص ٤٢ رقم ٣ أمر إلى ناظر المدارس والخارجية في ١٥ شعبان ١٢٨٩ .

المدرسة التجهيزية ، فكانت تأخذ منها — من عام إلى آخر — صفوة تلامذتها من غير أن يتموا دراستهم ، ومن هنا ملئت المدرسة التجهيزية بتلاميذ لما يتموا العلوم الابتدائية وملئت المدارس الحربية بتلاميذ لما يتموا العلوم التجهيزية . وبذلك ضعف الأساس الذى قام عليه التعليم ، وظل هذا النقص الشديد ملازماً للنظام التعليمى حتى نهاية العصر حين رفع على باشا إبراهيم ناظر المعارف فى سنة ١٨٨٠ عقيرته بالشكوى من هذه الحالة التى لا يستقيم معها أمر التعليم ، واقترح لعلاجها أن يؤذن لنظارة المعارف بإصدار الشهادات الدراسية بحيث لا يستطيع تلميذ أن ينتقل من مدرسة ابتدائية إلى أخرى تجهيزية أو من مدرسة تجهيزية إلى أخرى خصوصية أو من مدرسة خصوصية إلى إحدى وظائف الحكومة إلا إذا كان يحمل الشهادة التى تدل على نوع المرحلة التى اجتازها (١) .

✓ وما نلاحظه على هذه المرحلة الإنشائية أن المدارس التى أنشئت فيها قاصرة على القاهرة والاسكندرية دون غيرها من بلاد القطر . وطبيعى أن تحظى القاهرة والاسكندرية بالمدارس أول إنشائها لتكون بين سمع الحكومة وبصرها فيكون إشرافها عليها أدق وأجدى ، هذا إلى أنه كان فى وسع الحكومة أن تجد فى هاتين المدينتين — وقد كانتا من المراكز الهامة فى النهضة التعليمية منذ عصر محمد على — الأبنية الصالحة لتقام فيها المدارس الجديدة ، وسيكون العثور على الأماكن الصالحة للمدارس بالأقاليم من أهم الصعاب التى ستصادفها الحكومة وقت إنشاء المدارس بالأقاليم .

(١) انظر مذكرة على باشا إبراهيم فى مجموعة الديكريات وما يتبعها . القسم الأول

وكذلك نلاحظ أمراً لا شك كان له أثره في نمو النظام التعليمي واستقراره : وهو أن حكومة إسماعيل بدأت عملها بإنشاء المدارس الابتدائية والتجيزية ، وهذه خطوة طبيعية في بناء النظام التعليمي . وقد كان من أهم نواحي النقد التي وجهت لنظام محمد علي التعليمي أنه بدأ بالمدارس الخصوصية ثم بالمدارس التجيزية والابتدائية . ذلك لأن محمد علي كان يهيمه قبل كل شيء أن يحصل على الفنيين الذين يستطيع أن يعتمد عليهم في النهوض بالبلاد كالمهندسين والضباط والأطباء والمترجمين والمعلمين ... الخ وهو في سبيل الحصول على هؤلاء الفنيين لا يعنيه أن يجتازوا المراحل الطبيعية التي يجب أن يجتازوها لبلوغ مرحلة التخصص ، وحسبك أن تعرف أن محمد علي عند ما أنشأ مدرسة الطب جمع لها الطلاب من الأزهر والمساجد الأخرى . وعلى الرغم من استقرار النظام التعليمي في عهد محمد علي وخاصة بعد وضع اللائحة المنظمة للتعليم في سنة ١٨٣٦ فإن النقص الذي لزم النظام التعليمي منذ نشأته ظل من المظاهر البارزة لضعف هذا النظام حتى نهاية عصر محمد علي ، وظلت الشكوى تتردد من وقت إلى آخر من ضعف التعليم الابتدائي وقصوره بالنسبة للتعليم التجيزي والخصوصي .

أما إسماعيل فقد بدأ يضع النظام التعليمي الحديث على أساس سليم : فبدأ بالمدارس الابتدائية والتجيزية وفي الوقت نفسه احتفظ بالمدرستين الخصوصية (المدرسة الحربية ومدرسة الطب) اللتين وجدتهما قائمتين حين تولى الحكم في البلاد . بيد أن حكومة إسماعيل لم تفسح لهذه المدارس الابتدائية والتجيزية التي أنشأتها من الوقت ما يمكنها من أن تقوم على إعداد تلامذتها في المدة التي حددت للتعليم الابتدائي والتعليم التجيزي . فالمدرسة الحربية تتسع من وقت لآخر حتى يصل عدد تلامذتها إلى أكثر من أربعائة تلميذ في العام الأول من حكم إسماعيل ، وقد رأينا أنها لجأت إلى المدرسة

التجهيزية بل إلى المدرسة الابتدائية فأخذت منهما المئات ولما يمض عليهم بمدارسهم عام دراسي كامل. والواقع أن المدارس الحربية ظلت من وقت إلى آخر تلجأ إلى المدارس التجهيزية — أو إلى المدرسة التجهيزية الوحيدة الباقية — بل إلى المدارس الخصوصية نفسها فتزعم منها صفوة تلامذتها وتتحول بهم عن التعليم المدني إلى التعليم العسكري. وكان ديوان المدارس والمدارس الخصوصية (المدنية) ^(١) تضيق بهذا الأمر : إذ أنه يحرمها ثمار جهودها في تعليم الشباب ويجعل نتائجها فحشة سقيمة ويحول بينها وبين الاستقرار ، وهو إذا كان لازماً لكل إصلاح فهو أشد ما يكون لزوماً للإصلاحات التعليمية .

ومن مظاهر عدم الاستقرار ذلك الاضطراب الذي لازم إدارة المدارس الحربية في السنوات الخمس الأولى من حكم إسماعيل ^(٢) : ففي بداية حكمه كانت المدرسة الحربية — ومقرها القناطر (السعيدية) ثم نقلت إلى قصر النيل — تابعة لديوان الجهادية ، وبعد أشهر من إنشاء ديوان المدارس ضمت إليه المدرسة الحربية في ١٢ المحرم ١٢٨٠ (يونية ١٨٦٣) . وعكف ديوان المدارس على تنظيمها وتوسيعها لتكون نواة للمدارس الحربية في عهدها الجديد . ولكن لم تمض ثمانية أشهر على ذلك حتى صدر الأمر ثانية بإعادتها إلى ديوان الجهادية في ٧ رمضان ١٢٨٠ (فبراير ١٨٦٤) وظلت المدارس الحربية تابعة لديوان الجهادية علماً ، ثم أمر إسماعيل بإعادة تبعيتها إلى ديوان المدارس في ١٤ شعبان ١٢٨١ (فبراير ١٨٦٤) .

(١) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربي) ص ١٢٧ رقم ٢٧ إلى الجهادية في ٨ شوال ١٢٩١ ودفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ٣٩ رقم ٤٩ إلى الجهادية في ٢١ ذي القعدة ١٢٩١ .
(٢) نترك تفصيل الكلام على المدارس الحربية إلى الفصل الخاص الذي نعهده لها .

وأُتيح هذه المرة للمدارس الحربية شيء من الاستقرار : إذ بقيت تابعة لديوان المدارس نحو ثلاثة أعوام أى إلى ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٤ (١ أكتوبر ١٨٦٧) حين نزعت من ديوان المدارس نهائياً وجعلت تابعة لديوان الجهادية . وعلى أثر ذلك وضع لها (ترتيب) خاص صدر فى ١٠ رجب ١٢٨٤ أى فى الوقت الذى صدرت فيه لأئحة رجب الشهيرة لتنظيم المكاتب الأهلية وإصلاحها .

✓ بيد أن أهم ما نلاحظه على تلك المرحلة الإنشائية الأولى من مراحل تطور النظام التعليمى فى عصر إسماعيل إهمال العناية بالتعليم الأولى — الابتدائى الذى هو تعليم الشعب . ولن يستطيع هذا التعليم بمدرسة ابتدائية بالقاهرة وأخرى بالاسكندرية أن يواجه حاجات الشعب للتعليم . ولهذا ظلت الكتاتيب وحدها كما كانت منذ قرون معاهد التعليم الأولى فى البلاد . والحق أنها — على قصورها — استطاعت أن توفى جانباً كبيراً من حاجة الأمة إلى التعليم . وهكذا نرى أن المرحلة الإنشائية الأولى من مراحل تطور النظام التعليمى فى عصر اسماعيل كانت موسومة بطابع سياسة محمد على فى التعليم : وأخصها قلة العناية بالتعليم الأولى وطبع معاهد العلم بالصبغة الحربية التى لازمت هذه المعاهد منذ إنشائها فى حكم محمد على وبالحياة (الحكومية) — إن جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير — لندل به على نوع الحياة التى كان يحياها الطلاب فى المدارس .

بيد أن من الحق أن نقول إن الأسلوب الذى جرى عليه محمد على فى (جمع) الصبية للدراسة ، هذا الأسلوب القائم على تكليف رجال الإدارة بأن يملئوا له مدارسهم كما يملئون له صفوف جيشه لم يعد صالحاً — بل لم يعد لازماً — لاسماعيل .

فقد زال هذا الحرج الذى كان يحجده المصريون فى دخول مدارس الحكومة ، وزال هذا الحرج فى عهد محمد على نفسه بعد أن استقرت هذه المدارس وأدرك الناس أن لها أهدافاً وغايات غير أهداف الجندية وغاياتها ، وأن (التليذ) فيها تعدل له الحكومة مصيراً غير المصير الذى تعده للجندى ، وإن يكن هذا التليذ لا يزال يعتبر (ابن) الدولة و (خادماً) . واستقرت هذه الفكرة فى أذهان الناس فى عصر عباس وسعيد ، حتى إذا تولى إسماعيل لم يلق هذه العقبة التى طالما أهمت محمد على وحملته على أن يتخذ لتشجيع الناس على الإقبال على المدارس التى أنشأها طرائق كادت تقتضى الحكومة كثيراً من الجهد والمال ، ولم يكن من إسماعيل سوى أن أعلن عزمه على « تربية أبناء الأهالى المصرية وإتحاف عقولهم بالعلوم والفنون والآداب واللطائف حتى يصيروا جميعاً لطبعه شاكرين ولأفعاله السنية ممنونين » ودعا « الأهالى والذوات والمستخدمين ممن لهم أولاد وفيهم لياقة للتعليم وفى الدخول فى هذه المدارس راغبين » إلى إرسال أبنائهم إلى ديوان المدارس بالقلعة (١) .

لهذا استطاع إسماعيل أن يبدأ مشروعه فى بعث النظام التعليمى الحديث مطمئناً إلى إقبال الناس على المدارس التى ينشئها واحتفالهم لنجاحها . ولكن التقاليد التى لازمت — كما قلنا — النظام التعليمى الحديث منذ غرسه محمد على فى مصر كانت قوية الأثر بحيث استطاعت أن تصبغ المدارس التى أنشأها إسماعيل فى أوائل حكمه بالصبغة العسكرية والحكومية التى صبغت بها مدارس محمد على : فالنظام العسكرى يسود المدارس ، والتلاميذ فيها يحملون رتباً عسكرية ويقسمون إلى بلوكات

(١) دفتـر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٨ إلى محافظة مصر فى ٥

كما يقسم الجند في الجيش ، والتلاميذ يقيمون في المدارس يخفروها الجند لا يبرحونها ليلاً ولا نهاراً إلا حين تشاء الحكومة ، والحكومة تنهض عن آبائهم بما يجب أن ينهضوا به من تكاليف تعليم أبنائهم وتربيتهم ، فالحكومة تقدم لهم الغذاء في كل يوم وتقدم لهم اللباس في أوقات محددة ، وهذا اللباس من حيث النوع واللون و (مدة) الاستعمال واحد في جميع المدارس التي من نوع واحد ، والحكومة تمنح تلاميذها مرتبات في أوقات معينة كما يمنح الجندي في الجيش أو الموظف في دوائر الحكومة ، والحكومة تنقل الصبي من مدرسة إلى أخرى لا ترعى في ذلك اعتبارات الميل والرغبة من جانب المتعلم وإنما يحفزها اهتمامها بكيان مدارسها وملء صفوف بعضها وإنقاص بعضها الآخر .

فالنظام التعليمي الحديث اذن ما يزال في السنوات الأولى من حكم اسماعيل مجهودا (حكوميا) بحثا لا نكاد نلاحظ للجهود (الأهلية) فيه أثرا . وليس هذا مما يعينه على الاستقرار والنجاح ، فانه لن يستطيع أن يفوز بهذا الاستقرار إلا إذا انتشرت معاهده في مختلف أنحاء البلاد واتصل بمختلف (طبقات) الأمة المصرية ، وأصبح ليس مجرد مجهود للحكومة وإنما تشترك معها الأمة في توطيد أركانه والاحتفال لنجاحه . وهذا ما عمل لبلوغه على مبارك في ١٨٦٧ — ١٨٦٨ وسار على أثره المصلحون والمتحدثون على شؤون التعليم حتى اليوم .

ثانيا — مرحلة التوجيه القومي

في المرحلة الإنشائية وضحت أوجه النقص في سياسة التعليم ونظامه ، ووضح أن أمر التعليم عامة أخطر من أن يوكل إلى بضع مدارس بالقاهرة

والاسكندرية لا تقوم بينها رابطة تنظم ما يجب أن يكون بينها من تضامن ، ووضح أن الحاجة أصبحت ماسة إلى إعادة النظر في سياسة التعليم التي خلفها عصر محمد علي تمهيداً لرسم سياسة جديدة لا تقوم على النظر إلى التعليم على أنه عمل حكومى لا تبغى به الحكومة سوى إعداد نفر من أبناء البلاد لوظائف الحكومة ، وإنما على اعتبار أنه أداة للإصلاح والنهوض القومى للأمة وعمل — بل واجب — قومى يعنى به لفائده فى حد ذاته بصرف النظر عن الأغراض (النفعية) التي ترتبط به ، أو بعبارة أخرى وضح الشعور بالحاجة إلى نشر التعليم الأولى — الابتدائى وهو المرحلة الأولى من مراحل التعليم وأشدها اتصالاً بالشعب . أحست بهذه الحاجة حكومة إسماعيل وراحت تدبر الوسائل للوفاء بها ، كما أحس بها فى الوقت نفسه مجلس شورى النواب الذى اجتمع أعضاؤه لأول مرة فى أواخر سنة ١٨٦٦ وتقدموا يرسمون فى التعليم سياسة جديدة .

أدرك إسماعيل منذ بداية حكمه أن التعليم الابتدائى لا يستقيم أمره أو يعم أثره إلا إذا تعددت معاهده ، فلم تقتصر على حاضرة البلاد وثغرها ، وأن من الخير أن تنهض حكومته بجانب من عبء تعليم أبناء الشعب فى الأقاليم ، ليكون من ذلك إثباتاً لرعاية الحكومة جانب الشعب واحتفالها بأن ترفه له حياته العقلية كما ترفه له حياته المادية ، وليكون من تعدد المدارس الابتدائية وسيلة لإمداد المدارس التحضيرية بمجموعة منتقاة من التلامذة المبتدئين . لهذا نرى إسماعيل — منذ أوائل حكمه — يصدر الأوامر تباعاً إلى ديوان المدارس تارة وإلى المديريات تارة أخرى بضرورة إنشاء مدارس ابتدائية فى حواضر المديريات والمحافظات ، وبالفعل وضعت الرسوم والمواصفات لتحويل بعض القصور التي بناها أسلافه أو بعض المصانع

المهجورة إلى مدارس ، غير مدخر في ذلك مالا أو جهدا ، ووضع « ترتيب لمكاتب
المبتديان » بالأقاليم ^(١) ، واشترت لتلاميذها الكسبي من أوروبا ^(٢) ، وتبرع الخديو
لإنشائها بعشرة آلاف فدان ^(٣) .

على أن أكثر مدارس الأقاليم التي أمر إسماعيل بإنشائها في ذلك الوقت لم تخرج إلى
حيز الوجود طوال حكمه ، كالمدارس التي أمر بإنشائها في أسوان والمنصورة ودمهوير
وإسنا وقنا ودمياط ، كما أن بعضها تأخر إنشاؤه نحو ثلاثة أعوام كمدارس بنها وأسيوط
وبني سويف والمنيا . ولسنا نجد تعليلا لهذا التباطؤ في تنفيذ أوامر إسماعيل إلا بأن
إسماعيل نفسه — بعد انحسار موجة الإنشاء الأولى — أدرك أن الأمر في التعليم
الابتدائي أجل من مجرد إنشاء مدرسة بكل من القاهرة والاسكندرية وبضع مدارس
مبعثرة في حواضر الأقاليم وأن أمر التعليم عامة أكثر خطراً من مجرد إحياء
ما اندرس من معاهد العلم ، ولكنه قبل كل شيء نظام جديد يوضع وسياسة تعليمية
جديدة ترسم على هدى من التوفيق بين حاجات الساعة وماضى الأمة . ففكر إسماعيل
في أن يجعل نظامه التعليمي الحديث جزءا من مقومات الحياة المصرية القومية .
فأين يجد إسماعيل الأساس الذي يبنى عليه ؟ أفى المدارس الابتدائية (الحكومية)
التي أنشأ منها مدرستين وأزمع إنشاء بضع مدارس أخرى ؟ أم في المكاتب

(١) دفتر ٣٥٢ (مدارس عربي) ص ٧ رقم ٩٤٦ إلى مدير المدارس وناظر

الخارجية في ١١ صفر ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٦٠ (مدارس عربي) ص ٣٣ رقم ٤٣ إلى الخارجية في ٢٠ ربيع الأول ١٢٨٢

(٣) انظر مداولات مجلس شورى النواب في ملاحق الكتاب

(الأهلية) المنبثة في طول البلاد وعرضها ؟

وبينما حكومة إسماعيل تجمل الرأى في ذلك ، إذا بعامل جديد — عامل « قومي » — يدخل في ميدان البحث ويوجهه التوجيه « القومي » الذي أسلفنا .

قرارات مجلس شورى النواب : أكتوبر — نوفمبر ١٨٦٦

في ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ صدرت « نظامنامه مجلس شورى النواب » أو لائحته الداخلية^(١). وكان اجتماع « الشورى » بشيرا بضرورة اهتمام الحكومة بالتعليم — ليس فقط على أنه وسيلة وأداة تعدد للحكومة الموظفين لمصالحها — بل كأداة لتربية الشعب التربية السياسية التي تفهمه حقوقه وواجباته . نادى بهذا أحد النواب البارزين ، وهو إترى بك أبو العز « رئيس قلم الروضة » أى نواب مديرتى الغربية والمنوفية بمجلس شورى النواب^(٢) .

ذكر زملاءه النواب — فى خطاب له — بأن المادة ٦١^(٣) من لائحة المجلس

-
- (١) انظر اللائحة فى : تاريخ الحياة النيابية فى مصر للأستاذ خليل صبحى ج ٥ ص ٩٨
(٢) انظر مناقشات وقرارات المجلس وأمر الخديو بشأنها إلى الداخلية فى ٩ رمضان ١٢٨٣ فى دفتر ٣٢ (مدارس عربى) ج ١ ص ٥٠ — وقد نشرناها فى ملاحق الكتاب
(٣) ونصها : « حيث ذكر فى (بند ٢ وبند ٣ وبند ٤ وبند ٥) من اللائحة الاماسية الاوصاف اللازمة فى حق من يحصل انتخابهم لوظيفة العضوية بمجلس شورى النواب ومن يجوز لهم انتخاب النواب فى الانتخاب السابع يقتضى أن الذين يحصل انتخابهم للعضوية يكون لهم دراية بالقراءة والكتابة زيادة على الاوصاف المقررة فى حقهم وفى =

تقضى اشتراط معرفة القراءة والكتابة في النائب بعد ثمانى عشرة سنة واشتراطها في الناحب بعد ثلاثين سنة ، وأهاب بزملائه أن يتدبروا الأمر قبل وقوعه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا « بكثرة إيجاد المكاتب في سائر بلاد الأقاليم » ، وأشاد بمبرة الخديو حين أوقف نحو عشرة آلاف فدان لتستغل إيراداتها في الصرف على إنشاء مكتب لكل مديرية ، واقترح على الحكومة أن تتقدم بربط إيراداتها ثابت لها وأن تأذن باستخدام إيرادات الأوقاف الخيرية « من بعد كفاية مصروفات محلات الوقف » ، ودعا أهل الخير إلى أن يجودوا بتبرعاتهم للمدارس الجديدة .

= الانتخاب الحادى عشر يحتاج أن الذين يجوز لهم انتخاب النواب يكون لهم إلمام بالقراءة والكتابة علاوة على الأوصاف المنصوصة في شأنهم أيضا .

وإتماما للفائدة نذكر أن اشتراط معرفة القراءة (فقط دون الكتابة) للنائب أقره — لأول مرة في مصر — مشروع قانون الانتخاب الذى وافق عليه مجلس شورى النواب في ١٥ يونيه ١٨٧٩ — أى قبل الموعد الذى حددته لائحة المجلس الداخلية في ٢٢ أكتوبر ١٨٦٦ — إذا جاء في المادة ٦٥ من هذا المشروع . « يمكن انتخاب كل شخص عمره ثلاثين سنة فما فوق أيا كان محل وطنه وله إلمام بالقراءة والكتابة » (انظر تاريخ الحياة النيابية ج ٥ ص ٥٠) ثم في قانون الانتخاب الصادر في ٢٥ مارس ١٨٨٢ بالمادة ٦٧ : « يصح انتخاب كل شخص بلغ من العمر ٢٥ سنة فما فوق أيا كان محل توطنه على شرط أن تجتمع فيه الصفات المطلوبة في حق الانتخاب ويكون ساريا عليه أحكام قوانين البلاد بما فيها القرعة العسكرية ويكون عارفا بالقراءة والكتابة معرفة كافية » (انظر المصدر السابق ص ٤٥٠) ولما صدر القانون النظامى المصرى في أول مايو ١٨٨٣ اشترط في جواز الانتخاب لعضوية مجلس المديرية أن يكون للعضو « معرفة بالقراءة والكتابة » (انظر المصدر السابق ص ٢٧٣) أما اشتراط القراءة والكتابة لمن له حق الانتخاب وهو الشرط الذى أمهلت لائحة مجلس شورى النواب في سنة ١٨٦٦ العمل به ثلاثين عاما — فلم يتحقق حتى الآن .

تناقش المجلس في مقترحات النائب وقرر إحالتها على لجنة خاصة حضرها مندوب من قبل الحكومة ، وبلغ من اهتمام أعضاء المجلس بهذا الموضوع الجليل أن تقدم عشرة منهم إلى اللجنة بأرائهم ، وبعد دراسة الموضوع وضعت اللجنة عنه تقرير اطبع ووزع على أعضاء المجلس . وفي ١٦ شعبان ١٢٨٣ (نوفمبر ١٨٦٦) حضر الجلسة « محمد شريف باشا » مدير المدارس وناظر الداخلية في ذلك الوقت ، فلما تلى التقرير طلب شريف باشا نسخة منه ليدرس الموضوع على حدة ، وفي جلسة تالية (١٩ شعبان) وقف شرف باشا يعلن ارتياح الخديو وحكومته لمداورات المجلس واشتغاله « بمواد جسيمة المنافع للوطن وساكنيه فيما هو أساس العمارة بعلو الوطن والإنسانية » . وعلى أثر ذلك أبدى ملاحظات الحكومة على مشروع اللجنة ، وانتهت المداورات بالقرارات الآتية :

أولا — تنشأ مدرسة بكل مديرية ويؤجل إنشاء مدرسة بكل من دمياط ورشيد والسويس والعريش والقصير « تقديماً للأهم على المهم » ، وأما القاهرة والاسكندرية فقيمهما مدارس منظمة تصرف عليها أموال طائلة من ميزانية الحكومة ، ومع هذا فقد أزمعت الحكومة — كما أعلنت في المجلس على لسان شريف باشا — أن يقوم ديوان المدارس « بترتيب المكاتب الأهلية الموجودة بهما وإدخالها تحت رابطة مستحسنة » . وهذا يغني عن فتح مدارس جديدة بهما .

ثانياً — اقترحت اللجنة في تقريرها أن تنشأ مكاتب المديريات في أماكن تقرب من خطوط السكة الحديدية تيسيراً لسبل الوصول إليها ، وقد أشار شريف باشا بأن تستخدم لهذا الغرض الأبنية التي تملكها الحكومة في الأقاليم بعد إصلاحها بمعرفة

ديوان المدارس ، وإذ لم يوجد منها ما يصلح لأن يكون مدرسة بادرت الحكومة إلى تشييد بناء خاص للمدرسة .

ثالثا — يكون الدخول في هذه المدارس « من عموم الناس بالرغبة من دون استثناء مسلم أو قبطى غنى أو فقير ... بشرط أن يكون (التليذ) لغاية سن الرابعة عشرة » ويتلقى جميع التلاميذ دروسهم معا ، وأما في درس الدين فيفرد محل خاص لأبناء الأقباط ويؤذن لأحد القسوس الذين يندبهم غبطة البطريك بالتردد على المدرسة لتعليمهم أصول دينهم « حيث جميعهم أولاد الوطن » . أما مدارس الأقباط بالأقاليم فتظل لها إيراداتها الخاصة ينفق منها على شئونها ، على أن تشرف الحكومة على امتحان تلامذتها « بحضور مأمورين من طرف الحكومة السنية » أسوة بمدرسة الأقباط بالقاهرة تلبية لطلب غبطة البطريك .

رابعا — يترك لديوان المدارس تحديد مدة الدراسة بهذه المدارس وخطة الدراسة بها على أن يمتحن تلامذتها في آخر السنة المدرسية أمام مندوبين من الحكومة وبحضور عمد البلاد .

خامسا — يترك لديوان المدارس أيضا تحديد « التعيينات » التى تصرف لتلاميذ المدارس ، وأما الملابس فتقدمها الحكومة للبحاثين منهم ، وأما غير المحتاجين فلا يسهم يقدمها أهلهم ، على أن تكون ممائلة لللباس المقررة ، أما مبيت التلامذة بالمدرسة أوفى بيوتهم فرجعه رغبة التلامذة وقرب بيوتهم أوبعدها عن المدرسة .

سادسا — مصروفات هذه المدارس تكون من المديرىات والمحافظات القائمة بها ، ويجعل لذلك باب خاص فى حسابات كل جهة .

سابعا — إيرادات هذه المدارس تكون من الأوقاف التى انقرض مستحقوها

وتقع تحت نظر ديوان الأوقاف أو غيره إذا وجد المسوغ الشرعى الذى يحيز صرف ما يتبقى من إيراداتها — بعد إقامة شعائرها وما يلزم لعمارتها — على تلك المدارس .

ثامنا — يذاع فى البلاد كافة افتتاح هذه المدارس « ليكون معلوما لكل أهل الوطن » ، ويقدم منهم من يشاء هبة لها .

تاسعا — تقيد هبات الأهالى بكل محافظة أو مديرية فى سجل خاص ، وفى آخر كل سنة تضع المحافظة أو المديرية بيانا بإيراد المدرسة ومصروفها وترفعه إلى ديوان المدارس .

عاشرا — يعين فى آخر كل سنة عمدة من كل قسم وعمدتان من كل مديرية لينظر كل منهم فى جهته ماورد من هبات الأهالى وماتحصل من إيرادات الأوقاف التى سبق ذكرها ثم ما صرف على المدرسة فى العام المنصرم ، فإذا رأى أن إيرادات المدرسة لم تكف لأداء مصروفها عرض الأمر على أعتاب الخديو ليصدر أمره بما يرى .

وهنا أعلن شريف باشا أن الحكومة تتقبل شاكرة تبرعات الأهالى ، كما أعلن أن الخديو قد تفضل فأمر بوقف جفلك الوادى ويتألف من نحو ٢٢ ألف فدان « وقفاً مؤبداً على المدارس المقرر افتتاحها » ويكون إيراده « روكا على كافة مدارس الأقاليم » . وعند ذلك ابتهل المجلس بالدعاء للخديو .

ووافق المجلس على أن يشرف ديوان المدارس على جميع مصروفات المدارس وإيراداتها سواء من هبات الأهالى أو إيراد جفلك الوادى ، لما فى ذلك « من زيادة الدقة والاعتناء من طرف الحكومة السنية فى أمر ترتيب وتنظيم هذه المدارس وصرف لوازمها » .

ورفعت قرارات مجلس شورى النواب الى إسماعيل باشا ، فأصدر أمره إلى ديوان الداخلية بالموافقة عليها والمبادرة إلى تنفيذها مكرراً تبرعه بوقف جفلك الوادى قائلاً : « وجعلت ذلك هدية منى لنفع الوطن . . . ابتغاء لوجه الله الكريم » (١) .

(١) وهذا ملخص من صورة إنشاء وشروط وقف أطيان تفتيش الوادى بمديرية الشرقية وقدرها ٢١٩١٨ فداناً مستخرجة من نص الوقفية الصادرة من محكمة مصر الكبرى بتاريخ ٩ ربيع الثانى سنة ١٣٠٤ — نقلاً عن كتاب تقويم النيل وعصر إسماعيل م ٢ ج ٢ ص ٧٨٤ : « أنشأ الواقف وقفه وارصاده المعين بالحجة من تاريخ الوقف المذكور على أن يكون ذلك وقفاً مصروفات ريعه من تاريخ الوقف والارصاد فيما تحتاج إليه المكاتب الأهلية بالقطر المصرى من المصالح والمهمات وما يلزم لإدارة شئونها وشئون التعليم والتعلم بها على الدوام والاستمرار ، وإذا تعذر الصرف لأحد هذه المكاتب المذكورة كانتا ما كان يصرف للباقي منها ويكون صرف ذلك حسبما يراه الناظر على ذلك ويؤدى إليه اجتهاده أيضاً ، ويجرى الحال فى ذلك كذلك على الدوام والاستمرار بحيث يقدم فى ذلك الأهم والأكثر حاجة على غيره . فان تعذر الصرف للمكاتب المذكورة جميعها — لا قدر الله تعالى — صرف ريع ذلك جميعه للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحشياً وجدوا ، يجرى الحال فى ذلك كذلك وجوداً أو عدماً وتعذراً وإمكاناً أبد الأبدین ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ،

وكانت أطيان الوادى قد استردتها حكومة إسماعيل — حديثاً من شركة قناة السويس عقب تحكيم الامبراطور نابليون الثالث ، ويقص السيد على يوسف — صاحب المؤيد — فى خطاب له ألقاه فى (المؤتمر المصرى) بجاسة أول مايو ١٩١١ عن (التعليم فى مصر وحظ المسلمين والاقباط منه) قصة (عجيبة) عن وقف هذه الأراضى . قال إن إسماعيل جمع أعيان البلاد من المسلمين « الى مادبة كبرى فى المولد الأحمدي ... وحسن لهم أن يشتروا أرض تفتيش وادى الضميلات المؤجر للشركة الفرنسية وأن يجعلوا ريع هذا التفتيش وفقاً على تعليم أبنائهم فى مدارس تنشأ لهذا الغرض فجادوا بالمال الكثير وكان =

وبذلك ترى أن مناقشات وقرارات مجلس شورى النواب قد وضعت لأول مرة في تاريخ التعليم المصرى المبادئ الخطيرة الآتية :

أولا — التعليم الابتدائى واجب قومى لا يختص به الحكومة وحدها ، بل يجب أن تتضافر قوى الحكومة والأمة فى سبيل نشره وإنجاحه : الحكومة بما تملك من الوسائل الفنية فى وضع المناهج وتقديم المعلمين والمفتشين والمكاتب الخ ، والأمة بما تملك من أسباب التأييد القومى وما يملك أغنيائها من مال .

== الذى يدفع ٥٠٠ بنتو يومئذ يحق له الجلوس على المائدة الخديوية الذى يرأسها الخديو نفسه والذى يدفع ٤٠٠ بنتو يحق له الجلوس على المائدة التى يرأسها رئيس الحكومة إذ ذاك والذى يدفع أقل من ذلك يجلس على المائدة التى تليها ، وكان أقل مبلغ يدفع إذ ذاك مائة بنتو ودافعها يجلس على آخر مائدة يرأسها مدير المديرية وقتئذ ، وعلى ذلك دفعت الأموال وفوض المتبرعون بها المرحوم إسماعيل باشا فى شراء تفتيش الوادى هبة لتعليم أولادهم فى مدارس تنشأ لذلك وتسمى بالمكاتب الأهلية ، وكان مدير المدارس يومئذ المرحوم شريف باشا فأمره الخديو الأسبق باتمام أمر شراء التفتيش وبعمل الوقفية المذكورة ، (انظر مجموعة أعمال المؤتمر المصرى ص ٨٨)

وكذلك يشير أمين باشا سامى (تقويم النيل وعصر اسماعيل م ٢ ج ٢ ص ٧٨٠) إلى « ما تحصل من التبرعات فى الولية التى أقيمت فى مولد السيد البدوى بطنطا وشرفها سمو الخديو إسماعيل باشا وأنجاله ونظار دواوينه وحضرها أيضا أعيان من وجهاء القطر كله من مسلمين ومسيحيين وموسويين وتباروا فى دفع تلك التبرعات بكرم حاتمى ، وكل تلك التبرعات كانت بصدد الحصول على منبج خيرى لنشر التعليم فى مدارس المكاتب الأهلية فى أنحاء القطر وبموجبها أمكن صدور الأمر بوقف أطيان وادى الطميلات على تلك المدارس ... » . على أنه يبدو مما ذكرناه من مناقشات شورى النواب ومما جاء فى الوقائع المصرية الصادرة فى ٢٨ رجب ١٢٨٤ أن تبرعات الأهالى لإنشاء المكاتب =

ثانياً — ضرورة تدبير موارد للصرف على هذا الضرب من التعليم في خارج نطاق ميزانية الدولة تخفيفاً عن هذه الميزانية من جهة وتدعيماً لصفقتها الأهلية من جهة أخرى). وقد ضرب الخديو المثل بوقف أطيان الوادى ثم بأوقاف أخرى ، وسرعان ما اقتفى أثره جملة من أعيان البلاد بالتبرع بالمال تارة وبالوقف تارة أخرى . هذا عدا مصدر آخر (ثابت) وقع عليه النواب ، ثم ما لبث أن تمسك به على مبارك : وهو إيراد الأوقاف الخيرية ، وسرى أنه لم يكن شيئاً قليلاً ، وثمة مصدر آخر — وإن كان ضئيلاً من الوجهة المادية في أول الأمر إلا أنه كان عظيم الأثر من الوجهة الأدبية — وهو الرسوم المدرسية التي فرضت على أولياء التلاميذ ، فإنها لا شك كانت تحفزهم على موالاة الاهتمام بتعليم أبنائهم أو ذوى قربانهم وتأييد المدارس التي يتعلمون فيها والعمل على نجاحها وتقديمها .

ثالثاً — وترتب على ذلك أن دعيت المدارس الابتدائية الجديدة — التي أنشئت في ظل هذا النظام — بالمدارس أو المكاتب « الأهلية » توكيداً لصفقتها « الأهلية » كمعاهد للتعليم الابتدائى الخارج عن ميزانية الحكومة . وسرى أن حكومة إسماعيل — منذ ذلك الوقت (١٨٦٦ — ١٨٦٧) قد وضعت سياستها المالية في التعليم على أساس أن تقتصر الحكومة في الصرف على المدارس التجهيزية والخصوصية ، وهى المعاهد التي تعد لها الموظفين ، أما المدارس الابتدائية وهى معاهد التعليم الشعبى التي ترمى إلى نشر التعليم بين الأهالى « فيكون الصرف عليها من الأهالى والأوقاف ... » . إذ بذلك

= الأهلية — سواء في طنطا أو في غيرها من المدن — جامات تالية لأمر الخديو بوقف أطيان الوادى وتلبية لقرارات الشورى ودعوة الحكومة أثرياء البلاد إلى التبرع لنشر التعليم .

تدوم الرغبة وتتسع دائرة التعليم»^(١). ولذلك ترى أن النقص المتوالى في عدد تلامذة المدارس الأميرية كان يقابله ازدياد في عدد تلامذة المدارس الأهلية ، وهذا يدل — كما قال دوربك — إلى اتجاه رغبة الديوان (نظارة المدارس) نحو إحلال الأخيرة محل الأولى كأداة لنشر التعليم الابتدائي لأنه أقل نفقة من جهة وأكثر تغلغلا في الشعب من جهة أخرى^(٢).

ولهذا انتهى عصر إسماعيل وليس بمصر من المدارس الابتدائية الأميرية سوى مدرسة واحدة ، هي إحدى المدرستين اللتين افتتحهما الحكومة في أول حكمه وهي مدرسة الناصرية بالقاهرة ، أما باقي المدارس الابتدائية سواء بالقاهرة والاسكندرية أو بالأقاليم (وكانت تسمى أحيانا بالمدارس المركزية) فكانت كلها (مكاتب أهلية) يصرف عليها من أوجه الإيراد التي ذكرنا .

رابعا — وضعت قرارات شورى النواب مبدءا لا يقل في خطره عما أسلفنا : هو الاعتراف بالمكاتب أو الكتاتيب الأهلية وهي معاهد التعليم الأولى الشعبي التي عاشت دهرأ طويلا لا يحفل بها السلطان ، واعتبار أنه يمكن الاكتفاء بها في القاهرة والاسكندرية — حيث تكثر مدارس الحكومة — والاستغناء بها عن فتح مدارس جديدة . هذا إلى إدراك ضرورة إصلاحها حتى تصبح تحت إشراف الحكومة وسيلة طيبة لنشر تعليم أولى صالح . وسينهض على مبارك — منذ يدخل ديوان المدارس وكيلا ثم مديرا — إلى توسيع هذه الفكرة وتحسينها وتطبيقها في

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٢) Ministre de l'Instruction publique. Statistique des Ecoles

سائر أنحاء البلاد ، وهى فكرة إصلاح الكتاتيب وإخضاعها لهيمنة الدولة تمهيداً لإدخالها فى بنىان التعليم المصرى القومى الذى تتعاون الأمة والحكومة فى تثبيت دعائمه والاحتفال لنجاحه .

وعلى هذا النحو البسيط المتواضع نبتت فكرة التعليم القومى الحديث فى مصر ، أما تاريخها فهو تاريخ التعليم من عصر إسماعيل إلى الوقت الحاضر .

لوحة ١٠ رجب ١٢٨٤ (٧ نوفمبر - ١٨٦٨)

وضعت قرارات مجلس شورى النواب ووافق عليها الحديو ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى وبدأت المرحلة الثانية : مرحلة التنفيذ .

نشط ديوان المدارس — ومديره إذذاك شريف باشا — لاتخاذ العدة لتنفيذ هذه القرارات : من بناء وترميم المكاتب وجمع البيانات عن إيراد جفلك الوادى ^(١)

(١) دفتر ٣٨٧ (مدارس عربى) ص ٥٠ رقم ١٢٤ الى المالية فى ٢٩ شوال ١٢٨٣ — أعلن فى الوقائع المصرية (٢٨ رجب ١٢٨٤ — ٢٥ نوفمبر ١٨٦٧) أن أطيان جفلك الوادى تبلغ ٢٢٠٠٠ فدان لاينقص ايرادها عن خمسين ألف جنيه فى السنة . ولكن الحقيقة كما جاء فى الوقفية انها ٢١٨٩١٨ فداناً . بل لم يكن يزرع منها فى وقت ايقافها (سنة ١٢٨٣) سوى ١١٨٤٥ فداناً وبعض الفدان أجرتها مديرية الشرقية بمبلغ ٢٣٤٤٥٠ جنيهها ، وفى آخر العام طلب الاهالى تخفيض الایجار حتى استقر على ١٩١٢٠٠ جنيهها و٣٥٧ قرشا و ٩ بارات فى السنة واعتمد ديوان المدارس ذلك وكتب الى مديرية الشرقية يطلب اليها توريد الايراد أولاً بأول (دفتر ٤٠٢ مدارس عربى) =

ثم كتب إلى محافظتي القاهرة والاسكندرية لتوافيه كل منهما ببيان شامل للمكاتب الأهلية (١).

ووضعت البيانات المطلوبة وأصبحت كلها بين يدي ديوان المدارس ، ولا شك في

= ص ١٦٦ رقم ١٩ في ٢١ رجب ١٢٨٤ . وبعد ذلك بعامين (١٢٨٦) هبط إيراد الوادي الى ١٧ر٥٠٠ جنيه في السنة يخضم منها ٦ر٩٣٥ جنيهًا وهي قيمة (العشور) المفروضة على الجفلك في السنة و ٥٦٥ جنيهًا وهي قيمة مصروفات إدارته ، فلا يتبقى من إيراده سوى ١٠ر٠٠٠ جنيهًا في السنة (دفتر ٤٢٧ مدارس عربي ص ٧٩ رقم ١٦٢ الى المالية في ١٩ ذى الحجة ١٢٨٦) وبعد ذلك بعامين آخرين (١٢٨٨) عاد إيراد الوادي فهبط الى ١٦ر٤٤٦ جنيهًا و ١٨ قرشا و ٤ بارات يبقى منها بعد دفع العشور والمصروفات ٧ر٤٣٦ جنيهًا و ١٨ قرشا و ٤ بارات وليس جارى تحصيله الا بعد مشقة ووزيادة مكاتبات وارسال مندوبين للتحصيل « (دفتر ٤٤٧ مدارس عربي ص ٢٤ رقم ٣ الى المعية السنية في ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨٨) ولما رفع الامر الى الخديو رأى فيه دليلا كافيا على سوء ادارة الجفلك وأمر باحالاته على (الدائرة السنية) لتقوم على استغلاله في مقابل ٣٠ر٠٠٠ جنيه في السنة تدفع على نجوم شهرية الى ديوان المدارس صافية بعد دفع العشور والمصاريف (دفتر ١٥٣٩ أوامر ص ٢٨ رقم ١٤ أمر إلى المجلس الخصوصي في ٢٢ رجب ١٢٨٨) ويبدو أن الدائرة السنية لم تستطع أن تقوم بوفاء ما تعهدت به ، فعادت فتنازلت عنه للمدارس وكان إيراده في سنة ١٨٧٧ ١٢ر٥٠٠ جنيه في السنة (Mc Coan, Egypt as it is. p. 225) وقيل في تعليل هذا الهبوط المتوالى أن نحو نصف الأطنان كانت غير صالحة للزراعة بسبب النشع على أثر حفر ترعة الإسماعيلية ، ثم عاد الإيراد الصافي الى الارتفاع حتى كان في سنة ١٨٩٣ ١٤ر٤٤٧ جنيهًا في السنة (يعقوب باشا ارتين : القول التام في التعليم العام ص ٤٩)

(١) دفتر ٣٨٧ (مدارس عربي) ص ٤٩ رقم ٣٩ الى محافظة مصر في ٢٩ شوال ١٢٨٣ ، ص ١٠٣ رقم ٢٢ الى محافظة الاسكندرية في ٢٤ ذى القعدة ١٢٨٣

أن شريف باشا كان صادق العزم على السير بالمشروع إلى غايته . ولكن المشروع كان يحتاج إلى إعداد فني واسع ، فالحق أن قرارات شورى النواب لم تقرر سوى مبادئ عامة تحتاج إلى تطبيق وتفصيل .

وهنا تقدم « على مبارك بك » وكان قد عين ناظرا لمدرسة المبتديان ^(١) ثم نقل ناظرا للقناطر الخيرية ، ولكنه كان ما يزال يحن إلى التعليم . كان على مبارك من أقدر الرجال على فهم حاجات الوقت ووضع المشروعات الكفيلة بتلبية هذه الحاجات ، وإذا كان على مبارك قد تقدم لعباس الأول من قبل بخطة تعليمية محدودة محبوبة الأطراف في حدود المال الذي سمح به عباس للمدارس ^(٢) فقد شعر الآن والبلاد مقدمة على خطة في التعليم جديدة أن الموقف خليق بأن يحفز به العمل ، وتوفر على مبارك على وضع « رسالة » بآرائه ومشروع لائحة يقوم على تنفيذ المبادئ العامة التي أقرها مجلس شورى النواب ، وتقدم بهما إلى الخديو إسماعيل ، فأمر بإحالتها إلى لجنة لدراستهما ورفع ما يستقر عليه رأيا ^(٣) . وعقب ذلك بأشهر أصدر إسماعيل أمره بتعيين « على مبارك بك » وكيلا لديوان المدارس « لملاحظة المدارس الأميرية والأهلية الموجودة في مصر والبنادر وفي الأقاليم والاهتمام باصلاحها ونظامها والاعتناء بحسن إدارتها » ، على أن يحتفظ بنظارة القناطر الخيرية ^(٤) . وكان تعيين على مبارك (بك)

(١) انظر الجزء الأول : التعليم في عصر عباس وسعيد ص ٢٢ — ٢٧

(٢) دفتر ١٩١٩ (أوامر عربي) ص ١٨٩ رقم ١٢٠ أمر للداخلية في

١٧ المحرم ١٢٨٤

(٣) دفتر ٥٧٣ (معية تركي) ص ١٨ رقم ١١ أمر للداخلية في ١٣

جمادى الآخرة ١٢٨٤

فاتحة حركة نشاط قوية سرت في الادارة التعليمية وفروعها ، كما كان بداية رسم سياسة تعليمية جديدة ، توفر على مبارك على العمل لنجاحها وكيلا ثم مديرا للدارس أكثر من مرة في النصف الثانى من القرن الماضى .

وشكل « قومسيون لرؤية مادة تنظيم المكاتب » ودعى إلى الاجتماع فى ١٠ رجب ١٢٨٤^(١) . ولاحظ على مبارك أن الأعضاء الذين شكل منهم ديوان الداخلية (القومسيون) كلهم من الموظفين والعلماء : وهم رفاعه بك رافع ناظر قلم الترجمة وعبد الله بك السيد عضو مجلس استئناف الاسكندرية وإسماعيل بك الفلكى ناظر المهندسخانه والرصدخانه ومحمود بك الفلكى مأمور الخريطة الفلكية والشيخ عبد الهادى الإييارى من العلماء والشيخ إسماعيل الحلبي مفتى الأوقاف سابقا . ولكن على مبارك كان يرى أنه مقدم على عمل (قومى) يجب أن يوفر له كل أسباب التأييد (الشعبى) ، لهذا اقترح أن يضم إلى اللجنة بعض الأعيان ، ووافق على اقتراحه وضم إلى اللجنة بعض أعيان القاهرة والأقاليم^(٢) .

وليس بين أيدينا النص الكامل « لرسالة » على مبارك ومشروع لائحته ، حتى نستطيع أن نحكم على مدى التغيير الذى أدخله القومسيون على مشروعه — إن كان ثمة تغيير ، ولكننا نعرف أن المجلس الخصوصى لم يعدل فى اللائحة التى أقرها

(١) لهذا تعرف اللائحة التى وضعها على مبارك وعرضت على (القومسيون) فى هذه الجلسة بلائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ وإن كان صدورها رسميا قد تأخر حتى ٤ صفر ١٢٨٥ وقد أثبتنا اللائحة كاملة فى ملاحق الكتاب (الجزء الثالث) .

(٢) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١٥٠ رقم ١٢٠ الى الداخلية فى ٨ رجب ١٢٨٤ — انظر أسماء أعضاء القومسيون فى ذيل اللائحة .

القومسيون إلا القليل ، وأن على مبارك (باشا) عين مديرا لديوان المدارس ليأخذ على عاتقه تنفيذ اللائحة التي وضعها وليوفر لها كل أسباب النجاح .

وبدأ على مبارك عمله باذاعة لائحته عن طريق نشرها في الوقائع المصرية « لتكون معلومة في كافة القرى والبنادر والشغور » ^(١) ، وبالسكتابة إلى ديوان الداخلية ليحفز همة السلطات الإدارية في الأقاليم حتى أن « هذه اللائحة التي يلوح منها أنوار التربية الأهلية وتنوير العقول بمعارف جليلة تحل من أنظارهم الجميلة محلا مرضيا وأن يكون ما اشتملت عليه من المقاصد الجليلة بحسن مساعدتهم سيرا مقضيا » ^(٢) .



وضع « على مبارك » مشروعه على أساس دراسة تاريخية موضوعية لألوان التعليم القائمة في مصر ، وأخصها التعليم « الأميرى » وهو التعليم الذى تقدمه الحكومة في مدارسها التي أنشأتها على النسق الأوروبى لأول مرة منذ حكم محمد على ، ولا شك في أن الذين تعلموا في هذه المدارس كانوا بالنسبة إلى مجموع الأمة المصرية أقلية ضئيلة ، وقد عاشت هذه المدارس حياتها بعيدة عن الحياة القومية المصرية ، أو على حد تعبير على مبارك نفسه : « وإن كانت على أجمل صورة فهى

(١) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٥٢١ الى قلم الوقائع في ١٣ صفر ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٨٩ رقم ٨٠ الى الداخلية في ٩ ربيع

على المصالح الميرية مقصورة فلا تتعدى بالكلية منفعتها العميمة إلى البنادر والقرى» (١).

أما اللون الآخر من التعليم فهو التعليم «الأهلى» الذى يقدم إلى الشعب فى المكاتب أو الكتاتيب «الأهلية» المنبثة فى مدن مصر وقراها، وهو التعليم الذى عاش المصريون دهرًا طويلا لا يعرفون غيره يأخذون به أبناءهم، ولهذا كان هذا اللون من التعليم على بساطته وفقره بالنسبة لمدارس الحكومة أكثر اتصالا بروح الشعب وعاطفته وأكثر تغلغلا فى صميم الحياة المصرية. ولكن هذه المكاتب — سواء منها الذى يعتمد على إيراد من وقف أو نحوه أو الذى وقف له ولا إيراد سوى ما يقدمه صبية المكتب إلى شيخهم من قروش أو نحوها — كانت ما تزال «جارية على العادة القديمة ليس فيها على قلة أهلها إلا تعليم القرآن الشريف وأقل من القليل من يتمه منهم ويجيد حفظه ويجوده ويحسن قراءته مع رداءة الخط فى عامة المكاتب المذكورة» (٢). ولا شك فى أن إقدام حكومة محمد على على تأسيس عدد ليس بالقليل من المدارس أو المكاتب الابتدائية الأميرية بالقاهرة والمدن وبعض قرى الريف — أول إنشاء المكاتب فى سنة ١٨٣٣ (٣) — كان منها لأذهان الناس إلى أن هناك علوما أخرى يأخذ بها الناس أبناءهم غير حفظ القرآن وتجويده، وأن هذه العلوم تفتح على الناس آفاقا من العلم والمعرفة كانوا يجهلون منها من قبل، وأن هذه

(١) المصدر السابق

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٣) انظر كتابنا (تاريخ التعليم فى عصر محمد على) ص ٣٩ و ٥٧٣ و ٥٨٤

المكاتب التي يقوم عايتها الفقهاء لا سبيل إلى بقاءها إلا إذا بدأت تتحرك من سباتها وتنفض عنها غبار الماضي البعيد وتنهض لتجاري نهضة التعليم في مصر الحديثة. ولم يكن على مبارك حين قال عن هذه المكاتب « إنها صارت الآن من قبيل العظام الرميمة عديمة التنظيم سقيمة التعليم ، أهملها الولاية والحكام حتى تهدم أساسها لعدم الإلتقان والإحكام فصار بقاء الحال فيها من المحال في زمن بلغ ميزانه بمصر درجة الاعتدال » (١) ، لم يكن على مبارك حين قال هذا إلا معبرا عما كانت تجيش به نفوس الصفوة من الناس الذين كانوا يعنون بتعليم نابتة البلاد ، وقد رأيت أن أعضاء مجلس شورى النواب سبقوه إلى تقرير بعض هذه الحقائق .

على أن هذه المكاتب — لما أسلفنا من اتصالها القديم بالحياة المصرية — لا شك تصلح أداة لنشر قدر طيب من التعليم الابتدائي — الأولى بين المصريين إذا تولتها يد الإصلاح بالتهذيب والتحسين ، ولن يتحقق شيء من هذا إلا بإخضاعها لهيمنة الدولة . ولم يكن على مبارك في هذا أيضا إلا محققا لرغبة أعضاء شورى النواب ومنفذاً لقرار من قراراتهم على نحو أكثر اتساعا ، فقد قرر النواب — كما رأيت — أن يستغنى بالمكاتب الأهلية القائمة بالقاهرة والاسكندرية عن إنشاء مدارس جديدة ، على أن تخضع لرقابة الدولة — ممثلة في ديوان المدارس — تمهيداً لإصلاحها ورفعها إلى مستوى المدارس النظامية الأخرى ، أما على مبارك — في لائحة رجب — فقد أزمع تطبيق هذا القرار — أي هيمنة الدولة على المكاتب الأهلية — لا على مكاتب

(١) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربي) ص ٨٩ رقم ٨٠ الى الداخلية في ٩ ربيع

القاهرة والاسكندرية فقط وإنما على المكاتب جميعها في مختلف أنحاء البلاد : « جميع المدارس والمكاتب سواء بالقرى أو بالبنادر تكون تحت أصول تنظيمية وترتيبات حسنة منتجة وامتحانات سنوية وملاحظات وتفتيشات من طرف الحكومة ، وهذا لتحسين حالهم واستقبالهم ومنفعتهم الخصوصية العائدة إليهم مع المنفعة العمومية على الحكومة من تهذيب رعاياها وإصلاح حالهم ووجود التعاون بينهم ومعاونتهم لأوطانهم »^(١). فكان على مبارك بذلك أول من قرر في تاريخ التعليم الحديث في هذه البلاد هذا المبدأ الخطير : مبدأ هيمنة ولى الأمر في مصر على كافة معاهد التعليم على تعدد شكولها وأغراضها ، ولكن على مبارك في لائحة رجب لم يزمع تطبيق هذا المبدأ على كل معاهد العلم الخارجة إذ ذاك عن رقابة الدولة كالأزهر ومدارس الطوائف الدينية والجاليات الأجنبية ، وإنما قصر مشروعه على المكاتب الأهلية ، فقرر « دخولها من جهة الإدارة في فروع المدارس المصرية » ويتبع هذا إخضاعها جميعا لأسلوب واحد في التعليم « لتكون طرق التعليم واحدة مفيدة على صورة جميلة حميدة » ، واستخدامها أداة « لنشر المعلومات الأهلية لا سيما في العلوم الأولية »^(٢) وبذلك ترى أن على مبارك قد أزمع أن يعهد إلى هذه المكاتب « الأهلية » بتلك المهمة السامية التي قصرت المدارس الابتدائية « الأميرية » عن النهوض بها ، وهي مهمة نشر التعليم الابتدائي - الأولى في البلاد .

وحسبك لتقدر خطورة هذا العمل الذي أزمعت حكومة إسماعيل أن تنهض به

(١) من تقرير على مبارك في مقدمة لائحة رجب ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربي) ص ٨٩ رقم ٨٠ الى الداخلية في ٩

وجدوا على نهضة التعليم المصرى أن تلقى نظرة على هذا العدد الكبير من تلك المكاتب المنبثة فى قرى مصر ومدنها . فقد أثبت الإحصاء الذى وضع — تنفيذاً لقرارات شورى النواب — أن بالقاهرة وحدها ٢٢٢ مكتبا تتباين فيما بينها بتبايناً عظيماً فى كل شىء ، فى عدد التلاميذ : فبعضها يهبط تلامذتها إلى ما لا يجاوز أصابع اليد الواحدة وبعضها الآخر يصل إلى المائة ، وتتباين موارها : فبعضها له أوقاف نظارتها للحكومة وبعضها لغير الحكومة وبعضها لا وقف له . وقس على ذلك سائر المحافظات والمديريات .

وكان إصلاح هذا العدد الكبير من المكاتب يعنى بعث الحياة فى هذا الهيكل الضخم المترامى الأطراف . كان يعنى إصلاح الأمكنة الخربة الفاسدة التى يأوى إليها أكثر هذه المكاتب أو استبدال أبنية جديدة بها وإصلاح (هيئة التدريس) من الفقهاء والعرفاء وإصلاح (مناهج) التعليم فيها وخطته ، فأمر التعليم الأولى أجل من أن يقصر على حفظ القرآن الكريم دون تفهم المعارف الأولية التى لا غنى عنها للصبي فى مستقبل حياته والتى لا غنى عنها لمجموع الأمة فى مستقبل حياتها القومية . والامر فوق هذا كله يحتاج إلى تدبير مالى وفنى واسع . أما المال فالسبيل إليه حسن الإشراف على استغلال الأوقاف المرصودة لهذه المكاتب واستغلال الأوقاف الخربة التى انقرض مستحقوها بتحويل إيرادها على هذه المكاتب ، وهى لا تعدو أن تكون من « المقاصد الخيرية » التى رصد لها الواقفون ما رصدوا . وثمة سبيل آخر إلى المال لم يكن بد من تلسمه وهو العون المالى الذى يطلب إلى الأهالى أن يتقدموا به ، ويمكن أن يتحقق هذا العون على أشكال متنوعة : فبعضه تبرعات نقدية يهبها الأغنياء من الناس ، وبعضه إعداد للأبنية الصالحة والأثاث والكتب والأدوات المدرسية ،

وبعضه رسوم دراسية بسيطة تفرض على آباء الأطفال ومنها تؤدي مرتبات الفقهاء والعرفاء .

أما التدبير الفني فليس يتسنى لهيئة سوى الحكومة أن تنهض به : فعندها الفنيون من رجال التعليم ورجال الصحة ورجال الهندسة والبناء ، والمكاتب الأهلية إذ ذاك في حاجة ماسة إلى جهود هؤلاء الفنيين على اختلاف اختصاصهم .

وإلى جانب إصلاح المكاتب الأهلية — على النحو الذي شرحنا — واستخدامها أداة لنشر التعليم الأولى في البلاد وإدخالها بذلك ضمن بنية التعليم القومي في مصر بل جعلها أساس هذا البنية ، إلى جانب هذا كله عني على مبارك بتنفيذ قرارات مجلس شورى النواب الخاصة بإنشاء المدارس الابتدائية بعواصم المديرية وهي التي دعيت في لائحة رجب باسم (المدارس المركزية) ، وهنا نلاحظ أن على مبارك — مسترشدا بقرارات الشورى — جهد في أن يرسم لهذه المدارس طريقا جديدة تجنبها ما أخذ على المدارس الابتدائية التي أنشأتها حكومة محمد علي . فقد أخذ عليها أنها كانت منشآت (حكومية) عاشت حولها ذلك التأييد الشعبي ، الذي هو القوة العظمى اللازمة لتدعيم أى نظام تعليمي ، وعمل على مبارك على أن يجنب مدارس الجديدة هذا الإسراف الشديد — في وقت عز فيه المال وتعددت مطالب الإصلاح — في الصرف على احتجاز التلامذة بالمدارس ليلا ونهارا وما يتبع ذلك من الضروريات المادية المتعددة . وكان من مقومات الخطة التي رسمها على مبارك في إنشاء المدارس المركزية الاقتصاد الشديد في إدارة هذه المدارس والنفقة

عليها^(١) وإدخال نظام (الخارجية) وخاصة للتلاميذ الذين يقومون بالقرب من مدارسهم ونظام (المصروفات المدرسية) للقادرين من الأهالي. أما إيراد هذه المدارس فلن يكون من خزانة الدولة وإنما يكون من إيراد خاص ينشأ للمكاتب الأهلية ومنها المدارس المركزية في الأقاليم، وقوامه وقف الوادى وغيره من الأوقاف المحبوسة لهذا الغرض وتبرعات الأهالي وإعانة من ديوان الأوقاف، وكان «على مبارك» قد بان يرسم السبيل إلى تحقيق هذا كله، وقد فعل في لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤.

بدأت مرحلة التنفيذ، ونشط ديوان المدارس لإنشاء المدارس المركزية^(٢): فأنشأ بعد أشهر من صدور اللائحة مدرسة في بنها وأخرى في أسيوط (يناير - فبراير ١٨٦٨) ريثما تنهيا الأسباب لإنشاء مدارس في عواصم المديريات الأخرى. وقد أنشئت مدرسة في بنى سويف ومدرسة في المنيا (١٨٧٢ - ١٨٧٣) ومدرسة في رشيد (١٨٧٦) وأخرى في الفشن (١٨٧٩)، وكلها أنشئت لتكون مكاتب (أهلية) يصرف عليها من الموارد (الأهلية) التي رسمتها لائحة رجب وأخصها إيراد جفلك الوادى، وقد حولت مدرسة الاسكندرية وقتا ما إلى مكتب أهلى. وفي الفترة التالية لسنة ١٨٨٠ أنشئت مدارس الجزيرة وقلوب والمنصورة في سنة ١٨٨١ وطوخ في سنة ١٨٨٢ ودمهوز وشبين الكوم والزقازيق^(٣) في سنة ١٨٨٣، وقد أنشئت كلها على نفقة الدولة، فكان ينفق عليها من ميزانية نظارة المعارف، ثم نقلت كلها - عدا مدرسة المنصورة - إلى

(١) وقد عد دور (في كتابه عن التعليم في مصر ص ٢٥٥ - ٢٥٧) هذه الخطوة من على مبارك أهم تجديد في التعليم المصرى منذ أوائل حكم إسماعيل، ولكنه انتقد حرص الديوان الشديد على الاقتصاد وخاصة في مرتبات المدرسين.

(٢) انظر الفصل الخاص بالمدارس المركزية فيما بعد.

ميزانية المكاتب الأهلية في أواخر سنة ١٨٨٥ تمشىاً مع السياسة التي سارت عليها حكومة إسماعيل من سنة ١٨٦٨ وأشرنا إليها قبل ذلك : وترمى إلى قصر ميزانية الدولة على الإنفاق على المدارس التجهيزية والخصوصية وجعل التعليم الابتدائي (أهليا) ينفق عليه من موارد (أهلية) أهمها إيراد جفلك الوادى .

وكذلك نشط ديوان المدارس — على أثر صدور لائحة رجب ١٢٨٤ — لتنفيذ الأحكام التي جرت بها هذه اللائحة خاصة بإنشاء المكاتب الأهلية وتنظيمها^(١) ، واستعان الديوان بالمفتشين وأطباء الصحة لزيارة هذه المكاتب في القاهرة والمدن والقرى والتقرير عن حالها . ووجد الديوان من المكاتب « الميرية » وهى تلك التي كان ينفق عليها من الأوقاف والروزنامة عددا من المكاتب استطاع الديوان تنظيمها ورفعها إلى مستوى المدارس الابتدائية النظامية ، ومنها مكاتب النحاسين والعقادين والسلطان قلاوون وقايدباى وشيخون والصلبية والحبانسة وبولاق وأم عباس الخ .

ورأى الديوان أن هذه المكاتب لا يستقيم أمرها ويعلو مستواها إلا إذا أنشئ لها ديوان خاص يتوفر على إدارة هذه المكاتب والإشراف عليها من الناحيتين المالية والفنية .

وفي مارس ١٨٧١ أنشئ ديوان المكاتب الأهلية وقد جعل مستقلا عن ديوان المدارس في أول الأمر ، ثم ألحق به مع احتفاظه بكيانه الخاص . ونشط ديوان المكاتب الأهلية لتنظيم المكاتب القائمة وإنشاء مكاتب جديدة في سنوات مختلفة . فأنشئت مكاتب القرية (١٨٧٢) ، الجمالية وباب الشعرية (١٨٧٣) ، الإمام الشافعى (١٨٧٨) ،

(١) أنظر الفصل الخاص بالمكاتب الأهلية فيما بعد .

مصر القديمة والحسينية وعابدين (١٨٧٩). وقد حفزت العناية بإنشاء المكاتب الأهلية بعض أهل الخير ممن يهتمون بالتعليم ويقدرّون خطره إلى إنشاء مكاتب ورصد المال للنفقة عليها وتسليمها إلى إدارة المكاتب الأهلية لتديرها: كمكاتب خليل أغا وحافظ باشا ومحمد بك سيد أحمد بالقاهرة وراتب باشا بالاسكندرية .

✓ وعلى الرغم من حرص الديوان على أن يطبق على هذه المكاتب جميعاً منهج التعليم الابتدائي الذي صدر في سنة ١٨٧٤ بحيث أصبحت جميعاً — كما سماها تقرير القومسيون في ١٨٨٠ مدارس ابتدائية راقية (écoles primaires supérieures) إلا أن التعليم فيها — كما لاحظ هذا القومسيون نفسه — لم يكن يسير على أسلوب واحد أو في مستوى واحد .

ومما له دلالة أن هذه المكاتب الأهلية قامت على نظام يختلف عن نظام المدارس الأميرية : فإنها قامت على قاعدة النظام الخارجي ، فاللاميذ يترددون عليها نهراً ويعودون إلى بيوتهم مساء حيث يتعهدهم أهلهم باللباس والغذاء ويوالون العناية بما قرأه أبناءهم أو درسوه بالمكاتب ، ويؤدون للمكتب في كل شهر بضعة قروش أجراً لتعليم أبنائهم . وهكذا يزول هذا الحاجز المنيع الذي طالما وقف بين المدارس الحكومية والأوساط الأهلية .

أما المدارس المركزية فالحق أن إنشاءها لم يجر على النحو الذي رسمته لائحة رجب : فقد نظمها ديوان المدارس أول إنشائها على أسلوب المدارس الابتدائية الأميرية ، فظل النظام الداخلي المجاني أساس الحياة الدراسية في المدارس المركزية كما هو أساس الحياة في المدارس الأميرية ، مع استثناء واحد هو أن التلميذ في المدرسة

المركزية لم يكن يتناول راتباً من الحكومة في كل شهر . ولكن منذ سنة ١٨٧٢ فرضت رسوم دراسية بسيطة على التلاميذ وبدأ بها النظام الخارجى فى مجال محدود . وأهم من هذا أن الأحكام التى جرت بها لائحة رجب خاصة بتحميل أهالى كل مديرية أو محافظة نفقات المدارس القائمة فى دائرتهم لم ينفذ منها شئ ، وبذلك انهار ركن أساسى من لائحة رجب . وأكبر الظن أن انهيار هذا الركن كان العامل الأساسى لعدم إنشاء مدرسة مركزية فى كل مديرية أو محافظة على النحو الذى رسمته لائحة رجب وأشار به مجلس شورى النواب من قبل .

أما الكتاتيب ^(١) فقد احتفظت لها لائحة رجب بالبساطة التى لازمها منذ نشأتها ويتمثل ذلك فى الاحتفاظ بالقرآن الكريم المحور الذى يدور حوله تعلم القراءة والكتابة ، ولم تزد اللائحة عليها سوى المبادئ الأولية من الحساب أو باب « العديّة » ، كما يتمثل فى الاحتفاظ للكتاتيب بفقهائها وعرفائها وأثاثها البسيط . أما هيمنة الدولة — ممثلة فى ديوان المدارس — على الكتاتيب فىلخص فى تلك العبارة التى نصت عليها المادة ٢٩ من لائحة رجب : « ما دامت تلك المكاتب أهلية فتبقى كالجارى فى السابق إلا فى النظافة وانتظام التعليم والتربية » . وطبيعى أن لا تتم « النظافة وانتظام التعليم والتربية » إلا بزيارات مفتشى المدارس ومفتشى الصحة من وقت لآخر . واشترط معرفة القواعد الأولية من الحساب فى المؤدبين ونيل إجازة خاصة يمنحها ديوان المدارس لمن يباح له الاشتغال بمهنة التعليم ولا يقرأ الصبية فى الكتاتيب من الكتب إلا ما يقره ديوان المدارس . ونظمت اللائحة الصلة بين الكتاتيب والقرى المقامة فيها : فالقرية تتحمل النفقات التى يقتضيها تأسيس مكتب جديد أو إصلاح مكتب قائم ، وآباء

(١) انظر الفصل الخاص بالكتاتيب فيما بعد .

الصحية يتحملون نصيباً من مرتبات المؤدبين والعرفاء ، وعلماء الناحية ووجوها يشتركون في الشهادة للمؤدبين والعرفاء كما يشتركون في امتحان الصبية في كل عام ، وأثرياء القوم يدعون إلى أن يجودوا بالمال لتعليم الفقراء واليتامى من أبناء بلدهم .

وعملت اللائحة على أن تمهد لسد الثغرة التي كانت تفصل بين النظام التعليمي (الأهلى) والنظام التعليمي (الأميرى) ، فأشارت بأن التلاميذ المنتهين من المكاتب القروية البسيطة يستطيعون أن يلتحقوا بالمكاتب الأهلية الكبيرة أو بالمدارس المركزية لتعدهم للحاق — إذا شاؤوا — بالمدارس الأميرية .

ونشط ديوان المدارس لتنفيذ أحكام اللائحة الخاصة بالكتاتيب : فعين المفتشين وأصدر المنشورات واتصل بالجهات الإدارية وأنفذ الأطباء ومفتشى الصحة . ولكن إصلاح الكتاتيب مالم يأت أن اصطدم بعقبتين كان لهما أكبر الأثر في تعطيل الإصلاح . الأولى : عدم تدير المال الذى بدوره لا يستطيع إصلاح هذه الكتاتيب . واللائحة لم تنص على طريقة معينة واضحة للحصول على المال من القرى التي تقام الكتاتيب في دوائرها . وقد ظل هذا القصور معطلا للإصلاح ، إلى أن أنشئت — منذ وقت ليس ببعيد — مجالس المديرية وفرضت ضريبة خاصة خصص إيرادها لنشر التعليم الأولى . والثانية عدم توافر العدد الكافى من المؤدبين الذين يعرفون القواعد الأولية من الحساب . ولم تستطع الحكومة التغلب على هذه العقبة إلا منذ وقت ليس ببعيد أيضاً حين أنشئت أقسام الفقهاء والعرفاء ثم مدارس المعلمين الأولية لتخرج العدد الكافى من المعلمين الأوليين الأكفاء .

ولكن إذا كان إصلاح الكتاتيب كما رسمته لائحة رجب قد تعطل زمناً طويلاً

وظلت الكتاتيب على الحالة التي كانت عليها منذ إنشائها فإن اللائحة والجهود التي بذلت لتحقيق أحكامها قد وجهت الأذهان إلى ضرورة العناية بالكتاتيب كمدارس للتعليم الأولى وحفز الناس إلى الإقبال عليها، ومن ثم اطردت الزيادة في عدد المكاتب وعدد تلامذتها طوال حكم إسماعيل .

وهكذا نرى أن علي مبارك وضع في سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ الأساس الذي ستقوم عليه الجهود التالية لتحقيق مشروع التعليم القومي في مصر ، ولا يقلل من قيمة عمله أن الجهود التي بذلت في تلك السنة وفي السنوات التالية لم تحقق الإصلاح المنشود ، فان مثل هذا الإصلاح الخطير لا يتحقق في عام أو أعوام وإنما في جيل وأجيال .



لم تقف جهود علي مبارك عند حد وضع هذه السياسة الإنشائية ، وإنما اتجه بجهوده إلى النظام التعليمي القائم فعمل على تحسينه . وكان أهم ما عني به أمران :

الأول : تخليص معاهد الدراسة المدنية من تأثير التعليم العسكري . فأشار بفصل المدارس الحربية عن ديوان المدارس وجعلها تابعة لديوان الجهادية ، وقد رأينا (١) أن علي مبارك كان دائماً يتجه بسياسته في التعليم إلى ضرورة فصل التعليم المدني عن التعليم العسكري حتى يستطيع كل منهما أن يتوفر على تحقيق رسالته . واستطاع علي مبارك حين عاد إلى ديوان المدارس وكيلاً ثم مديراً في عهد إسماعيل أن يحقق سياسته ، فصدر

(١) انظر الجزء الأول من كتابنا (عصر عباس وسعيد) .

بفصل المدارس الحربية عن ديوان المدارس الأمر العالى فى ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٤ (اكتوبر ١٨٦٧) أى قبل وضع لائحة رجب بأيام ، وتلا ذلك أن توفر ديوان الجهادية على وضع (ترتيب) خاص للمدارس الحربية صدر فى ١٠ رجب ١٢٨٤ ، أى فى اليوم الذى وضعت فيه لائحة رجب الشهيرة .

ولاشك فى أن ديوان المدارس يستطيع الآن بعد أن تخفف من المدارس الحربية أن يكرس جهوده لإصلاح التعليم المدنى وتوسيعه ، وخاصة بعد أن أضافت لائحة رجب إلى الديوان عبئاً جديداً : هو إنشاء المكاتب الأهلية وتنظيم الكتاتيب فى المدن والقرى .

وفى الوقت الذى تخفف فيه الديوان من بعض الأعمال التى لم تكن تتصل بخصائصه التعليمية كالقوائم المصرية ومكتب الأنجال ، فأحيلت الأولى إلى ديوان المالية وأحيل الثانى إلى الخاصة الخديوية ، استعاض الديوان عن ذلك بتوسع فى ناحية أخرى : إذ أضيفت إلى ميزانيته مصروفات مدرسة الطب وميزانية البعثات العلمية . وهكذا مد ديوان المدارس إشرافه على معاهد التعليم المدنى أو المدارس « الملكية » وما يتصل بها .

وتوفر ديوان المدارس على تنظيم المدارس (الملكية) (Ecoles Civiles) التى دعت بهذا الاسم منذ ذلك الوقت تمييزاً لها عن المدارس الحربية ، وصدر بهذا التنظيم (ترتيب) غرة رمضان ١٢٨٤ (يناير ١٨٦٨)^(١) ، وهو الترتيب الذى نظم التعليم طوال

(١) لم نعر على هذا الترتيب وإنما عثرنا على مقتطفات متفرقة منه .

السنين الباقية من عصر إسماعيل . لم يكتف هذا الترتيب — ونذكر هنا أن على مبارك كان لا يزال وكيلاً لديوان المدارس حين صدوره — بتنظيم المدارس القائمة بالفعل وخاصة الناحية المالية في إدارتها، ولكنه نص على افتتاح مدارس جديدة : كمدرسة العمليات ومدرسة الإدارة والألسن ومدرسة المحاسبة والمساحة — وقد أصبحتا بعد ذلك مدرسة واحدة — ومدرسة المعارجية — وقد ضمت بعد ذلك إلى مدرسة المهندسخانة — وفرقة الرسم ومدرسة التلغراف والمدرسة البحرية . وبذلك يمكن القول إن أهم ما جاء به ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤ توسيع التعليم العالى في مصر ، وقد كان قبل ذلك منحصراً في مدرسة المهندسخانة وأخرى للطب وبضعة مدارس حرية .

وأمر آخر حدث في أوائل سنة ١٨٦٨ وكان له كبير الأثر في مستقبل التعليم في مصر : وهو نقل المدارس إلى القاهرة . ولكأن ديوان المدارس قد رغب في التخلص تماماً من تأثير التعليم العسكرى ، فترك العباسية للدارس الحرية ونقل مدارس — المدارس الملكية — إلى قلب المدينة ، إلى سراى الأمير مصطفى فاضل بدرب الجمائيز . وكذلك انتقل إلى جناح من السراى ديوان المدارس ، فأصبحت السراى تحتظم المدارس الملكية جميعاً : المدرسة التجهيزية ، مدرسة المهندسخانة ، مدرسة الإدارة والألسن ، مدرسة المحاسبة والمساحة ، فرقة الرسم ، فرقة التلغراف . أما مدرسة الطب فقد احتفظت بمكانها في مستشفى قصر العيني ، وأما مدرسة المبتديان فنقلت من العباسية إلى مكانها القديم بالناصرية . وهكذا أصبحت سراى درب الجمائيز مقراً لنهضة تعليمية قوية يشرف عليها — عن قرب — ديوان المدارس ويرعاها ولى الأمر في البلاد .

وإكالا للصورة التي رسمناها عن النشاط التعليمي في سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ نذكر أن المدارس الحرة المجانية العامة بالاسكندرية (Ecoles Libres, gratuites et universelles)^(١) قد فتحت في تلك السنة .

وهكذا نرى أن سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ (١٢٨٤ هـ) كانت من السنوات الحافلة في تاريخ التعليم في عصر إسماعيل ، بل إننا لا نعدو الحق إذا قلنا إنها كانت أهم السنوات في ذلك التاريخ ، فقد وضع فيها الأساس الذي قام عليه تنظيم التعليم في عصر إسماعيل وأصبحت معاهد العلم بمقتضى النظم التي وضعت في تلك السنة أنواعا ثلاثة :

- (١) المدارس الحربية : وهي تابعة لديوان الجهادية وينفق عليها من ميزانيته .
- (٢) » الملكية : » » » » المدارس » » » » .
- (٣) » الأهلية : » » » » — ثم أنشئ لإدارتها ديوان المكاتب الأهلية ، وينفق عليها من موارد (أهلية) أخصها إيراد جفلك الوادى .

وقد ظل هذا (التفريع) قائما طوال حكم إسماعيل وسنوات كثيرة من بعده .

حتى إذا أتم على مبارك وضع هذا الأساس واستصدر الأوامر الخديوية اللازمة لاقامته نصبه الخديو (في مارس ١٨٦٨) مديراً لديوان المدارس ليشرف بنفسه على تنفيذ السياسة التي رسمها للمكاتب الأهلية والمدارس (الملكية) . واقتضى تنفيذ هذه السياسة أن تنظم الإدارة التعليمية على أسلوب جديد لمواجهة التوسع الذي طرأ على مهمة الديوان . وسنعرض في الفصل التالى لهذا التنظيم الجديد ، ولكننا نكتفى

(١) انظر الفصل الخاص بالمدارس الأجنبية .

هنا بأن نذكر أن على مبارك عمل على توزيع اختصاص ديوان المدارس بين هيئتين : إحداهما إدارية وهى (إدارة المدارس الملكية) والأخرى فنية وهى هيئة (التفتيش) و (نظارة الدروس) ، ثم أنشأ لإدارة المكاتب الأهلية (ديواناً) خاصاً هو ديوان المكاتب الأهلية (فى مارس ١٨٧١) .

وكان من الواضح أن إصلاح التعليم على النحو الذى وضعت قواعده فى سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ لا يتم إلا إذا أعد العمال الذين يستطيع الاعتماد عليهم فى تفهم المرامى الإصلاحية وتحقيقها ، ونعنى بهؤلاء العمال المعلمين الأكفاء الذين أعدوا إعداداً خاصاً لأداء الرسالة الشريفة التى ندبوا أنفسهم لأدائها وهى رسالة التعليم ، وبدأ على مبارك فأنشأ مدرسة (دار العلوم) .

وإذا كانت جهود على مبارك لتنفيذ القواعد التى رسمها فى ١٨٦٧ — ١٨٦٨ لم تثمر كلها ، فإن الفضل كل الفضل يرجع إليه فى أنه وضع الأساس ورسم القواعد وأوضح معالم الطريق لمن يأتى بعده من دعاة الإصلاح والعاملين عليه .

١٢ — مرحلة الإصلاح : ١٨٧٣ — ١٨٧٤

فى ١٥ أغسطس ١٨٧٣ عين مصطفى رياض باشا للمرة الأولى مديراً لديوان المدارس . ولم يطل مقامه بهذا الديوان أكثر من تسعة أشهر ، إذ انفصل عنه فى ٢٤ مايو ١٨٧٤ . ولكن رياض استطاع فى هذه الفترة القصيرة أن يطبع التعليم بطابع قوى ظل أثره واضحاً السنوات الطوال . فقد رسم رياض خطة إصلاحية لم يرم بها إلى التوسع فى المنشآت التعليمية بقدر ما رعى إلى تحسين المنشآت القائمة ، وكان لابد — بعد التوسع السريع الذى خطاه التعليم على يد على مبارك منذ سنة ١٨٦٨ — أن يقف دولا ب التوسع وقتاً ما ريثما يتسنى للقائمين على شئون التعليم أن

يستكملوا وجوه النقص ويصححوا نواحي الخطأ ، حتى إذا عاد دولا ب التوسع إلى العمل ثانية كانت الخطى مستقيمة والطريق ممهدة .

والحق أن الحاجة كانت ماسة إلى الإصلاح والتقويم : فان (التراتيب) أو اللوائح التي صدرت منذ إنشاء المدارس في أول حكم إسماعيل كانت تعنى بالناحية المالية قبل عنايتها بالناحيتين الإدارية والفنية ، كانت تعنى بأن تنص على أن يكون بكل مدرسة عدد (كذا) من معلمى القرآن أو المهندسخانة وعدد (كذا) من السقائين والبوابين والطبلجية وأن يكون مرتب كل منهم (كذا) من الجنيهات في كل شهر وهكذا .

أما إدارة المدرسة كواجبات النظار والضباط والمعلمين والطلاب ، أما تنظيم التحاق التلاميذ بالمدارس وخروجهم منها ، أما وضع الخطط والمناهج الدراسية لكل مرحلة من مراحل التعليم ... أما هذا كله فلم يعن ديوان المدارس بتنظيمه إلى ذلك الوقت . وكان من الضروري أن يعرف كل من المتحدثين على شئون الطلاب بالمدارس حدود واجباته ، وكان من الضروري أيضاً أن تنظم الخطط الدراسية التي يجب أن يجتازها الطالب من مرحلة إلى أخرى حتى يتمتع ما كان شائعاً من التحاق التلاميذ بالمدارس التجهيزية قبل أن يتموا العلوم الابتدائية وبالمدارس الخصوصية قبل أن يتموا العلوم التجهيزية ، حتى « كانت المواد التي تدرس في كل مدرسة عليا عبارة عن مخلوط لا أساس له يدخل تحته المواد المقررة للدارس الابتدائية كالخطوط وقواعد اللغات والمواد المقررة للدارس العالية كالعلوم النظرية والعملية الخاصة بالمدرسة » (١) .

وأُتيح لرياض باشا أن يفيد من خبرة وكفاية أحد رجال التربية السويسريين — إدوار دور — وكان قد سبقه إلى العمل بديوان المدارس منذ عين رئيساً للتفتيش في مارس ١٨٧٣ . فابتدأ من ذلك الحين التعاون بين الرجلين ، ذلك التعاون الذي لم ينته إلا بموت دور في سنة ١٨٨٠ . وكان دور قد أتى إلى مصر زائراً ومستشفياً في سنة ١٨٧٢ ، ولكن « غريزة المعلم » دفعته لأن يدرس نظام التعليم في مصر ، فجاء كتابه ثمرة هذه الدراسة ، واجتذب الكتاب نظر حكومة إسماعيل إلى المؤلف فأُسندت إليه رئاسة التفتيش (١) .

وقيل إن إسماعيل في ذلك الوقت قد هاله اطراد الزيادة في عدد المدارس الأجنبية في مصر وتغلغلها في المجتمع المصري وما يؤدى إليه ذلك من التأثير على الشبيبة المصرية فأراد أن يوازن تأثير هذه المدارس بالعناية بالتعليم المصري وخاصة التعليم الأولى الابتدائي ، وكان دور في كتابه قد دعا الحكومة المصرية إلى العناية به على أن يكون تعليمًا قومياً أساسه الكتاتيب بعد إصلاحها ، وراقت هذه الآراء لإسماعيل فدعا دور إلى معاونته على تحقيقها وعينه لرئاسة التفتيش بديوان المدارس (٢) . وأُتيح بذلك لدور بك — وقد منح الرتبة الثانية في العام التالي لتعيينه في منصبه — أن يشارك رياضاً في خطته الإصلاحية على أساس لائحة رجب ١٢٨٤ ، وقد وصفها دور في كتابه بأنها تؤرخ مرحلة من المراحل الحاسمة في طريق التقدم ونشر ترجمتها الفرنسية كاملة في كتابه .

(١) شفيق بك غربال : خبير سويسرى في خدمة التعليم المصرى في عهد إسماعيل ف . ادوار دور بك . بمجلة التربية الحديثة العدد الرابع من السنة العاشرة في ابريل ١٩٣٧

وكان ثمرة تعاون دور ورياض في هذه الفترة القصيرة أن صدرت لوائح عدة تنظم الإصلاح الذى تطلع اليه الرجلان ، وقد مس هذا الإصلاح النواحي الآتية :

(١) تعديل الأساس الذى قامت عليه الحياة المدرسية .

(٢) وضع الخطط والمناهج المنظمة للتعليم فى مختلف مراحله .

(٣) العناية بهيئة التدريس وإنشاء مدرسة لإعداد المعلمين .

واتخذ الإصلاح شكل لوائح صدرت فى أوائل سنة ١٨٧٤ وهى اللوائح الآتية (١) :

(١) ترتيب قبول التلاميذ بالمدارس الملكية فى ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ (يناير ١٨٧٤) .

(٢) ترتيب الداخلية بالمدارس الملكية والمكاتب الأهلية فى ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير ١٨٧٤) .

(٣) ترتيب دار المعلمين فى ٤ المحرم ١٢٩١ (فبراير ١٨٧٤) .

(٤) ترتيب المعلمين والنظار بالمكاتب الأهلية والمدارس الملكية فى ١٢ ربيع الأول ١٢٩١ (ابريل ١٨٧٤) .

(٥) خطة الدراسة الابتدائية .

(٦) خطة الدراسة التجريبية .

(١) نشرنا هذه اللوائح فى ملحقات الكتاب (الجزء الثالث) .

(٧) خطة الدراسة بمدرسة دار العلوم .

(٨) خطة الدراسة بمدرسة الإدارة (الحقوق) .

(٩) خطة الدراسة بمدرسة المهندسخانة .

(١٠) خطة الدراسة بمدرسة العمليات .

(١١) خطة الدراسة بمدرسة المساحة والمحاسبة .

وقد قامت خطة رياض — ومعاونه دور — في تعديل الحياة المدرسية على أساس إشراك الأهالي في تحمل نصيبهم من نفقات تعليم أبنائهم . وإذا كان على مبارك قد سبق رياضاً إلى تقرير هذا المبدأ ، إلا أنه لم ينص على طريق واضحة لتنفيذه ، ولهذا فقد تعطل تنفيذه . أما رياض فتقوم خطته على تقسيم التلامذة في المدارس قسمين : تلامذة بالقسم الداخلي وتلامذة بالقسم الخارجي . ويقسم كل فريق ثلاث درجات : تلاميذ الدرجة الأولى هم أصحاب اليسار وتلاميذ الدرجة الثانية هم أوساط الناس وتلاميذ الدرجة الثالثة هم الفقراء . وتلاميذ الدرجة الثالثة بالقسم الداخلي وهم « الأيتام والفقراء » تتكلف الحكومة جميع نفقاتهم ، أما تلامذة الدرجة الثالثة بالقسم الخارجي فلا يدفعون للحكومة في مقابل تعليمهم شيئاً وإنما يلتزمون بأدوات التعليم والمأكل والملبس .

أما تلاميذ الدرجتين الأولى والثانية سواء بالقسم الداخلي أو القسم الخارجي فهم الذين يؤدون للحكومة نفقات تعليمهم ومقامهم بالمدارس . ولكن يظهر أن رياضاً لم يراع ضرورة السير بحذر في تقرير مبدأ المصروفات المدرسية وتطبيقه ، بل نراه قد غالى في تحديد قيمة هذه المصروفات : فتلميذ الدرجة الأولى سواء أكان بالقسم الداخلي أو الخارجي يؤدي للحكومة في السنة ٢٦ جنياً لقاء التعليم والكسوة والغذاء الخ

وتليد الدرجة الثانية الداخلى يؤدى للحكومة فى السنة ١٤ جنياً ، أما الخارجى فيؤدى لها اثنى عشر جنياً ، أما تليد الدرجة الثالثة فلا يؤدى شيئاً (المادتان ٤ و ٥) ، والتليد الخارجى الذى يريد أن يتناول غذاءه فى المدرسة يدفع لها فى كل شهر ٣٠٠ قرش (المادة ٨) ، و « تفريق درجات التلامذة الداخلية والخارجية كما سبق إيضاحه يكون على حسب تفاوت أحوال الناس فى القدرة والميسرة حسب ما يرى برأى ناظر ديوان المدارس » (المادة ٥) ، ونلاحظ أيضاً أن اللائحة لم تحدد رسوماً معينة لكل مرحلة من مراحل التعليم ، بل جعلت تليد المدرسة الابتدائية يدفع من الرسوم المدرسية ما يدفعه تليد المدرسة الخصوصية .

وعينت اللائحة كذلك بتحديد سن التلامذة بالمدارس : فتليد المدرسة الابتدائية تتراوح سنه بين الثامنة والثانية عشرة ، وتليد المدرسة التجهيزية لا تزيد سنه على الخامسة عشرة ، وتليد المدرسة الخصوصية لا تزيد سنه على السابعة عشرة . ويجب أن « تكون فيه القابلية والأهلية لتلقى الفنون الجارية فى المدرسة التى يراد إلحاقها بها سواء كانت تجهيزية أو خصوصية » (المادة ٧) .

وتليد الدرجة الثالثة وهو الذى يتعلم على نفقة الحكومة يعد (ابناً) لها ، ولذلك « ليس لأهله حق فى طلب إخراجه من المدارس إلا بعذر صحيح وكذا النقل من مدرسة إلى غيرها » (المادة ١٤) .

قصد رياض بهذا الإجراء أن ينزل من أذهان الناس تلك الفكرة التى سيطرت عليهم : وهى أن الحكومة ملزمة بأن تتحمل نفقات تعليم أبنائهم وغذائهم وكسائهم الخ . ووضع رياض مبدأ جديداً وهو أن الحكومة ليست ملزمة إلا بتعليم الفقراء من الناس أما أغنيائهم وأوساطهم فيدفعون رسوماً حددت طبقاً لدرجة يسارهم . وهذا

الإجراء - أو الإصلاح إن شئت - يخفف كثيراً من الأعباء المالية التي كانت الحكومة تنوء بها والتي كانت تقيد نشاط الحكومة في نشر التعليم الحديث ، وبذلك تستطيع الحكومة أن تسيّر في نشر التعليم بخطى واسعة مطمئنة إلى تأييد الناس لسياستها واحتفالهم لنجاح أبنائهم وتقدمهم ، وبذلك تتصل المدرسة بالبيت ويتعاون الطرفان على تربية الناشئين .

وبذل رياض ودور جهوداً مفضية لتحقيق خططهما في الإصلاح ، وقد شكّا رياض من أنه لم يجد من رجال التعليم من يثق فيه لفهم أغراضه الإصلاحية ، حتى إن الرجلين - كما يقول رياض - ^(١) قضيا ستة أشهر (وهي المدة التي مكثها رياض مديراً لديوان المدارس) يمتحنان بنفسيهما تلامذة المدارس ليضعوا كل تلميذ في الفرقة الملائمة له .

وما أن انقضت هذه الشهور الستة حتى أبعد رياض لديوان آخر . وتعطل الإصلاح الذي وضع قواعده رياض ودور ، فالمدارس لا تزال مكتظة بالتلاميذ الداخلين الذين يتعلمون على نفقة الدولة وتزيد سنهم على الحد الذي حددته اللائحة ، ومشروع إنشاء مدرسة المعلمين تأخر تنفيذه حتى سنة ١٨٨٠ على الرغم من جهاد دور بك لإقناع الحكومة بضرورة المبادرة إلى تنفيذه ، ومناهج التعليم الابتدائي التي وضعت في سنة ١٨٧٤ لم تطبق تماماً على جميع المدارس الابتدائية (الراقية) كما لاحظ تقرير القومسيون في سنة ١٨٨٠ . وأهم من هذا كله أن الوقت لم يتسع لرياض ودور في هذه الفترة القصيرة لتحقيق مشروع التعليم القومي على النحو

Riaz Pacha, Eloge de Dor Bey. (Bull. Soc. Khédiv. de Géographie. (١)

I èr série, nos 9 - 10. p. 77 - 80).

الذى رسمه دور فى كتابه أو على مبارك فى لائحته .

وهكذا تعطل الإصلاح الذى بدأه رياض ودور فى سنة ١٨٧٣ — ١٨٧٤ حتى تهاأت الأسباب بعد ست سنوات حين عاد دور إلى منصبه فى رئاسة التفتيش بعد غيبة قصيرة وعين رياض باشا ناظراً للنظار ، وعاد الرجلان يتعاونان من جديد لتحقيق مشروع التعليم القومى .

رابعاً — مشروع التعليم القومى : سنة ١٨٨٠

فى سنة ١٨٨٠ كانت مصر على مفرق الطرق : إذ خرجت وشيكا من عصر صاحب حافل بالتغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية : هو عصر إسماعيل وبدأت تدخل فى عصر جديد تأمل أن توفر له أسباب النجاح وأن تفيد من التجارب السابقة ما يمكنها من أن تحيا فيه حياة مستقرة .

وفى ذلك الوقت اشتد الشعور بضرورة الإصلاح ، سواء من جانب الأمة أو من جانب الحكومة . وكان رأى العام المستنير يشارك الحكومة الشعور بضرورة الإصلاح ويود أن يعينها عليه ويرسم لها خطه . وهذه اليقظة التى نلاحظها فى رأى العام المستنير خير دليل على نجاح التعليم فى المساهمة فى تكوين رأى العام . وبذلك وجدت إلى جانب الحكومة قوة رأى العام الذى يسند الحكومة فى سياسة الإصلاح ويشاركها رأى تارة ويتقدم لنقدها تارة أخرى . ولقد كان انعدام قوة رأى العام فى عصر محمد على من أقوى العوامل فى انهيار كثير من أعماله وخطته وفى مقدمتها نظامه التعليمى الحديث . أما الآن — فى سنة ١٨٨٠ وما بعدها — فقد بدأ رأى العام المستنير يتحرك ويعبر عن نفسه بالخطابة والكتابة .

ومن ذلك مقالات الشيخ محمد عبده التي نشرها في ذلك الوقت في الوقائع المصرية — وكان رئيساً لتحريرها — وانتقد فيها « نظارة المعارف ومثل مساوئ التعليم والترية في مدارسها شرميل »^(١)، وفي بعض مقالاته دعا محمد عبده الحكومة إلى إنشاء مدارس ليلية للتعليم الأولى ليتلقى فيها العلم الرجال الذين لم تمكنهم ظروفهم من متابعة التعليم^(٢)، وفي مقالات أخرى دعا نظارة المعارف إلى ضرورة العناية بتخريج المدرسين والنظر الأكفاء وتنظيم التفقيش ووضع كتب دراسية جديدة في العلوم العربية^(٣).

ويبدو أن السيد رشيد رضا يبالغ في أثر دعوة محمد عبده الإصلاحية في ذلك الوقت ، فيقول إن رياض باشا « اقتنع بما في نظارة المعارف من الخلل وعلم أن ما يكتب في الجريدة الرسمية حق فذاكر الفقيد (محمد عبده) في ذلك وفي وسائل تلافيه »، وكان مما اقترحه محمد عبده « أن يكون للمعارف مجلس أعلى يكون له الحكم الفصل في إدارة المعارف العمومية ويكون الناظر (ناظر المعارف) منفذاً لما يقرره » ويقول رشيد رضا أن رياضاً اقتنع بالاقترح الأخير واستصدر به أمراً عالياً^(٤).

والواقع أن الشيخ لم يكن أول من اقترح إنشاء مجلس أعلى للمعارف ، وسنرى أن « اتحاد الشبيبة المصرية » قد سبقه إلى ذلك الاقتراح قبل ذلك بعام . والحق أن إنشاء

(١) تاريخ الامام للسيد رشيد رضا ج ١ ص ١٤٠

(٢) الوقائع ٩٩٠ في ١٨ المحرم ١٢٩٧ و ٩٩٧ في ٢٦ المحرم ١٢٩٨ من تاريخ الامام ج ٢ ص ٧٠ — ٧٢

(٣) الوقائع ٩٩٣ في ٢١ المحرم ١٢٩٨ — من تاريخ الامام ج ٢ ص ٧٣ — ٧٧

(٤) تاريخ الامام ج ١ ص ١٤٠

مجلس المعارف في سنة ١٨٨٠ لم يكن سوى ثمرة من ثمار « قومسيون تنظيم المعارف » في سنة ١٨٨٠ .

ومن مظاهر يقظة الرأي العام تلك الجمعية التي تكونت في سنة ١٨٧٩ ودعت نفسها (اتحاد الشبيبة المصرية l'Union de la Jeunesse égyptienne) ، ويدعوها جورجى زيدان (جمعية الشبان) ويقول إنها أنشئت في الاسكندرية قبيل الثورة العراقية للاحتجاج على لائحة فرنسا وانجلترا وطالبت أيضاً بإنشاء بنك وطنى فراراً من استثمار الأجانب بمرافق البلاد ، وكثيراً ما كان يحضر اجتماعاتها محافظ الاسكندرية عمر باشا لطفى ، وضمن لها السعى لدى الحكومة في مطالبتها ، ومن أعضائها السيد إبراهيم أبو هيف وإبراهيم بك سعود ومحمد بك شوباشى وعبد القادر الغريانى (١) .

وفى سبتمبر ١٨٧٩ تقدمت هذه الجمعية بمشروعاتها في الإصلاح (٢) وقد رأت أن من الأسباب الرئيسية لسوء الحالة عدم كفاية التعليم العام (٣) على الرغم مما للتعليم من أثر بالغ في رقى البلاد ، إذ هو الوسيلة لأن يفهم الشعب الإصلاحات ويتقبلها وينصب نفسه حارساً عليها . وذهبت الجمعية إلى أن الدولة في مصر — حيث الباعث الشخصى منعدم — عليها واجب العناية بنشر التعليم وجعله ملائماً لاجات البلاد ، ولما كانت الدولة لا تجد في ميزانيتها من المال ما يكفي لتحقيق هذه الغايات فيزغى أن ينهض الأهليون والبلديات أو الحكومات المحلية بنصيبهم في نفقات التعليم . أما عن التعليم نفسه فيجب أن يكون حراً ، فيباح لكل فرد أن ينشئ مدرسة ويعلم فيها ما يشاء في حدود الأخلاق العامة ، على أن تحتفظ الدولة بسلطة منح الإجازات والدرجات

(١) جورجى زيدان : تاريخ الآداب العربية ج ٤ ، ص ٩١ — ٩٢

(٢) Projet de Réformes ... par l'Union de la Jeunesse Egyptienne. 1879.

(٣) المصدر السابق ص ٦ و ١٤ — ١٦ و ٧٧ — ٨٤

العلمية . ويجب أن ينتشر التعليم الابتدائي في كل قرية ويقدم مجاناً لجميع أبناء الأمة ، ويقصر على تعلم القراءة والكتابة وقواعد الحساب الأربع ، وينبغي أن يكون كل معلم مزوداً من نظارة المعارف بشهادة تثبت أهليته لممارسة مهنته .

أما التعليم الثانوي فتنشأ له مدرسة في كل مركز من المراكز الكبيرة . وفي التعليم العالي اقترح « اتحاد الشبيبة المصرية » إنشاء مدرستين للزراعة : إحداهما في طنطا والأخرى في أسيوط وإنشاء كلية للحقوق بالقاهرة تغني الحكومة عن إرسال الطلاب المصريين لدراسة الحقوق في أوروبا .

ولم يهمل « الاتحاد » الثقافة العامة : فاقترح أن تنظم محاضرات عامة في مختلف فروع العلم لتمكن الذين لم يستطيعوا متابعة الدروس النظامية من أن يأخذوا بنصيب من مزاي التعليم .

وفي الإدارة التعليمية اقترح « اتحاد الشبان » إنشاء مجلس أعلى للمعارف ومجالس تعليمية إقليمية . وسنرى أن كثيراً من هذه المقترحات ردها بعد ذلك على باشا إبراهيم ناظر المعارف في مذكرته إلى مجلس النظار وأعضاء قومسيون تنظيم المعارف أو لجنة إصلاح التعليم في سنة ١٨٨٠ .

وكانت الحكومة — وعلى رأسها في ذلك الوقت مصطفى رياض باشا — تشارك الرأي العام المستنير الشعور بضرورة الإصلاح ، وقد حاول رياض أن يحقق الإصلاح « عن طريق الإدارة النزيهة الشريفة آمناً الضغط الأوروبي بالتفاهم مع الرقابة الأجنبية المفروضة على مصر من جهة وتدخل القصر بمسأيرته من الجهة الأخرى » (١) ، ونهض

(١) شفيق بك غربال : خبير سويسري في خدمة التعليم المصري في عهد اسماعيل ف . ادوار دوربك بمجلة التربية الحديثة العدد الرابع من السنة العاشرة في ابريل ١٩٣٧

رياض في سنة ١٨٨٠ (لتصفية) كثير مما خلفه العهد الماضي من مشكلات : فرسم بالغاء السخرة وإصلاح الري وأبطل الارهاق في جمع الأموال الأميرية وأصدر قانون التصفية وأصلح الوقائع وإدارة المطبوعات وأصلح نظام الجندية والمحاكم^(١)، وشجع النهضة الثقافية حين استدعى السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر وأكرم وفادته، كما أنه أعان على ظهور مواهب الشيخ محمد عبده حين نصبه رئيساً لتحرير الجريدة الرسمية ومديراً للمطبوعات^(٢).

وكان رياض باشا يقدر أن إصلاح التعليم يذغى أن يكون في مقدمة الإصلاحات التى تنهض بها الحكومة : فإصلاح التعليم يؤدى إلى إصلاح الأداة الحكومية وهو الأمر الذى كانت الحكومة تشعر بمسئولية الحاجة اليه . وأتيح له إذ ذاك أن يفيد من خبرة وكفاية رجلين كان لهما في نهضة التعليم أثر لا ينكر وفضل لا يحمد : أحدهما مصرى عاصر المدارس الحديثة منذ نشأتها طالباً ومعلماً وناظراً وعضواً في الإدارة المركزية، والآخر غريب عن البلاد ولكنه خبير في شؤون التربية ساقته ظروفه الخاصة إلى النزول بصفاف وادى النيل ثم ساقته مهنته إلى بحث مسائل التعليم والتربية في مصر بحثاً تاريخياً بيداجوجياً عميقاً ووجدت فيه حكومة إسماعيل خبيراً يستطيع أن تستعين به في إصلاح التعليم فوضعت على رأس الهيئة الفنية في الإدارة التعليمية . وأمل رياض أن يحقق بمعاونة على باشا إبراهيم ناظر المعارف وإدوارد دور بك المفتش العام للمدارس الملكية آماله في إصلاح النظام

(١) تاريخ الإمام للسيد رشيد رضا ج ١ ص ١٧٠ — ١٨١ وحقائق الأخبار

لسرهنك باشا ج ٢ ص ٣٧٠

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩

التعليمى بتحقيق مشروع التعليم القومى . وكان الرجال الثلاثة متفاهمين أتم تفاهم على خطة العمل ، وقد بدأ تنفيذها بمذكرة تقدم بها على باشا إبراهيم ناظر المعارف إلى مجلس النظار فى مايو ١٨٨٠^(١) . وقارىء هذه المذكرة يلحظ من أسلوبها أنها ترجمة عربية لمذكرة وضعت باللغة الفرنسية ، ويلحظ فيها قلم دور بك وتفكيره البيداغوجى .

واجه على إبراهيم بشجاعة فى مذكرته وجوه النقص فى النظام التعليمى الحديث : فأشار إلى قصور التعليم الابتدائى عن أن ينتشر فى أية جهة بمصر ما عدا القاهرة ، وبسبب هذا القصور لا يستطيع التعليم التجهيزى أن يختار لمدارسه مجموعة متقاة من التلاميذ الذين أتموا الدراسة الابتدائية ، ولا يقف هذا الضرر عند حد التعليم والمدارس ، وإنما يتناول الأداة الحكومية على وجه العموم ، فإن « المصالح الميرية لما لم يمكنها أن تتحصل على توظيف أشخاص بلغوا درجة إكمال التعليم فتوظف فى أكثر الأحوال بعض تلامذة فى خدمات ليسوا أهلا لها » .

وقد نتج من الأسلوب الذى جرت عليه الحكومة فى مدارسها أن « سرى الاعتقاد وتشعب فى قلوب الجميع أن الحكومة المصرية ملزمة على أن تخدم جميع التلامذة الخارجين من المدارس بعد انتهاء الدراسة حتى من لن يصلوا إلى درجة الاستعداد اللازم » .

(١) تجدونها الكاملة فى مجموعة الديكريبات والنقريرات وما يتبعها ، القسم الأول . بولاق ١٢٩٨ . ص ٢٤٥ — ٣٤٨ . وقد أورد خلاصتها أمين باشا سامى فى كتابه : التعليم فى مصر ص ٣٦ — ٣٨ ، وقد نشرناها فى ملحقات الكتاب (الجزء الثالث) .

وبعد أن وضع على إبراهيم يده على الداء أشار بالعلاج : أشار بأن يؤخذ
لنظارة المعارف أن تعطى المنتهين بنجاح في كل مرحلة من مراحل التعليم شهادات
مدرسية . لم يرد على إبراهيم من هذه الشهادات أن تكون — كما أصبحت فعلا —
جوازا إلى وظيفة حكومية ، وإنما قصد بها أن تحول دون التحاق تلميذ بمدرسة
أعلى من مدرسته إلا إذا أتم علوم مدرسته الأولى ، وكذلك لا يلحق تلميذ من
المدارس الخصوصية بأحدى وظائف الدولة إلا إذا أتم علومه بمدرسته الخصوصية .

ولكن إصلاح التعليم عامة لا يتم إلا بانتشار « دائرة المعارف بين جميع أهالي
الديار المصرية وسريانها بالتدريج حتى تصل إلى أهالي الأرياف لكي توجد عند
ذرياتهم المستجدة احتياجا إلى التعليم وإحساسا بمألهم من الحقوق الوطنية وما
عليهم من الواجبات في حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » ، ولا يتم ذلك
إلا إذا أنشئت بكل قرية « مهمة » مدرسة ابتدائية من الدرجة الثالثة وفي كل بندر
من قسم أو مدينة صغيرة أو قرية كبيرة مدرسة من الدرجة الثانية وفي كل قاعدة
مديرية أو مركز مهم عدد من المدارس الابتدائية من الدرجة الأولى .

وقدّر على باشا إبراهيم العقبات التي تعترض هذا المشروع الضخم وأهمها عقبتان :
الأولى عدم توافر المال اللازم ، وقد ناشد ناظر المعارف مجلس النظار أن يزيد القدر
من المال المخصص لنظارة المعارف في ميزانية الدولة ، كما أنه اقترح أن تدبر موارد
(أهلية) فاقترح أن يؤخذ للنظارة أن تطلب « مساعدة محدودة من الأهالي لهذا
المشروع وتوسط عمدهم والحكومات المحلية في ذلك » ، واشترك الأهالي في حمل
الاعباء المالية للتعليم يخفف عن الدولة بعض أعبائها المالية و « الأهالي ترغب زيادة
في المدارس التي يصرفون عليها أكثر من المدارس المستجدة التي تنسب للبيرى خاصة » .

والعقبة الثانية : قلة المعلمين الأكفاء . واقترح على باشا إبراهيم أن تصلح الحكومة مدرسة دار العلوم ، وقد أنتجت « نتائج الواقع شافية مرضية » ، إلا أنه ينقصها تدريس علوم التربية وطرق التدريس . واقترح أيضا إنشاء مدرسة عالية لتخريج معلمين لتعليم اللغات الأجنبية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية .

وهذا المشروع الضخم — مشروع نشر التعليم الأولي الابتدائي — لا يتحقق إلا إذ تضافرت كل الجهود وعبئت قوى الدولة كلها للعمل على نجاحه . لهذا « يجب على جميع أرباب الوظائف الميرية على اختلاف طوائفهم ورتبهم ومصالح كل منهم أن يعظوا الناس ويحثوهم على ضرورة انتشار المعارف بينهم ومساعدة تلك المدارس بالرغبة فيها والميل الكلي إليها ولا يمكن الوصول إلى تمام نوال هذا المشروع إلا بواسطة اجتماع جميع القوى المتعددة مهما كانت ضعيفة بانفرادها » .

أما الإدارة التعليمية فيجب أن تعدل بما يكفل مواجهة الحاجات التعليمية الجديدة : فينشأ مجلس أعلى للمعارف ليشير على النظارة « بالتحسينات اللازمة للدارس » وينقح مناهج التعليم ويختار الكتب المدرسية الصالحة ، ويجب كذلك إيجاد « مصلحة ترجمة كثيرة الاتساع عن الموجودة الآن » .

ولم يعد على باشا إبراهيم مجلس النظار بالوصول على نتائج عاجلة ، فإنه « لا يمكن مع بذل الجهود تقدير الزمن اللازم لاتساع دائرة المعارف بالسنين بل يمكن تقديره في الغالب بالأجيال » على أن تتضافر القوى وتتوالى الجهود .

وتقبل مجلس النظار مذكرة ناظر المعارف قبولاً حسناً ، وأقرّ وجهات نظره في ضرورة العناية بالتعليم لرفع مستوى الأداة الحكومية ، فإنه « طالما صار البحث عن مثل (هؤلاء) المستخدمين الذين نحن في احتياج لمساعدتهم لنجاح العمل ...

فما أمكننا وجودهم في نفس القطر ولا يتأتى دفع هذه الحالة إلا بتحسين طرق التعليم والتدريس العام فهذه هي الوسيلة الوحيدة لإزالتها ، وكذلك أقر طلب ناظر المعارف رفع ميزانية نظارة المعارف مع مراعاة « حالة البلاد الاقتصادية » ، وأقر أيضاً مبدأ اشتراك الأهالي في نفقات المنشآت التعليمية الجديدة . واستصدر مجلس النظار من الخديوى في ١٧ مايو ١٨٨٠ قراراً بتأليف لجنة أو « قومسيون » لدراسة حالة التعليم في مصر واقتراح الوسائل الناجعة لإصلاحه ونشره طبقاً للقواعد التي رسمها ناظر المعارف في تقريره . وشكل القومسيون من :

على باشا إبراهيم ناظر المعارف رئيساً ، وعبد الله باشا فكري وكيل المعارف ولارمى باشا ناظر المدرسة الحربية والدكتور سالم باشا رئيس مجلس الصحة ودور بك المفتش العام بالمعارف وروچرس بك وكيل أملاك الميرى (وكان قبل ذلك وكيلاً لديوان المدارس) وفيدال بك ناظر مدرسة الإدارة (الحقوق) أعضاء (١) .

وتوفرت لجنة إصلاح التعليم أو « قومسيون تنظيم المعارف » — كما كان يدعى — على مهمته وأتمها بعد أشهر ورفع تقريره الى مجلس النظار في سنة ١٨٨٠ (٢) . وكان دور بك الشخصية البارزة العاملة والقوة المحركة في هذه اللجنة ، وإذا كان دور قد مات قبل أن تتم اللجنة عملها وتحرر تقريرها فان أثره فيها كان واضحاً والجهد الذي بذله

(١) مجموعة الديكرينات والتقاريرات ... ص ٢٤٤ — ٢٤٥ وأمين باشا سامى :

التعليم في مصر ص ٣٩

(٢) تقرير قومسيون تنظيم المعارف . طبع بمطبعة المدارس الملكية بدار الجواميز

سنة ١٢٩٨ هـ ومنه نسخة بالفرنسية Rapport de la Commission pour les réformes dans l'organisation de l'Instruction publique, le Caire. 1884. وقد عولنا على الأصل الفرنسى ونشرنا ترجمته كاملة في ملحقات المكتب (الجزء الثالث)

ظل ماثلاً في تقريرها النهائي . فقد رفع دور إلى اللجنة تقارير مستفيضة — أوردت اللجنة منها في تقريرها العام مقتطفات كثيرة — عن التعليم الابتدائي والتعليم التجيزي وكثير من المدارس الخصوصية ، كما أننا نلّس في دراسة اللجنة للتعليم الأولى — الابتدائي ومقترحاتها لإنشاء التعليم القومي أثر دور واضح . وقد نوهت اللجنة في مستهل تقريرها بالخسارة التي أصابها بفقد هذا العضو الذي كانت له « معرفة تامة بجميع تفصيل هذا المشروع وفكرة وقادة في معرفة سير جميع فروع المعارف العمومية » (١) .

يقوم تقرير القومسيون على دراسة تاريخية يبدأ جوجة للمنشآت التعليمية القائمة في مصر ، وقد عمل على تدعيم هذه الدراسة بإحصاءات مستفيضة ، وقسم دراسته بين فصول سبعة : تحدث في الفصل الأول عن التعليم الابتدائي وقد شغل بحثه لهذا التعليم مكاناً ممتازاً في التقرير وفي الفصل الثاني عن التعليم التجيزي وفي الفصل الثالث عن التعليم الخصوصي . أما الفصل الرابع فبحث عام عن « مواد عمومية تتعلق بالتعليم » كتدريس المواد الدراسية المختلفة واقتراح إنشاء مجلس أعلى للمعارف ومجالس التحسين المدرسية ومجلس التأديب ومكتبات المدارس والتفتيش الصحي ، وفي الفصل الخامس تحدث القومسيون عن البعثات العلمية إلى أوروبا والمدارس الأجنبية ، وفي الفصل السادس عن مواد إدارية كتوحيد إدارة التعليم وميزانيته ، وفي الفصل السابع — وهو الأخير — أجمل القومسيون بياناً بمقترحاته والتحسينات التي اقترحها وتتطلب نقوداً جديدة في ميزانية المعارف . وليس غرضنا في هذا الفصل أن نسرّد بحوث القومسيون في هذه النواحي

المختلفة ، فوعدنا بذلك الفصول الآتية ، حيث أتينا عند كل دراسة لإدارة التعليم أو ناحية من نواحيه على مقترحات القومسيون بشأنها وحظها من التنفيذ . وقد عقدنا لمشروع التعليم الأولى — الابتدائي القومي كما رسمه القومسيون — وهو في رأينا أهم فصول البحث في تقريره — فصلاً خاصاً من فصول بحثنا في التعليم الأولى الابتدائي . ونسكتفي بأن نقول هنا إن المطلع على تقرير القومسيون يستطيع أن يميز فيه — كما فعل أمين باشا سامي^(١) — قسمين : القسم الأول خاص بنشر التعليم الأولى الابتدائي في مصر ، والقسم الثاني خاص ببحث حالة المدارس القائمة واقترح وسائل تحسينها .

وقد قام ببحث القومسيون في موضوع نشر التعليم على المبدأ الذي وضعه على إبراهيم باشا في مذكرته : وهو اعتبار أن التعليم (الابتدائي) كما نظمته الحكومة في مدارسها الأميرية ومكاتبها الأهلية والتعليم (الأولى) في الكتاتيب يكوّن « وحدة » متصلة الحلقات . وقد رأيت أن لأثّح رجب ١٢٨٤ حاولت إصلاح الكتاتيب وإدخالها في نظام التعليم العام بجعلها الأساس الذي يقوم عليه هذا النظام واستخدامها أداة لنشر التعليم في مصر ، ورسمت لهذا إخضاعها لهيمنة الدولة ممثلة في ديوان المدارس تمهيداً لإصلاحها ورفع مستواها الصحي والتعليمي . ولكن الجهود التي بذلت لتحقيق هذا الإصلاح لم تثمر ، وظلت الكتاتيب إلى سنة ١٨٨٠ باقية على ما كانت عليه في سنة ١٨٦٧ حين وضعت لأثّح رجب وقبل سنة ١٨٦٧ ، وظلت الهوة قائمة بين نظامي التعليم : العربي القديم والأوروبي الحديث . ورأى دور بك أن لاسيّل لسد هذه الهوة إلا إذا قام على أنقاض هذين النظامين نظام قومي واحد للتعليم ، فاستبدل

بالكتاتيب مكاتب ابتدائية من الدرجة الثالثة (أو مدارس أولية بالمعنى الذى نفهمه الآن) واعتبرت المدارس الابتدائية القائمة مكاتب ابتدائية من الدرجة الأولى ، وأنشئت لسد الثغرة بين هذين النوعين من المدارس مكاتب ابتدائية من الدرجة الثانية . وأقرّ على باشا إبراهيم فى مذكرته إلى مجلس النظار هذا المبدأ فى تأسيس التعليم القومى وعهد إلى قومسيون تنظيم المعارف وضع التفصيلات الكافلة لتطبيقه . ونهض القومسيون بهذا العمل : فبسط فى تقريره ما يجب أن تكون عليه هذه المكاتب من حيث عدد تلامذتها ومناهج التعليم فيها والأماكن التى تقام بها وهيئة التدريس بها ، كما نظم الصلة التى يجب أن تقوم بين هذه المكاتب والإدارات المحلية من ناحية والإدارة التعليمية المركزية (نظارة المعارف) من ناحية أخرى ، ووضع لتنظيم هذا كله قانوناً للتعليم الابتدائى .

وعنى القومسيون بتدبير المعلمين الأكفاء للنهوض بهذا المشروع ، فوضع قانوناً لإنشاء مدرسة مركزية ومدارس فرعية لتخريج المعلمين .

ويختلف مشروع القومسيون عن لائحة رجب فى أمر هام : فإن لائحة رجب قد اعترفت بالكتاتيب وأقرتها بل جعلت منها — بعد إصلاحها — الأساس الذى يقوم عليه النظام التعليمى وراحت بعد ذلك تنظم المكاتب الأهلية والمدارس المركزية على نسق المدارس الابتدائية الأميرية . وأثمرت الجهود التى بذلت لبلوغ هذه الغاية الأخيرة ، فأصبحت المكاتب الأهلية والمدارس المركزية والمدارس الابتدائية الأميرية جميعاً تتبع — أو تحاول أن تتبع — برنامجاً واحداً وتعد تلامذتها للحاق بالمدارس التجهيزية بالمدارس الخصوصية . ولهذا اعتبرها قومسيون ١٨٨٠ (مدارس ابتدائية راقية) . أما الكتاتيب فإن اللائحة لم تنظم من الوسائل ما يكفل لها بأن تتصل

بهذه المدارس الابتدائية الراقية وتعد لها تلامذتها ، بل إن الإصلاح اليسير الذى رسمته
لائحة رجب للكتاتيب لم يتحقق منه شيء وظلت الكتاتيب على حالها ، بينما استقرت
المدارس الابتدائية (الراقية) وارتفع مستواها .

✓ أما مشروع القومسيون فلا يعترف بهذه الكتاتيب بوضعها الحاضر ، وإنما
يشير بأن يستعاض عنها بمدارس ابتدائية بسيطة (من الدرجتين الثالثة والثانية)
وكما أنشئ بجهة ما عدد كاف من هذه المدارس ألغى ما يقابلها من الكتاتيب
وهكذا إلى أن يتم إلغاء الكتاتيب جملة . وطبيعى أن هذه المدارس الابتدائية
البسيطة لا تنشأ إنشاء وإنما تقام على (أنقاض) الكتاتيب ، فهى تأخذ من
الكتاتيب صبيتها ومعليها (بعد أخذهم بشيء من الدراسة المنتظمة) .

ولائحة رجب وزعت التعليم الابتدائى بين مكاتب أهلية ينفق عليها من موارد
(أهلية) كان أهمها إيراد جفلك الوادى ومدارس ابتدائية ينفق عليها من ميزانية
الدولة . أما مشروع القومسيون فيقوم على أن التعليم الابتدائى بمدارسه على اختلاف
درجاتها عمل قومى تنهض به الأمة عن طريق ضريبة خاصة تؤديها لنشر التعليم
الابتدائى وعن طريق إعانة مالية ترصدها الدولة من ميزانيتها للمساعدة على نشر
التعليم . وقد رأيت أن الجهود التى بذلت لإصلاح الكتاتيب لم يصحبها التوفيق
لأن المال قد أعوزها ، إذ لم تستطع الحكومة أن تدبر الموارد الأهلية التى
رسمتها اللائحة .

✓ وفى القسم الثانى من بحث القومسيون وهو الخاص بالمنشآت التعليمية
القائمة عمل القومسيون على سد وجوه النقص فيها ، وقدم لهذا الغرض مقترحات
تمثية منها :

- (١) إنشاء دراسة تكميلية فى الزراعة أو الصناعة للتلاميذ الذين يتمون التعليم الابتدائى ولا تمكنهم ظروفهم المادية أو العقلية من متابعة الدراسة التجهيزية .
- (٢) إلغاء الفرق التجهيزية بالمدارس الابتدائية والدعوة إلى افتتاح مدارس خاصة بالتعليم التجهيزى ، على أن تسير النظارة فى إنشائها بحذر إلى أن يتم إنشاء مدرسة المعلمين ويبدأ تخريج المعلمين الأكفاء .
- (٣) وعمل القومسيون على سد وجوه النقص فى التعليم العالى : فاقترح إنشاء مدرسة للمعلمين ومدرسة عليا للإدارة ، وقدم مقترحات معينة لتحسين المدارس الخصوصية القائمة .
- (٤) إنشاء مدرسة لإعداد المعلمين ، ووضع القومسيون لهذه المدرسة نظاما جميلا لو أتيح له أن ينفذ لجنبا كثيرا من المشكلات التى تواجهنا إلى اليوم فى تخريج المعلمين وأخصها تعدد المعاهد القائمة لهذا الغرض . فقد وضع مشروع القومسيون على أساس أن يكون إعداد مدرسى جميع المواد فى مدرسة مركزية واحدة مقسمة إلى قسمين : القسم الأول وهو عبارة عن مدرسة دار العلوم الحالية لإعداد معلمى العربية ، والقسم الثانى لإعداد معلمى اللغات والأدبيات والرياضيات والعلوم .
- (٥) إنشاء مجلس أعلى للمعارف .
- (٦) إنشاء مجالس (التحسين) بكل مدرسة .
- (٧) إنشاء مجلس للتأديب .
- (٨) إنشاء مجالس تعليمية بالأقاليم .
- (٩) بسط رقابة نظارة المعارف على المدارس الأجنبية عن طريق التفتيش .
- (١٠) توحيد الأموال التى تخصص للصرف على التعليم سواء من ميزانية الدولة أو إيراد الأوقاف .

وإلى هنا ينتهى هذا العمل العظيم الذى نهض به أعضاء القومسيون فى إخلاص وكفاية ، ولكن عملهم - فى الواقع - ليس ثمرة جهود فردية مهما كانت عظيمة وإنما هو ثمرة التجارب التى مر بها النظام التعليمى منذ بدأ محمد على يضع قواعده الأولى. والواقع أننا لا نزال إلى الوقت الحاضر بحاجة إلى دراسة هذه التجارب والإفادة منها فى الجهود التى نبذلها لإصلاح التعليم واستقراره .

أما مقترحات القومسيون وسياسته الإنشائية فلم تصادف كلها حظها من التنفيذ . والحق أن مجلس النظار ونظارة المعارف قد تقبلا هذه المقترحات بقبول حسن : فزيد القدر من المال المخصص للمعارف فى ميزانية الدولة وصدرت التشريعات التى أشار بها القومسيون : فصدرت لائحة للتعليم الابتدائى وأخرى لمدرسة المعلمين ، وصدر قرار بإنشاء مجلس المعارف الأعلى ومجالس التحسين ومجلس التأديب . بل لقد بلغ من اهتمام الحكومة بأعمال القومسيون أنها شرعت تنفذ المهم من قراراته التى تبلغها قبل أن يتم القومسيون عمله : ومن ذلك إنشاء مدرسة المعلمين المركزية بقسميها وإنشاء ثلاث مدارس ابتدائية من الدرجات الثلاث لتكون نموذجاً للمدارس التى تنشأ طبقاً لقانون التعليم الابتدائى الذى وضعه القومسيون .

ولكن اضطراب الحالة فى مصر منذ أواخر سنة ١٨٨١ وماتلاها عطل الإصلاح فى التعليم ، وفى غير التعليم من المرافق الحيوية . على أن الجهود التى بذلها (القومسيون) فى سنة ١٨٨٠ لم تذهب عبثاً . فقد وضعت الأساس الذى يجب أن يقوم عليه التعليم القومى ، وإذا كان البناء قد أوقف فقد ظل الأساس قائماً يدعو المهتمين بإصلاح التعليم والداعين إليه إلى رفع البناء . وظل تقرير (القومسيون) إحدى الوثائق الهامة لدراسة حالة التعليم فى مصر فى القرن الماضى ، بل ظل نقطة البدء لكل دراسة تاريخية يبدأها جوجية تالية .

ميزانية التعليم

ولما كانت ميزانية التعليم متصلة بالسياسة التعليمية أوثق اتصال فإننا نختم هذا الفصل بذكر ميزانيات التعليم من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٨٢ ، فننقل الأرقام التي ذكرها يعقوب أرتين باشا^(١) والأرقام التي ورد ذكرها في وثائق متفرقة وفي دفاتر الميزانيات بمحفوظات عابدين^(٢) :

السنة	أرتين باشا	الوثائق	دفاتر الميزانيات	ملحوظات
١٨٦٣	جنهيا مصر يا —	بارة/قرشا / جنهيا	بارة/قرشا / جنهيا	
١٨٦٤	—	٦١,٢٤٨/٥٧/٣٤ ^(٣)	٤٩,٨٥٩/٨٤/٢٣	راجع ماقلناه عن اتساع التعليم في هذه السنة .
١٨٦٥	—	٩١,٠١٨/٣٦/٢٤ ^(٤)	٩٢,٤١٩/٦٧/٣٢	لم نعر على وثائق لتوضيح ميزانية التعليم في هذه السنة .
١٨٦٦	—	—	١٤١,٣١٧/٤٢/٢٣	كانت المدارس الحربية تابعة لديوان المدارس .
١٨٦٧	—	٨ / ٩٥,٩٤٣/٥٢/٥ ^(٥)	١٤١,١٨٩/٥٣/١٩	

(١) يعقوب أرتين باشا : القول التام ص ٢٤

(٢) دفاتر الميزانيات تحمل على التوالي الأرقام ٢٢٦ و ٢٤٠ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤

و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ .

(٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربي) ص ٨٥ إلى المسالية في ٢٣ ربيع الثاني ١٢٨٠

(٤) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربي) ص ٥٧ رقم ٣٠ إلى المالية في ٩ جمادى الأولى ١٢٨١

(٥) دفتر سنة ١٥٨٤ (إرادات المدارس) ص ١ رقم ٦ أمر إلى مدير المدارس في غرة ١٢٨٤

السنة	أرتين باشا	الوثائق	دفاتر الميزانيات	ملحوظات
	جنيها مصريا	بارة/قرشا / جنيها	بارة/قرشا / جنيها	
١٨٦٨	٦٧,٠٠٠	٦٧,٠٠٠ / - / - ^(١)	٦٨,٩٩٤ / ٩٨ / ٧	في هذه السنة نزع المدارس الحريية ومكتب الأنجال وقلم الوقائع من ديوان المدارس .
١٨٦٩	٦٧,٠٠٠	٩١,٢٤٢ / ٩١ / ٢٦ ^(٢)	٧٠,١٨٧ / ١٧ / ١٣	وفي بعض الإحصاءات:
١٨٧٠	٦٧,٠٠٠	٦٦,٤٧٢ / ١٠ / - ^(٣)	٧٢,٠٣٥ / ٧٨ / ١٩	قرشا جنيها
				٦٠,٣٤٨ / ١٦ ^(٤)
				وفي بعض الوثائق:
				٦٥,٠٠٠ / - ^(٥) جنيها
١٨٧١	٥٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠ / - / - ^(٦)	٦٨,٦٤٥ / ٩١ / ١٤	

(١) دفتر سنة ١٥٨٤ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ٦ أمر إلى مدير المدارس في غرة ١٢٨٤ .

(٢) ومن هذا المبلغ المتأخرات من السنة الماضية . دفتر ٤٢١ (مدارس عربي) ص ٢٨ رقم ٧٨ من المالية في غرة شعبان ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربي) ص ١ رقم ٥ إلى المالية في ١٠ جمادى الثانية ١٢٨٦

(٤) De Régný, Statistique . . . 1870

(٥) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربي) ص ٧٩ رقم ١٦٢ إلى المالية في ١٩ ذى الحجة ١٢٨٦

(٦) دفتر سنة ١٥٨٧ (رادات للمدارس) ص ٣ رقم ٥٠ أمر إلى المدارس في

بارة قرشا جنيها

٤ رمضان ١٢٨٧ . وكان ديوان المدارس قد طلب ٦٩ / ٣٥ / ٣٧٩٩ (دفتر ٤٢٩ =

السنة	أرتين باشا	الوثائق	دفتر الميزانيات	ملحوظات
١٨٧٢	جنيها مصر يا ٥٠,٠٠	٤٨,٣١٤/٩٨/١٠ (١)	بارة قرشا جنيها ٣٧,٢٤٠/١٠/٧	وفي بعض الإحصاءات: بارة جنيها ٥٣,٠٢٠/٨٣ (٢)
١٨٧٣	٤٩,٢٤٠	٤٩,٢٤٠/٣٧/٣ (٣)	٥٧,٦١٣/٦٤/٢١	ماهيات: بارة قرشا جنيها ٥,٣٨٧/٤٩٤/٢٩ مصرفات ٤,٤٦٠/٤٢/١٤ ماهيات: ٥,٢٢١/٤٦/٣٠ مصرفات: ٥,١٤٢/١١١/٢١
١٨٧٤	٥١,٨٢٠	٥١,٨٢٠/٧٢/١٠ (٤)	٥٧,٨٣٥/٦٩/—	

= مدارس عربي ص ٥٥ رقم ٢٥٩ إلى المالية في ١٠ ربيع الثاني ١٢٨٧) ثم قبلت المالية أن تقدم لديوان المدارس ٦٠٠٠ جنيه (دفتر ٤٤١ مدارس عربي) ص ١٢٥ رقم ٤٦ من المالية في ٢٩ رجب ١٢٨٧ ثم استقر الرأي على ٥٠ ألف جنيه.
(١) جزء أول قيد التراتيب بالمجلس الخصوصي سنة ١٥٨٩ وكانت المالية قد قررت قبل ذلك مبلغ ٤٠٠٠ جنيه (دفتر ٤٤٤ مدارس عربي) ص ٤٦ رقم ٣٥٢ من المالية في ٢٢ جمادى الثانية ١٢٨٨

(٢) De Rigny, Statistique ... 1872. p. 91 - 94.

(٣) جزء أول قيد التراتيب بالمجلس الخصوصي سنة ١٥٨٩ .

(٤) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربي) ص ٦٧ رقم ٥٢ من المالية في ١٤ رمضان ١٢٩٠

وفي بعض الاحصاءات ١٧/٤٦ ر ٤٨٠ جنيها. De Rigny, Statistique ... 1873. p. 294.

ملحوظات	دفتر الميزانيات	الوثائق	أرتين باشا	السنة
	بارة/قرشا / جنبها ٤٣,٧٠١/١٢/١٩	بارة/قرشا / جنبها (١) ٦١,٣٠٢/٦١/٣١	جنبها مصر يا ٦٠,٠٧٣	١٨٧٥
			٦١,٣٠٩	١٨٧٦
			٤١,٢٦٧	١٨٧٧
			٣٥,٧٤٠	١٨٧٨
			٤٥,١٠٨	١٨٧٩
		(٢) ٥٩,٤١٥	٥٩,٤١٥	١٨٨٠
		(٣) ٨١,٩٤٩	٨١,٩٤٩	١٨٨١
			٨٨,٠٧٨	١٨٨٢
تلاحظ الزيادة المطردة في ميزانية التعليم بعد سنة ١٨٨٠ تنفيذا لتوصيات قومسيون تنظيم المعارف .				

ونرجو أن نكون بما قدمنا بين يديك من هذه الأرقام المضطربة ما يكفي للدلالة على صعوبة البحث في الناحية المالية من حكم إسماعيل على كثرة وثائقه ومصادره .
وينبغي في بحث ميزانية التعليم في عهد إسماعيل أن نذكر الملاحظات الآتية :

(١) قبل سنة ١٨٦٧ — ١٨٦٨ كانت ميزانية البعثات ومدرسة الطب خارجة عن ميزانية ديوان المدارس .

(١) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربي) ص ٨٢ رقم ٣٢ إلى المالية في شعبان ١٢٩١

(٢) Bull. des Lois et decrets. 1880 .

(٣) 1881 . « « « « «

(٢) ميزانية المدارس الحربية كانت مضطربة : فأنا تابعة لديوان المدارس وأنا أخرى خارجة عنها ، حتى سنة ١٨٦٧ حين نزعت المدارس الحربية نهائياً من ديوان المدارس .

(٣) في سنة ١٨٦٧ نزعت المدارس الحربية ومكتب الانجال من ميزانية ديوان المدارس ، ولكن أضيف إليها ميزانية البعثات ومدرسة الطب وأنشئت مدارس كثيرة .

(٤) وأهم من ذلك يجب أن نلاحظ أن هذه الأرقام هي الميزانية الرسمية ، ولكن هناك ميزانية أخرى (أهلية) وهي الموارد التي كان يصرف منها على المكاتب الأهلية . وأهم هذه الموارد جفلك الوادى وقد رأيت ^(١) الإيراد الذى كان يغله ، وكان يتراوح بين نحو ١٩,٠٠٠ و ١٧,٠٠٠ و ٧,٠٠٠ و ١٢,٠٠٠ جنيه في السنة .

(٥) من هذه الموارد (الأهلية) كان ينفق على جميع المدارس الابتدائية (المدارس المركزية والمكاتب الأهلية) عدا مدرسة المستديان بالقاهرة ومدرسة الاسكندرية (وقد حولت وقتاً ما إلى مكتب أهلى) ومدرسة المنصورة ، تمشياً مع سياسة الحكومة المالية وهي الاقتصاد في الصرف على المدارس الخصوصية والتجهيزية وترك التعليم الابتدائى أهلياً ينفق عليه من إيرادات المكاتب الأهلية .

(٦) أورد قومسيون تنظيم المعارف في تقريره سنة ١٨٨٠ بياناً بمقدار ما تنفقه الدول على التعليم من ميزانياتها العامة ، نقطف منه البيان الموجز التالى ^(٢) :

(١) انظر فيما سبق ص ٢٥ — ٢٦

(٢) لم يذكر هذا البيان في النسخة العربية من تقرير القومسيون وإنما ذكر في

الدولة		من ألف فرنك في الميزانية العامة يخصص للتعليم		في مقابل فرنك واحد ينفق على التعليم تنفق الدولة على المنافع العامة	
		س	ف	س	ف
الولايات المتحدة		٧	٢٥٧	٨٩	٣
سويسرا		٦٢	١٥٩	٢٦	٦
بروسيا		٢٦	٨٨	٣٣	١١
اليابان		٤٣	٨١	٢٨	١٢
إيطاليا		٧٠	٣٧	٥٢	٢٦
انجلترا		١٦	٣٤	٢٧	٢٩
فرنسا		٣٥	٣٢	٩١	٣٠
المجر		٥٠	١٨	٣	٥٤
مصر		٧٥	١٣	٨٦	٧٢
تركيا		٩٨	٧	١٩	١٢٥

الفصل الثالث

الادارة التعليمية

(١) ديوان المدارس

في سنة ١٢٥٢ - ١٢٥٣ (١٨٣٦ - ١٨٣٧) أنشئت الإدارة التعليمية في عهد محمد علي : بدأت بإنشاء شورى المدارس ثم ديوان المدارس . وفي قانون «السياسة» الذي صدر في ربيع الأول ١٢٥٣ (مايو ١٨٣٧) استقر ديوان المدارس بين سائر الدواوين التي تكونت منها الأداة الحكومية في ذلك الوقت ^(١) .

وعلى الرغم من الانكماش الذي أصاب النظام التعليمي في السنين الأخيرة من حكم محمد علي فقد بقي ديوان المدارس قائماً يرعى المنشآت التعليمية الباقية ويرعى إلى جانبها بعض المنشآت التعليمية التي تتصل بالتعليم عن قرب أو بعد كالقواعد والمطبعة والاسطبلات والهندسة .

وكذلك احتفظ عباس بديوان المدارس ^(٢) . ولكن نشاطه (التعليمي) أصبح

(١) انظر في موضوع الإدارة التعليمية في عصر محمد علي ص ٩٣ - ١٢٢ من كتابنا (تاريخ التعليم في عصر محمد علي) .

(٢) انظر عن ديوان المدارس في عهد عباس الجزء الأول (تاريخ التعليم في عصر

محدودا : إذ لم يعد الديوان يشرف إلا على معهدين اثنين : مدرسة المهندسخانة بأقسامها الثلاثة ومدرسة الطب بأقسامها الثلاثة أيضا . أما التعليم العسكرى فى مدرسة المفروزة وما يلحقها فنزعه عباس من ديوان المدارس وجعله تابعا لديوان الجهادية . وقد رأيت أن المهندسخانة كان لها من قوة شخصية ناظرها الطموح « على مبارك » ماهيا لها قسطا كبيرا من الاستقلال ، بل إن اللوائح التى نظمت التعليم طوال عهد عباس لم يضعها مدير الديوان أو الهيئات الفنية فيه — إن كانت قد بقيت فيه هيئة فنية — وإنما وضعها رجال كانوا (خارج) الديوان ورفعوها إلى الوالى ونالوا موافقته عليها ، ولم نكد نلصق للديوان أثرا فى وضع هذه اللوائح ومناهج التعليم .

على أن ديوان المدارس — فى عهد عباس — استعاض عن هذا القصور فى الناحية التعليمية نشاطا ملحوظا فى ناحية أخرى ، هى ناحية الاشراف على الأبنية التى عاش عباس كفا بها . وأكبر الظن أن قيام ديوان المدارس على شئون البناء والعمارة كان أهم ما دعا عباسا إلى الاحتفاظ به ، فلما تولى سعيد وأبطل العمل بالعمارات لم يجد مبررا لبقاء الديوان فألغاه فى ١٠ ربيع الأول ١٢٧١ (نوفمبر ١٨٥٤) (١) .

وبإلغاء ديوان المدارس فقدت المدارس سندا قويا كانت تستمد منه التوجيه والإرشاد ، ولم تعد توجد هيئة أو جهة إدارية معينة تحتضن مسائل التعليم وتعنى بتفاصيله وتكون الصلة بينه وبين ولى الأمر . وقد رأيت — حين كنا نتكلم عن عصر سعيد — ما أصاب التعليم فى هذا العصر من اضطراب بين إنشاء المدارس وإلغائها وجعلها تارة تابعة للمحافظة وتارة أخرى للجهادية وأحيانا للداخلية وأحيانا أخرى تتصل بالوالى نفسه .

والغاء الديوان دلالة على أن المسائل التعليمية لم تعد تحظى من الوالى بما تحظى به مسائل الحكم الأخرى التى لكل منها إدارتها الخاصة ، فأصبح التعليم عملاً ثانوياً تستطيع أية إدارة أن تنظر فى شأنه إلى جانب مهامها الأساسية الأخرى .

وتولى إسماعيل حكم مصر فى ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، وكان صادق العزم على تجديد النهضة التعليمية التى ارتبطت باسم جده الكبير . وقد بدأ منذ الأيام الأولى لولايته يخطو الخطوات الأولى فى طريق هذه النهضة . وقد اتجه عزمه — أول مالتجه — الى إحياء ديوان المدارس ليشرف على توجيه هذه النهضة ويرعاها . لم يعمل ماعمله محمد على حين أنشأ المدارس أولاً ثم أنشأ ديوانها بعد ذلك ، وإنما بدأ إسماعيل ينشئ المدارس وديوانها فى وقت واحد . فالتعليم — عند إسماعيل — مرفق من أهم إن لم يكن أهم — مرافق البلاد ، الأمر الذى يقتضى الدولة أن تخصص له جانباً من الاداة الحكومية كما تخصص الدولة للجيش والبحرية والأشغال والسكة الحديدية جوانب أخرى . وقيام ديوان خاص للمدارس يشعر الأمة بأن الحكومة قد نهضت الى العناية بالتعليم وأنها لن تألو جهداً فى توسيعه وحسن توجيهه .

وقيام ديوان خاص للمدارس بما ينتظم من هيئات فنية وإدارية خير ضمان لايجاد الاتساق والانسجام بين مختلف معاهد التعليم التابعة له بما يضع من سياسة ويرسم من قواعد ويصدر من (أوامر) و (منشورات) وينفذ من مفتشين ومعاونين ، فيدرك المشرفون على المدارس والعاملون بها من نظار ومعلمين ومعيدين وضباط وكتبة وخدم الخ . أن هناك عينا ترعاهم وتسهر عليهم وتثيب الأكفاء منهم وتعاقب المهملين .

وقيام ديوان خاص للمدارس بما ينتظم من هيئات فنية وإدارية خير ضمان لأن تكون المشورة التى تقدم فى مسائل التعليم صادرة عن خبرة فنية وتجربة وروية .

وإذا كان إنشاء ديوان المدارس في عهد محمد علي ثم في عهد إسماعيل والأسلوب الذي مارس به الديوان سلطانه على معاهد التعليم قد وضع لإدارة التعليم الأساس الذي تنهض عليه إلى الوقت الحاضر وهو (المركزية) ^(١) ، فإن نظام المركزية كان في القرن التاسع عشر « وسيلة فعالة لإصلاح معاهد التعليم — وخاصة ما كان منها في الأقاليم بعيداً عن سلطان الحكومة في حاضرة البلاد — من جهة ، ومكافحة الأمية بنشر التعليم في أوساط الشعب من جهة أخرى . ذلك لأن أكثر ما تحتاجه الدول المبتدئة في هذا المجال (يد) قوية موجهة ، وخاصة إذا لم يكن لهيئات أخرى غير الحكومة من الكفاية ما يمكنها من أن تقوم بنجاح بقسط كبير من شؤون التعليم » ^(٢) . قلنا هذا عن عصر محمد علي ، وليس ما يمنع أن نعيد قوله هنا عن عصر إسماعيل .

* * *

بدأ إسماعيل عمله في إحياء ديوان المدارس بأن اختار لمعاونتة في هذا العمل الرجل الذي عاصر الديوان منذ نشأته في عصر محمد علي ثم عاد إلى إدارته في أوائل عهد عباس ثم في أوائل عهد سعيد : كان إبراهيم أدهم باشا ثاني مدير تولى إدارة الديوان في عهد محمد علي ، وكان بعد أول مدير تولى إدارته في عهد إسماعيل . صدر أمر إسماعيل في ٥ شعبان ١٢٧٩ إلى أدهم باشا — وكان مديراً لديوان الأوقاف — بالشروع في إنشاء مدرستين بالقاهرة ومدرسة بالإسكندرية وفي إنشاء ديوان

(١) انظر في موضوع المركزية في إدارة التعليم كتابنا تاريخ التعليم في عصر محمد علي

للمدارس . وصدرت أول لائحة لتنظيم هذه المدارس وديوانها في ٢٩ شعبان ١٢٧٩ ،
وجمع أدهم حوله نفرأ من الرجال الذين اتصلوا بالتعليم من قبل وكانت لهم في إدارته
خبرة وأثر .

وهكذا بدأ ديوان المدارس بسيطا : إذ كان اختصاصه قاصرا على ثلاث مدارس ،
أما المدرسة الحربية فكانت تابعة لديوان الجهادية ومدرسة الطب تابعة لمحافظة القاهرة .
ولهذا فقد جعل تكوين الديوان الداخلي في غاية البساطة ، إذ لم يزد عدد موظفيه في
الشهر الأول من تكوينه على ست موظفين ^(١) :

إبراهيم أدهم باشا : وكان يحمل رتبة (الميرميران) وكان مديراً لديوان المدارس
وناظراً للأوقاف .

رفاعة بك رافع : وكان يحمل رتبة (المتمايز) وقد عين في الديوان « عضو
القومسيون ورئيس الترجمة » .

على علوى بك : وكان يحمل الرتبة الثانية ، وقد عين وكيلا للديوان ، وقد خدم
علوى بك في ديوان المدارس منذ إنشائه في عهد محمد على ،
وكان في عهد عباس ناظراً للقلم التركي والخزينة بالديوان .

يوسف رحى أفندى : وكان برتبة اليوزباشى وعين في الديوان « كاتب تحريرات
ديوان تركى ومقيد ومبيض ومترجم » ، وقد حاز رتبة اليوزباشى
منذ كان يعمل بديوان المدارس في عهد محمد على .

(١) محفظة ٣٠ (معية تركى) رقم ٢٥٩ من على علوى وكيل ديوان المدارس إلى

باشمعاون الحديوى في ٢١ ذى القعدة ١٢٧٩

حسن صالح أفندي : برتبة الملازم الأول ، وقد عين معاوناً بالديوان .

حسين صدقي أفندي : برتبة الملازم الثاني ، وقد عين معاوناً بالديوان .

وعين على بك مبارك ناظراً لمدرسة المبتديان وعلى بك إبراهيم ناظراً للمدرسة التحضيرية وأحمد التومي أفندي (فتحي بك) ناظراً لمدرسة الاسكندرية ، ومع كل منهم عدد محدود من المدرسين والضباط بحيث أن مجموع موظفي الديوان وفروعه في الشهر الأول من إنشائه كان ٢٥ موظفاً .

على أن أعمال الديوان ما لبثت أن اتسعت واطرد اتساعها فتعقدت تبعا لذلك الإدارة في الديوان وأخذت تتفرع إلى أقلام و (ورش) . ولم تكن سن أدهم باشا تمسكنه من تحمل الأعباء الجديدة التي اقتضاها اتساع الديوان ، فما لبث أن خلفه على إدارته محمد شريف باشا الذي ظل مديراً للمدارس نحو أربع سنوات كانت كلها عهد توسع وإنشاء . وقد بدأ شريف عهده في ديوان المدارس بتوسيع نطاقه : فقفز به من ستة موظفين إلى ٢٣ موظفاً بين معاون ورئيس تحريرات وحسابات وكاتب ومبيض الخ . ووضع شريف باشا ترتيباً صدر به أمر إسماعيل في ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ (نوفمبر ١٨٦٣) ، وبه زيدت مراتب موظفي الديوان إلى ٢١,٢٩٠ قرشاً في الشهر^(١) . بدأ اتساع الديوان بأن ضمت إليه المدرسة الحربية في ١٢ المحرم ١٢٨٠ (يونية ١٨٦٣) ثم تفرعت إلى أربع مدارس حربية : المشاة والفرسان والمدفعية

(١) دفتر ٥٣٩ (معية تركي) ص ٤٣ رقم ٢ أمر إلى ناظر الخارجية والمدارس في ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ ودفتر ١٩٥٢ (المجلس الخصوصي) ص ٢٠ رقم ٢٢ قرار المجلس في ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ ومحفوظة ٣١ (معية تركي) رقم ١٩١ (عربي) من محمد شريف باشا إلى المعية في ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٠

وأركان الحرب ، وأنشئت لإدارتها نظارة خاصة فى ديوان المدارس ، ثم أنشئت مدرسة المهندسخانه ، وعهد إلى ديوان المدارس أن يضع لوائح لإنشاء مدارس أخرى كالطب البيطرى والبحرية والإدارة . وكانت سنة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ السنة التى وصل فيها ديوان المدارس إلى أقصى اتساع وصل إليه حتى ذلك الوقت : فإذا كان ديوان المدارس قد تخفف فى هذه السنة من إدارة المدارس الحربية التى ضمت إلى ديوان الجهادية إلا أن هذه السنة شهدت إنشاء مدارس كثيرة : مدارس الإدارة والألسن والمحاسبة والمساحة والعمارة (التى ضمت إلى المهندسخانه) وفرقة الرسم وفرقة التلغراف والمدرسة البحرية ، وقد جعلت كلها تابعة لديوان المدارس ، وأحيلت إلى ديوان المدارس حسابات البعثات ومدرسة الطب . وأهم من هذا كله أن لائحة رجب ١٢٨٤ قد وضعت على عاتق الديوان عبئا جديداً : هو عبء النهوض بتنفيذ الأحكام التى نصت عليها اللائحة خاصة بإنشاء المدارس المركزية فى عواصم المديريات وإنشاء المكاتب الأهلية بالقاهرة والإسكندرية وإصلاح الكتاتيب بالمدن والقرى . وهكذا أخذ (اختصاص) ديوان المدارس يتعدى القاهرة والإسكندرية ويصل إلى المدن والقرى .

ونھض ديوان المدارس لمواجهة هذه الحالة الجديدة : فأنشأ به (ورشة) لحسابات المكاتب ونظم (التفتيش) للمرة الأولى ، ووزعت الأعمال فى الديوان بين هيئتين : هيئة إدارية هى « إدارة المدارس الملكية » وهيئة فنية هى « نظارة الدروس » . ويعود الفضل فى هذا التنظيم الموفق إلى على مبارك باشا مدير الديوان فى ذلك الحين .

ثم رأى ان إصلاح الكتاتيب الأهلية لا يسير بخطى سريعة ، فأنشئ ديوان المكاتب الأهلية وجعل أول إنشائه ديوانا مستقلا وعلى رأسه على مبارك ،

ثم جمع على مبارك بين هذا الديوان وديوان المدارس . وظلت الإدارة التعليمية على هذا النحو من التنظيم حتى نهاية حكم إسماعيل . وأهم تجديد حدث في الإدارة التعليمية بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٨٢ إنشاء مجلس المعارف الأعلى في سنة ١٨٨١ .
وفي الصفحات التالية نفصل الحديث في هذه المسائل التي أجمعنا هنا :

مدير وديوان المدارس ^(١) :

(١) إبراهيم أدهم باشا : ٢٦ يناير ١٨٦٣ - ٢٦ يولية ١٨٦٣ .
في عهده صدرت أول لائحة لتنظيم التعليم في عهد إسماعيل باشا وهي لائحة ٢٩ شعبان ١٢٧٩ ^(٢) التي وضعت النظام الأول لديوان المدارس والمدارس الثلاث التي أنشئت . ثم قصر أدهم على الأوقاف ، وخلفه في المعارف شريف باشا ، وبعد نحو ثلاثة أشهر خلفه في الأوقاف أبو بكر راتب باشا ، و « عوفى » أدهم من الخدمة وسافر الى استامبول ومات بها في سنة ١٨٦٩ ^(٣) .

(٢) محمد شريف باشا : ٢٦ يولية ١٨٦٣ - ١٤ إبريل ١٨٦٨ .
وفي عهده وضعت اللوائح الثانية للتعليم في ١١ جمادى الثانية ١٢٨٠ وبدأ اتساع الديوان وتعددت فروعها . وفي عهده افتتحت المدرسة الابتدائية والمدرسة

(١) اعتمدنا في التواريخ الافرنجية لتولى مديري الديوان على أمين باشا سامي (التعليم في مصر ص ١٠٩ ، ١١٠) وأرتين باشا (L'Instruction Publique . . . P. 169-170)
(٢) دفتر ٥٢٥ (معية تركي) ص ٤١ أمر إلى أدهم باشا ناظر المدارس والأوقاف في

٢٩ شعبان ١٢٧٩

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

التجهيزية بالعباسية ونظمت المدارس الحربية وقد أعيدت الى ديوان الجهادية بعد توليته إدارة ديوان المدارس بسبعة أشهر ، ثم أعيدت ثانية الى ديوان المدارس في ١٤ شعبان ١٢٨١ ، ثم ردت الى الجهادية في ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٤ ، وكان شريف باشا لا يزال مديراً لديوان المدارس ، وكان علي (بك) مبارك قد عين منذ وقت قصير وكيلا للديوان . وفي عهد شريف باشا أنشئت مدرسة المهندسخانة ومدرسة الطب البيطري وشكل مجلس المعارف الاستشاري ، ووضع شريف باشا مشروعات لإنشاء المدرسة البحرية ومدرسة الإدارة والألسن . وفي أواخر عهد شريف في المعارف قدم علي مبارك مشروعه : لائحة رجب ١٢٨٤ ، وقبل أن يصدر قرار المجلس الخصوصي بالموافقة عليها في ٦ المحرم ١٢٨٥ (٢٩ ابريل ١٨٦٨) ثم أمر إسماعيل بتنفيذها في ٤ صفر ١٢٨٥ كان علي مبارك قد خلف — للمرة الأولى — شريف باشا في نظارة الديوان في ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤ (١٥ ابريل ١٨٦٨) . وواضح أن علي مبارك منذ دخل ديوان المدارس وكيلا في سبتمبر سنة ١٨٦٧ أصبح القوة المحركة في الديوان وهو الذي رسم السياسة التي نصب مديراً للديوان ليشرف على تنفيذها .

وكان شريف باشا رئيسا لمجلس الأحكام عند ما عينه الخديو مديراً لديوان المدارس في سنة ١٨٦٣ ، فاحتفظ بمنصبه الأول ^(١) ، وبعد أيام أضيف إليه منصب ناظر الخارجية خلفاً لنوبار باشا ، ونزع منه منصب رئيس مجلس الأحكام ^(٢) ، ثم عين

(١) دفتر ٥٢٥ (معية تركي) ص ١١٣ قسم ثان رقم ٥٠ أمر إلى شريف باشا رئيس مجلس الأحكام في ٩ صفر ١٢٨٠ .

(٢) دفتر ٥٢٥ (معية تركي) ص ١١٣ أمر إلى شريف باشا في ١٧ صفر ١٢٨٠

ناظرا للداخلية واحتفظ كذلك بالخارجية والمدارس . وظل شريف باشا ناظرا للخارجية حتى صرف عنها في ٢١ شعبان ١٢٨٢ وأعيد إليها نوبار باشا^(١). ثم صرف شريف باشا عن الداخلية وعاد رئيسا لمجلس الأحكام ، ثم أضيفت إليه إدارة مصلحة البريد (في ٢٤ جمادى الأولى ١٢٨٤)^(٢). وكان شريف باشا موضع ثقة الخديو إسماعيل الذى أنابه عنه في سنة ١٨٦٦ في إدارة البلاد عند سفر سموه إلى الخارج^(٣). وقد تولى شريف باشا رئاسة الوزارة في أواخر عهد إسماعيل وأوائل عهد توفيق حين حاول إصدار (الدستور) ، ثم تولى الوزارة في أوائل عهد الاحتلال ورفض الموافقة على الجلاء عن السودان .

(٣) على مبارك باشا : ١٥ ابريل ١٨٦٨ — ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠ .

قضى على مبارك سنى حكم سعيد مشردا في البطالة أحيانا وفى وظائف بسيطة أحيانا أخرى ، حتى تولى إسماعيل فكانت توليته فاتحة خير لعلى مبارك . بدأ حياته الوظيفية فى عهد إسماعيل ناظراً لمدرسة المبتديان ، ولم يلبث أشهراً حتى نقل ناظرا للقناطر الخيرية^(٤). ولكن صلته بالمدارس لم تنقطع : فكان يرأس امتحانات المدرسة الحربية والمدرسة التجهيزية^(٥) ، وعهد إليه وهو ناظر القناطر

(١) الوقائع المصرية : العدد ٩ فى ٢ رمضان ١٢٨٢ (١٨ يناير سنة ١٨٦٦)

(٢) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) جزء أول ص ٣ أمر إلى شريف باشا رئيس مجلس

الأحكام فى ٢٤ جمادى الأولى ١٢٨٤

(٣) محفظة ٨ (جهادية) رقم ١٦٢ أمر إلى ناظر الجهادية فى ١٨ المحرم ١٢٨٢

(٤) محفظة ٧ (جهادية) رقم ٣٠٢ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢٣ المحرم ١٢٨٠

(٥) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ٥٨ رقم ٤٩٨ إلى المدرسة التجهيزية فى

٦ ذى القعدة ١٢٨٠

بوضع كتاب مدرسي لتلاميذ المدارس فوضع كتاب (التمرين)^(١) الذي ظل وقتا طويلا يقرؤه التلاميذ بالمدارس الابتدائية والفرق المتأخرة من المدارس التجهيزية . ثم ألحق على مبارك بك في ٢٤ شعبان ١٢٨٢ (١٠ يناير ١٨٦٦) بمعية إسماعيل^(٢) . ولكن حالة القناطر ألجأت إسماعيل بعد أشهر (في ٢٠ صفر ١٢٨٣ — ٤ يولية ١٨٦٦) الى أن يعود فينصب على مبارك مهندسا للقناطر الخيرية بالإضافة إلى عمله في المعية^(٣) . ولكن صلة على مبارك بالتعليم لم تنقطع أيضا ، وكان مجلس شورى النواب قد أصدر قراراته بإنشاء المدارس الابتدائية بالأقاليم وتنظيم المكاتب الأهلية بالقاهرة والإسكندرية ، ورأى على مبارك أن الموقف خليق بأن يحفزه إلى العمل : فوضع « رسالة » ومشروع لائحة لتنظيم المكاتب الأهلية وإصلاحها وهي اللائحة التي عرفت بعد ذلك بلائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ . ورفع على مبارك رسالته ولائحته إلى الخديو فأصدر أمره (في مايو ١٨٦٧) بأن تشكل لجنة (قومسيون) لدرسهما ورفع تقريرها عنهما إلى مسامعه^(٤) . وقدر درسنا في الفصل السابق الخطوات التي سار فيها هذا المشروع الخطير حتى صدر أمر إسماعيل بوضعه موضع التنفيذ في ٤ صفر ١٢٨٥^(٥) (ابريل ١٨٦٨) ، ولكننا نكتفي بأن نقول هنا إن

(١) على مبارك باشا : الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٢) محفظة ٨ (جهادية) رقم ٢٨٢ أمر إلى ناظر الجهادية في ٢٤ شعبان ١٢٨٢ ، الوقائع المصرية : العدد ٩ في ٢ رمضان ١٢٨٢ (١٨ يناير سنة ١٨٦٦) .

(٣) محفظة ٨ (جهادية) رقم ٣٤٤ أمر إلى ناظر الجهادية في ٢٠ صفر ١٢٨٣ ، الوقائع

المصرية : العدد ٣٢ في ٢٨ صفر ١٢٨٣ (١٢ يولية سنة ١٨٦٦)

(٤) دفتر ١٩١٩ (أوامر) ص ١٨٩ رقم ١٢٠ أمر إلى الداخلية في ١٧ المحرم ١٢٨٤

(٥) انظر فيما سبق ص ٤٨ وما بعدها .

إسماعيل رأى أن يستعين بكفاية على مبارك في ديوان المدارس ليشرف على تنفيذ الخطط التي رسمها للإصلاح فبدأ بتعيينه وكيلا لديوان المدارس في ١٣ جمادى الأولى ١٢٨٤ (سبتمبر ١٨٦٧) بالإضافة إلى عمله بالقناطر الخيرية وعين له وكيلا للأمور الحسابية والتجريبية «لكي يتفرغ (على مبارك) لإصلاح المدارس وترقيتها»^(١). وقبل أن تتم الموافقة على لائحته (لائحة رجب ١٢٨٤) صدر الأمر بتعيين على مبارك بك (ثم باشا) مديرا للمدارس وناظرا للأشغال في ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤ (١٥ أبريل ١٨٦٨)^(٢) وكان ديوان الأشغال قد ألغى منذ أشهر وألحقت إدارة الهندسة والتنظيم بديوان المدارس^(٣)، ثم أعيد ديوان الأشغال ووضع تحت إدارة ديوان الداخلية^(٤).

وقضى على مبارك باشا في نظارة ديوان المدارس — للمرة الأولى — عامين وخمسة أشهر كان لها في تاريخ التعليم في عهد الخديو إسماعيل أقوى الأثر : شهدت انتقال ديوان المدارس إلى درب الجماميز واتساع أقالمه وإنشاء إدارة المدارس الملكية ونظارة الدروس وإدارة التفطيش وشهدت إنشاء مدارس الإدارة والألسن والمحاسبة

(١) دفتر ٥٧٣ (معية تركي) ص ٢١ رقم ١ أمر إلى مدير المدارس في ١٣ جمادى الأولى ١٢٨٤، ص ١٨ رقم ١١ أمر إلى ناظر الداخلية في ١٣ جمادى الثانية ١٢٨٤.
(٢) دفتر ٥٧٣ (معية تركي) قسم أول ص ٢١ أمر إلى على بك مبارك وكييل المدارس في ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤.

(٣) دفتر ٤٠٠ (مدارس عربي) ص ١٩٧ رقم ١٦٧ من الداخلية في ١١ جمادى الأولى ١٢٨٤.
(٤) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ٨ رقم ٨ من الداخلية في ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٤.

والمساحة والعمارة وفرقة الرسم وفرقة التلغراف الخ، وشهدت الخطوات الأولى في إنشاء المدارس المركزية وإصلاح المكاتب الأهلية.

ولم يقتصر على باشا مبارك على عمله بالمدارس والأشغال، بل أحيلت إليه في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٥ (١ أكتوبر ١٨٦٨) إدارة مصلحة المرور (أو الإمرارية أو السكة الحديدية) وأثابه الخديو على نشاطه فمنحه في ذلك الوقت رتبة الميرميران^(١). وفي شوال ١٢٨٥ (يناير ١٨٦٩) تخفف على باشا مبارك من ديوان الأشغال الذى عين (لينان بك) مديرا له^(٢) واستبدل به على مبارك نظارة ديوان الأوقاف^(٣)، فأصبح على مبارك مديرا لديوان المدارس وناظرا لديوان الأوقاف ومديرا للسكك الحديدية.

ولكن ديوان الأشغال مايزال حائرا بين باقى الدواوين: ففي ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٦ (يوليه ١٨٦٩) صدر أمر الخديو إلى على باشا مبارك بالتخلي عن مصلحة السكة الحديد لجعلها إدارة مستقلة تحت نظارة عمر باشا لطفى محافظ مصر سابقا والاستعاضة عنها بضم ديوان الأشغال اليه، لأن أعمال هذا الديوان كثيرة ولا تقوى حالة لينان بك وسنه على النهوض بها فعين عضوا بالمجلس الخصوصى^(٤). فأصبح على باشا مبارك مديرا

(١) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ١٣٥ أمر إلى على مبارك باشا فى ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ١٥٥ إلى ديوان المالية فى ١٥ شوال ١٢٨٥

(٣) الوقائع المصرية: العدد ٢٦٧ فى ١٢ شوال ١٢٨٥ (٢٥ يناير سنة ١٨٦٩)

(٤) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ٢٣٦ أمر إلى على مبارك باشا فى ١٩ ربيع الثانى

١٢٨٦، دفتر ٤١٨ (مدارس عربى) ص ١٤٩ رقم ٨٣ إلى ديوان الأشغال فى ٢٣

ربيع الثانى ١٢٨٦

لديوان المدارس وناظرا للأشغال والأوقاف وقد جمعها كلها في سراى درب الجامين ليسهل إشرافه عليها . ولكن لم يمض شهر على صدور هذا القرار حتى صدر قرار آخر في ١٤ جمادى الأولى ١٢٨٦ بإعادة إدارة السكك الحديدية إلى على مبارك باشا^(١).

ومضى على ذلك نحو عام ، ولا شك في أن على باشا مبارك قد ناء بإدارة هذه الدواوين الأربعة ، وبدأ يتخلف منها ديواناً بعد آخر : ففي ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٨٧ (١٩ سبتمبر ١٨٧٠) نزعت منه إدارة السكك الحديدية وأعيدت إلى مديرها السابق عمر باشا لطفى^(٢) ، وفي اليوم التالى نزع منه ديوان المدارس وديوان الأشغال وجعلا لمصطفى بهجت باشا^(٣) وقصر على مبارك على نظارة ديوان الأوقاف^(٤) . ولكن لم تمض على ذلك خمسة شهور حتى عادت فاقصل بالمدارس من جديد ، حين عينه الخديو في ١٠ ذى الحجة ١٢٨٧ (فبراير ١٨٧١) مديرا لديوان المكاتب الأهلية^(٥) .

-
- (١) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ٢٠١ أمر إلى على مبارك باشا في ١٤ جمادى الأولى ١٢٨٦
(٢) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٨ أمر إلى على مبارك باشا في ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٨٧
ومحفظه ٤ (مدارس) رقم ١٩٣ (عربى) أمر إلى مبارك باشا في تاريخه .
(٣) محفظه ٤ (مدارس) رقم ١٩٤ (عربى) أمر إلى بهجت بك في ٢٤ جمادى الثانية ١٢٨٧ ، دفتر سنة ١٥٨٧ (ارادات للمدارس) ص ١ رقم ٣ في تاريخه .
(٤) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ١٤ أمر إلى مبارك باشا في ٢٤ جمادى الثانية ١٢٨٧ —
ويعال على باشا مبارك نزع هذه الدواوين منه بخلافه مع إسماعيل باشا صديق ناظر المالية على (تتبع ميزانية السكة الحديد للمالية) الخطط م ٣ ج ٩ ص ٥٤ .
(٥) دفتر ٥٨٣ (معية تركى) ص ٩١ رقم ١٨ أمر إلى على باشا مبارك في ١٠ ذى الحجة ١٢٨٧ .

(٤) مصطفى بهجت باشا : ٢١ سبتمبر ١٨٧٠ — ١٢ مايو ١٨٧١ .

وكان الخديو إسماعيل قد غضب عليه منذ نحو خمس سنوات — وكان في ذلك الوقت مفتش الهندسة بالوجه القبلي — فأمر بفصله من خدمة الحكومة وعدم قبوله بأية وظيفة حكومية ^(١) . ومصطفى بهجت من أوائل المهندسين المصريين في عهد محمد علي وكان عضواً ببعثة سنة ١٨٢٦ الى فرنسا . وكان محمود بك الفلكي وكيلاً (عمومياً) له مع كل من وكيلى الأشغال والمدارس ، وكان محمود الفلكي قبل ذلك مأمور الخريطة الفلكية فأحيلت إلى إسماعيل بك الفلكي ^(٢) .

ولا يمتاز عهد بهجت باشا القصير في ديوان المدارس بأية خطة إصلاحية أو إنشائية .

(٥) علي مبارك باشا : ١٣ مايو ١٨٧١ — ٢٥ أغسطس ١٨٧٢ .

كان علي مبارك قد عين منذ شهرين مديراً لديوان المكاتب الأهلية وبذلك توزعت إدارة التعليم بين ديوانين : فللمدارس الملكية ديوانها وللمكاتب الأهلية ديوانها ، ثم رأى الخديوى أن استقلال كل من الديوانين عن الآخر لا يساعد على تقدم التعليم ، فأمر أن يقتصر بهجت باشا على ديوان الأشغال ويضم ديوان المكاتب الأهلية إلى ديوان المدارس وينصب عليهما على باشا مبارك ، ثم أضيفت إليه أيضاً

(١) دفتر ٣٧٥ (م—دارس عربى) ص ١٦٠ رقم ٧٦ إلى مدرسة الاسكندرية في

٢٤ شعبان ١٢٨٢

(٢) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٨ أمر إلى بهجت باشا في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٧

في ٢٢ صفر ١٢٨٨ نظارة ديوان الأوقاف^(١).

وهكذا عاد على باشا مبارك للمرة الثانية الى ادارة ديوان المدارس، وكان ضم الأوقاف اليه عملا حكيمًا: لأن الأوقاف كانت لها مكاتبها التي يديرها ديوان المدارس، وكثير من المكاتب الأهلية كان يقيم في أبنية تملكها الأوقاف، وكان ديوان الأوقاف يؤدي الى ديوان المدارس إيراد الأوقاف التي انقرض مستحقوها وخصص إيرادها للصرف على المكاتب الأهلية. فكان ضم الديوانين لناظر واحد مما يساعد على توحيد الجهود وتبادل المعونة بين كل من الديوانين.

ولسكن لم يكدمضى على ذلك شهر وبعض شهر حتى تبادل كل من على مبارك وبهجت ديوان الآخر: فأصبح بهجت ناظرًا للأوقاف وعلى مبارك ناظرًا للأشغال (مع احتفاظه بالمدارس)^(٢).

وبعد عام صدر أمر الخديو بأن تضم دواوين الأوقاف والمدارس والمكاتب الأهلية والأشغال في «نظارة واحدة» وضع على رأسها نجله الأمير حسين باشا كامل (السلطان حسين كامل فيما بعد) وعين على مبارك باشا مستشارا له^(٣)، وأحيلت اليه

(١) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) رقم ٨ أمر إلى بهجت باشا، ص ١٧٤ رقم ١٢٢ أمر إلى على مبارك باشا في ٢٢ صفر ١٢٨٨.

(٢) دفتر سنة ١٥٨٧ (إرادات للدارس) ص ٦ رقم ١٤١ أمر لديوان المدارس في ١١ ربيع الثاني ١٢٨٨

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٤ (عربي) أمر إلى على مبارك في ٢١ جمادى الثانية ١٢٨٩

« مادة عمارة العيون المحلة بالقناطر الخيرية » (١).

ويمتاز عهد علي مبارك باشا (الثاني) في إدارة ديوان المدارس بإنشاء مدرسة دار العلوم وإنشاء أو تنظيم مكاتب القرية وقلاون والحبانية وأبي العلاء وبنى نموف والمنيا والشيخ صالح والسلطان مصطفى والعقادين والنحاسين والسيوفية للبنات .

وبعد خروج علي مبارك من إدارة الديوان تولاها إلى نهاية عصر الخديو إسماعيل عدد كبير من المديرين والنظار ، ولن يتاح لأحد منهم أن يملك بمنصبه مدة طويلة ، وكان لهذا الاضطراب أثره في تعطيل الإصلاحات التي وضع قواعدها علي مبارك ورياض .

(٦) الأمير حسين باشا كامل : ٢٦ أغسطس ١٨٧٢ - ١٤ أغسطس ١٨٧٣ .

وكان أكثر أوراق ديوان المدارس إلى فروعه يوقعها (المستشار) علي مبارك ، الأمر الذي يدل على أن الأمير ترك لمستشاره المجال لإدارة شئون التعليم ، ولذلك فإن عهد علي مبارك في منصب الاستشارة يمكن أن يلحق بعهد السابق في إدارة الديوان ، ثم ترك الأمير حسين كامل المعارف والأوقاف والأشغال إلى الداخلية ثم إلى الجهادية والبحرية .

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٦ أمر إلى ناظر المعارف والأوقاف والأشغال في ٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩ .

في ٢٢ صفر ١٢٨٨ نظارة ديوان الأوقاف (١).

وهكذا عاد على باشا مبارك للمرة الثانية الى ادارة ديوان المدارس، وكان ضم الأوقاف اليه عملا حكيمًا : لأن الأوقاف كانت لها مكاتبها التي يديرها ديوان المدارس، وكثير من المكاتب الأهلية كان يقيم في أبنية تملكها الأوقاف، وكان ديوان الأوقاف يؤدي الى ديوان المدارس إيراد الأوقاف التي انقرض مستحقوها وخصص إيرادها للصرف على المكاتب الأهلية. فكان ضم الديوانين لناظر واحد مما يساعد على توحيد الجهود وتبادل المعونة بين كل من الديوانين.

ولكن لم يكد يمضي على ذلك شهر وبعض شهر حتى تبادل كل من على مبارك وبهجت ديوان الآخر : فأصبح بهجت ناظرًا للأوقاف وعلى مبارك ناظرًا للأشغال (مع احتفاظه بالمدارس) (٢).

وبعد عام صدر أمر الخديو بأن تضم دواوين الأوقاف والمدارس والمكاتب الأهلية والأشغال في « نظارة واحدة » وضع على رأسها نجله الأمير حسين باشا كامل (السلطان حسين كامل فيما بعد) وعين على مبارك باشا مستشارا له (٣)، وأحيلت اليه

(١) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) رقم ٨ أمر إلى بهجت باشا، ص ١٧٤ رقم ١٢٢ أمر إلى على مبارك باشا في ٢٢ صفر ١٢٨٨.

(٢) دفتر سنة ١٥٨٧ (إرادات للمدارس) ص ٦ رقم ١٤١ أمر لديوان المدارس في ١١ ربيع الثاني ١٢٨٨

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٤ (عربي) أمر إلى على مبارك في ٢١

جمادى الثانية ١٢٨٩

« مادة عمارة العيون المخلة بالقناطر الخيرية » (١).

ويمتاز عهد علي مبارك باشا (الثاني) في إدارة ديوان المدارس بإنشاء مدرسة دار العلوم وإنشاء أو تنظيم مكاتب القرية وقلاون والحبانية وأبي العلاء وبنى نموف والمنيا والشيخ صالح والسلطان مصطفى والعقادين والنحاسين والسيوفية للبنات .

وبعد خروج علي مبارك من إدارة الديوان تولاها إلى نهاية عصر الخديو إسماعيل عدد كبير من المديرين والنظار ، ولن يتاح لأحد منهم أن يملك بمنصبه مدة طويلة ، وكان لهذا الاضطراب أثره في تعطيل الإصلاحات التي وضع قواعدها علي مبارك ورياض .

(٦) الأمير حسين باشا كامل : ٢٦ أغسطس ١٨٧٢ — ١٤ أغسطس ١٨٧٣ .

وكان أكثر أوراق ديوان المدارس إلى فروعه يوقعها (المستشار) علي مبارك ، الأمر الذي يدل على أن الأمير ترك لمستشاره المجال لإدارة شؤون التعليم ، ولذلك فإن عهد علي مبارك في منصب الاستشارة يمكن أن يلحق بعهد السابق في إدارة الديوان ، ثم ترك الأمير حسين كامل المعارف والأوقاف والأشغال إلى الداخلية ثم إلى الجهادية والبحرية .

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٦ أمر إلى ناظر المعارف والأوقاف والأشغال في

٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩ .

(٧) مصطفى رياض باشا : ١٥ أغسطس ١٨٧٣ - ٢٤ مايو ١٨٧٤^(١).

وقد جمع رياض بين الأوقاف والمدارس^(٢)، وبعد خمسة أشهر أضيفت اليه رئاسة المجلس الحسبي^(٣)، أما على مبارك باشا فعين وكيلًا لديوان الأشغال العمومية وكان هذا الديوان ملحقا بنظارة الداخلية^(٤).

وكان رياض باشا قبل تعيينه مديرا للمدارس والأوقاف مستشارا برئاسة المجلس الخصوصي^(٥)، وبعد ستة أشهر عين عضوا بهذا المجلس^(٦).

وقد شهدت الشهور التسعة التي قضاها رياض باشا في إدارة ديوان المدارس نهضة عظيمة تكلمنا عليها تفصيلا في الفصل السابق. وقد عاونوه في عمله دور بك وقد عين مفتشا عاما للمدارس والمكاتب قبل تعيين رياض بأشهر^(٧).

(١) أمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ١٠٩ — أما أرتين باشا (القول التام... ص ٣٦ و Inst. publique. P. 170) فيذكر أن رياضًا ترك المدارس في ٢٨ فبراير ١٨٧٤
(٢) محفظة ٤ (— مدارس) رقم ٢٢١ إلى مدير المدارس والأوقاف في ٢٢ جمادى الثانية ١٢٩٠

(٣) محفظة ٤ (— مدارس) رقم ٢٢٣ إلى مدير الأوقاف والمدارس في ١٧ ذى القعدة ١٢٩٠

(٤) دفتر ٤٦٤ (مدارس عربي) ص ١٣٩ رقم ٢٩١ من المالية في ٩ رجب ١٢٩٠
(٥) الوثيقة السابقة

(٦) دفتر سنة ١٥٩٠ (أوامر) ص ٥ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس في

١٨ ذى الحجة ١٢٩٠

(٧) انظر فيما سبق ص ٦٧ وما بعدها

- (٨) محمد ثابت باشا : ٢٥ مايو ١٨٧٤ - ٦ سبتمبر ١٨٧٤ .
وقد جمع الى ديوان المدارس ديوان الأوقاف ورئاسة المجلس الحسبي وعضوية المجلس الخصوصي^(١) .
- (٩) الأمير طوسون باشا : ٧ سبتمبر ١٨٧٤ - ٣١ أغسطس ١٨٧٥ .
عين محمد ثابت باشا مستشارا له في ديوان الأوقاف والمدارس ثم عين وكيلا لمجلس الأحكام وحل محله في منصب الاستشارة حسن باشا راسم^(٢) .
- (١٠) يحيى منصور باشا : أول سبتمبر ١٨٧٥ - ٢١ يونيو ١٨٧٦ .
وقد جمع بين ديوان الأوقاف والمدارس^(٣) ، وبعد يومين من تعيينه أعيد ثابت باشا مستشارا لهذين الديوانين وحل محله في رئاسة مجلس الأحكام حسن راسم باشا^(٤) . وفي يناير ١٨٧٦ فصل ثابت باشا من مستشارية المعارف والأوقاف وعين مستشارا لنظارة الزراعة^(٥) واستغنى عن وظيفة مستشارية المعارف والأوقاف اكتفاء بمدير الديوانين^(٦) .

-
- (١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٢٦ أمر إلى ثابت باشا في ٩ ربيع الثاني ١٢٩١
(٢) دفتر سنة ١٢٩١ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ١٣ أمر إلى ديوان المدارس في ١٣ شوال ١٢٩١
(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٢٧ إلى دولتلو منصور باشا في غرة شعبان ١٢٩٢
(٤) دفتر ٢ (أوامر) ص ١٠٢ رقم ٢١٠ أمر إلى ثابت باشا ، ص ٦٤ رقم ١١ أمر إلى ديوان المدارس في ٣ شعبان ١٢٩٢
(٥) دفتر ١٠ (أوامر) ص ٤٧ رقم ٨٧ أمر إلى ثابت باشا في ٦ ذى الحجة ١٢٩٢
(٦) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٧ أمر إلى مدير المدارس في ٦ ذى الحجة ١٢٩٢

(١١) مصطفى رياض باشا : ٢٥ يولية ١٨٧٦ — ١٣ اكتوبر ١٨٧٧ .
قصر رياض باشا — هذه المرة — على ديوان المدارس فتولى إدارته للمرة الثانية^(١)، وكان رياض قد عين قبل ذلك بعام ناظرا للزراعة^(٢) . ولم تعرف عن رياض في هذه الفترة خطة إصلاحية جديدة في التعليم ، ولكنه استمر يعمل على تحسين المنشآت التعليمية القائمة طبقا للوائح والبرامج التي وضعها عند ما كان مديراً للديوان منذ نحو ثلاثة أعوام .

(١٢) إسماعيل أيوب باشا : ١٤ اكتوبر ١٨٧٧ — ٢٧ أغسطس ١٨٧٨ .
(١٣) على مبارك باشا : ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ — ٨ ابريل ١٨٧٩ .
عين — للمرة الثالثة — ناظرا للمعارف والأوقاف في وزارة نوبار باشا وهي أول وزارة (مسئولة) ، وفي هذه الفترة القصيرة فتحت مدارس الإمام الشافعي وعابدين ومصر القديمة والفشن والحسينية .

(١٤) محمد ثابت باشا : ٩ ابريل ١٨٧٩ — أول يولية ١٨٧٩
عين — للمرة الثانية — ناظرا للمعارف والأوقاف في وزارة شريف باشا^(٣) .
وفي عهد ثابت باشا عزل دوربك وألغى تفتيش المدارس .

(١) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للدارس) ص ٥ رقم ٢٢٥ أمر إلى مدير المدارس في ٣ جمادى الثانية ١٢٩٣ .
(٢) محفظة ٥٢ (معية تركي) رقم ١٦٢ من رياض باشا إلى المعية في ١٧ جمادى الأولى ١٢٩٢
(٣) دفتر سنة ١٨٧٩ (إرادات للدارس) ص ١ رقم ٧ أمر إلى ثابت باشا في ٨ ربيع الثاني ١٢٩٦

وفي أوائل حكم توفيق تولى النظار الآتية أسماؤهم: (وكان أطولهم في الديوان عهداً على باشا إبراهيم وعبد الرحمن باشا رشدى وقد امتاز عهدهما بحركة إصلاح قوية) .

(١٥) محمود سامى البارودى باشا : ٢ يولية ١٨٧٩ — ١٧ أغسطس ١٨٧٩
عين في وزارة شريف باشا ناظراً للمعارف والأوقاف .

(١٦) على إبراهيم باشا : ١٨ أغسطس ١٨٧٩ — ٦ سبتمبر ١٨٨١
وكان عضواً بمجلس استئناف الاسكندرية فعين ناظراً للمعارف في الوزارة التي رأسها الخديوى نفسه ثم في وزارة رياض باشا . وفي عهده أعيد تفتيش المدارس برئاسة دوربك ، ورسمت خطط لإصلاح التعليم ، وشكل قومسيون تنظيم المعارف . ولكن الحوادث تتابعت ووقف الإصلاح^(١) .

(١٧) محمد زكى باشا : ١٤ سبتمبر ١٨٨١ — ٢ فبراير سنة ١٨٨٢

(١٨) عبد الله فكرى باشا : ٤ فبراير ١٨٨٢ — ٢٦ مايو ١٨٨٢
وكان قبل ذلك وكيلًا لديوان المكاتب الأهلية ثم وكيلًا لنظارة المعارف .

(١٩) سليمان أباطة باشا : ٢٠ يونية ١٨٨٢ — ٢٧ أغسطس ١٨٨٢

(٢٠) أحمد خيرى باشا : ٢ أغسطس ١٨٨٢ — ٢٢ مايو ١٨٨٣

وكان الخديو يصدر لناظر المعارف عقب توليته توكيلاً « في توقيع المسوغات الشرعية التى تلزم لبيع الأملاك السابق الإحسان بها على المكاتب الأهلية »^(٢) .

(١) انظر الفصل السابق ص ٧٧ وما بعدها .

(٢) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للدارس) ص ٧ رقم ١٤ أمر إلى ديوان المدارس

في ١٨ ذى القعدة ١٢٩٣ .

ولم يكن مرتب مدير ديوان المدارس (أو ناظر المعارف) ثابتاً : ففي سنة ١٨٧٢ وضع في ميزانية الديوان ١٤٦ كيساً (٧٣٠ جنياً) للمدير في العام ، أى نحو ١٦ قرشاً و ٦١ جنياً في الشهر^(١) . وفي سنة ١٨٧٤ كان ثابت باشا يتناول في الشهر ٧٥ جنياً^(٢) . أما الأمير طوسون باشا الذي خلفه في نظارة المعارف فكان راتبه في الشهر ٥٠٠ جنيه .^(٣)

وكلاء ديوان المدارس^(٤)

- (١) على علوى بك : ١٩ فبراير ١٨٦٢ — آخر يولية ١٨٦٧ .
وقد خدم في ديوان المدارس منذ عهد محمد على ، وفي عهد عباس كان ناظراً للقلم التركي والخزينة بالديوان^(٥) . ومات في يولية ١٨٦٧ .
- (٢) على مبارك بك^(٦) : سبتمبر ١٨٦٧ أبريل ١٨٦٨ .

(١) ميزانية ديوان المدارس في سنة ١٢٨٩ — جزء أول قيد التراتيب للمجلس الخصوصى سنة ١٥٨٩

(٢) دفتر ٤٦٩ (مدارس عربى) ص ١٨٤ رقم ٢٤٠ إلى الحسابات في ١٨ ربيع الثانى ١٢٩١

(٣) دفتر ٤٨٩ (مدارس عربى) ص ٤٠ رقم ١٤ من المالية في ٨ شعبان ١٢٩١

(٤) اعتمدنا في هذه التواريخ على أمين باشا سامى (التعليم في مصر ص ١٠٩)

(٥) انظر الجزء الاول (عصر عباس وسعيد) ص ٣٥

(٦) لم يذكره أمين باشا سامى بين وكلاء الديوان . ولكن الوثائق تذكر اسمه صراحة وتذكر تاريخ تقليده هذه الوظيفة .

وقد ترجمناه في مكان سابق . وكان حين غيابه عن الديوان ينسب عنه أحيانا « لتأدية الأشغال من تحريرات وحسابات » حماد بك عبد العاطي ناظر الهندسة أو يوسف أفندي رحى ناظر قلم التحريات بالديوان (١) .

(٣) إسماعيل أفندي محمد (باشا فيما بعد) : لم يعين بصفة رسمية ، وإنما كان وكيلًا لديوان الأشغال العمومية ، ورأى على باشا مبارك مدير الديوان أنه كثير الأسفار فأقام إسماعيل محمد وكيلًا لديوان المدارس في أبريل ١٨٦٨ ، وأمر بأن تعرض عليه « كافة الأشغال الضرورية المستعجلة نهوها » (٢) .

(٤) حسين بك فهمى : لم يعين أيضا بصفة رسمية ولكن لما عين وكيلًا لديوان الأشغال العمومية خلفا لإسماعيل أفندي محمد الذى اختص بإدارة قلم الهندسة عهد إليه (حسين بك فهمى) على باشا مبارك فى أكتوبر سنة ١٨٦٨ بتوقيع الأوراق (المستعجلة) بديوان المدارس بالنيابة عنه (٣) .

(١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١٤١ رقم ٤١٥ إلى كتاب الحسابات بديوان المدارس فى ١٥ ذى القعدة ١٢٨٤

ودفتر ٤٠٢ (مدارس عربى) ص ١٣٠ رقم ١٦٨ إلى يوسف رحى ناظر قلم تحريرات فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٤٦ رقم ٤٩٦ إلى كتاب الحسابات فى ١٥ المحرم ١٢٨٥ — ولا يذكر أمين باشا سامى اسمه بين وكلاء الديوان .

(٣) دفتر ٤١٤ (— مدارس عربى) ص ١٥١ رقم ٤٠ إلى كتاب الحسابات فى ٥

(٥) إسماعيل (بك) محمد : عين هذه المرة بصفة رسمية . صدر أمر الخديو — بناء على التماس على باشا مبارك — بنقله من ديوان الأشغال وتعيينه وكيلا لديوان المدارس في ٢٤ أبريل سنة ١٨٦٩ ومنحه الرتبة الثانية ^(١) . ولكن ديوان الأشغال تشبث به و « عينه لاحدى الوظائف المهمة » ، ففصل إسماعيل بك محمد من وكالة ديوان المدارس بعد أيام ونقل إلى ديوان الأشغال . ^(٢)

(٦) إسماعيل بك زهدى : ١٩ مايو سنة ١٨٦٩ — ١٩ أكتوبر ١٨٧٠ .

وكان يشغل أيضا منصب مأمور إدارة المدارس الملكية وناظر مدرسة المبتديان ^(٣) ، فلما تولى بهجت باشا إدارة ديوان المدارس والأشغال في سبتمبر ١٨٧٠ عين محمود بك حمدى الفلكى وكيلا عاماله وأبقى إسماعيل بك زهدى وكيلا « خصوصا » ^(٤) . وظل زهدى بك وكيلا للديوان حتى يناير ١٨٧٥ .

(٧) مستر روجرس (Rogers) : ٣١ يناير ١٨٧٥ — ٢٠ سبتمبر ١٨٧٥ . وكان يشغل وقتا ما منصب قنصل إنجلترا في مصر ^(٥) . وفي سبتمبر ١٨٧٥ عين « مأمورا لأشغال

(١) دفتر ١٩٢٧ (أوامر) ص ٢٤ أمر الى ديوان المدارس في ٢٤ المحرم ١٢٨٦

(٢) دفتر ٤١٧ (مدارس عربى) ص ٨١ رقم ٤٤ إلى الأشغال في ٦ صفر ١٢٨٦

(٣) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ١٧٣ أمر إلى ديوان المدارس في ٥ صفر ١٢٨٦

(٤) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٨ أمر إلى بهجت باشا في ٢٤ جمادى الآخرة ١٢٨٧

ويذكر أمين باشا سامى (التعليم في مصر ص ١٠٩) أن محمود بك الفلكى تولى وكالة ديوان المدارس من ١٠ أكتوبر ١٨٧٠ إلى ٥ يونيه ١٨٧١ ثم خلفه إسماعيل زهدى باشا

من ٦ يونيه ١٨٧١ إلى ٣٠ يناير ١٨٧٥ .

الحكومة بلندن » بدلا من مستر لاركن (Larking) الذى فصل لتقدمه فى السن^(١) .
وفى المحفوظات الأوروبية بعابدين خطابات أرسلها روجرس إلى شريف باشا فى مايو
ويونية ١٨٧٦ خاصة ببعض الطلاب المصريين فى إنجلترا^(٢) .

ثم عاد روجرس إلى القاهرة وعين وكيلًا لديوان المدارس^(٣) للمرة الثانية من
أول يناير ٨٧٧ . إلى ١٥ أغسطس ١٨٧٨ . وفى سنة ١٨٨١ اختير — وكان يشغل
منصب مدير أملاك الميرى الحرة — عضواً بمجلس المعارف الأعلى .

(٨) عبد الله باشا فكرى : ٩ يولية ١٨٧٩ — ديسمبر ١٨٨١ .
ومنح فى ذلك الوقت رتبة الميرميران^(٤) ، وكان مؤدبا للأبحال ثم ناظرا للقلم التركى
بالمعية ثم وكيلًا لديوان المكاتب الأهلية منذ إنشائه فى ٢٧ مارس سنة ١٨٧١ .

(٩) على فهمى رفاعه باشا : ٩ فبراير ١٨٨٢ — سبتمبر ١٨٨٢ .
وهو نجل رفاعه بك رافع الطمطاوى ، وقد اتصل منذ زمن بعيد بديوان المدارس
فكان مدرسا بمدرسة الألسن ودار العلوم ومحرفا لروضة المدارس وناظرا لقلم
الروضة والمطبوعات ثم وكيلًا لديوان المكاتب الأهلية خلفا لعبد الله فكرى باشا
ثم وكيلًا لديوان المدارس .

(١) دفتر سنة ١٨٧٦ (إرادات للدارس) ص ١ رقم ١ أمر إلى ديوان المدارس فى
٢٠ شعبان ١٢٩٢ .

(٢) Rogers à Chérif Pacha, 16 Mai 1876, 10 Juin 1876.

(٣) دفتر ١٩ (أوامر) ص ٦ رقم ١ أمر إلى ديوان المدارس فى ١٩ ذى الحجة ١٢٩٣

(٤) دفتر سنة ١٨٧٩ (إرادات للدارس) ص ١ رقم ١ أمر إلى ديوان المدارس فى

٢٠ رجب ١٢٩٦

(١٠) محمود حمدى الفلكى باشا : ٢٨ نوفمبر ١٨٨٢ — ٩ يناير ١٨٩٤ .

وكان حمدى الفلكى من نوابغ مبعوثى عباس إلى فرنسا . وقد قضى أكثر حياته الوظيفية فى عصر إسماعيل مأمورا « للخريطة الفلكية » ، وتولى وقتا ما نظارة مدرسة المهندسخانة ووكالة ديوانى الأشغال والمدارس .

(١١) يعقوب أرئين باشا : أول ابريل ١٨٨٤ — ١١ يوليه ١٨٨٨ .

وكان مؤدبا لبعض أنجال الخديو فى سنة ١٨٧٣ ، وكاتما أوروبيا للأسرار فى المعية فى سنة ١٨٧٩ . وقد خلد لنفسه فى نظارة المعارف ذكرى جليلة .

ولم يكن مرتب وكيل الديوان ثابتا : فعلى بك علوى كان يأخذ فى الشهر خمسين جنيتها ثم رفعت إلى ثمانين^(١) . وفى ميزانية سنة ٨٧٢ حدد للوكيل — وكان إسماعيل بك زهدى — أربعون جنيتها فى الشهر^(٢) . ولما عين مستر روجرس وكيلًا للديوان منح ألف جنيه انجليزى فى السنة^(٣) عدا أجر مسكنه^(٤) . أما عبد الله

(١) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١٨٥ رقم ٢٧٧ إلى كتاب الحسابات فى ٢٤

شعبان ١٢٨١

(٢) ميزانية ديوان المدارس سنة ١٢٨٩ — جزء أول قيد التراتيب بالمجلس

الخصوصى ١٥٨٩

(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٠٩ رقم ١٤٢ إلى كتاب الحسابات فى ٢٧

ذى الحجة ١٢٩١

(٤) دفتر ١ (أوامر) ص ١٦٤ رقم ٣٧٩ أمر إلى المالية فى ٢٥ رجب ١٢٩٢

باشا فسكرى (١٨٧٩ - ١٨٨١) فكان يتناول ستين جنيتها فى الشهر (١) .

الهيئات الاستشارية بالديوان

القومسيون

أقام إبراهيم باشا أدهم أول مدير للمدارس فى عهد إسماعيل « قومسيونا للديوان » يجتمع أعضاؤه كل يوم للمداولة فيما يلزم عمله لافتح المدارس الجديدة . ولم يكن هذا القومسيون مكونا من أعضاء دائمين ثابتين ، وإنما كان يدعى لحضوره نظار المدارس (٢) . ولسنا نرى عضوا ثابتا بهذا القومسيون سوى رفاة بك رافع الذى نرى بجانب اسمه دائما (أرباب أو عضو القومسيون) . وما أن فتحت المدارس الجديدة حتى استغنى الديوان عن هذا القومسيون فلم نعد نسمع عنه شيئا . ورفاة بك نفسه تخلى عن لقبه كعضو القومسيون واحتفظ بمنصبه الأصيل كناظر لقلم الترجمة .

مجلس المعارف

فلها تولى محمد شريف باشا نظارة ديوان المدارس شكل بالديوان فى مارس ١٨٦٨ مجلسا دائما أسماه « مجلس المعارف لأجل المشاركة فى أمور التعليم والتعلم » ، ووضع له لائحة نشرت بالوقائع المصرية (٣) . وهذه أهم موادها :

- (١) دفتر سنة ١٨٧٩ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ١ أمر إلى ديوان المدارس فى ٢٠ رجب ١٢٩٦
- (٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١ رقم ١ الى التجهيزية وص ٢ رقم ٢ الى المبتديان فى ٨ رمضان ١٢٧٩ .
- (٣) الوقائع المصرية : العدد ٢٩ فى ٧ صفر ١٢٨٣ (٢١ يوزة ١٨٦٦)

١ - يشكل مجلس المعارف من أعضاء دائمين وهم نظار مدارس أركان الحرب والمدفعية والمهندسين والمشاة والفرسان والمهندسخانة والتجهيزية والمبتديان وكبير أطباء المدارس ومأمور إدارة المدارس الحربية وعلى بك مبارك وفائق بك المهندس ومحمد قدرى أفندى المترجم بديوان المدارس ، ومن أعضاء مؤقتين لمدة سنة وهم : مسيو فيدال وكان فى ذلك الوقت أستاذ الرياضيات العالية بمدرسة أركان الحرب وعبد الرحمن أفندى على مدرس العلوم المطبقة بمدرسة المدفعية وحسين أفندى مدرس العلوم الرياضية بمدرسة الفرسان وعثمان أفندى مدرس اللغة التركية بالمدرسة التجهيزية والشيخ أحمد المرصفى مدرس اللغة العربية بمدرسة المبتديان وأحد مدرسى المهندسخانة ومسيو كيونيو مدرس الفرنسية بمدرسة المشاة ويكون سكرتيرا للمجلس .

ويرأس مجلس المعارف ميرشير بك ناظر المدارس الحربية . (المادة الأولى) .
وينعقد المجلس بدعوة من رئيسه مرة على الأقل فى كل شهر (المادة الثانية)
ويكون من اختصاص المجلس :

١ - وضع « جداول الدروس وأصول التعليم والتدريس » وتحديد الشروط التى ينبغى توافرها للنقل من فرقة إلى أخرى أو من مدرسة إلى أخرى أو للتعيين فى وظائف الحكومة .

٢ - إجراء التعديلات فى هذه الجداول « كلما زادت درجات التقدم » .

٣ - اقتراح « المكافآت والتشويقات » لمدرسى المدارس وضباطها .

٤ - تحقيق الشكايات « الجسمية » التى توجه ضد المدرسين والضباط .

ويرفع المجلس قراراته إلى مدير ديوان المدارس وله الرأى النهائى .

وللمجلس أن يدعو من يرى ضرورة لدعوته من مدرسى المدارس وضباطها

« لأجل الاستشارة » (المادة الثالثة) . وتحرر « مضبطة بالمذاكرات التى تحصل فى كل

مجلس وتعرض صورتها في الحال على المدير « (المادة الرابعة) ، وللمجلس أن يشكل من أعضائه لجانا للتفتيش عن الدروس وطرق التدريس وملاحظة تنفيذ جداول الدروس المقررة .

وبدأ « مجلس المعارف » أو « مجلس الاستشارة » عمله : فطلب رئيسه دفاتر لقيده مضابطه وكتبت بعض التقارير باللغة الفرنسية ورفعت إلى شريف باشا (١) . وعقد المجلس لامتحان المدرسين المرشحين لتدريس الرسم واللغة الفرنسية (٢) وللتحقيق مع مدرّس اتهم بالرشوة (٣) ، ثم لم نعد نسمع بعد ذلك شيئاً عن هذا المجلس ، ويظهر أنه ألغى في أواخر عهد شريف باشا بديوان المدارس في سنة ١٨٦٨ .

قوميون المكاتب الأهلية:

وفي تلك الأثناء كان على مبارك باشا قد قدم لآخفته (لائحة رجب ١٢٨٤) لتنظيم المكاتب الأهلية فأمر الديوان بأن تعرض على « قومسيون » خاص من بعض كبار الموظفين والأعيان والعلماء . لدرس هذه اللائحة ورفع نتيجة بحثه إلى المجلس الخصوصي تمهيداً لاستصدار أمر الخديوي (٤) .

فهذا القومسيون إذن شكل لغرض خاص ينتهي بانتهائه .

(١) دفتر ٣٨٢ (مدارس عربي) ص ١١١ رقم ٥٨٨ من ناظر المدارس الحربية في

٢٠ ذى الحجة ١٢٨٢

(٢) دفتر ٣٩٣ (مدارس عربي) ص ٥٣ رقم ٥٩٦ إلى إدارة المدارس الحربية في ٥

ذى القعدة ١٢٨٣

(٣) دفتر ٣٨٩ (مدارس عربي) ص ٩٢ رقم ٧٧٧ إلى مدرسة الطوبجية في ١٨

ربيع الأول ١٢٨٤

(٤) انظر فيما سبق ص ٥١

ولكن على باشا مبارك رأى أن تنظيم المكاتب الأهلية يقتضى تشكيل « قومسيون » دائم بديوان المدارس لتعرض عليه جميع المسائل الخاصة بهذه المكاتب وأهمها تقارير المفتشين واقتراحاتهم . ولم نقف على أسماء أعضاء هذا القومسيون لنرى إذا كانوا هم أنفسهم أعضاء القومسيون الذى أقر لائحة رجب . ولكننا نقرأ فى إحدى الوثائق أن رفاعة بك عهد إليه — بالإضافة إلى عمله كناظر لقلم الترجمة — « برياسة مجلس المكاتب الأهلية المقضى انعقاده للنظر فى حال المدارس والمكاتب الأهلية وإدخالهم تحت رابطة حسنة كما مرغوب الخديوى » . ولذلك طلب إليه مدير الديوان أن يحضر فى كل يوم إلى مقر عمله بالديوان (١) .

مجلس المعارف الأعلى

وأبطل قومسيون أو مجلس المكاتب الأهلية . ويسدو أن ديوان المدارس قنع بتنظيم التفتيش ونظارة الدروس . حتى إذا كانت سنة ١٨٨٠ اقترح على باشا إبراهيم ناظر المعارف فى ذلك الوقت فى مذكرته إلى مجلس النظار إنشاء مجلس أعلى للمعارف . ولما شكل « قومسيون تنظيم المعارف » فى سنة ١٨٨٠ كان من أهم مقترحاته (٢) إنشاء « مجلس استشارة » لإعطاء رأيه فى كل المسائل الخاصة بتحسين المدارس ، واقترح أن يشكل من ناظر المعارف رئيساً و ١٥ عضواً : وكيل الديوان ومفتش المدارس والمكاتب وأربعة أعضاء يختارون من مصالح الحكومة وعضو وطنى « من أرباب المعارف » (Lettre) ونظار المدارس الخصوصية الخمس وعضوان من هيئة التدريس ، وتقيد مداولاتهم فى دفتر خاص . ولناظر المعارف أن يشكل من أعضاء هذا المجلس

(١) دفتر ١٤ (مدارس عربى) ص ١٦٠ رقم ٥٠ إلى ناظر قلم الترجمة فى ٩ رجب ١٢٨٥

(٢) تقرير القومسيون ص ٥٥ — ٥٦

لجاناً لدرس بعض المسائل ، وترفع قراراتها إلى مجلس المعارف ، وكان قومسيون سنة ١٨٨٠ يعلق على إنشاء مجلس المعارف أملاً كبيراً .

وأقرت نظارة المعارف ومجلس النظار اقتراح قومسيون تنظيم المعارف ، فصدر الأمر العالي (١) بتشكيل مجلس المعارف الأعلى في ٢٨ مارس ١٨٨١ (٢٨ ربيع الثاني ١٢٩٨) من ناظر المعارف رئيساً وعضوية (٢) :

على باشا مبارك	ناظر الأشغال
حسين باشا خرى	ناظر الحقانية
مستر موني (Money)	مدير صندوق الدين
مستر ليرون (Liron d'Airioules)	السكرتير العام للبراقبة
الجنرال ستون باشا (Stone)	رئيس عموم أركان الحرب
عبد الله باشا فكري	وكيل المعارف العمومية
لارمى باشا (Larmée)	ناظر المدارس الحربية
الدكتور سالم باشا سالم	رئيس مجلس الصحة العمومية
مسيو جاستون ماسبيرو	مدير الانتكخانة المصرية
مسيو جلياردو بك	ناظر المدرسة الطبية
مسيو موجيل (Mougel)	ناظر مدرسة المعلمين
إسماعيل بك الفلصكى	ناظر مدرسة المهندسخانة
روچرس بك (Rogers)	مدير أملاك الميرى الحرة

(١) تجد نص القرار في قاموس الادارة والقضاء لفيليب بك جلاذج ٤ ص ٤٩٢

(٢) أمين باشا سامى : التعليم في مصر ص ٤٤ — ٤٥

ناظر مدرسة الحقوق	فيدال بك (Vidal)
ناظر مدرسة الفنون والصنائع	جيجون بك (Guigon)
ناظر المكتبخانة الخديوية	اسبيتا بك (Spitta)
ناظر المدرسة العالية	مسيو مونتان (Montant)
ناظر المدرسة التجهيزية	صادق بك شنن
وكيل المدرسة الطبية	الدكتور عثمان بك غالب
رئيس تحرير الجرنال الرسمى (الوقائع المصرية)	الشيخ محمد عبده
عالم	الشيخ زين المرصفي
مدرس بمدرسة الحقوق	الشيخ حسونه النواوى
مدرس بمدرسة الألسن (١)	مسيو برنارد (Bernard)

ونصت اللائحة على أن مجلس المعارف يقدم رأيه فى مشروعات القوانين واللوائح الخاصة بالتعليم وفى فتح مدارس جديدة ومنح الإعانات المالية للمدارس غير الأميرية وترقيات المعلمين (المادة الثانية) . ويعرض ناظر المعارف عن المجلس الميزانية السنوية للمعارف ثم يرفعها إلى مجلس النظر مشفوعة برأى المجلس (المادة الثالثة) . وللمجلس أن يندب بعض أعضائه لتحقيق مسائل أو للتفتيش على المدارس الأميرية والحررة التى تأخذ إعانات من المعارف (المادة الرابعة) . وينشر المجلس تقريراً سنوياً عن حالة التعليم (المادة الخامسة) . وينعقد المجلس بدعوة من ناظر المعارف

(١) لا نجد فى القرار ذكر الأعضاء الذين ذكر سر هنك باشا (حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٨٠) أن مجلس المعارف كان مشكلاً منهم وهم إسماعيل أيوب باشا وقدرى باشا وحسين فهمى باشا ومحمود بك الفلايى وعلى بك فهمى .

مرة على الأقل في كل شهر (المادة السادسة) ، ولا تصح مداولات الأعضاء إلا إذا حضر تسعة منهم على الأقل ، وتكون قرارات المجلس بأغلبية أعضائه (المادة السابعة) .
وعقد مجلس المعارف الأعلى أولى جلساته في يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى ١٢٩٨ (٤ ابريل ١٨٨١)^(١) . ويبدو أن حوادث الثورة والاحتلال في سنة ١٨٨٢ أوقفت اجتماعات المجلس ، ولم يبد نظار المعارف ميلا إلى إحيائه . والتقارير التي بدأت نظارة المعارف تصدرها من سنة ١٨٨٥ ليس فيها أية إشارة إلى مجلس المعارف الأعلى .

مجالس التحسينات بالمدارس

ومن الأمور التي نفذتها الحكومة أيضاً من مقترحات قومسيون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ إنشاء « مجالس التحسين » . اقترح القومسيون إنشاء « مجالس تحسين Conseil de perfectionnement » بكل مدرسة من المدارس التجهيزية والخصوصية يرأسه ناظر المدرسة وأعضاؤه يتراوح عددهم بين خمسة والعشرة ويكونون إما من مدرسي المدرسة أو من غيرهم من ذوى الخبرة ، ويعينهم ناظر الديوان بناء على اقتراح ناظر المدرسة . وتحرر مداولات المجالس في دفتر خاص يحفظ لدى ناظر المدرسة وترسل صور من محاضر المجالس إلى ناظر المعارف ومجلس المعارف الأعلى لينظرا في اقتراحات مجلس التحسين .

صدر « منشور » نظارة المعارف بإنشاء « مجالس التحسين » وتعيين اختصاصاتها في ٢٩ ربيع الأول ١٢٩٨ (فبراير ١٨٨١)^(٢) .

(١) أمين باشا سامى : التعليم في مصر ص ٤٥

(٢) انظر هذا المنشور في قاموس الادارة والقضاء ج ٤ ص ٢٩١

وقد خشيت النظارة أن يؤدي إنشاء هذه المجالس إلى عرقلة سلطة نظار المدارس ، فنصت في صدر (المنشور) على أن « المقصد الأصلي من مجالس التحسين هو التروى والمشاورة ومساعدة نظار المدارس بالآراء الصائبة بدون أن يحصل أدنى إعاقة في سلطتهم » ، وينعقد المجلس مرة واحدة في كل شهر بدعوة من ناظر المدرسة ، وله أن يدعوهُ إلى اجتماع آخر إذا جد ما يدعو إلى ذلك ، وناظر المدرسة يرأس جلسات المجلس وينظم مداولاته ويرسل القرارات إلى النظارة ، « ومن خصوص المواد المتعلقة بالتعليم الخصوصي كاللغة العربية واللغات الأجنبية وعلوم الرياضة والطبيعة والشرائع والطب فلا يستشار فيها إلا الخوجات المختصة بها » .

الهيئات الفنية بالديوان

التفتيش

في أواخر سنة ١٢٨٤ (١٨٦٨) — وقد أنشئت مدارس عدة ووضعت لائحة رجب ١٢٨٤ — بدت الحاجة ماسة إلى إنشاء تفتيش منظم على المدارس الملكية والمكاتب الأهلية . وكان على باشا مبارك قد عين مديرا لديوان المدارس ، فاستصدر من الخديو في إبريل ١٨٦٨ أمرا بتعيين زميله القديم في مدرسة المهندسخانة وفي مدرسة منز بفرنسا « حماد بك عبد العاطي » مفتشا على المدارس الملكية . وكان حماد بك يعمل في ذلك الوقت بمحافظة قناة السويس فخل محله فيها زميلهما الثالث على بك إبراهيم ^(١) .

وبدأ حماد بك عمله ، ولم يقصره على المدارس الملكية وإنما كان يزور المكاتب

(١) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربي) ص ٥ رقم ٤٧٧ إلى كتاب الحسابات في ٢٩

الأهلية ويمتحن تلامذتها ويقرر لمدير الديوان عن حالتها (١).
وفي لائحة رجب أشير بتعيين مفتشين عامين برتبة الصاغقول أغاسى أحدهما للوجه
البحرى والآخر للوجه القبلى ويعاون كلا منهما معاونان برتبة اليوزباشى . وعقب
صدور اللائحة عين — بناء على اقتراح حماد بك — البكباشى على أفندى فرحات
مفتشا لمدارس الوجه البحرى والصاغقول أغاسى محمد أفندى سليمان مفتشا
لمدارس الوجه القبلى (٢).

وبدأ المفتشون عملهم فى زيارة المكاتب والتفتيش عن أحوالها ومعلميها
وأبنيتها ، وكان ديوان المدارس يكتب إلى الجهات الإدارية لتعاون مفتشيه فى أداء
مهمتهم وتنفيذ ما يقترحونه من إلغاء بعض المكاتب أو إصلاح بعضها الآخر (٣).

وفى رجب ١٢٨٥ (سبتمبر ١٨٦٨) عين حماد بك عبد العاطى مدرسا للأمير
محمد باشا توفيق (٤) . ولما كان « من اللزوم وجود من يقوم مقامه لملاحظة
ومناظرة الإجراءات الخيرية المقتضى إجراها بالمكاتب الأهلية » رأى على باشا
مبارك أن يعهد بهذا العمل إلى إسماعيل بك محمد علاوة على عمله فى نظارة قلم الهندسة

(١) دفتر ٤١١ (مدارس عربى) ص ٧٢ من حماد بك مفتش المدارس الملكية فى
١١ المحرم ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٦٣٥ إلى حماد بك مفتش المدارس
الملكية فى ١٥ ربيع الثانى ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١٢٦ رقم ٤٠ إلى مديرية الغربية فى ٢٠
جمادى الأولى ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٥١ رقم ٤١ إلى كتاب الحسابات فى رجب ١٢٨٥

وعلى مفتشى المكاتب أن يرجعوا إليه في شؤونهم^(١). ثم صدر الأمر بتعيين إسماعيل بك وكيلا لديوان المدارس — كما مر بنا — ولكن ديوان الأشغال احتفظ به.

وأخذ (التفتيش) في الاتساع، فعين معاونون الآتية أسماؤهم:

حسين أفندي شكيب: وكان خاليا من الخدمة^(٢)، ثم نقل معاونا بالأوقاف^(٣).
محمد أفندي فتحى: وكان معاونا بتفتيش المكاتب بالوجه البحرى^(٤)، ثم نقل معاونا بأوقاف الجيزة وعهد إليه أيضا بالتفتيش عن مكاتبها^(٥).
عبد اللطيف أفندي أحمد^(٦): وكان قبل ذلك مدرسا بالمدرسة التجهيزية، وبعد أن ظل بالتفتيش زمنا نقل إلى الدائرة السنية^(٧).
حسن أفندي أبو طالب: كان معاونا بالأوقاف فمفتشا لمكاتب الوجه القبلى بدلا من محمد أفندي سليمان الذى نقل إلى ديوان الأوقاف^(٨).

(١) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٦٠ رقم ٥٨ إلى ناظر قلم الهندسة
فى ٩ رجب ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٧٥ إلى المالية فى ١٩ رجب ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٢٣ (مدارس عربى) ص ٤ رقم ٤٤ من الأوقاف فى ٣ جمادى الاولى ١٢٨٦

(٤) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ٥ إلى مديرية الدقهلية فى ٧ ذى القعدة ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤٥١ (مدارس عربى) ص ١١٣ رقم ١٧٩ إلى الأوقاف فى ٢ رجب ١٢٨٩

(٦) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٨٣ رقم ٢٦ الى مديرية المنوفية فى ٢٣

ربيع الأول ١٢٨٧

(٧) دفتر ٤٣٥ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ٢ الى الدائرة السنية

فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨٧

(٨) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربى) ص ٣٨ رقم ٢٧ من الأوقاف فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٨٥

على أفندى طلعت : عين مفتشا لمكاتب الوجه القبلي (١) .

وعهد إلى أحمد أفندى خليل المدرس بمدرسة الإسكندرية التفتيش على المكاتب الأهلية بالثغر (٢) ، ثم أضيف إليه « تفتيش نظافة ومناظرة كرايس التلامذة ودروسهم » بمدرسة الإسكندرية (٣) .

وفي مارس ١٨٧١ شكل ديوان المكاتب الأهلية . وجاء في (ترتيبه) أن يعين للتفتيش على المكاتب مفتشان أحدهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى وأن يكون أحدهما ملماً بأصول التربية ، وأن يعين بالديوان معاونان يقومان بنسخ الكتب التى تترجم أو تؤلف قبل طبعها وبالتفتيش على مكاتب القاهرة والمديريات (٤) . ومن معاونى ديوان المكاتب الأهلية محمد أفندى أبو الخير ، ثم نقل مدرساً للرياضة بمدرسة بنها (٥) .

وفي ٢٩ مارس سنة ١٨٧٣ (غرة صفر ١٢٩٠) عين مسيو دور « بوظيفة مفتش الدروس والتربية ومباشرة كيفية التعليمات بالمدارس » أو بعبارة أخرى « مفتشا عاما للمدارس الملكية والمكاتب الأهلية » بمرتب ١٨ ألف فرنك فى السنة ، « وله قلم

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٩١ رقم ١٢٤ الى على أفندى طلعت مفتش مكاتب الوجه القبلى

(٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٣١ رقم ١٥١ الى مدرسة الاسكندرية فى ٨ ربيع الأول ١٢٨٧

(٣) دفتر ٤٣٥ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٣ الى مدرسة الاسكندرية فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٨٧

(٤) دفتر ٤٤٦ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٩٨ من المعية السنية فى غرة المحرم ١٢٨٨

(٥) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص ١٧ رقم ٩٦ الى مدرسة بنها فى ٥ ربيع الأول ١٢٨٩

مخصوص « (١) . وبذلك دخل التفتيش في طور منظم .
وبعد ذلك بنحو شهر صدر الأمر بتنظيم هذا « القلم المخصوص » بعد أن ألحق به
المفتشون والمعاونون الذين كانوا يعملون بديوان المكاتب الأهلية (٢) .
وقد بلغ عدد موظفي قلم التفتيش اثني عشر موظفاً بين مفتشين ومعاونين وكتبة
ومترجمين وخدم .

وجعلت ميزانية قلم التفتيش — وقد بلغت ٩٦ جنيهاً في الشهر — من إيرادات
المكاتب الأهلية ، وهي خارجة عن ميزانية ديوان المدارس (٣) .
وعين حسن افندي أبو طالب وإبراهيم افندي رفعت معاونين بالتفتيش ، ثم حل
محلها صالح افندي فيضى من موظفي هندسة الري وحسين افندي رشدى كاتب تحريرات
قلم التفتيش . وعين أحمد افندي محمد كاتباً للتحريرات (٤) . وكان عبد اللطيف افندي محمد
معاوناً بالتفتيش (٥) ومحمد افندي عاكف معاوناً أول (٦) ، وفي سنة ١٨٧٨ كان أمين

-
- (١) دفتر سنة ١٥٨٩ (إيرادات للمدارس) ص ٥ رقم ٧ أمر الى ديوان المدارس
في غرة صفر ١٢٩٠
- (٢) دفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ٢٥ الى المعية السنية في ١٠ ربيع الأول ١٢٩٠
ومحظظة ٤ (مدارس) رقم ٢١٩ الى ناظر الاشغال والمعارف والاقواف في
١٦ ربيع الأول ١٢٩٠
- (٣) دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ٧٦ رقم ٤ الى المجلس الخصوصى في ٢١
شعبان ١٢٩٠
- (٤) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربى) ص ٥٢ رقم ٢٤ من تفتيش المدارس والمكاتب
في ٤ شوال ١٢٩٠
- (٥) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٩٥ رقم ١٨٥ الى مديرية إسنا في ٢٦ شوال ١٢٩٠
- (٦) دفتر ٤٦٨ (مدارس عربى) ص ٥٥ رقم ١٣٤ الى ديوان الاوقاف في ٢٠ المحرم ١٢٩١

أفندى سامى (باشا فيما بعد) مفتشا بالمدارس ، وكان يرفع تقاريره إلى دور بك^(١) . وكان رجال التفتيش يزورون المكاتب ويقيدون عدد تلامذتها وفقهاؤها وعرفائها وأسماءهم ويصدرون الأوامر لإصلاح ما يحتاج منها إلى الإصلاح ، وكانت ثمرة هذه الجهود الشاقة الإحصاء العام الذى صدر فى سنة ١٨٧٥^(٢) .

أما دور بك — وقد منح الرتبة الثانية فى ٧ شوال ١٢٩١ (نوفبر ١٨٧٤)^(٣) — فقد كان دخوله فى خدمة الحكومة المصرية ورياسته تفتيش المدارس فاتحة نهضة إصلاحية قوية فى التعليم تزعمها رياض باشا مدير المدارس فى ذلك الحين ، وقد درسنا فى موضع سابق هذه النهضة وأهدافها . ونكتفى هنا بأن نذكر أن دور قد اشترك اشتراكا جديدا فى وضع اللوائح ومناهج الدراسة التى صدرت فى أوائل سنة ١٨٧٤ ، ونرى اسمه ماثلا فى جميع اللجان التى عهد إليها وضع هذه المناهج ، وقد اشترك دور أيضا فى نهضة التأليف

(١) وبعض هذه التقارير فى مجموعة أوراق أمين باشا سامى بمتحف التعليم .

(٢) Minist. de l'Inst. Publique. Statistique des Ecoles Civiles. 1875.

وصدر بالعربية أيضا : نتيجة إحصائية عمومية للمدارس والمكاتب بالقطر المصرى عن سنة ١٢٩٢ هـ لالية (مطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٩٢ هـ) .

(٣) دفتر سنة ١٢٩١ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٣ أمر الى مدير المدارس فى ٧ شوال ١٢٩١ ، وفى يناير ١٨٧٥ رفع مرتب دور بك الى ألف جنيه انجليزى فى السنة ، دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ٣٠ رقم ١٩٦ الى كتاب الحسابات فى ١٣ صفر ١٢٩٢ . وقد أمر الخديو بأن يصرف له فى كل شهر ٢٠ جنيه انجليزيا من دائرة الحرم الثالثة للخديو . دفتر ٢ (أوامر) ص ٥٩ رقم ١٢٩ أمر فى ٧ صفر ١٢٩٢ . وفى غاية صفر ١٢٩٤ (مارس ١٨٧٧) منح دور بك رتبة المتمايز - دفتر سنة ١٨٧٧ (إرادات للمدارس) ص ١ رقم ٤ أمر الى ديوان المدارس فى غاية صفر ١٢٩٤

المدرسى ، إذ وضع كتابا فى اللغة الألمانية للتلاميذة الذين كانوا يدرسون هذه اللغة بالمدارس والمكاتب^(١).

وكان دور وثيق الصلة بالخدو ، يرفع إليه التقارير من وقت إلى آخر . وفى سنة ١٨٧٤ أمضى دور بك فى أوروبا مستشفيا ثلاثة أشهر شغل فيها بالتفتيش عن شئون الطلبة المصريين الذين يطلبون العلم فى أوروبا^(٢).

وكان دور بك ينهض بهذه الواجبات المتعددة مناضلا العقبات الكثيرة القائمة فى طريقة ، ولم يفقد شجاعته وإيمانه قط ، « والموت وحده — كما قال رئيسه وصديقه رياض — هو الذى استطاع أن يحطم هذه الإرادة الصلبة التى لا تقهر »^(٣).

ولكن هذه العقبات استطاعت أن تحمل ثابت باشا ناظر المعارف على فصل دور بك من وظيفته وإلغاء التفتيش فى ابريل ١٨٧٩ . ولكن دور ما لبث أن عاد إلى منصبه فى ٤ نوفمبر من هذه السنة^(٤) ، وكان على إبراهيم باشا فى ذلك الحين ناظراً للمعارف ورياض باشا ناظراً للنظار . عاد دور بك وكانت حركة الإصلاح الخطيرة التى شهدتها نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٠ تنتظره ليدها بعظيم كفايته وخبرته ونشاطه . وقد رأيت الدور الخطير الذى ساهم به دور فى هذه الحركة التى مات

(١) دفتر ٤٧٥ (مدارس عربى) ص ٩٨ رقم ٨٥ : من تفتيش المدارس فى ١٥ المحرم ١٢٩١

(٢) دفتر ٤٧٠ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ٢٥ الى المعية السنية فى ١٠

جمادى الأولى ١٢٩١

Riaz Pacha, Eolge de Dor Bey (Bull. Soc. Khédiviale de Géographie. (٣)
1er Série, nos. 9-10.)

(٤) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ٣٤ — ٣٦

قبل أن يشهد ثمرتها . « وبموت دور بك مات التفتيش معه تقريرا فعاد الحال إلى ما كان عليه قبل تنظيمه له ، فإن المفتشين الذين تهذبوا على يديه بشق الأنفس خرجوا من وظائفهم وتشدت أيدى سببا في مصالح الحكومة بحيث أصبح التفتيش اسما ليس إلا » . (١)

إدارة المدارس الملكية

بدأ إنشاؤها في نوفمبر سنة ١٨٦٧ حين عهد ناظر المعارف على باشا مبارك إلى ناظر مدرسة المبتديان إسماعيل بك زهدى « المرور على مدارس التجهيزية والمهندسخانة والطب البيطرى والإدارة والألسن وملاحظة نظافة محلاتها ومأكولات ومشروبات التلامذة ودوام المرور عليها » . (٢)

ومن واجبات الإدارة أن ترسل إلى الديوان فى كل يوم « يومية » توضح فيها عدد تلامذة المدارس الغائب منهم والحاضر والمريض بالمستشفى الخ . والمعلمين ودروسهم الخ . أى « تكون محتوية كل ما يتعلق بأشغال المدارس » (٣) .

وجعل للإدارة (مخزن) تودع به (تعيينات) التلاميذ وأدواتهم الدراسية وملابسهم الخ ..

(١) يعقوب أرئين باشا : القول التام ص ١١٣

(٢) دفتر ٤٠٥ (مدارس عربى) ص ١٠٦ رقم ٦٠ إلى المبتديان فى ٥ رجب ١٢٨٤

(٣) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١٧٨ رقم ٦٨١ إلى إدارة المدارس الملكية فى

٤ جمادى الأولى ١٢٨٥

وكان يعهد إلى مأمور الإدارة أحيانا باجراء التحقيق في بعض المسائل التي تقع بالمدارس. (١)

وفي مايو ١٨٦٩ عين إسماعيل بك زهدى وكيلا لديوان المدارس بالإضافة إلى عمله كمأمور لإدارة المدارس الملكية وناظر مدرسة المبتديان ، وفي الوقت نفسه عين السيد صالح مجدى (أفندى) — وكان مترجما بقلم المدارس ومن المقررين إلى على باشا مبارك — وكيلا لإدارة المدارس الملكية (٢) . وفي العام التالى عين مجدى مأموراً للإدارة ، ثم منح الرتبة الثانية بناء على التماس على مبارك باشا لأنه قائم بعمله خير قيام كمأمور « إدارة المدارس الملكية ومناظر دروسها العربية ولغاتها الأجنبية مع اهتمامه بترجمة الكتب والمواد العائدة على الوطن بالمنفعة » (٣) . وذكر على باشا مبارك أن مجدى كان يجمع بين مأمورية إدارة المدارس الملكية ونظارة دروس المدارس (٤) .

ولما تولى بهجت باشا نظارة ديوان المدارس أبقى إدارة المدارس الملكية ولكنه ألغى « التحريرات » الخاصة بها وأحال « أشغالها على تحريرات ديوان

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٨٥ رقم ٥١٥ الى إدارة المدارس الملكية فى ٧ ذى الحجة ١٢٨٥

(٢) دفتر ٥٧٣ (معية تركى) ص ١٧٣ أمر الى مدير المدارس فى ٥ صفر ١٢٨٦ ، الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٣) دفتر ٤٣٨ (مدارس عربى) ص ٦٣ رقم ١٩ الى المعية السنية فى غرة ربيع الثانى ١٢٨٨ ودفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ١٨٦ رقم ٣ أمر الى ديوان المدارس فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٤) الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

عموم المدارس» (١).

وفي عهد نظارة مصطفى رياض باشا للبعارف أمر بإلغاء إدارة المدارس الملكية في نوفمبر ١٨٧٣ وفصل مأمورها السيد صالح مجدى بك (٢)، وبعد عامين عين مجدى بك قاضيا بمحكمة مصر المختلطة ومات في سنة ١٨٨١ (٣).

نظارة دروس المدارس

أنشأ هذه الوظيفة أيضا على باشا مبارك في سنة ١٨٦٨، وعهد بها إلى إسماعيل بك الفلكي «ناظر التجهيزية وما معها» (٤): أى مدارس المهندسخانة والإدارة والألسن والمساحة والمحاسبة وفرقة الرسم وفرقة التأليف الخ... وكان الغرض من إنشائها أن يشرف صاحبها على سير الدراسة بالمدارس أى الناحية الفنية من التعليم. ويلخص عمله في الإشراف على «ترتيب دروس المدارس جميعها وملاحظتها وتمشيته بأوقاتها

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٩٠ رقم ١٨٤ إلى إدارة المدارس الملكية فى ٥

شوال ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٦٤ رقم ٨٤ إلى المسالية فى ١١ شوال ١٢٩٠

(٣) جورجى زيدان: مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٦٤

وعند ما عاد على باشا مبارك إلى نظارة المعارف فى سنة ١٨٨٨ جدد وظيفة مأمور إدارة المدارس وعهد بها إلى مسيو مونتان «ناظر المدرسة العليا سابقا» — أمين باشا سامى: التعليم فى مصر ص ٦٣

(٤) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ١٨٩ رقم ٢٣٢ إلى ناظر التجهيزية وما معها فى

٨ شوال ١٢٨٥

وملاحظة إلحاقها من الخوجات وما يماثل ذلك»^(١) ولهذا كان يعهد إلى « ناظر الدروس » بوضع جداول الدروس وفحص تقارير امتحانات المدارس ، وأمر المدير أن لا يصرف شيء من أدوات التعليم إلا بإذن الناظر^(٢) ، وأحيلت إليه إدارة مطبعة المدارس الملكية للإشراف على طبع الكتب المدرسية بها وتوزيعها في الوقت المناسب^(٣) .

وفي سبتمبر ١٨٦٩ رأى على مبارك باشا أن أعمال إسماعيل بك الفلكي بالرصدخانه تحول دون تفرغه لمنصبه كناظر لدروس المدارس فأحل محله إسماعيل (بك) محمد ناظر قلم الهندسة بديوان الأشغال العمومية^(٤) ، ثم خلفه السيد صالح مجدى بك حتى فصل من ديوان المدارس في نوفمبر ١٨٧٣ .

وفي أكتوبر ١٨٧٩ عين على باشا مبارك مسيو « جرانيه » مدرس الخط الأوروبي بالمدارس ملاحظاً « لأجل ملاحظة سير وحركات الضباط والمعيدين مع مناظرة دفاتر أوقات الخوجات وقيد أخلاق التلامذة وزيادة الاعتناء في ضبط وربط التلامذة بالمدارس المذكورة وملاحظة ملبوساتهم ونظافتهم ليكونوا موجودين بقيافة حسنة وتكون المدارس في الوضع والقالب الحسن كما هو المطلوب والمرغوب»^(٥) .

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٢٤٥ إلى ناظر التجيزية وما م م م في ١٧ — ١٩ شوال ١٢٨٥

(٢) الوثيقة السابقة ، ص ٢٤ رقم ٥٥ في ٢٥ شوال ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٦٩ رقم ٢٦٨ إلى ناظر التجيزية وما م م م في ٣ ذى القعدة ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ٣ إلى ديوان الاشغال العمومية في ٧ جمادى الآخر ١٢٨٦

(٥) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١٦٧ رقم ١٣٤ إلى إدارة المدارس الملكية في ٢٠ رجب ١٢٦

معاونو الديوان

بدأ تعيين معاونين لديوان المدارس منذ إنشائه في عهد محمد علي ، واستمرت وظائفهم في عهد عباس^(١) . وأخذت مهام معاونين تنحصر في الشؤون الإدارية البحتة وأخصها شراء الأدوات والمواد اللازمة للمدارس والأبنية وتحقيق بعض القضايا وجرد المخازن وحمل النقود إلى المدارس . فهم الهيئة (الإدارية) بالديوان^(٢) .
ويبدو أن وظائف معاوني الديوان ألغيت ، فانا لا نسمع عنهم شيئاً بعد سنة ١٨٧٠ .

أقلام الديوان

كان « يوسف أفندي رحى » أول موظف « كتابي » عين بالديوان ، عين « كاتب تحريرات ديوان تركي ومقيد ومبيض ومترجم »^(٣) ، ثم عين « ناظر تحريرات تركي

-
- (١) تاريخ التعليم في عصر عباس وسعيد للؤلف ص ٤٤ — ٤٥
(٢) ومن معاوني ديوان المدارس في عهد إسماعيل : حسن أفندي ، صالح حسين أفندي صدقي ، أحمد أفندي بسيم ، حسن أفندي وفائي ، إبراهيم أفندي مقامى ، محمد أفندي أمين ، عثمان أفندي رأفت ، إسماعيل أفندي صالح : محفظة ٣١ (معية تركي) رقم ١٩٠ من شريف باشا إلى المعية في ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٠ ، دفتر ٣٨٧ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ٣٢٧ إلى محمد أمين معاون بالديوان في ٢٦ شوال ١٢٨٤ ، دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٦ رقم ٣٥٠ إلى كتاب الحسابات في ٤ شوال ١٢٨٤ ، دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١٠١ رقم ١٥٣ إلى تفتيش وجه بحرى في ٩ شوال ١٢٨٧
(٣) محفظة ٣٠ (معية تركي) رقم ١٩٠ من محمد شريف باشا إلى المعية في ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٠

وعربي» (١)، وكان يعدُّ من كبار موظفي الديوان .

وبدأ العمل الكتّابي بالديوان يتعقد ، فقسم قسمين أو قلّين (٢) :

١ — القسم التركي : يتألف من ثلاثة موظفين : كاتب تركي ومبيض ، مقيد للصادر والوارد ، مبيض .

٢ — القسم العربي : ويرأسه باشكاتب ويعاونه كاتبان للتحريرات وكاتبان للصادر والوارد وكاتبان لورشة الصنف والعهد والزمام وشطب الحسابات وكاتبان ليومية الخضم والإضافة والاستحقاقات .

ثم هناك صراف الديوان وكاتب ومخزنجي للكتبخانة العربية الملحقة بالديوان وعدد من (البلطجية) أى (السعاة) والقواسمة والخدم . وكلها ازدادت فروع الديوان ازداد التعقد في أعماله .

ففي سنة ١٨٧٢ — كانت الأعمال الكتّابية والحسابية موزعة على (ورش) ورشة الحسابات وورشة اليومية وورشة الاستحقاقات وورشة الصنف والعهد وورشة التحريرات وقلم الإدارة (٣) .

وعدا هذه (الأقلام) و (الورش) كان يتبع الديوان أقلام كبيرة : وهى قلم الوقائع وقلم الترجمة وقلم الروضة والمطبوعات .

(١) محفظة ٣١ (معية تركي) رقم ١٩٠ من محمد شريف باشا إلى الجمعية في ١٤ ربيع الثاني ١٢٨٠

(٢) الوثيقة ٣٥٩ (مدارس عربي) ص ١٥١ في ذى الحجة ١٢٨١

(٣) ميزانية عن ماهيات ومصروفات ديوان المدارس وفروعه سنة ١٢٧٩ — جزء أول قيد الترايب بالمجلس الخصوصي سنة ١٥٨٩

قلم الوقائع^(١)

عقب تولى إسماعيل حكم مصر بأيام أصدر أمره — في ٧ شعبان ١٢٧٩ — بأن يعطى (عبد الرحمن رشدى بك) مدير سفن الوجه البحرى التزام نشر الوقائع لنشر الحوادث المصرية والأجنبية، من غير أن يكون للحكومة مدخل فى هذا، وقبلت الحكومة التماسه فنقلت إلى (قلم الوقائع)، الذى شكله أحمد راسخ افندى ومصطفى رسمى افندى وكانا يعملان قبل ذلك فى تحرير الوقائع^(٢)، وأمرت دوائر الحكومة بأن تزود بالأخبار الهامة فى كل يوم^(٣)، وكذلك أعطى عبد الرحمن بك رشدى التزام مطبعة بولاق. ثم نزعته منه المطبعة وجعلت تابعة للدائرة السنية، أما قلم الوقائع فألحق بديوان المدارس من مارس ١٨٦٥^(٤).

وكان قلم الوقائع فى ذلك الوقت يتكون من محرر للوقائع ومترجم (هما راسخ ورسمى) ومأمور للتوزيع ومساعداه وبلطجيين.

وظلت مطبعة بولاق قائمة على طبع الوقائع، وكانت تطبع منها فى ذلك الوقت فى

(١) لايعنيها هنا أن نتكلم على (صحيفة) الوقائع المصرية، وإنما نقصر حديثنا على (قلم) الوقائع كقلم من أقلام الديوان.

(٢) دفتر ٥٢٥ (معية تركى) ص ٤٠ أمر إلى أحمد رشيد بك ناظر المسالية فى ٧ شعبان ١٢٧٩

(٣) محفظة ٢٩ (معية تركى) رقم ٤٤٤ من عبد الرحمن بك مدير الواهورات الميرية إلى المعية فى ١٩ شعبان ١٢٧٩

(٤) دفتر سنة ١٥٨١ (إرادات للمدارس) ص ٤ رقم ٩ أمر إلى ديوان المدارس فى ٩ ذى القعدة ١٢٨١

كل أسبوع ٥٢ (وقیعة) تركية و ٩٨ (وقیعة) عربية ، ثم أخذت تطبع ٩٩ (وقیعة) تركية و ٤٨ (وقیعة) عربية ^(١) .

ویشرف دیوان المدارس على توزيع الوقائع وتحصيل أثمانها ^(٢) ، ويخصم من ميزانيته الفرق الناتج من زيادة تكاليف طبعا عن ثمن بيعها ^(٣) .

وفي نوفمبر سنة ١٨٦٥ وضع شريف باشا وخیری بك (ترتیباً) جدیداً لقلم الوقائع زیدت به ميزانيته من ٧,٧٠٠ قرش إلى ٩,٨٥٠ قرشاً في الشهر ، إذ عين به مترجم ثان ومحرر عربي أول (وهو الشيخ أحمد عبد الرحيم) ومحرر ثان ومبيض وموزع ، ووافق الخديو على هذا الترتيب وأمر بأن يقيد « قلم الوقائع مستقلاً » أى أن مرتبات موظفيه لا تؤخذ من ميزانية ديوان المدارس ، على أن تبقى الأعمال الحسائية والتوزيع وتدارك الورق والمهمات من اختصاص ديوان المدارس كما كانت قبلاً ^(٤) . ولهذا بقي قلم الوقائع مقيماً

(١) دفتر ٣٦٠ (مدارس عربي) ص ٢ رقم ٤٢ إلى مطبعة بولاق في ٩ المحرم ١٢٨٢
 (٢) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربي) ص ١٠٨ رقم ٢٩ في ٣ ذى الحجة ١٢٨١ ، رقم ٣١ في منه إلى مطبعة بولاق .

(٣) كانت الوقیعة التركية تباع بقرشين ونصف قرش والعربية بقرشين ، ولكنهما في مجموعهما كانت الوقیعة منها تتكلف ستة قروش ونصف قرش .

دفتر ٣٦٠ (مدارس عربي) ص ٥٦ رقم ٢٢٣ إلى المالية في غرة صفر ١٢٨٢ ، ص ١٨٦ رقم ٩٨٤ إلى كتاب الحسابات في ١٦ ربيع الثاني ١٢٨٢ . وكان الاشتراك السنوي في مصر ٨٥ قرشاً : دفتر ٣٨٩ (مدارس عربي) ص ٩٥ رقم ٧٨٢ إلى استباليات مصر في ٢٠ ربيع الأول ١٢٨٤ وفي السودان ١٢٠ قرشاً : دفتر ٣٧٢ (مدارس عربي) ص ١١١ رقم ٧٤٨ إلى حكامدار السودان في ٢٣ صفر ١٢٨٣

(٤) دفتر ٥٥٧ (معية تركي) ص ٣٩ أمر إلى ناظر المالية في ٣ رجب ١٢٨٢

يأحدى غرف الديوان^(١) ، إلى أن وضع ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤ (١٨٦٨) فأحىل قلم الوقائع بحساباته وأوراقه إلى المالية^(٢) .

قلم المترجم^(٣)

صح عزم حكومة إسماعيل على أن تنشئ بديوان المدارس قلبا للترجمة على مثال قلم الترجمة الذى كان ملحقا بديوان المدارس فى عهد محمد على ، وصح عزمها على أن تجعل على رأسه ناظره القديم رفاعه بك ، فعينت رفاعه بك رافع عقب إنشاء ديوان المدارس « رئيس قلم الترجمة وأرباب (أى عضواً) قومسيون »^(٤) بالرتبة التى كان يحملها (التمايز) والمرتب الذى كان يتقاضاه (٨٠ جنيهاً فى الشهر) عند ما فصل من خدمة الحكومة فى ٧ مارس ١٨٦١ وقت إلغاء المدرسة الحربية بالقلعة فى عهد سعيد^(٥) .

وكان إسماعيل يعنيه على الخصوص ترجمة القانون الفرنسى (Code) ، فأمر بتشكيل قلم الترجمة من الموظفين الآتية أسماؤهم على أن تكون إقامتهم بديوان المدارس أما مرتباتهم فتقيد بالمالية وهم :^(٦)

(١) دفتر ٣٧٠ (مدارس عربى) ص ٦٧ رقم ٢٨٧ إلى وكيل الديوان فى ٢٣

رجب ١٢٨٢

(٢) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٥٢ رقم ١٠٩ إلى المالية فى ١١ رمضان ١٢٨٤

(٣) لا يعيننا هنا أن نتكلم على (حركة) الترجمة فى عهد إسماعيل ولكننا نقصر

حديثنا على (قلم) الترجمة كقلم من أقلام ديوان المدارس .

(٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٩ رقم ١٣ إلى المالية فى ٩ شوال ١٢٧٩

(٥) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربى) ص ٢ رقم ٣٨٨ من الدفترخانة فى ١٣ رمضان ١٢٧٩

(٦) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربى) ص ١٣ رقم ٤ من المعية فى ١٣ رمضان ١٢٧٩

رئيس القلم : عبد الله بك السيد ، بالرتبة الثانية ، ووظيفته ملاحظة الترجمة وتصحيح ما يتم ترجمته والمشاركة في الترجمة .

مترجمون : السيد أفندي صالح مجدى ، بالرتبة الثالثة ، وكان يعمل بقلم الترجمة بالقلعة في عهد سعيد في ترجمة وطبع الكتب العسكرية (١) .

عبد الله أبو السعود أفندي : بالرتبة الثالثة ، وكان من المترجمين بقلم الترجمة في عهد محمد على

محمد قدرى أفندي : بالرتبة الرابعة .

محمد لاظ أفندي : بالرتبة الخامسة ، وكان يعمل في ترجمة الكتب العسكرية ثم عمل في ترجمة القانون المدنى .

ومبيضون : ومنهم محمد أفندي مذكور الذى عين بعد ذلك مدرسا للخط بالمدارس . أما رفاعة بك فجعل « ناظرآ » لقلم الترجمة (٢) . وعلى هذا النحو تسكون قلم الترجمة لأول مرة فى حكم إسماعيل ، واستقر فى إحدى غرف ديوان المدارس (٣) ، ونشط المترجمون ، وكانت باكورة أعمالهم « المقالة الأولى من قانون مدنى المشتمل على خمسمائة وخمسة عشر بنداً » ورفعت إلى الخديو بعد تصحيحها ومقابلتها (٤) .

وبدأ عمل قلم الترجمة يتسع وناء به مترجموه القليلون ، فطلب مترجمون آخرون

(١) الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٨٩ رقم ١١٦ إلى رفاعة بك فى ٢ ذى الحجة ١٢٧٩

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٠٨ رقم ٧٦ إلى المالية فى ١٦ ذى الحجة ١٢٧٩

(٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٣٥ رقم ٨ إلى المعية فى غرة المحرم ١٢٨٠

كانوا يعملون بدواوين أخرى ، ومنهم رمضان أفندى ومصطفى أفندى صفوت ، وكانا يعملان مترجمين بديوان الجهادية (١) .

ولكن قلم الترجمة ما لبث أن بدأ يضعف ، فقد نزع منه في سنة ١٨٦٤ المترجمان محمد لاظ وسيد مجدى والمبيضان محمد بهائى ومحمد أمين ونقلوا جميعا إلى المعية (٢) ، وكان بها قلم آخر للترجمة (٣) .

وفى ديسمبر ١٨٦٤ قيدت مرتبات الباقين من رجال قلم الترجمة بديوان المدارس ، فأصبحوا يتبعون إليه من الوجهتين الإدارية والمالية . وكان القلم فى ذلك الوقت يتألف من (٤) :

رئيس : هو عبد الله بك السيد .

ومترجمين : وهما أبو السعود أفندى ومحمد أفندى قدرى .

ومبيضين : وهما محمد أفندى راسم والشيخ على أبو الليل .

وخطاط : هو محمد أفندى فتح الباب ، وخادم ، ومجموع مرتباتهم فى الشهر

١١,٨٨٠ قرشا ، عدا رفاة بك رافع وقد عين لمعاونته فى الترجمة ولده (بدوى بك

فتحى) وكان قد تلقى علومه بالمدرسة الحربية وارتقى إلى رتبة اليوزباشى (٥) . وازداد

(١) دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ٧٠ رقم ٨٥ إلى الجهادية فى ٢١ ربيع الاول ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٦٦ (مدارس عربى) ص ٣٨ رقم ١٧ من المالية فى ٢٢ ربيع الثانى ١٢٨١

(٣) الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٤

(٤) دفتر ٣٦٦ (م-ارس عربى) ص ١٣٤ رقم ٨٧ من المالية فى غرة رجب ١٢٨١

(٥) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٧٨ رقم ٦٦٣ إلى كتاب الحسابات فى

٢٩ ذى الحجة ١٢٨١

قلم الترجمة ضعفاً، إذ نقل رئيسه عبد الله بك السيد إلى عضوية مجلس الأحكام^(١). وسعى ميرشير بك ناظر المدارس الحربية ليشكل قلماً خاصاً بترجمة الكتب العسكرية، ولكن ديوان المدارس أبى وأعلن عزمه على تدعيم قلم الترجمة بالمدارس، فأضاف إليه مترجما هو محمد أنسى افندى^(٢) (نجل عبد الله أبى السعود افندى). ولكن رفاة بك ما زال يشكو قلة المترجمين — وخاصة بعد أن أحيل عليه ترجمة الكتب العسكرية — فأرسل له الديوان (مبيضاً)^(٣) ثم أعاد إليه بعض المترجمين الذين كانوا نقلوا إلى المعية.

وفي ابريل ١٨٦٦ كان بالقلم من المترجمين أبو السعود افندى وقدرى افندى والسيد صالح مجدى افندى وحسن الجبيلى افندى، وكانوا يعملون فى ترجمة القوانين الفرنسية والدستور العثمانى والجريدة العسكرية وحسابات البعثة المصرية بباريس. وكان بالقلم محمد رشدى افندى وكان يعمل فى ترجمة كتاب رفاة بك فى تاريخ مصر إلى اللغة التركية^(٤).

-
- (١) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ٥ رقم ٣٠٥ إلى كتاب الحسابات فى ٥ رمضان ١٢٨١
- (٢) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٨٠ رقم ٦٧١ إلى كتاب الحسابات فى ٣ المحرم ١٢٨٢
- (٣) دفتر ٣٦٠ (مدارس عربى) ص ٤٧ رقم ٧٩٥ إلى كتاب الحسابات فى ٢٧ المحرم ١٢٨٢
- (٤) دفتر ٣٧١ (مدارس عربى) ص ٧٠ رقم ٥٢ إلى الدائرة السنية فى ١٦ ذى القعدة ١٢٨٢، ص ٧٦ رقم ٨٢ إلى مطبعة بولاق فى ٨ ذى القعدة ١٢٨٢، ص ١٧٧ رقم ١٨٠ إلى المالية فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٢

ولما طلب إلى رفاة بك أن يسرع القلم في إتمام ترجمة « جغرافية ملطرون » التي أصدر رفاة بعض أجزاءها في عصر محمد على شكا أن القلم — « وكان في أصل ترتيبه موافق للاحتياجات البلدية » — ليس به سوى ثلاثة مترجمين (أبو السعود ومجدي والجيلي) ، فأضاف إليهم الديوان رابعا : هو محمد افندي البحيري وكان موظفا بالسكة الحديدية (١) .

وبلغ من ضعف القلم وقلة الكفايات فيه أنه لما أحييت إليه ترجمة بعض اللوائح والإرشادات الصحية أعادها رفاة بك محتجاً بأن بها مصطلحات طبية لا يمكن ترجمتها إلا بمدرسة الطب (٢) ، وطلب إليه ترجمة بعض الأوراق إلى اللغة التركية ، فرد رفاة بك بأن القلم ليس به سوى مترجمين للغة الفرنسية (٣) .

وتشتت مترجمو القلم حتى أصبح « الباقي بالديوان هو اسم القلم » فقط (٤) ، أو على حد تعبير رفاة بك : أصبح مترجمو القلم « أسماء بدون أجسام » (٥) ، وذلك على الرغم من أنه

(١) دفتر ٣٨٠ (مدارس عربي) ص ٣٩ رقم ١٢ إلى كتاب الحسابات في ١٢ جمادى

الاولى ١٢٨٣

(٢) دفتر ٣٨٦ (مدارس عربي) ص ١١٢ رقم ٣٠ إلى الداخلية في ٤ رمضان ١٢٨٣

(٣) دفتر ٣٨٨ (مدارس عربي) ص ١٠٩ رقم ٥٨٠ إلى مجلس تجار مصر في

٢٦ المحرم ١٢٨٤

(٤) دفتر ٣٨٩ (مدارس عربي) ص ٥٥ رقم ١٠٩ إلى الداخلية في ١٢

ربيع الاول ١٢٨٤

(٥) دفتر ٤٠٠ (مدارس عربي) ص ١٤٣ من ناظر قلم ترجمة في ٤ ربيع الثاني ١٢٨٤

كان ينتظم في ذلك الوقت ثلاثة عشر موظفا ما بين مترجم ومبصر (١) .
أما رفاة فكان — إلى جانب عمله في الإشراف على ما يقوم القلم بترجمته
ومراجعته — يقوم بمهام كثيرة : عين أول تعيينه بديوان المدارس عضواً بالقومسيون ،
وقد قام رفاة بك بدور كبير في تنظيم تدريس اللغة العربية بالمدارس ، فكان
يمتحن الفقهاء والشيخوخ ليختار منهم الأكفاء لوظائف التدريس (٢) ، ويزور المدارس
ليتفقد عملهم ويختبر كفايتهم للتدريس (٣) ، ويضع بياناً بكتب اللغة العربية الصالحة
للتدريس لكل مدرسة وطرق تدريسها والقواعد التي ينبغي على المعلمين اتباعها بالنسبة
لسن التلامذة ومدة الدرس (٤) .

وكان رفاة عضواً في القومسيون الذي شكل لدرس لأئحة رجب ١٢٨٤ ، وعقب
صدورها أحال عليه الديوان « رئاسة مجلس المكاتب الأهلية المقضى انعقاده للنظر
في حال المدارس والمكاتب الأهلية (٥) » .

(١) دفتر ٣٩٦ (مدارس عربي) رقم ٣٠٨ ص ١٥ إلى مدرسة اسكنندرية في ٨
جمادى الأولى ١٢٨٤

(٢) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربي) ص ٤٢ رقم ٤٢ من المبتدیان في غاية
ذی القعدة ١٢٧٩

(٣) محفظة ٤٤ (معيية تركي) رقم ١٤٧ (عربي) من ناظر الجهادية والبحرية إلى
المهردار في ١٩ رجب ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربي) ص ١١٣ رقم ٣٩٦ إلى ناظر قلم ترجمة في ٢٩
شوال ١٢٨٤

(٥) دفتر ٤١٤ (مدارس عربي) ص ١٦٠ رقم ٥٠ إلى ناظر قلم ترجمة في ٩
رجب ١٢٨٥

ولما أنشئت صحيفة روضة المدارس وضعت « تحت نظارة » رفاة بك، وكان مباشر تحريرها ولده على بك فهمي^(١).

وتوفي رفاة إلى رحمة الله في سنة ١٨٧٣. وخلفه في رئاسة قلم الترجمة بديوان المدارس عبد الله افندى أبو السعود^(٢)، وكان يدرس التاريخ بمدرسة دار العلوم والترجمة بمدرسة الإدارة والألسن ويصدر جريدة « وادى النيل ». ومن مترجمي القلم في ذلك الوقت محمد افندى الطيب^(٣).

ويظهر أن قلم الترجمة بعد أن أتم رجاله ترجمة القوانين الفرنسية التي طبقت في المحاكم التي أنشئت في عصر إسماعيل لم يبق يعمل في كبير، فاقصر عمله على الأعمال الإدارية كترجمة الخطابات الفرنسية التي تصدر إلى الديوان أو تأتي إليه. ولهذا دعاه دوربك في أحد تقاريره إلى الخديو^(٤) (Bureau de Correspondance européenne et de traduction) « مكتب التحريرات الأوروبية والترجمة »، وذكر أنه في حالة سيئة تتطلب العلاج السريع أو الإلغاء، واقترح أن يوضع تحت إدارته ويجدد موظفوه.

ونذكر هنا أن من أهم أسباب ضعف قلم الترجمة أنه لم يجد مدرسة تقوم على إمداده بالمتربين الأكفاء كما كانت مدرسة الألسن في عهد محمد علي: فإن مدرسة الإدارة

(١) انظر العدد الأول من روضة المدارس في ١٥ المحرم ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ١٢١ رقم ٢٢٠ إلى أبي السعود افندى في ٥

ذى القعدة ١٢٩١

(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ٢٥ رقم ٢٧٥ إلى ناظر الترجمة في ١٨

ذى القعدة ١٢٩١

والألسن التي أنشئت في سنة ١٨٦٨ اتجهت نحو العناية بدراسة القانون ولم تعن بإعداد المترجمين ، حتى إذا كانت سنة ١٨٧٨ أنشئت « مدرسة الألسن » لإعداد المترجمين خاصة ، وجعلت ثلاثة أقسام : قسما انجليزيا وقسما فرنسيا وقسما ألمانيا ، واقترح قومسيون ١٨٨٠ وسائل معينة لتدعيم المدرسة . وفي سنة ١٨٨٥ حولت النظارة مدرسة الألسن إلى قلم للترجمة ووضعت تحت إدارة ناظر دار العلوم ، ثم كان قلم الترجمة نواة مدرسة المعلمين الحديثة .

فلم الروضة والمطبوعات

حرص ديوان المدارس منذ إنشائه على أن يملك « مطبعة » يطبع فيها الكتب والأوراق التي يحتاج إليها ، فراح يجمع (ملازم الحجر) من القناطر الخيرية حيث كانت منذ أيام سعيد باشا ^(١) ومن ديوان الواردات ^(٢) ومن المالية ^(٣) ، حتى إذا اجتمعت له مطبعة كاملة أقامها بمدرسة المبتديان بالعباسية وطلب لها الطابعين والمساعدين ^(٤) .

(١) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربي) ص ٦٠ رقم ١ إلى القناطر الخيرية في ١٢ ربيع الثاني ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربي) ص ٦٧ رقم ١١ إلى الواردات في ١٧ ربيع الثاني ١٢٨٠

(٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربي) ص ٨٥ رقم ٢٠ إلى المالية في ٢٧ ربيع الثاني ١٢٨٠

(٤) دفتر ٣٦٢ (مدارس عربي) ص ٥٣ رقم ٤٢٧ إلى المبتديان في ١٧ شعبان ١٢٨١

فلما نقلت المدارس من العباسية في سنة ١٨٦٨ نقلت المطبعة إلى مقر المدرسة التجهيزية
بدرج الجمامين (١) .

وفي ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤ (يناير ١٨٦٨) جعل (لمطبعة المدارس الملكية)
قسم خاص وعينت مرتبات موظفيها (٢) ، ووضعت تحت إدارة إسماعيل بك الفلكي
(ناظر التجهيزية وما معها) (٣) ثم تحت إدارة ناظر الكتبخانة الخديوية (٤) .

وفما عدا الكتب المدرسية وأمشق الخط والرسم كان أهم ما تقوم مطبعة المدارس
الملكية على طبعه الصحيفة التي أصدرها ديوان المدارس في ابريل ١٨٧٠ وهي
« روضة المدارس » .

صدر العدد الأول منها يوم السبت ١٥ من المحرم ١٢٨٧ (١٧ ابريل ١٨٧٠)
وكانت تصدر مرتين في الشهر و « يكتب فيها من ينتخب من ذوى المعارف
ويستحسن نشره بين الناس من الفوائد العلمية لأجل توسيع دائرة الأفكار، وتحريرها

(١) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ١٠٣ رقم ٢٥٩ إلى المبتديات في ٢٢
ذى الحجة ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربي) ص ٩٩ رقم ٥٢٧ إلى كتاب الحسابات في ١٦
صفر ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٦ (مدارس عربي) ص ٦٩ رقم ٢٦٨ إلى ناظر التجهيزية وما معها في
٣ ذى القعدة ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٣٩ (مدارس عربي) ص ٢٤ رقم ٥٠١ إلى ناظر كتبخانة خديوية في
١٦ جمادى الأولى ١٢٨٨

يكون بعبارة سهلة التناول وجيزة مفيدة» (١). ودعا ديوان المدارس جملة من العلماء
المبرزين للمساهمة في تحريرها كل وما اختص به ، وقد نشرت مقالاتهم بالروضة
تباعا على شكل كتب : فكتب على باشا مبارك (حقائق الأخبار في أوصاف البحار)
و (تنوير الأفهام في تغذي الأجسام) ، وكتب عبد الله بك فكرى (آثار الأفكار
ومشور الأزهار) ، وكتب إسماعيل بك الفلكى (بهجة الطالب في علم السكواكب) ،
وكتب الدكتور محمد بدر (الصحة التامة والمنحة العامة) ، وكتب أحمد أفندى ندا
(المباحث البينات فيما يتعلق بالنبات) ، وكتب الشيخ عثمان مدوخ مدرس الإنشاء
العربى بالمساحة والمحاسبة (غرائب النوادر والمضحكات والألغاز والأحاجي
والنكات) ، وكتب أحمد فتحى بك ناظر مدرسة الإسكندرية (الروضات النفحية
والمقامات الفتحية) ، ومحمد أفندى عثمان المترجم بديوان الجهادية (النكات وباب
التيارات) ، ورفاعة بك رافع (القول السديد فى الاجتهاد والتجديد) و (رسالة
البدع المتقررة فى الشيع المتبررة) ، والشيخ محمد الأمين محمد البصير رئيس ومميز علماء
السودان (توصيل من جد إلى تحصيل إرث الجد) ، وعلى أفندى عزت المدرس
بالمهندسخانة (الفوائد البديعة فى علم الطبيعة) ، وهنرى بروكش ناظر مدرسة اللسان
المصرى القديم (النبذة الانتخابية فى فن الجغرافية السياسية المصرية) وترجمها إلى
العربية محمد أفندى الطيب المدرس بالتجهيزية و (العقد النظيم فى مآخذ جميع الحروف
المصرية من اللسان القديم) وترجمها أحمد أفندى نجيب من تلامذة ، بروكش وكتب
محمد أفندى بليغ عضو البعثة (كنز اللآل فى الحكم والأمثال) ، والدكتور محمود إبراهيم

(١) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ٦٦ رقم ٣٠١ إلى قدرى أفندى فى ١٩

طبيب أول المدارس (الفوائد الصحية في الحمل والطفولية) . هذا كله عدا مقالات متفرقة لمحمد قدرى وبعض المدرسين ونجباء الطلاب (١) .

وكان ديوان المدارس يمنح كلا من الطلاب الثلاثة الأول من كل فرقة بالمدارس الأعداد التي تصدر من الروضة (٢) .

ولقيت صحيفة روضة المدارس من الطلاب من الإقبال الشديد على قراءتها والكتابة فيها (٣) ما حمل الديوان على أن يأمر بأن « التلامذة لا يشتغلون بمواد الجرنال في وقت الدروس ولا في كتابته مالم يكن في أوقات الفسحة أو خارجا عن المدرسة ، كما والمواد التي يكتبوها (كذا) وتقبل منهم تكون فقط من تلامذة المحاسبة والإدارة والمهندسخانة ، كما والمواد التي تقبل إما أن تكون تاريخية وإما أدبية أو مسائل رياضية ولا تقبل إلا بعلامة الخوجة » (٤) .

وكانت روضة المدارس تصدر مرتين في الشهر ويطلع من كل عدد منها ٣٥٠ نسخة (٥) ، ثم زيدت إلى ٧٠٠ نسخة (٦) : وجعل الاشتراك فيها ٧٧ قرشاً وست

(١) انظر العدد الأول من روضة المدارس والأعداد التالية .

(٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربي) ص ١٠٣ رقم ٧٠٦ إلى إدارة المدارس الملكية . في

١٢ صفر ١٢٨٧

(٣) Dor, op. cit. P. 253.

(٤) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربي) ص ١٧٥ رقم ٧٧٧ إلى إدارة المدارس الملكية في

١٢ ربيع الأول ١٢٨٧

(٥) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربي) ص ١٩٣ رقم ٣٢٠ إلى ناظر الكتبخانة في ٧ صفر ١٢٨٨

(٦) دفتر ٤٧١ (مدارس عربي) ص ١٠٨ رقم ٤٦٠ إلى التجهيزية في ٣ جمادى

الثانية ١٢٩١

بارات بالقاهرة و ٨٢ قرشاً في داخل القطر و ٩٠ قرشاً في خارجه ^(١). وكان الديوان حريصاً على (توزيع) أعداد الروضة، فكان يرسل بعض أعدادها إلى مدارس ليشتريها المدرسون منها إلى « الحذر من عدم ارتداد أى نسخة من الروضة » ^(٢) ثم رأى أن يقرر شراءها على جميع الموظفين بديوانى المدارس والمكاتب الأهلية ممن لا يقل مرتبهم عن ٢٥٠ قرشاً في الشهر ^(٣). وكذلك كان ديوان المدارس يرسل أعداداً من روضة المدارس إلى أعيان البلاد ليقوموا بتوزيعها ^(٤).

وقد وضعت روضة المدارس منذ صدورها « تحت نظارة » رفاة بك رافع و « مباشر تحريرها » ولده على بك فهمى مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن، وتذكره بعض الوثائق باسم « مصحح الجرنال » ^(٥). وفي سنة ١٨٧٣ — وهى السنة التى مات فيها أبوه — منح الرتبة الرابعة وجعل « ناظر قلم الروضة والمطبوعات ». وعين موظفو هذا القلم وبلغت مرتباتهم ٤٩٧٥ قرشاً، بعضها من ديوان المدارس وبعضها من ديوان المكاتب الأهلية ^(٦). وكان منهم الشيخ عبدالعزيز فرغى الأنصارى ^(٧) والشيخ أحمد

(١) انظر العدد الأول من الروضة.

(٢) دفتر ٤٣٩ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ١٢٣ إلى مدرسة طنطا في ٩ جمادى الأولى ١٢٨٨

(٣) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٩٧ رقم ٢٢ إلى مكتب بنها في ٢٨ شوال ١٢٩٠

(٤) دفتر ٤٣٨ (مدارس عربى) ص ١٨٢ رقم ٤٦٣ إلى محمد باشا أبو سلطان،

ص ١٨٣ رقم ٤٦٣ إلى محمد بك الصيرفى في ٢٣ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٥) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٧٥ رقم ٧٧٧ إلى ادارة المدارس الملكية

في ١٢ ربيع الأول ١٢٨٧

(٦) و (٧) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٥٩ رقم ١٠ إلى ورشة الاستحقاقات

في ٢٠ ذى الحجة ١٢٩٠

مروان مصححين^(١) .

مكانه ديوان المدارس

خصص لديوان المدارس أول إنشائه مكان بالقلعة^(٢) ، وكانت لا تزال مقر دواوين الحكومة . ومكث الديوان بالقلعة أشهراً ، وفي أكتوبر ١٨٦٣ نقل إلى سراى الأزبكية^(٣) . وكانت من القصور التي بدىء بناؤها في حكم عباس ولم تتم ، فعمرتها حكومة إسماعيل وجعلتها مقراً لديوانى الخارجية والمدارس^(٤) .

وأقام هــذان الديوانان بالأزبكية أربعة أعوام ، ثم نقلتا في سبتمبر ١٨٦٧ إلى القلعة ثانية^(٥) . وفي أوائل سنة ١٨٦٨ صدر الأمر الخديو بنقل ديوان المدارس إلى (سبلك) سراى درب الجماميز التي اشترت من الأمير مصطفى باشا فاضل^(٦) وكانت السراى تضم — عدا ديوان المدارس — ديوانى الأشغال والأوقاف والمدرسة التجهيزية ومدرسة المهندسخانة ومدرسة الإدارة والألسن ومدرسة المحاسبة والمساحة ومدرسة اللسان المصرى القديم ومدرسة دار العلوم وفرقة الرسم وفرقة التلغراف

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ٣ ج ١٢ ص ٩٦

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ٦ إلى المالية فى ٢٧ رمضان ١٢٧٩

(٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ١٢ إلى سر معمار فى ٥ ربيع الآخر ١٢٨٠

(٤) دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٩٧ رقم ١٥٠ إلى المالية فى ٢٩ شعبان ١٢٨٠

(٥) محفظة ٤١ (معية تركى) رقم ٤٣٥ من إسماعيل راغب ناظر الداخلية إلى المعية فى

٢٩ جمادى الأولى ١٢٨٤ ودفتر ٤٠٢ (مدارس عربى) ص ١٩٥ رقم ٩٠ إلى المالية فى غرة

شعبان ١٢٨٤

(٦) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٩٤ رقم ١٤٠ إلى المالية فى ٢٣ شوال ١٢٨٤

وقاعة للمحاضرات العامة وأخرى للامتحانات العامة ومعملا للطبيعة والكيمياء ودار الكتب الخديوية . وضاق البناء بهذه الدواوين والمدارس فحول كثير من التلامذة إلى الأقسام الخارجية وفرضت رسوم دراسية على القادرين منهم ، ونقل كثير من التلامذة إلى مدرستي بها والاسكندرية ، وأوقف ديوان المدارس في بعض السنوات قبول تلامذة جدد بمدارسه (١) .

(٢) ديوان المكاتب الأهلية

رأى الخديو إسماعيل أن إصلاح المكاتب الأهلية على النحو الذي رسمته لائحة رجب ١٢٨٤ يسير بخطى بطيئة ، فعزم على إنشاء ديوان خاص للعناية بهذه المكاتب . وفي غرة المحرم ١٢٨٨ (٢٧ مارس ١٨٧١) صدر أمر الخديو بإنشائه ونصب على باشا مبارك ناظرا عليه ، وكان قد ترك منذ عهد قصير ديوان المدارس (٢) . وأمره الخديوى بتنظيم الديوان « وعمل رسومات لتجديد مكاتب في مدن الأرياف وبلادها كل على حسبه وما يناسبه لعلم الخديوى أن مكاتب الأرياف غير مستوفية لدواعي الصحة ولا لشروط النجاح في التعليم » . ونهض على مبارك للعمل : فنظم الديوان وعين موظفيه ووضع لهم (تريبا) خاصاً بلغ به مجموع مرتباتهم ٢٥,٠٠٠ قرش موزعة كما يلي (٣) :

(١) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص ١٣٢ رقم ٢٠٧ إلى المالية فى ١٣ ربيع الثانى ١٢٨٩

(٢) انظر فيما سبق ص ١٠٨

(٣) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٩٨ من المعية فى غرة المحرم ١٢٨٨

قرش

٦,٠٠٠ على باشا مبارك ناظر الديوان

٤,٠٠٠ عبد الله بك فكرى وكيل الديوان

«وله دراية تامة بالعلوم العربية للمشاركة فى انتخاب ووضع الكتب اللازمة للمكاتب».

٦,٠٠٠ مفتشان لمكاتب الأقاليم ويكون لأحدهما إلمام بأصول التربية.

٢,٠٠٠ معاونان بالديوان وينسخان ما يترجم أو يؤلف أو ينتخب من الكتب

قبل طبعها ويقومان بالتفتيش على مكاتب القاهرة وضواحيها وأداء مأموريات بالأقاليم.

٣,٠٠٠ مترجمون لترجمة الكتب الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية التى تلزم للمكاتب.

٧٥٠ شيخ من العلماء ليجمع المواد اللازمة للعلوم العربية ويصحح الكتب التى تترجم.

٢,٥٠٠ كتاب وصراف.

٧٥٠ خدم.

٢٥,٠٠٠ المجموع.

وترى من هذه الميزانية أن على باشا مبارك عنى بالناحية الفنية من عمل الديوان ، وعلى الخصوص تأليف أو ترجمة الكتب الدراسية لتلامذة المكاتب ، وهى الناحية التى رآها على مبارك قاصرة فى ديوان المدارس .

وبدأ على باشا مبارك فنزع من ديوان المدارس المدرستين المركزيتين الأهليتين

القائمتين بالأقاليم وهما مدرستا طنطا (وكانت بينها) وأسيوط ، كما نزع منه جفلك الوادى الذى ينفق إيراده على المكاتب الأهلية . وبدأ الديوان الجديد يتسع ، فأحيل إليه النظر فى إنشاء مدرسة للبنات^(١) . وبحث له مديره عن مكان خاص ، ثم أقيم فى جناح من سراى درب الجمينز^(٢) .

على أن الفصل التام بين الديوانين القائمتين على شؤون التعليم — وهما ديوان المدارس وديوان المكاتب الأهلية — ليس مما يعين على تقدم التعليم . والديوان الجديد — فى الواقع — لا يستطيع أن ينهض بعمله مستقلاً تمام الاستقلال عن ديوان المدارس الذى مضت عليه سنوات واستقر أمره وتكونت فيه الهيئات الإدارية والفنية واستقرت له التقاليد وأصبح له بين دواوين الحكومة شأن وخطر . وأهم من هذا كله أن على مبارك باشا صاحب الديوان الجديد ومديره ومنشئه مالمبث أن عاد إلى ديوان المدارس مديراً . وما كان على مبارك ليرضى — وما كان الخديو إسماعيل ليرضى له — أن تكون المكاتب الأهلية — وهو صاحب الفكرة فى تنظيمها وصاحب القانون الذى وضع لهذا التنظيم — بمعزل عن سلطانه . لهذا كله صدر أمر الخديو فى ٢٢ صفر ١٢٧٨ (أى بعد أن مضى شهر و٢٢ يوماً على إنشاء ديوان المكاتب الأهلية) بتعيين على مبارك باشا مديراً لدواوين الأوقاف والمدارس والمكاتب الأهلية^(٣) .

-
- (١) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ١٧١ رقم ٢ إلى ديوان عموم المكاتب الأهلية فى ٢٩ المحرم ١٢٨٨
- (٢) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ١٧١ رقم ٤ إلى ديوان عموم المكاتب الأهلية فى ٢ صفر ١٢٨٨
- (٣) دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ١٧٥ رقم ٢٢٤ أمر إلى المسالية فى ٢٢ صفر ١٢٨٨

وهكذا ألغى استقلال ديوان المكاتب الأهلية وضم إلى ديوان المدارس، وتولى — منذ تلك السنة — على الديوانين مدير واحد. ولكن ديوان المكاتب الأهلية ظل محتفظاً بشخصيته وعلى رأسه وكيله عبد الله بك فكرى، على أن يعمل تحت سلطة مدير ديوان المدارس، فينبغى عليه أن يزور في كل يوم مكتباً من المكاتب الأهلية بالقاهرة، وفي نهاية الأسبوع يرفع تقريراً بزياراته وتفتيشه إلى مدير الديوان، وعليه أن يطلب إلى كل مدرسة من المدارس المركزية أن ترفع إليه في كل أسبوع تقريراً عن حالتها ثم يرفع خلاصة هذه التقارير إلى مدير ديوان المدارس^(١). وحرص الديوان الناشئ على شخصيته بل أخذ تزيد من النفوذ واتساع السلطان. وفي ظل ديوان المكاتب الأهلية أنشئت المدارس المركزية في بني سويف والمنيا والفشن بالإضافة إلى مدرستي بنها وأسيوط. وأنشئت المكاتب الأهلية بالقاهرة في القرية والجمالية وباب الشعرية ومصر القديمة والحسينية وعابدين، ونظمت وأخضعت لإدارته مكاتب الجبانية والشيخ صالح وشيخون وأبي العلاء وقلاوون والإمام الشافعى والسلطان مصطفى والسلطان قايدباى والعقادين والنحاسين وأم عباس باشا و خليل أغا وحافظ باشا ومحمد بك سيد احمد بالقاهرة، ومكتبا البوصيرى وراتب باشا بالاسكندرية ومكتب رشيد.

وعمل ديوان المكاتب الأهلية على أن يتم له الإشراف على جميع المدارس الابتدائية بالبلاد، فأنشأ مكتباً أهلياً بمدرسة المبتديان بالقاهرة وآخر بمدرسة المبتديان بالاسكندرية، ونجح فعلاً في تحويل مدرسة الاسكندرية إلى مكتب أهلى، بل عمل ديوان المكاتب الأهلية على أن يجعل من مدارس المركزية بالأقاليم معاهد للتعليم

(١) دفتر ٤٦٩ (مدارس عربى) ص ١٣٣ رقم ٧٤٧ إلى وكيل ديوان المكاتب

الأهلية في ٧ ربيع الثانى ١٢٩١

الابتدائي والتعليم فوق الابتدائي، فأنشأ بالمدارس المركزية بالأقاليم فرقا للتعليم التجهيزي وفرقا للمساحة .

أما عن العمل الإداري بالديوان فكان يسير سيرا مرضيا ، الأمر الذي جعل دوربك — في أحد تقاريره إلى الخديو — يفضل على ديوان المدارس نفسه (١) .

وظل عبد الله بك فكري وكيلًا للديوان ، وقد منح رتبة المتميز في يناير ١٨٧٧ (٢) ، وفي سنة ١٨٧٩ نقل وكيلًا لنظارة المعارف وخلفه في وكالة ديوان المكاتب الأهلية على بك فهمي رفاة ناظر قلم الروضة والمطبوعات . وفي سنة ١٨٨٢ عين عبد الله باشا فكري ناظرًا للمعارف وعلى باشا فهمي وكيلًا له ، ويبدو أن ديوان المكاتب الأهلية ألغى في ذلك الوقت .

التفتيش الصحي

عند ما أنشئت مدرستا المبتديان والتجهيزية بالعباسية في أوائل حكم إسماعيل نظمت لهما خدمة صحية ، فعين بالمدرسة التجهيزية طبيب وصيدلي وبضعة ممرضين للإشراف على علاج تلاميذ المدرستين . وبدأ الديوان فعين بضعة أطباء وصيادلة (٣) ، أما حكيمباشي المدارس فكان « موراندي بك » .

(١) Dor, Rapport (confidentiel) à S. A. Le Khedi ve. S. D. (Abdine)

(٢) محظوظة ٥٣ (معية تركي) رقم ٣٩١ من رياض باشا إلى المعية في ٢٩

ذى الحجة ١٢٩٣

(٣) هم الأطباء زهران أفندي محمد ونافع أفندي الصولي ومحمود أفندي إبراهيم والصيدلي

حسنين أفندي محمد البرديني دفتر ٣٤٢ (مدارس عربي) ص ١ رقم ٤ إلى التجهيزية في

٢٥ شوال ١٢٧٩ ، دفتر ٣٤٤ (مدارس عربي) ص ٢ رقم ٢٢٧ إلى التجهيزية في ٢٨

صفر ١٢٨٠

وكان هؤلاء الأطباء يعالجون التلاميذ المصابين بأمراض بسيطة في « شفاخانة » ملحقة بكل مدرسة ، أما المصابون بأمراض شديدة فيرسلون إلى مستشفى قصر العيني من غير توان ^(١). ثم رأى أن ينشأ للمدارس مستشفى خاص يقوم فيه الأطباء على علاج التلاميذ ، وصدر أمر الخديو بترتيب موظفيه في ٥ شوال ١٢٨٠ (فبراير ١٨٦٤) ^(٢). وقد اقتضت سوء الحالة الصحية بين التلامذة بسبب انتشار الرمد والجرب فيهم على الخصوص توسيع مستشفى المدارس من وقت إلى آخر ^(٣) ، ونقل بعض المرضى إلى مستشفى قصر العيني ليعالجهم أطباؤه الإخصائيون ^(٤).

وفي ١٣ رمضان ١٢٨١ (١٠ فبراير ١٨٦٥) صدر أمر الخديو بنقل موراندى بك إلى وظيفة (حكيمباشى) بالجهادية ، وعين بدله الدكتور لاوتر بك Lautner ^(٥)

وقد مرّ بنا الحادث الخطير في مونيخ الذى نقل بسببه طلبة بعثة الطب بمونيخ إلى باريس وسبق لاوتر رئيسهم إلى المحاكمة ^(٦)، وعاد لاوتر إلى مصر في أوائل حكم

(١) دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ٣١ رقم ٢٥٧ إلى التجهيزية في ٨ ربيع الأول ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ١٣٧ رقم ٥١٦ إلى المبتديان في ١٤ رمضان ١٢٨٠

(٣) دفتر ٣٥٢ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٦٢ إلى محافظة مصر في ١٢ صفر ١٢٨١

(٤) دفتر ٣٥٢ (مدارس عربى) ص ٦٩ رقم ١٣٤ إلى الجهادية في ١٨ ربيع الأول ١٢٨١

(٥) وكان وقتئذ يحمل رتبة المتهامز ومرتبته ٨٠ جنميا في الشهر : دفتر ١٩١١ (أوامر)

ص ١١٦ رقم ٧ أمر إلى ديوان المدارس في ١٣ رمضان ١٢٨١

(٦) انظر كتابنا : تاريخ التعليم في عصر عباس وسعيد ص ٢٨٢ - ٢٨٣

إسماعيل ، واستطاع أن يستعيد ثقة إسماعيل فعينه طبيبا بمجلس الصحة ثم كبيراً لأطباء المدارس ^(١) وأنجال الخديوى ^(٢) . وقد أنعم عليه إسماعيل فى سنة ١٨٦٧ بمائتى فدان ^(٣) ، ولكن لاوترز فصل بعد قليل من وظيفته ، وأوصى به شريف باشا ^(٤) فأمر الخديو بإعادته إلى وظيفته بديوان المدارس ^(٥) ، وكان لاوترز بك يفتش المدارس من وقت إلى آخر ويتفقد صحة التلامذة ومرافق المدرسة وغذاء التلامذة وشرابهم ويرفع التقارير إلى ديوان المدارس ^(٦) .

وكان للمدارس الحرية بالعباسية مستشفى خاص ، فلما ألحقت هذه المدارس بديوان المدارس ضم مستشفى المدارس الملكية إلى مستشفى المدارس الحرية وجعلها مستشفى واحدا ^(٧) ، وعين ناظرا عليه « الصاغقول أغاسى محمود أفندى سليمان » ولم

(١) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١٧٠ رقم ١١ إلى مجلس الصحة فى ١٧ رمضان ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٧٠ (مدارس عربى) ص ١٢٠ رقم ٣٥٥ إلى محمود أفندى الحكيم فى ٢٠ شوال ١٢٨٢

(٣) دفتر ١٩١٩ (أوامر) أمر إلى المالية فى ٩ رجب ١٢٨٣

(٤) محفظة ٤٣ (ممية تركى) رقم ٣٩٨ من شريف باشا إلى المعية فى ٢٥ صفر ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٦٤ رقم ٣٢ إلى الداخلية فى ٢٢ المحرم ١٢٨٦

(٦) دفتر ٣٦٧ (مدارس عربى) ص ١٤٨ رقم ١٦٨ من استبالية المدارس فى ٤ المحرم ١٢٨٢ .

(٧) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربى) ص ١٣١ رقم ٣١ إلى المعاونة السنية فى

٢٤ ذى الحجة ١٢٨١

يكن طبيباً وإنما عين (للضبط والربط) ^(١). ورقى محمود أفندى إبراهيم إلى منصب طبيب أول.

ولكن في سنة ١٨٦٨ فصلت المدارس الحربية عن ديوان المدارس، ثم نقلت المدارس (الملكية) إلى القاهرة، فألغى مستشفى المدارس الملكية وتقرر أن ينشأ بكل مدرسة «شفخانة» لعلاج الأمراض «الخفيفة». أما المصابون بأمراض شديدة فيرسلون إلى مستشفى قصر العيني ^(٢). وفصل موظفو مستشفى المدارس الملكية بالعباسية وسلم البناء إلى مستشفى المدارس الحربية ^(٣).

أما مدرسة الاسكندرية فكان قد نص في (ترتيبها) على أن ينشأ بها مستشفى خاص، ولكن عاد ديوان المدارس ففضل أن يبعث بتلامذتها المرضى إلى المستشفى الأميرى بالاسكندرية. وأما المرضى بأمراض «خفيفة» فيعالجهم طبيب المدرسة ^(٤) وكان يؤذن للتلاميذ (المقتدرين) أن يعالجوا في بيوتهم ^(٥).

(١) دفتر ٣٦٣ (مدارس عربى) ص ١٧١ رقم ٢١٢ إلى استبالية المدارس في ٩ المحرم ١٢٨٢

(٢) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ٥٦ إلى محافظة مصر في ١٢ المحرم ١٢٨٥

(٣) دفتر ١٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٢٦ رقم ١٠٤ إلى استبالية المدارس في ١٨ المحرم ١٢٨٥

(٤) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٤٢ رقم ١١ إلى محافظة اسكندرية في ١٩ صفر ١٢٨٠

(٥) دفتر ٣٥٥ (مدارس عربى) ص ٣٥ رقم ٣٤ من مدرسة اسكندرية في ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٠

أما المدارس المركزية بالأقاليم فأنشئت بها « شفخانات » ، ويعالج التلامذة بها طبيب المديرية (١) أو طبيب خاص بالمدرسة (٢) .

أما المكاتب الأهلية بالقاهرة فقد عهد إلى أطباء الأقسام بزيارتها يوميا وعيادة تلامذتها ، وعلى كل طبيب أن يحضر بيانا في كل شهر بزياراته ويوقع عليه معه ناظر المدرسة ، ويرفع البيان إلى ديوان المدارس ومنه إلى المعية (٣) .

(١) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربي) ص ٤٠٧ رقم ٣٨ إلى مكتب أسيوط في ١٧ ربيع الاول ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربي) ص ٣٣ رقم ٧٤ إلى مكتب طنطا في ٣ ربيع الثاني ١٢٨٣

(٣) دفتر ٤٥٩ (مدارس عربي) ص ٥٠ رقم ٨ إلى تفتيش المدارس الملكية والمكاتب الأهلية في ١٦ ربيع الثاني ١٢٩٠

الكتاب الثاني

التعليم الأولي - الابتدائي

الفصل الأول

المدارس الابتدائية الأميرية

كان التعليم الابتدائي المرحلة الأولى من مراحل النظام التعليمي الحديث الذى وضعته حكومة محمد على ^(١). والحق أن حكومة محمد على قد أنشأت معاهد التعليم الابتدائي — وهى مدارس ومكاتب المبتديان — قبل أن توطد أركان النظام التعليمي الحديث بالقوانين واللوائح التى وضعتها فى سنة ١٨٣٦ ، وفى مقدمتها «لائحة التعليم الابتدائي» ^(٢) فقد أنشأت — منذ سنة ١٨٣٣ — عددا كبيرا من مكاتب المبتديان — بلغ ٦٧ مكتبا — فى البنادر والمدن والقرى عدا مدرسة ابتدائية كبيرة فى عاصمة البلاد .

(١) لدراسة التعليم الابتدائي فى عصر محمد على انظر كتابنا : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ١٧٥ — ٢٢٠

(٢) تجسد النص الفرنسى لهذه اللائحة ضمن مجموعة اللوائح التى وضعت لتنظيم التعليم فى سنة ١٨٣٦ وهى مطبوعة فى باريس بعنوان :

Règlements approuvés par le Ministre de l'Instruction publique pour l'organisation des Ecoles sous Mohammed-Ali .

وقد نشرنا الترجمة العربية لللائحة التعليم الابتدائي بعنوان « بيان ترتيب وتنظيم مدارس المبتدئين » فى الملاحق الثالث فى ص ٦٨٠ من كتابنا السابق المذكور .

على أن حكومة محمد على ما لبثت أن أدركت أن قيامها على شؤون هذا العدد الكبير من المكاتب وتلاميذها جميعا من لباس وغذاء ومرتب يقتضيها نفقات لا قبل لها بتحملها، كما أنها رأت أن هذه المكاتب تخرج عددا كبيرا من التلاميذ لا تتسع له مدرسة تجهيزية واحدة، فكانت مترددة بين أن تستخدم هذه المكاتب الابتدائية أداة لنشر التعليم ومقاومة الجهالة، وفي هذه الحالة لن تكون هذه المكاتب سوى النواة الأولى لنظام عام للتعليم الأولى — الابتدائي تبثه في حضر مصر وريفها، وما كانت حكومة محمد على قد تهيات لها الأسباب — من المال والرجال — التي تمكنها من أن تنهض بمثل هذا المشروع الضخم، وبين أن تقصر هذه المكاتب على أن تكون مجرد أداة لإعداد تلاميذها للتعليم التجهيزي ومنه إلى التعليم الخصوصي فوظائف الدولة . وكانت لائحة التعليم الابتدائي (١٨٣٦) مظهرا لهذا التردد : فقد جمعت في بيان الغرض من التعليم الابتدائي بين الهدفين : فنصت على أن « المراد من مدارس المبتدئين تحضير التلاميذ وتهيئتهم إلى مدرسة التجهيز ونشر مبادئ العلوم للأهالي » . وتحقيقا لهذا الغرض (المزدوج) نصت اللائحة على إنشاء خمسين مدرسة ابتدائية قصرتها على القاهرة والاسكندرية ومدن الأقاليم .

وعلى هذا النحو كانت نشأة التعليم الابتدائي في مصر، وعلى هذا النحو رسمت وظيفة المدرسة الابتدائية في مصر في القرن الماضي .

ولكن هذه المكاتب الابتدائية لم تكن وحدها التي تقدم التعليم الأولى إلى نابتة البلاد، فقد رأيت أنها من القلة بحيث قصرت على المدن الكبيرة دون المدن الصغيرة والقرى . ولكن مصر كانت تعرف منذ قرون مكاتب أخرى، عرفتها منذ دخل الإسلام ودخلت اللغة العربية في ربوعها وأصبح القرآن الكريم أساس الثقافة والثروة فيها .

وكانت هذه المكاتب من البساطة في كل شيء: في بنائها وأثاثها وتعليمها وأصحابها ومؤديها — بحيث استطاعت أن تنتشر في يسر وسهولة في جميع أنحاء البلاد بحيث لم تكد تخلو منها قرية ومن أن تكسب ثقة الناس فأقبلوا عليها يودعون بين أيدي فقهاء وعرفائها فلذات أعبادهم ليأخذوهم بحفظ آي الذكر الحكيم ، وما كانت هذه المكاتب تتجاوزه إلا إلى قليل من القراءة والكتابة ، قد يستطيع الصبي أن يحتفظ بهما كلما ضرب في الحياة الدنيا وتقدمت به الأيام إذا داوم المران عليهما أو أتيح له أن يتصل بأشياخ آخرين أو رحل إلى الأزهر ، وقد ينسأهما إذا عاد يعمل فيما يعمل فيه أبوه من أسباب الرزق .

وقد عاشت هذه المكاتب تلك القرون الطويلة دون أن يتدخل السلطان في أمرها في كثير أو قليل ، حتى استطاعت أن تصل إلى القرن التاسع عشر محتفظة بكل ما لابسها في عهد نشأتها الأولى من مقومات . ذلك لأن الدولة لم تكن تعدّ التعليم (وظيفة) تنهض بها وتهيئ الأسباب لنجاحها ، وإنما كانت تعده أمراً (خيراً) ليس لها عليه سلطان . حتى إذا بدأ محمد علي يقيم بناء التعليم تملكته أيضاً هذه الفكرة ، فترك هذه المكاتب تسير كما ألفت أن تسير ، كما فعل مع الأزهر ، وأقام إلى جانبها مكاتبه الحديثة في القاهرة والاسكندرية وعدد معين من مدن الأقاليم ، ودعا الناس إلى أن يلحقوا أبناءهم بها ، وهو يتولى عنهم تعليمهم وتربيتهم : فهو يؤويهم في مكاتبه ليلاً ونهاراً ويقوم على كل ما يطلبون من غذاء ولباس وهو يجري عليهم في كل شهر قدرأ من المال ، فإذا لقي من الناس إعراضاً أو من أبناءهم نفوراً فليس أمانه إلا أن يلجأ إلى عماله ليمأوا له مكاتبه كما يملئون له صفوف الجيش .

وهكذا عاش النوعان من التعليم الأولى — الإميرى والأهلى — جنباً إلى جنب

ولكن حظهما من المنعة كان متبايناً ، فعلى الرغم من أن مكاتب الحكومة تحظى بالرعاية والمال والجهد المتصل فقد عاشت حياتها قلقه غير مستقرة ، عاشت (على هامش) الحياة القومية المصرية ، ذلك لأن حكومة محمد علي كانت — كما ذكرنا — لا تملك من الأسباب ما يمكنها من أن تجعل مكاتبها تتغلغل في صميم هذه الحياة القومية . لهذا أصابها التقلص من وقت الى آخر ، حتى أصبحت بعد سنة ١٨٤١ لاتعدو مدرسة بالقاهرة وأربعة مكاتب في الأقاليم ، لم تلبث أن ألغيت حين تولى عباس الأول حكم مصر في سنة ١٨٤٨ (١) .

وعاد عباس ومن بعده سعيد إلى الفكرة الأولى التي كانت مهيمنة على حاكي مصر قبل محمد علي : فكرة أن تربية أبناء البلاد لا يعدو أن يكون عملاً (أهلياً) أو (خيراً) ، وليس يضير الحكومة إذا تركته — كما كان منذ قرون — في أيدي أصحابه من الفقهاء والعرفاء .

حتى إذا تولى إسماعيل حكم مصر في سنة ١٨٦٣ كان النظام التعليمي الحديث الذي أقامه محمد علي وبذل لانجاحه ما بذل من جهد ومال قد استحال أنقاضاً ، وغدت معاهد الدراسة الابتدائية أثراً بعد عين . وهكذا واجه إسماعيل في سنة ١٨٦٣ ما واجه محمد علي عند ما شرع يضع سياسته في التعليم .

بدأ إسماعيل عمله بإحياء ما ندرس من معاهد التعليم التي أنشأها محمد علي ، وإذا كان بناء التعليم محتاجاً — بعد أن ينهض — إلى شيء من الزينة والرواء ، أو إلى شيء من التوسيع والتقويم فالزمن كفيل بهذا كله (٢) .

(١) انظر كتابنا : تاريخ التعليم في عصر عباس وسعيد ص ٥٠ — ٥٢

(٢) انظر سياسة إسماعيل في التعليم ص ١٠ — ١٧

وهكذا شرع إسماعيل — عقب توليه بأيام — يعمل في إعادة النظام التعليمي الحديث: فجدد ديوان المدارس ووضع لائحة للتعليم وأصدر أوامره بإنشاء المدارس. وكانت المدارس الابتدائية من المعاهد الأولى التي توجهت إليها عنايته، فأمر بإنشاء مدرسة منها بالقاهرة على مثال مدرسة المبتديان القديمة، وأخرى بالإسكندرية كقسم ابتدائي من مدرسة تجهيزية ابتدائية على مثال مدرسة الإسكندرية القديمة أيضاً^(١).

وهكذا وضعت اللجنة الأولى في بناء التعليم الابتدائي الأميري في أول حكم إسماعيل، وهو البناء الذي ما يزال ينهض قائماً حتى وقتنا هذا. ولنبداً بمدرسة القاهرة الابتدائية — الناصرية — وكانت تعد « نموذجاً » للمدارس الابتدائية الأخرى^(٢).

مدرسة الناصرية الأميرية

في ٥ شعبان ١٢٧٩ (٢٧ يناير ١٨٦٣) أصدر إسماعيل باشا — ولم يكن قد مضى على توليه الحكم في مصر أكثر من أسبوع — أمره إلى أدهم باشا مدير المدارس والأوقاف بإنشاء ثلاث مدارس: مدرستين بالقاهرة إحداها تجهيزية والأخرى ابتدائية ومدرسة بالإسكندرية، على أن يكون عدد التلاميذ بمدرستي القاهرة ألفاً وخمسمائة تلميذ: يخص التجهيزية منهم ٧٠٠ تلميذ والمبتديان ٨٠٠^(٣)، ونشط ديوان المدارس لإنشاء المدارس الجديدة: فاختر نظارها وشرع يجمع تلاميذها ويتفقد الأبنية الصالحة لها، كما وضع لإدارتها لائحة نالت موافقة الخديو في ٢٩ شعبان ١٢٧٩

(١) دفتر ٥٢٦ (معية تركي) ص ١٩ أمر إلى ناظر الأوقاف في ٥ شعبان ١٢٧٩

(٢) تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) سنة ١٨٨٠ ص ١٥

(٣) دفتر ٥٢٦ (معية تركي) ص ١٩ أمر إلى ناظر الأوقاف في ٥ شعبان ١٢٧٩

(فبراير ١٨٦٣) (١).

وكان من حظ مدرسة المبتديان أن اختير لنظارتها « على مبارك بك » (٢) بعد أن قضى عصر سعيد (مشرداً) في البطالة آناً وفي وظائف صغيرة آناً آخر .

ووقع اختيار ديوان المدارس على مستشفى مدرسة البيادة بالحصوة (العباسية) — وكان مهجوراً منذ ألغى سعيد باشا المدارس الحربية المفروزة التي أنشأها سلفه — ليكون مقراً لمدرسة المبتديان ، فشرعت إدارة الهندسة في عمل الإصلاحات اللازمة حتى يصبح ملائماً لإقامة التلامذة به (٣) .

ولم يترث الديوان ريثما يتم إعداد البناء — كله أو بعضه — بل بادر إلى الإعلان عن مدارس جديدة ، ودعا الناس — عن طريق محافظة مصر — إلى إلحاق أبنائهم بها . وأقبل الناس بأبنائهم جماعات على ديوان المدارس بالقلعة ، وكان الديوان قد نصب به طبيباً ليفحص عن صحتهم ومعلمين ليختبروهم في القراءة والكتابة فمن عرفهما

(١) دفتر ١٩٥٢ (مجلس خصوصى) ص ٢ رقم ٥ — قرار المجلس الخصوصى فى

٢٧ شعبان ١٢٧٩

(٢) دفتر ٣٤٢ (معية عربى) ص ٢ رقم ١ إلى مدرسة المبتديان بمصر فى ٨ رمضان ١٢٧٩ و ص ٧١٥ رقم ١٦٠ إلى (المعلم حنا واصف) الكاتب فى ١٧ ذى الحجة ١٢٧٩ — ويذكر أمين باشا سامى (تقويم النيل وعصر إسماعيل م ٢ ج ٢ ص ٥٠٧) أن المدرسة انشئت بالعباسية فى يولية ١٨٦٣ (صفر ١٢٨٠) وأن الأمير لاى إسماعيل زهدى بك ، عين ناظراً عليها . وبذلك أغفل سامى باشا العهد القصير من رمضان ١٢٧٩ إلى صفر ١٢٨٠ الذى كانت فيه المدرسة — أو على الأصح تلاميذها — يتلقون دروسهم بديوان المدارس بالقلعة تحت نظارة على مبارك بك .

(٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ٢ إلى المعية السنية فى ٦ شوال ١٢٧٩

جعل للتجهيزية ومن جهلها أضيف إلى المبتديان ، وخصص بالديوان حجرات يتلقى فيها التلاميذ الجدد دروسهم نهائياً ثم يعودون إلى بيوتهم مساء ، وقيد لهم بعض المعلمين والضباط والخدم^(١) .

ومضت خمسة أشهر ، و « على مبارك » جاد في استكمال المعدات والأدوات اللازمة لتعليم التلاميذ ومقامهم بدارهم بالعباسية . حتى إذا أوشك العمل أن يتم صدر الأمر بنقله إلى وظيفة أخرى وتعيين الأميرالاي إسماعيل بك زهـدى — وكان « قائمقاماً بالجهادية » — مكانه^(٢) . وعلى أثر ذلك انتقل تلامذة المبتديان إلى مدرستهم بالعباسية في ١٩ صفر ١٢٨٠ (يولية ١٨٦٣)^(٣) ، وكان بها إذ ذاك ٦٥٠ تلميذاً^(٤) . وعلى أثر نقل المدرسة إلى العباسية اشتد الإقبال عليها ، حتى صدر الأمر بزيادة عدد تلامذتها إلى ١٠٠٠ ثم إلى ١٢٠٠ تلميذاً^(٥) بما فيهم تلامذة « مكتب الأنجال » الذي أنشئ وألحق بمدرسة المبتديان ليتعلم به أصحاب السمو أنجال الخديو وبعض أبناء « الذوات » ، ثم زيد العدد إلى ألف وثلاثمائة تلميذاً « ليكون مربوط مدرستي المبتديان والتجهيزية

-
- (١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٨٧ رقم ٣٨ إلى الجهادية في ١٥ ذى الحجة ١٢٧٩
(٢) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ٣٦ رقم ١٧ إلى المالية في ٢٥ ربيع الثانى ١٢٨١
(٣) محفظة ٧ (جهادية) رقم ٣٠١ أمر إلى ناظر الجهادية في ٢١ المحرم ١٢٨٠
(٤) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٢٦ إلى المدرسة الحربية في ٧ صفر ١٢٨٠
(٥) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ١٣٠ رقم ٢١٧ إلى مدرسة المبتديان في ٢١ صفر ١٢٨٠
(٥) دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ١٣٨ إلى ديوان المالية في ١٨ شعبان ١٢٨٠

ألقى تلييد^(١). وهكذا لم يمض على إنشاء المدرسة عام حتى قفز مرتبها من التلاميذ من ٨٠٠ إلى ١٣٠٠ تلييد، وكان منهم عدد ليس بالقليل من الرقيق^(٢)، وقليل من أبناء

(١) دفتر ٣٥١ (مدارس عربي) ص ٦٢ رقم ٦٣٥ إلى وكيل الديوان في ١٠ ذى القعدة ١٢٨٠

(٢) كانت حكومة الخديو قد حرمت تجارة الرقيق فكانت تقبض على الرقيق الذي يدخل الأراضي المصرية وتلحق كبار السن منهم بالجهادية وصغارهم بمدرسة المبتديان بعد تلقيهم ضد الجدرى : دفتر ٣٤٦ (مدارس عربي) ص ٣٦ رقم ٣٢ من الجهادية في ١٤ ذى الحجة ١٢٧٩ ومحفظه ٣٨ (معية تركي) رقم ١٥٦ من عبده جعفر حكمدار السودان إلى ناظر الداخلية وقائم مقام الخديو في ٤ صفر ١٢٨٣ ولكن ديوان المدارس كان يضيق بهم : فكان يتعطل لعدم قبولهم بضيق المكان أو استكمال المدرسة تلامذتها أو زيادة أسنانهم : دفتر ٣٤٤ (مدارس عربي) ص ١٥ رقم ٣٩٠ إلى الضبطية في ٥ صفر ١٢٨٠. وقيل إن مدير المدارس قرر « عدم قبول أنفار سودانية من الآن فصاعدا » : دفتر ٣٦٠ (مدارس عربي) ص ٧٢ رقم ٢٢٨ إلى الجهادية في ١٤ صفر ١٢٨٢. ولكن هذا القرار لم ينفذ وظل الديوان برماهم فرفع إلى الخديو (محفظه ٤٣ معية تركي رقم ٣٠١ في ٦ المحرم ١٢٨٥) أن مدرسة المبتديان شكت من « أن مائة من التلاميذ السودانيين الموجودين بها لم ينتج من وجودهم فيها أية ثمرة رغم الاعتناء بتعليمهم لأن بعضهم متقدمون في السن وأغنياء والبعض الآخر صغير السن من ذوى العاهات » واقترح الديوان « إرسالهم إلى الجهادية لاستخدامهم في وظائف مناسبة لهم بدلا من تكبد مصاريف بدون فائدة ». ولكن الخديو فضل إرسال الضعاف منهم إلى فرقة التلامذة الذين يتعلمون الحرف والصنائع والاشحاء إلى الجهادية (دفتر ٥٧٣ معية تركي ص ٦٣ رقم ٦ أمر إلى مدير المدارس في ١٠ المحرم ١٢٨٥). ولكن استمرت الحكومة المصرية تلحق الصبية من الرقيق بمدارسها طبقا لمعاهدة تحريم تجارة الرقيق المبرمة بين مصر وانكلترا في ٤ أغسطس ١٨٧٧ (انظر هامش ص ٣٤٧-٣٤٨ ج ٢ من حقائق الأخبار عن دول البحار لسير هنك باشا).

الأرمن (١) والجراكسة (٢) والترك (٣) وبعض « أغوات » القصور (٤) ، وبعض الأولاد « الفقراء بتكية طيلون » ويتعلمون بها على نفقة ديوان الأوقاف (٥) ، ونفر من « أطفال الميرى الجارى تربيتهم بمدرسة الولادة » (٦) . وهكذا ترى أن مدرسة المبتديان كانت تنظم أخلاطا من أبناء المصريين ومن عداهم (٧) . وكان التلاميذ موزعين على « بلوكات » يرأس كل « بلوك » رئيس فرقة (٨) .

(١) دفتر ٣٥٤ (مدارس عربى) ص ٥٥ رقم ١١٥٢ إلى مدرسة المبتديان فى ١٦ صفر ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٦٣ (مدارس عربى) ص ٧٦ رقم ٦٧٦ إلى مدرسة المبتديان فى ٣

ذى الحجة ١٢٨١

(٣) دفتر ٣٨١ (مدارس عربى) ص ٩٥ رقم ١٥٩ من مفتش أقاليم بحرى فى غاية رجب ١٢٨٢ ، وقد صدرت إرادة سنوية فى ٢١ رجب ١٢٨٢ بجمع أبناء الترك الموجودين بالأقاليم وإلحاق اللاتقين منهم بالمدارس .

(٤) دفتر ٤٠٤ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٦٤ إلى الداخلية فى ٢٣ صفر ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤٢٦ (مدارس عربى) ص ٩٣ رقم ٣٥ إلى الأوقاف فى ٢٠ شوال ١٢٨٦

(٦) دفتر ٤٦٩ (مدارس عربى) ص ١٤٤ رقم ٢٢٦ إلى كتاب الحسابات فى ٩

ربيع الثانى ١٢٩٢

(٧) كان بالمدرسة فى سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) ٧٧٨ تلميذا موزعين كما يلى :

٢٢ أولاد ذوات و ٥ أولاد ترك و ١٩ جراكسة و ٤٤٨ أولاد مستخدمى الحكومة و ١٥٥ أولاد أهالى مصر و ١١ نصارى و ٥٢ من الأقاليم و ٦٦ من السودانيين . الجميع ٧٧٨ تلميذا منهم ٣٤٢ من اليتامى (محفظة ٤٢ معية تركى رقم ٦٠٠) .

(٨) كانت المدرسة مقسمة فى أول عهدنا إلى ثلاثة عشر « بلوكا » وكان رؤساء الفرق يختارون من ضباط الجهادية : دفتر ٣٦١ (مدارس عربى) ص ٧٤ رقم ١١٤ إلى مدرسة المبتديان فى ١٢ جمادى الأولى ١٢٨١ .

وأقامت مدرسة المبتديان بالعباسية نحو خمس سنوات ، نقلت بعدها في ١٠ يناير ١٨٦٨ (شوال ١٢٨٤) إلى الناصرية ^(١) في البناء نفسه الذي كانت تشغله مدرسة المبتديان في عصر محمد علي . وكانت في الأصل داراً للأمير حسن كاشف أحد أمراء المماليك ، وفي عهد الحملة الفرنسية سكنها أعضاء « المجمع العلمي » الذي أنشأه بونابرت ثم أخذها عثمان بك البرديسي ، ثم عمرها محمد علي وجعلها مدرسة ، فلما تولى عباس باشا أبطلها وجعلها « مسافر خانة » أي داراً ينزل بها ضيوف مصر من البلاد الأجنبية .

ولم تكن الدار لتتسع لمقام التلامذة جميعاً فضم إليها بعض الدور المجاورة ^(٢) ، على أن البناء الجديد لا يزال يضيق بهذا العدد الضخم من التلاميذ الذي كانت تنظمه المدرسة في العباسية ، لهذا نقل كثير من تلامذتها إلى المدرسة التجهيزية ولم يلحق بدلم إلا القليل ، فسرعان ما هبط عدد التلامذة إلى ٧٧٨ تلميذاً ^(٣) في نفس العام الذي نقلت فيه

(١) أمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ٢٩ و دفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ٣٦ رقم ١٧٣ إلى المبتديان في ٢٣ شوال ١٢٨٤ .

(٢) علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ١ ج ٣ ص ٩٧ — ويرى علي مبارك أن بناء المدرسة رغم عمارة وإصلاحه عدة مرات لا يصلح ويشير بهدمه وبناءه على قالب مستحسن ، ووصف دور (التعليم في مصر ص ٢٣١ — ٢٣٢) المدرسة فقال : تقوم أربع بنايات حول فناء متسع غرس بأشجار اللبخ ، وأكبر هذه البنايات وهي التي في الداخل خصصت لقاعات الدراسة والتي إلى اليمين للطابع والمرافق والتي إلى اليسار للمستشفى والمغسل والآخرية وهي التي تطل على الشارع تحتوي على حجرات النوم .

(٣) محفظة ٤٢ (معية تركي) رقم ٦٠٠ بدون تاريخ (١٢٨٤ ؟) .

إلى الناصرية ثم إلى ٤٧٩ في العام التالي^(١)، وحُوِّل كثير من منهم إلى القسم الخارجى^(٢).
وقد ألحق بمدرسة المبتديان — خلال تاريخها الطويل — مكاتب وأقسام دراسية
مختلفة نذكرها مرتبة بحسب تاريخ إنشائها :

١ — المكتب العالى :

وكان يدعى أحياناً « مكتب الأنجال » أو « مكتب الذوات » .

كان إسماعيل قبل توليه معنياً بتربية أنجاله محمد باشا توفيق « ولى العهد »
وحسن باشا وحسين باشا كامل وإبراهيم باشا حلمى تربية راقية ، فأنشأ لهم مدرسة
خاصة بالمئيل يتعلمون فيها على أيدى أساتذة من كبار العلماء الأوربيين والوطنيين^(٣) .
فلما أنشئت مدرسة المبتديان بدأ الاستعداد لإنشاء « المكتب العالى » ليتعلم به أنجال
الخديو ومن يلحق بهم من أبناء الذوات^(٤) . وقد جعل المكتب فى أول الأمر فى
جناح من بناء المدرسة بالعباسية^(٥) ، ريثما يتم إعداد قصور العباسية — التى عنى

(١) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربى) ص ٧٢ رقم ٥٤٩ من إدارة المدارس الملكية
فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٥ .

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

(٤) دفتر ٣٤٤ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ٤٢٧ إلى خزانة الأمتعة فى ١٦
ربيع الأول ١٢٨٠ .

(٥) دفتر ٣٤٥ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٣٣٢ إلى المبتديان فى ٢٢ ربيع الأول
١٢٨٠ ، دفتر ٣٥٠ (مدارس عربى) ص ٥٣ رقم ٤٤٢ إليها فى ٢٩ شعبان ١٢٨٠ .

بتشييدها عباس باشا الأول — لتكون مقراً للأنجال (١).

وفي أواخر سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤) بدأ سمو الأمراء دراستهم بالمدرسة ، ثم صدر الأمر بإعداد مكان آخر بالمدرسة ليقم به بعض أبناء الأسر الكبيرة ، على أن تكون كساويهم مشابهة تمام المشابهة لكساوي سائر تلامذة المدرسة ومرتباتهم مثلهم (٢) ، على أن يعتنى بتوفير راحتهم ورفاهيتهم في النوم والغذاء « لأنهم قد ألفوا العز والرفاهية » (٣) ، ثم أفردت حجرة بالمدرسة لسمو « إسماعيل بك » نجل المرحوم محمد علي باشا (الصغير نجل محمد علي الكبير) وكان طالبا بالمدرسة الحربية (٤) ، ثم تبعه بعد أشهر « طوسون باشا » نجل المرحوم سعيد باشا ومعه مربية الإنجليزى (٥).

وكان الأنجال والتلامذة المتقدمون — وهم عشرون تلميذاً (٦) — يتلقون دروسهم بالمدرسة التجهيزية ، وكانت تجاور مدرسة المبتديان بالعباسية . أما التلامذة الآخرون

(١) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ٦٧ إلى ضبطية مصر فى ٢٧ ربيع الثانى ١٢٨٠ .

(٢) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ١٠٤ رقم ٨١٠ إلى المبتديان فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٨٠ .

(٣) دفتر ٥٣٩ (معية تركى) ص ٨١ رقم ٦ أمر إلى ناظر المدارس والخارجية فى ٧ ذى القعدة ١٢٨٠ .

(٤) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٤٢٢ إلى المدرسة الحربية فى ٢١ شوال ١٢٨٠ .

(٥) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١١٩ رقم ١٤٦ إلى المسافر خانة فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ و ص ١٢٤ رقم ١٥٦ فى ٥ رجب ١٢٨١ .

(٦) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ٨٣ رقم ٥٣٥ إلى التجهيزية فى ١٤ ذى القعدة ١٢٨٠ .

فيقتلون دروسهم بمدرسة المبتديان . ولكنهم جميعاً - وكانوا ٦٦ تلميذاً - يتناولون غذاءهم ويبيتون بجناحهم الخاص بمدرسة المبتديان^(١) ، أما الأنجال فكانوا يبيتون بقصر من قصور العباسية التي تم إعدادها^(٢) .

وكان مكتب الأنجال معدوداً من (فروع) ديوان المدارس ، لهذا صدر أمر الخديو بإحالة مراتب خدمه وسائر مصروفاته التي كانت تصرف من الخاصة الخديوية على « أبعادية » أى ميزانية ديوان المدارس وقد بلغت ١٠,٦١٥ قرشاً و ٢٠ بارة^(٣) .

وكان يقوم بالتدريس لسمو الأمراء ورفاقهم نخبة مختارة من المدرسين : منهم محمد أفندى فاضل لتدريس اللغتين التركية والفارسية^(٤) ومنصور عزمى أفندى لتدريس اللغة الفرنسية وأمانة « الكتبخانة » الأفرنجية بالمدرسة^(٥) ، ومن الأساتذة الأوروبيين الإنجليزي يدعى « باست » لتدريس اللغة الإنجليزية وكان معلماً لطوسون باشا نجل سعيد

(١) دفتر ٣٥٦ (مدارس عربى) ص ١١٤ رقم ٦٢٩ من المبتديان فى ١٣ ذى القعدة ١٢٨٠ ودفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ٧٠٩ إلى المبتديان وص ٦٤ رقم ٥٠٥ إلى التجهيزية فى ٨ ذى القعدة ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٥٣ (مدارس عربى) ص ١٣٩ رقم ٨٩٢ إلى المبتديان فى ١٦ ذى الحجة ١٢٨٠
(٣) دفتر ٣٥٨ (مدارس عربى) ص ١١٩ رقم ١٤٦ إلى المسافر خانة فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ وص ١٢٤ رقم ١٥٦ فى ٥ رجب ١٢٨١ .

(٤) دفتر ٣٥١ (مدارس عربى) ص ١٨٤ رقم ٩٨٨ إلى سعادة ناظر أمور خاصة خديوى فى ٢٧ المحرم ١٢٨١

(٥) دفتر ١٩٠٨ (أوامر) ص ٦٩ أمر عال لضبطية الإسكندرية وص ٧٦ إلى ديوان المدارس فى ٩ المحرم ١٢٨١

باشا^(١) ومسيو فيدال (بك ثم باشا وهو الذى أصبح بعد ذلك ناظراً لمدرسة الحقوق المصرية) لتدريس الرياضة والتاريخ. وكان يشرف على الدراسة والنظام فرنسى آخر يدعى « Jackie » جاقله^(٢).

ومضى عامان منذ أنشئ مكتب الأنجال، ورؤى أنه قد اشتد ساعدهم، لهذا يحسن أن يؤخذوا بتربية عسكرية تعدهم — بعد عامين — للحاق بأحد أقسام المدرسة الحربية على حسب استعدادهم، ولهذا الغرض استقدم القومندان « هايو » من فرنسا ليعمل بدلا من « جاقله بك » تحت إدارة وملاحظة « ميرشير بك » ناظر المدارس الحربية^(٣). وبدأ هايو عمله فانفصل سمو الأنجال من المدرسة التجهيزية، واختص بهم معلوهم الأربعة الذين كانوا يعلمونهم بالتجهيزية^(٤): وكان القومندان « پولار » يقوم بتعليم سموهم ركوب الخيل^(٥) ومحمد أفندى قدرى (بك ثم باشا) الجغرافيا والتاريخ

(١) دفتر ٣٦٣ (مدارس عربى) رقم ٤٧٧ إلى المدرسة التجهيزية فى ٤ ذى الحجة ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٧٤ (مدارس عربى) ص ٥ رقم ٦ إلى المدرسة التجهيزية فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٢

(٣) محفظة ٣٧ (معية تركى) رقم ٢٦٣ من محمد شريف إلى صاحب السعادة الأفندى فى ٩ ذى القعدة ١٢٨٢

(٤) دفتر ٣٩٣ (مدارس عربى) ص ١٤٢ رقم ٣٢١ إلى المدرسة التجهيزية فى ١٦ ذى الحجة ١٢٨١

(٥) دفتر ٣٧٦ (مدارس عربى) ص ١٦٧ رقم ٩٢٥ إلى إدارة المدارس الحربية فى غرة ذى الحجة ١٢٨٢

بالاشتراك مع مسيو فيدال^(١) وعهد إلى « عثمان أفندى صبرى » وكان مدرسا بالتجهيزية بالقيام بوظيفة « ضابط المذاكرات » (يقصد التحريرات) والترجمة وأن يكون ملازما لهم في كل مكان^(٢)، وكذلك ندب الخطاط الشهير « عبد الله زهدى بك » ليعلمهم تجويد الخط^(٣). وكان « القومندان هايو » يرفع إلى الخديو التقارير الشهرية بنتائج دراستهم وأحوالهم الصحية والخلقية، ومنها نعلم أنهم كانوا يتلقون دروساً في الهندسة والحساب والرسم الهندسى والتاريخ والجغرافيا واللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية

(١) دفتر ٣٧٨ (مدارس عربى) ص ١٠٧ رقم ٥٨٨ إلى المدرسة التجهيزية فى ٢٦ ربيع الأول ١٢٨٣ وكان فيدال قد أتى إلى مصر فى (مايو ١٨٦٥) وبدأ يلقى دروسا على بعض الطلبة فى المدارس الحربية فى الرياضات العالية. ثم رأى أن جهوده لم تثمر فألغيت هذه الدروس فى سنة ١٨٦٦ وعينه الخديو مدرسا للأنجال فوضع كتابا فى مبادئ الرياضيات وآخر فى التاريخ ترجم إلى العربية وكتابا فى الميكانيكا وقد استخدمت كتبه فى المدارس المصرية، كما عهدت إليه الحكومة فى هذه الفترة من حياته العلمية بوضع مصور لمصر القديمة. وفى سنة ١٨٦٧ عهد إليه بوضع لائحة عامة وقانون للجنايات كما عهد إليه باعطاء درس خاص فى القانون الإدارى لولى العهد (توفيق باشا) وقيل إن نجاحه فى هذا الدرس كان باعثا على إنشاء مدرسة للحقوق فى مصر وجعل فيدال ناظرا عليها. انظر M. A. Gavillot, Notice sur Vidal Pacha (Bull. Inst. Egypt. 1891) وكانت دروس فيدال تطبع فى مطبعة الحجر بالمدارس الحربية (دفتر ٣٧٨ — مدارس عربى — ص ١٤٦ رقم ٦٣١ الى ناظر المدارس الحربية فى ٤ ربيع الثانى ١٢٨٣)

(٢) دفتر ٢٨٧ (مدارس عربى) ص ٢٠ رقم ٣٠٢ الى مسيو هايو قومندان

الأنجال فى ١٧ شوال ١٢٨٣

(٣) محفظة ٤٣ (معية تركى) رقم ٢٦١ من اسماعيل صديق ناظر المالية الى المعية

السنية فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٤

وركوب الخيل والسباحة ^(١).

وقد ألحق الخديو « عبد الله فكرى بك » (باشا) ناظر القلم التركى بالمعينة السنينة بالأناجال « لملاحظة تعليماتهم التركية والعربية » ^(٢).

وأقبل عبد الله فكرى بك جادا فى تدريس اللغات العربية والتركية والفارسية للأمرء: نحوا وصرفا وإنشاء وإملاء وترجمة وحفظا ، كما أزمع أن يعلمهم المعانى والبيان والبديع وقرض الشعر ، وأن يضع لهم مجموعة من القصص والنصائح ، ورفع بهذا كله تقريرا مطولا إلى سمو الخديو ^(٣).

وانتقل الأمرء من العباسية إلى قصر عابدين ، وكان الخديو يزورهم من وقت لآخر ليشهد امتحانهم ^(٤)، وكانوا يقضون الصيف مع قومندانهم ومعلمهم بالاسكندرية ^(٥).

ولما وضع ترتيب جديد للمدارس فى رمضان ١٢٨٤ (يناير ١٨٦٨) أحييت

(١) محفظة ٤١ (معية تركى) رقم ٢٧٤ (عربى) من هايو الى رياض باشا فى ٧ ربيع الثانى ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٢ (مدارس عربى) ص ١١٨ رقم ٥٠ إلى المالية فى ١٣ جمادى الثانية ١٢٨٤

(٣) محفظة ٤٢ (معية تركى) رقم ١٦٩ من عبد الله فكرى بك إلى المعينة السنينة فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٨٤

(٤) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٣٢٦ إلى ناظر المسافر خانة فى ٢٢ شعبان ١٢٨٤

(٥) محفظة ٤٣ (معية تركى) رقم ٢٨١ (عربى) من ميرشمير بك إلى خيرى بك مهردار الخديو فى آخر ذى الحجة ١٢٨٤

مصرفات «مكتب الأنجال» من ديوان المدارس إلى الخاصة الخديوية ، وقد بلغت هذه المصروفات : ١٥ بارة / ٢٧,٠٩٧ قرشا وهى عبارة عن مرتبات الموظفين باعتبار شهر واحد عدا قيمة «التعيينات» التى تصرف لسموهم وقومندانهم^(١).

وفى أوائل سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨) أرسل سمو الأميرين حسن باشا وحسين باشا للدراسة فى أوروبا وعين للسفر معهما معلمان للغة التركية وآخران للغة العربية^(٢). وظل توفيق باشا يتابع دروسه الخاصة بمصر^(٣)، أما إبراهيم باشا وطوسون باشا فأعد لهما مكان خاص بالمدرسة التحضيرية بسرأى درب الجماميز^(٤).

(١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٧٨ رقم ٨٤ إلى الخاصة فى ١١ شوال ١٢٨٤
(٢) وهم أحمد رأفت افندى وإبراهيم شوقى افندى للتركية والشيخ زين المرصفى والشيخ محمد خضير الدمياطى للعربية : محفظة ٤٤ (معية تركى) رقم ٣٧ من شريف باشا إلى مهردار الخديو فى ٢١ جمادى الأولى ١٢٨٥ ، رقم ١٢٩ من محافظ الإسكندرية إلى المعية فى ١٢ رجب ١٢٨٥

(٣) وقد عين حماد (بك) عبد العاطى مدرسا للعلوم الرياضية لتوفيق باشا بدلا من مسو فيدال الذى أبقى بمدرسة الإدارة (الحقوق) : دفتر ٤٢٠ (مدارس عربى) ص ١٢٣ رقم ٢٠ من الخاصة الخديوية فى ١١ رجب ١٢٨٥. وكان يعلم سموه اللغة العربية الشيخ عبد الهادى نجما الأييارى والفارسية ميرزا حسين : دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٦٧ أمر كريم إلى كتبخداى توفيق باشا فى ٢١ رمضان ١٢٨٧ ، وعلى مبارك : الخطط التوفيقية م ٢ ج ٨ ص ٢٩

(٤) دفتر ٤٢٠ (مدارس عربى) ص ٧٣ رقم ٢ من المعية السنية فى ١٨ رجب ١٢٨٥ وكانت التقارير تشير دائما إلى تأخر سمو إبراهيم باشا فعين له «فلقة دروس» خاص (هو أحمد افندى نظم) : دفتر ٤١١ (مدارس عربى) ص ١٨٦ رقم ٥٦ من مصالح سنية إلى الديوان فى غرة ربيع الثانى ١٢٨٥ كما عين له أستاذ ليعلمه العربية وهو الشيخ على نابل الذى =

أما النجل الخامس لسمو الخديو إسماعيل باشا « محمود بك حمدى » فقد وجهه سمو والده للدراسة فى إنجلترا ، وأرسل معه معلما يعلمه اللغة العربية وآخر يعلمه الفارسية والتركية (١) .

أما أصغر أنجاله سمو الأمير (فؤاد بك) « المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول » فقد بدأ فى سنة ١٨٧٣ - وكان وقتئذ بالأساتنة - يتلقى مبادئ القراءة والكتابة من كتاب « ألف باء » الذى كان قد وضع حديثا (٢) .

= كان أخيراً مدرسا للغة العربية لطلبة الرسالة المصرية بباريس : دفتر ١٩٣٥ (أوامر) ص ٥٣ أمر كريم إلى ديوان أمور خاصة فى ١٩ شعبان ١٢٨٧ . واستخدم ضابط انجليزى هو « الجنرال مككين » ، ليعلمه الفنون العسكرية : دفتر ١٩١٩ (أوامر) ص ١٢٢ أمر كريم فى ٣ صفر ١٢٨٣ ودفتر ١٩٣٠ (أوامر) ص ١٣٨ أمر كريم فى ٤ ربيع الثانى ١٢٨٧ وأبرم عقد مع أستاذ أجنبى ليقوم بتدريس اللغة اللاتينية لسموه : محفظة ٤٧ (معية تركى) رقم ٦٩٢ عقد اتفاق بين الجناب العالى والمسيو رولند هيجل فى ٨ رمضان ١٢٨٧ وكان يعقوب أرتين (بك) ناظرا له لمكتب سعادة ابراهيم باشا ، دفتر ٤٦٨ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ١٤٢ إلى مدرسة المبتديان فى ٢٠ صفر ١٢٩١

(١) وهما الشيخ إبراهيم الروينى وكان مدرسا بالمدرسة التجهيزية (بعد أن رشح الشيخ أحمد المرصفى باشمصحح المكاتب الأهلية ثم الشيخ أحمد مروان من علماء الازهر) وعبد الله أفندى سكوتى وكان مدرسا للغتين التركية والفارسية بمدرسة الادارة : دفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ١٠ رقم ١٨ إلى المعية السنية فى ١٩ المحرم ١٢٩٠ ودفتر ٤٥٩ (مدارس عربى) ص ٢٩ رقم ٤٩ إلى الدائرة السنية فى ١٦ ربيع الثانى ١٢٩٠

(٢) محفظة ٥١ (معية تركى) رقم ٢٠٨ من مأمور الدائرة السنية بالأساتنة إلى المعية

فى ٩ جمادى الثانية ١٢٩١

٢ — المكتب الخيري :

وفي أواخر سنة ١٢٨٨ (١٨٧٢ م) رأى ديوان المدارس أن الإقبال على مدرسة المبتديان بالناصرية يشتد من وقت لآخر ، وأن المكان لا يحتمل زيادة عدد التلاميذ ، وأن هذه الزيادة تقتضى ميزانية الدولة نفقات جديدة لا تستطيع إذ ذاك أن تنهض بها ، لهذا اقترح الديوان على سمو الخديو أن يأذن بإنشاء مكتبتين « خيريين » لتعليم الأطفال المبتدئين وإعدادهم للمدرسة التجهيزية ويلحق أحدهما بمدرسة المبتديان بالقاهرة ويتسع لثلاثمائة تلميذ ويلحق الآخر بمدرسة الاسكندرية ويتسع لمائة وخمسين تلميذا ، على أن تحسب نفقات إنشاء هذين المكتبتين وفرقة الصنائع التى اقترح إنشاءها فى الوقت نفسه كذلك وقدرها ١٩ بارة / ٣ قرش / ١٣٣٤ كيسة (١٩ بارة و ٣ قرش و ٦٦٧٠ جنيها) من إيراد المكاتب الأهلية ، مع ما يجمع من المصروفات « الجزؤية » التى ستفرض على تلاميذ المكتبتين . أما مدرسة المبتديان بالقاهرة والاسكندرية فتبقيان على ما هما عليه بدون تغيير ^(١) .

وسرعان ما اكتظ المكتب الخيري الجديد بالقاهرة أو « مدرسة المبتديان الخيرية » بالتلاميذ ، حتى كان به فى العام التالى لإنشائه ٤٨٩ تلميذا موزعين على أحد عشر فصلا ، بينما هبط تلاميذ « مدرسة المبتديان الملكية » إلى ٢١٨ تلميذا موزعين على ستة فصول ^(٢) . وفى سنة ١٨٧٤ وزع تلاميذ المدرسة — طبقا للخطة الدراسية

(١) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٠ رقم ١٤ إلى المعية السنية فى ٥ ذى الحجة ١٢٨٨

(٢) انظر دفتر ١٧ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

التي وضعت في تلك السنة — على فرق دراسية أربع وكل ، فرقة تتألف من عدة فصول ، وحددت لكل فرقة مواد الدراسة .

ويبدو أن النية اتجهت في ذلك الوقت إلى التمهيد لإلغاء « مدرسة المبتديان الملكية » بإدماجها في « المدرسة الخيرية » تخفيفاً عن ميزانية الدولة . يظهر هذا من دراسة فرق الدراسة بـكلتا المدرستين وعدد تلاميذهما في تلك السنة (١٨٧٤) أى بعد نحو ثلاثة أعوام من إنشاء المكتب الخيري : إذ لا نجد بالمدرسة سوى الفرقة الأولى « الميرية » ويقصد « الملكية » وعدد تلاميذ فصولها الأربعة ٨٥ تلميذاً ، بينما الفرق الباقية كلها (الثانية والثالثة والرابعة) « خيرية » ومجموع تلامذتها ٣٨٥ تلميذاً^(١) . حتى إذا كان العام التالي (١٨٧٥) تم هذا الاندماج ، فلم نعد نجد بمدرسة — أو مدرستى المبتديان الميرية والخيرية — سوى أربع فرق مقسمة إلى أربعة عشر فصلاً ومجموع تلامذتها ٤٤٦ تلميذاً من غير تمييز بين « ميرية » أو « خيرية »^(٢) . واستمرت المدرسة على هذا النحو عامى ١٨٧٧ و ١٨٧٨^(٣) ، حتى إذا كان عام ١٨٧٩ عاد التفكيك إلى توسيع مدرسة المبتديان بزيادة عدد تلامذتها وقسمتهم بين فرق أميرية وأخرى خيرية . وبهذا قفز عدد تلاميذ المدرسة بقسميها من ٢٤٨ تلميذاً (سنة ١٨٧٨) إلى ٧٥٥ تلميذاً (سنة ١٨٧٩) . ولكن هذا التقسيم كان مؤقتاً ، وعادت المدرسة إلى ما كانت عليه .^(٤) فلما وضع (قومسيون تنظيم المعارف) تقريره في ديسمبر سنة ١٨٨٠ لم يذكر فيه شيئاً عن المدرسة الخيرية أو المكتب الخيري بمدرسة المبتديان .

(١) انظر دفتر (١٧) (امتحانات) بدفترخانة المعارف

(٢) انظر دفتر ١٨ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

(٣) انظر دفتر ١٩ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

(٤) انظر دفترى ٢٠ و ٢١ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

٣ - فرق تجريبية العمليات :

أنشئت في سنة ١٢٩٢ (١٨٧٤) وألحقت بمدرسة المبتديان بالناصرية ، واستمرت أربع سنوات ، وهذا بيان بعدد تلامذتها :

سنة ١٨٧٤	١٤ تلميذاً
« ١٨٧٥	« ٢١
« ١٨٧٦	« ٢٠
« ١٨٧٧	« ١٧

ونزجح أن هذه الفرقة ضمت بعد ذلك إلى مدرسة العمليات .

وكان طلبتها يدرسون المواد الآتية :

رياضة (حساب وهندسة) ، لغة فرنسية أو انجليزية ، جغرافيا ، تاريخ ، خط عربي
خط أفرنجي ، رسم^(١) .

(١) وكان يدرس هذه المواد محمد فايد والشيخ حسن جلال (رياضة) ، محمد فكري
واسكندر اسلام (اللغة الفرنسية) ، محمد طاهر (اللغة الانجليزية) ، أحمد حسين
واسكندر اسلام (جغرافيا) ، أحمد نجيب (تاريخ) ، الشيخ علي سالم (خط عربي) ،
ومسيو ألمانزي (خط أفرنجي) ، عبد الرازق حسني (رسم نظري) : انظر دفاتر ١٧ و ١٨
و ١٩ . (امتحانات)

٤ - فرق التجارين :

أنشئت أولاً بمدرسة القرية ثم نقلت إلى مدرسة المبتديان بالناصرية وأقامت بها عام ١٨٧٤ ، وكان عدد تلامذتها أربعة وثلاثين تلميذا يدرسون - عدا « صناعة النجارة » - مادة الحساب ويمتحنون فيها شفويّاً وتحريراً^(١) ، ثم نقلوا إلى مدرسة الصنائع أول افتتاحها^(٢) .

٥ - الفرق التجريبية :

أنشئت لأول مرة في سنة ١٢٩٦ (١٨٧٩) وبها ٩٤ تلميذاً موزعين على ثلاث فرق دراسية^(٣) ، ثم استكملت في العام التالي فرقتها الأربع ، وامتنح تلامذتها لأول مرة ودونت نتائجهم في دفاتر امتحانات مدرسة المبتديان^(٤) . أما مواد دراستهم ومصير فرقه فسنفصله في مكان آخر حين نتكلم على مدارس التعليم التجهيزي .

أما الآن فنختم حديثنا عن مدرسة الناصرية الأميرية الابتدائية بالبيان التالي عن عدد تلامذتها بأقسامها المختلفة منذ العام التالي لإنشاء المكتب الخيري حتى نهاية العصر الذي نؤرخ التعليم فيه^(٥) :

(١) انظر دفتر ١٧ (امتحانات) بدفترخانة المعارف .

(٢) دفتر ٤٨٧ (مدارس عربي) ص ١٢٢ رقم ٥٨٢ إلى مدرسة المبتديان في

٢ شعبان ١٢٩٢ .

(٣) انظر تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) في سنة ١٨٨٠ ص ٢٩

(٤) انظر دفتر ٢٠ (امتحانات المبتديان) بدفترخانة المعارف .

(٥) اعتمدنا في إيراد هذه الأرقام على ما جاء بدفاتر امتحانات المدرسة وقد أشرنا إليها .

سنة	سنة	سنة	سنة	سنة	سنة	سنة	سنة	سنة	المدرسة أو القسم
٨٢	٨١	٨٠ (٢)	٧٩	٧٨	٧٧	٧٦	٧٥ (١)	١٨٧٣	
٨٥٣		٥٧٣	٧٥٥	٢٤٨	٢٩٣	٤٤٦	١٨٥	٢١٨	مدرسة المبتديان الملكية
—		—	—	١٧	٢٠	٢١	٣٨٥	٤٨٩	» المبتديان الخيرية
—	٦٨٣	—	—	—	—	—	١٤	—	فرقة تجهيزية العمليات
—	—	—	—	—	—	—	٣٤	—	فرقة النجارين
—	—	١٥٠	٩٤	—	—	—	—	—	الفرق التجهيزية
٨٥٣	٦٨٣	٧٢٣	٨٤٩	٢٦٥	٣١٣	٤٦٧	٥١٨	٧٠٧	مجموع التلاميذ

نظارة المدرسة:

كان « على مبارك بك » أول ناظر لمدرسة المبتديان ، ثم خلفه على نظارة المدرسة

(١) جاء في الإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ (Statistique des Ecoles Civiles) ص ٤ أن عدد تلامذة المدرسة في هذه السنة ٥٣٩ تلميذا : ٤٧٠ بالقسم الداخلي و ٦٩ بالقسم الخارجي .

(٢) جاء في تقرير (قومسيون تنظيم المعارف سنة ١٨٨٠) ص ١٥ — ١٦ أن عدد تلاميذ المدرسة في تلك السنة ٦٨٩ تلميذا موزعين على أربع فرق : بالفرقة الأولى (النهائية) ١١٪ من مجموع تلامذة المدرسة والثانية ٢٥٪ / وبالثالثة ٤٠٪ / وبالرابعة ٢٤٪ /

« سليمان نجاتى افندى » وكان ناظراً للقلم الأوروبى بمحافظة مصر^(١). ولكن على أثر ذلك صدر أمر آخر بإعادته إلى عمله بالمحافظة وبتعيين « إسماعيل بك زهدى » ناظراً على المدرسة^(٢). وظل إسماعيل زهدى ناظراً على المدرسة من المحرم سنة ١٢٨٠ إلى ذى القعدة سنة ١٢٩٠ (١٨٦٣ — ١٨٧٤). وقد نقلت المدرسة فى أول عهده إلى العباسية ثم نقلت فى سنة ١٨٦٧ إلى الناصرية. وفى عهده قوى شأن المدرسة ونظمت برامجها... الخ. وقد أضيفت إليه عقب الانتقال إلى الناصرية وظيفة « مدير إدارة المدارس الملكية^(٣) ».

وخلفه على نظارة المدرسة « أحمد بك عبيد » وكان وكيلاً لمجلس تجار مصر^(٤).

(١) دفتر ٥٣١ (معية تركى) جزء ٢ ص ٣٣ رقم ١١٦ من المعية إلى محافظة مصر فى ١٣ المحرم ١٢٨٠ ودفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٣٧ رقم ١٣٢ إلى مدرسة المبتديان فى ٢١ المحرم ١٢٨٠ (وكان مرتبه ثلاثة آلاف قرش فى الشهر).

(٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ١٣٨ رقم ٣٩ إلى محافظة مصر فى ٢٦ المحرم ١٢٨٠ ودفتر ٥٢٥ (معية تركى) ص ١٠١ أمر إلى ناظر الجهادية فى ٢٠ المحرم ١٢٨٠ وبإسماعيل زهدى تبدأ سلسلة نظار المدرسة كما أثبتها أمين باشا ساعى (التعليم فى مصر القسم الخامس من الملاحقات ص ٥٥ — ٥٦) وكان مرتب النظارة بالترتيب خمسة آلاف قرش فى الشهر: دفتر ٣٤٣ (مدارس عربى) ص ٧٨ رقم ١٦٤ إلى مدرسة المبتديان فى غاية المحرم ١٢٨٠.

(٣) انظر فيما سبق ص ١٣٥

(٤) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ١٠ إلى المعية السنية فى ٢٩ شوال ١٢٩٠ ودفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ١ رقم ٣١٠ إلى أحمد أفندى عبيد ناظر مدرسة المبتديان فى غرة ذى الحجة ١٢٩٠.

وظل ناظراً من غرة ذى الحجة ١٢٩٠ إلى جمادى الأولى ١٢٩٢ (يناير ١٨٧٤ — أبريل ١٨٧٥) ثم نقل عضواً بالمحاكم المنشأة حديثاً^(١).

- وخلفه «صادق أفندي شنان» (من نوفمبر ١٨٧٥ إلى مارس ١٨٧٦).
- ثم حامد أفندي نيازي (من أبريل ١٨٧٦ إلى أكتوبر ١٨٧٨).
- ثم محمد أفندي فايد (من نوفمبر ١٨٧٨ إلى مارس ١٨٨٧)^(٢).

وكلاء المدرسة:

كان أول «وكيل» عين للمدرسة البكباشي «محمد نصر أفندي» (في ٢٥ رمضان ١٢٧٩)، وكان يشغل قبل ذلك وظيفة وكيل مدرسة المهندسخانة السعيدية برتبة صاغقول أغاسي^(٣).

ثم جاء وقت ألغيت فيه وظيفة وكيل المدرسة، حتى أضيف إلى ناظرها — إسماعيل بك زهدى — منصب مدير إدارة المدارس الملكية كما تقدم، فأصبح يقيم بديوان المدارس بدرب الجمايز، فروى أن من الضروري أن يعين للمدرسة وكيل يقيم بها ويشرف على شئونها في غياب ناظرها، ووقع الاختيار على «علي أفندي عزت»

(١) دفتر ٤٨٢ (مدارس عربي) ص ٤٦ رقم ٢٨١ إلى كتاب الحسابات في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٢

(٢) دفتر سنة ١٨٧٩ (إيرادات المدارس) ص ٢ رقم ٣ في ١٢ شعبان ١٢٦٦
 (٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربي) ص ٢ رقم ٣ إلى مدرسة المبتديان في ٢٨ رمضان ١٢٧٩ و ص ٤٨ رقم ٣٩ إلى المالية في ١٥ ذى القعدة ١٢٧٩. وكان مرتبه كما ورد بالترتيب، ١٥٠٠ (قرش) في الشهر.

علاوة على وظيفته كمدرس بمدرسة المهندسخانة (١) .

وخلفه في وكالة المدرسة — في عهد نظارة إسماعيل بك زهدى كذلك — برعى أفندى وكان مهندساً بالأشغال العمومية (٢) ، ويذكر أمين باشا سامى (٣) أنه استمر وكيلاً للمدرسة من سبتمبر ١٨٧٠ إلى يناير ١٨٧٤ ولم يذكر خلفه . ولكن الوثائق تتحدث عن تعيين « محمد أفندى ثاقب » ضابط أول المدرسة وكيلاً لها في فبراير ١٨٧٤ (٤) .

هيئة التدريس بالمدرسة

بدأ تكوين هيئة التدريس بعدد قليل من المدرسين والمعيدين — أكثرهم من مقرئ القرآن الكريم للأطفال المبتدئين — وما لبث عددهم أن كبر كلما ازداد عدد تلاميذ المدرسة . والبيان التالي يوضح عدد مدرسي المدرسة ومعيديها موزعين على مختلف مواد الدراسة في سنين متباعدة من تاريخ المدرسة :

(١) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٧٤ إلى إدارة المدارس الملكية في ٢٤ جمادى الثانية ١٢٨٦ .

(٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٢٤ رقم ٧٢٦ إلى إدارة المدارس الملكية في ٢٩ صفر ١٢٨٧ . وكان مرتبه ١٢٠٠ قرش في الشهر ، ويذكره (دور بك في كتابه ص ٣٨٥) باسم ناظر المدرسة .

(٣) التعليم في مصر : القسم الخامس من الملحقات ص ٥٥ — ٥٦ .

(٤) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ١٣٢ رقم ٥٨ إلى مدرسة المبتديان في ١١ المحرم ١٢٩١ — مرتب ٧٠٠ قرش في الشهر .

المادة	مايو (١) ١٨٦٤	شتاء (٣) ٧٢/٧١	يناير (٣) ١٨٧٤	ديسمبر (٤) ١٨٧٥	ديسمبر (٥) ١٨٨٠
الرياضة	٢	٤	—	٧	٨
اللغة العربية	٢	٥	—	٤	٦
الخط العربي	٢	—	—	٣	٢
القرآن الكريم	١٥	٣	—	٣	٨
اللغة التركية	٢	٣	—	٤	٣
» الألمانية	—	١	—	١	١
» الفرنسية	—	٤	—	٢	٨
» الانكليزية	—	١	—	١	٢
التاريخ	—	—	—	١	١
الرسم	—	٢	—	٤	٤
الخط الأوربي	—	—	—	٢	٢
المجموع	٢٣	٢٣	٣٧	٣٣	٤٥

(١) دفتر ٣٥٤ (مدارس عربي) ص ١٦ رقم ١٠٦٣ إلى مدرسة المبتديان في ٢٢ المحرم ١٢٨١

(٢) Dor, op. cit. p. 385.

(٣) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربي) ص ٢٥ رقم ٣٥٨ إلى مدرسة المبتديان في ٨ ذي الحجة ١٢٩٠

Ministre de l'Instruction publique, statistique des Ecoles Civiles. (٤)
1875. p. 4.

(٥) تقرير قومسيون تنظيم المعارف سنة ١٨٨٠ ص ١٧ — وقد أشار القومسيون بتعيين

ويلاحظ أن مدرسي اللغات الأجنبية كانوا يقومون بتدريس التاريخ والجغرافيا كما يلاحظ أن بعض مدرسي المدرسة كان يلقى دروساً في مدارس أخرى .

٦ = مدرسين آخرين . وثبت فيما يلي أسماء الذين شغلوا مناصب التدريس في مدرسة المبتدیان بالقاهرة في فترات مختلفة من تاريخها منذ إنشائها في ١٨٦٣ إلى ١٨٨٢ وقد جمعنا هذه الأسماء من بعض الأوراق بمحفوظات عابدين ومن كتاب دوربك عن التعلیم (ص ٣٨٥) ومن الإحصاء العام للدارس سنة ١٨٧٥ (النسخة الفرنسية ص ٤) ومن دفاتر تسجيل نتائج امتحانات تلامذة المدرسة وقد أعطيناها أرقام ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ وهي مودعة بدفترخانة وزارة المعارف العمومية وهم :

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط العربي : المشايخ إبراهيم الأنصاري ومحمد بيومي وإبراهيم الدسوقي وسليمان عطوة وعلي نايل ومحمد الزیادی وأحمد المرصفي ومحمد مونس ومحمد قناوی والسيد أحمد بطة وأحمد السعفی ومحمد الشرجی وإبراهيم عمر وعلي سالم ومحمد أبو زيد والشيخ عبد العزيز والشيخ رشوان وأحمد الصقي وعثمان مدوخ وإمام العادلي وأحمد حسين والسيد الدسوقي .

مدرسو اللغة الفرنسية والخط الأوربي : منصور عزمي ومحمد أمين فكري وإسكندر وإسلام وألمازی وأحمد حسن وبرتلي وعلي سلامة وإبراهيم صدقي وأحمد كمال وحسين زكي ومحمد وصفي ومحمد فكري ومحمد زهران وأوهانس ودرويش باز وأحمد شاكر ولوان وغبريال منقريوس .

مدرس اللغة الإنجليزية : محمد أفندي طاهر .

مدرسو اللغة الألمانية : أحمد نجيب ومحمد نغري وإبراهيم عارف وهاجناخر
مدرسو اللغة التركية : إبراهيم ممتاز وطالب أفندي و خليل كمال وأحمد عزت ومحمد حلیم ومصطفى المرباط ومحمد وصفي ومحمد شاكر ومحمود حمدي وإبراهيم رأفت
وفاضل أفندي .

هيئة الإدارة بالمدرسة:

عين بالمدرسة أول إنشائها ضباط بعدد فرقة الأربع، وكانوا يدعون « رؤساء فرق »، وقد اختيروا من ضباط الجهادية، وكان يفضل من له سابقة العمل بالمدارس. وكان يكتفى أحيانا في تعيين « رئيس الفرقة » أن يوجد « موافقا في القراءة والكتابة ». وقد نصت اللوائح على أن يكون لكل ١٠٠ تلميذ بالمدرسة ضابط (١).

= مدرسو التاريخ والجغرافيا: محمد نغرى وأحمد نجيب وأحمد حسن واسكندر إسلام والسيد عزمى (وكان أكثر مدرسى اللغات الأجنبية يقومون بتدريس التاريخ والجغرافيا والخط الأوربي).

مدرسو الحساب: محمد فايد وعلى أحمد وعبد المجيد سامى ومهطفى واصف وحسن كامل ومهطفى سامى وإبراهيم صدق ومحمد منيب ومحمد نغرى وأحمد كمال وحسين زكى وأحمد حسن وإبراهيم عارف والشيخ حسن جلال والشيخ على عيسى والشيخ محمد دياب ومحمد إدريس وعثمان أنور ومحمود فاضل وحسن رائف.

الرسم النظرى: عبد الحميد فوزى وحسين سامى ومحمود سامى ومحمد رشوان وعبد الرزاق حسنى وعبد الله زهدى ومحمد عبد اللطيف وإبراهيم حسنى.

ملاحظات:

كان يدرس لتلاميذ كل من فصول الفرقة الرابعة (وهى أدنى الفرق الابتدائية) مدرس واحد يدرس لهم مبادئ الحساب والقراءة والكتابة والقرآن الكريم. وقد نصت اللائحة الأولى التى وضعت بالمدرسة أول إنشائها على أن يعين المعلمون بنسبة معلم واحد لكل خمسين تلميذا (دفتر ٣٩٤ — مدارس عربى — ص ٧٤ رقم ٣٧٩ إلى المبتدئان فى ١٦ المحرم ١٢٨٤)

(١) دفتر ٣٨٥ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ٢ إلى المعاونة السنوية فى ٢٣

ربيع الثانى ١٢٨١

وإلى جانب هؤلاء الموظفين كان بالمدرسة باسكتاب وكتاب وقباني ووكيل خرج وعدد كبير من الخدم ، حتى زاد مجموع موظفيها الفنيين والإداريين والسكتايين والخدم على مائتين ، ثم اقتضى الأمر — كما رأيت — إنقاص عدد تلاميذها وبالتالي عدد موظفيها وخدمها ، وقد كان مجموعهم قبل المحرم ١٢٨٤ (إبريل ١٨٦٧) ٢١٢ موظفاً وخادماً فانقصوا إلى ١٨٢^(١) . وبعد ذلك بأشهر أنقصوا إلى ٩٤ فقط (للمدرسة ومخزن العموم) ، ومجموع مرتباتهم في الشهر ٢٦,٨٩٠ قرشاً . وقد قدرت ميزانية المدرسة (والمخزن العمومي) المالحق بها في ترتيب أول رمضان ١٢٨٤ (ديسمبر ١٨٦٧) كما يلي^(٢) :

بارة	قرشا	جنيها
—	٨٠	٣,٢٢٦
٢٩	٢٤	٧,٠٩٨
٢٩	٤	١٠,٣٢٥
المرتبات		
المصروفات		
المجموع		

مدرسة رأس التين الأميرية

صدر الأمر بإنشاء مدرسة « الاسكندرية » في الوقت الذي صدر فيه الأمر بإنشاء مدرستي المبتديان والتجهيزية بالقاهرة (يناير ١٨٦٣) ، على أن يكون عدد تلامذة

(١) دفتر ٣٩٤ (مدارس عربي) ص ٧٤ رقم ٣٧٩ إلى مدرسة المبتديان في ١٦ المحرم ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٥ (مدارس عربي) ص ١٩٨ رقم ١٤٦ إلى مدرسة المبتديان في ١١ رمضان ١٢٨٤

مدرسة الاسكندرية ٥٠٠ تلميذ موزعين مناصفة بين قسم ابتدائي وآخر تجهيزي^(١).
وبادر الديوان فعين ناظرها وأنفذه إلى الاسكندرية ليشرف على إعداد وإصلاح بناء
المدرسة ، وهو البناء الذي كانت تشغله مدرسة الاسكندرية في عهد محمد علي ثم جعل
مدرسة حربية في عهد سعيد^(٢) . وعهد إليه جمع الأدوات والمهمات اللازمة من
مخازن دار الصناعة (الترسانة) ومستشفى رأس التين^(٣) وتقييد التلامذة الراغبين
الدخول بالمدرسة وتوزيعهم بين القسمين التجهيزي والابتدائي : فتلاميذ القسم الابتدائي
— أو المدرسة الابتدائية — تتراوح أعمارهم بين الثامنة والحادية عشرة ، وتلاميذ
القسم التجهيزي تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة^(٤) ، على أن يؤجل
قيدهم حتى يؤدوا بنجاح امتحانا في القراءة والكتابة وترفع درجاتهم ونماذج من
خطوطهم إلى الديوان ، أما التلامذة المبتدئون فليس من الضروري أن « يفهموا في القراءة »
بل يكفي أن يكون « منظور فيهم الاستعداد واللياقة وقيامهم موافقة ومأمول منهم
النجاة »^(٥). ولما كان من اليسير أن تتوفر هذه (الشروط) في الكثير من التلامذة

-
- (١) دفتر ٣٦٦ (مدارس عربي) ص ١١ رقم ٥ من مدرسة اسكندرية في ١١
ربيع الثاني ١٢٨١
- (٢) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربي) ص ٣٣ رقم ١٥ إلى مدرسة اسكندرية في ٢٩ شوال ١٢٧٩
- (٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربي) ص ٦ رقم ٥ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان
باسكندرية في ٢٦ رمضان ١٢٧٩
- (٤) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربي) ص ١٥ رقم ٨ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان
باسكندرية في ١٥ شوال ١٢٧٩
- (٥) دفتر ٣٤٦ (مدارس عربي) ص ٤٤ رقم ٢٨ من مدرسة اسكندرية في ٢٢
ذى القعدة ١٢٧٩

المتقدمين للمدرسة فسرعان ما امتلأ بهم القسم الابتدائي . وعلى هذا النحو تكونت مدرسة المبتديان بالإسكندرية ، أما المدرسة التجهيزية فسرعى الكلام عليها الآن . وسرعان ما امتلأت المدرسة بالتلاميذ : إذ لم يمض على افتتاحها عام حتى كان بها ٣٦٠ تلميذاً على الرغم من أن بناء المدرسة لم تكن عمارته قد كملت بعد^(١) ، وكانت المدرسة الابتدائية في استكمال نصابها من التلاميذ أسرع من زميلتها التجهيزية^(٢) .

ولكن نصاب المدرسة مالبث أن نقص في سنة ١٨٦٧ تمشياً مع الخطة التي أخذ بها ديوان المدارس في ذلك الوقت ، وترمى إلى انقاص عدد تلامذة المدارس الأميرية انتظاراً لإنشاء المدارس المركزية والمسكاتب الأهلية بالقاهرة والأقاليم ، وقد صدرت اللائحة بإنشائها في ذلك الوقت ، « لائحة رجب ١٢٨٤ » ، ففي « الترتيب » الذي وضع للمدارس في غرة رمضان ١٢٨٤ (ديسمبر ١٨٦٧) جعل نصاب مدرسة الإسكندرية بقسميها ٢٥٠ تلميذاً : ١٥٠ للتجهيزية و ١٠٠ للمبتديان^(٣) ، وتبعاً لذلك فصل من المدرسة ٧٧ تلميذاً : ٤٧ من تلامذة التجهيزية و ٣٠ من تلامذة المبتديان^(٤) ، ولكن كان

(١) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربي) ص ٧٠ رقم ٣٣ إلى ديوان الواردات في ٤ صفر ١٢٨٠ ودفتر ٣٥٠ (مدارس عربي) ص ٨٦ رقم ٨٤ إلى ديوان الواردات في ٢ رمضان ١٢٨٠

(٢) دفتر ٣٤٧ (مدارس عربي) ص ٢٣ رقم ١٢٣ من مدرسة إسكندرية في ٧ ربيع الأول ١٢٨٠

(٣) دفتر ٤٢٤ (مدارس عربي) ص ٨٢ رقم ٢١٥ من مدرسة إسكندرية في غرة جمادى الثانية ١٢٨٦

(٤) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ١٢ رقم ٧٤ إلى مدرسة إسكندرية في ٤ شوال ١٢٨٤

بها علاوة على العدد المقرر وهو (٢٥٠) عشرون تلميذاً يتعلمون بها (على ذمة) المدرسة البحرية التي شرعت الحكومة في إنشائها في ذلك الوقت وأربعون تلميذاً أرسلوا إلى القاهرة لتوزيعهم على المدارس التي فتحت إذ ذاك حديثاً (١).

ثم رفع نصاب المدرسة في يناير ١٨٦٩ إلى ٣٠٠ تلميذ بزيادة ٥٠ تلميذاً بالمدرسة الابتدائية (٢): منهم ٢٠٦ تلاميذ بالقسم الخارجى و ٩٤ تلميذاً بالقسم الداخلى « بتعيين كامل بما أنهم أيتام وعبيد سودانية وأولاد لقطاع والبعض بلادهم مستبعدة عن الاسكندرية » (٣) وأنشئ « مكتب خيرى أهلى » وألحق بالمدرسة — على مثال المكتب الخيرى الذى ألحق بمدرسة المبتديان بالقاهرة — ويتعلم به ١٥٠ تلميذاً وتبلغ نفقاته السنوية (من مصروفات ومرتبات) ١٨١٧ جنيهاً و ٧٦ قرشاً و ٢٧ بارة وتؤخذ من إيرادات المكاتب الأهلية والرسوم المدرسية (الجزئية) التي تفرض على التلاميذ . (٤) وعلى أثر ذلك ارتفع عدد التلاميذ إلى ٤١٨ تلميذاً منهم ٢٨٥ تلميذاً بالقسم الداخلى و ١٣٣ بالقسم الخارجى . وكانت المدرسة تصرف لهم « تعيينات » فقررت عدم

(١) دفتر ٤١٠ (مدارس عربى) ص ١٠٣ رقم ٧٣ من مدرسة إسكندرية فى ١٦

شوال ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٢٤ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٣١٥ من مدرسة الإسكندرية فى غرة

جمادى الثانية ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٥٤ (مدارس عربى) ص ١١٨ رقم ١٤٨ من مدرسة الإسكندرية فى ١٢

ربيع الثانى ١٢٨٩

(٤) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ١٧٠ رقم ١٤ إلى المعينة السنية

فى ٥ ذى الحجة ١٢٨٨

صرفها طبقاً « لترتيب » جديد وضع في أواخر سنة ١٨٧٣^(١).
وهناك بياناً بعدد تلاميذ المدرسة بأقسامها وفرقها المختلفة : (٢)

السنة	تجهيزى		مبتديان		خيرى		بحرية		تجمع التلاميذ	عدد المعلمين
	الفرق	تلميذ	الفرق	تلميذ	الفرق	تلميذ	الفرق	تلميذ		
١٨٧٣	٤	١٢٠	٥	٢٠١	٢	٩٤	—	—	٤١٥	١٨
١٨٧٤	٤	٧٩	٥	١٧٣	٢	٧٧	—	—	٣٢٩	
١٨٧٥	٢	٥٥	٤	٢٠٦	٢	٥٧	—	—	٣١٨	٢١
١٨٧٦	٣	٥٧	٤	٢٢٠	—	—	—	—	٢٧٧	
١٨٨٧	٣	٦٤	٤	١٤٤	—	—	١	٤٩	٢٥٧	
١٨٧٨	٤	٦٠	٤	١٥٦	—	—	٢	٤٣	٢٥٩	
١٨٨٠	١	١٢	٤	٣٥٦	—	—	—	—	٣٦٨	١٨
١٨٨١	٢	١٠					—	—	—	
١٨٨٢	٢	١٣					—	—	—	

وقد مضت على المدرسة فترة تحولت فيها إلى مدرسة أهلية يصرف عليها من إيرادات المكاتب الأهلية أسوة بالمدارس الأهلية بالأقاليم كبنها وأسيوط ، فتقرير

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١٠٨ رقم ٦٤ إلى مدرسة الإسكندرية فى ٢٨

شوال ١٢٩٠

(٢) انظر دفترى ٤ و ٥ (امتحانات مدرسة الإسكندرية) بدفترخانة المعارف وتقرير

قومسيون تنظيم المعارف والإحصاء العام فى سنة ١٨٧٥

المفتش أمين سامى أفندى^(١) (المرحوم أمين باشا سامى) فى يولية ١٨٧٩ يذكر أن بمخزن المدرسة كتباً وتعيينات غير لازمة للمدرسة (لأنها مكتب أهلى)، وتقرير (قومسيون تنظيم المعارف) فى ديسمبر ١٨٨٠ يعد مدرسة الإسكندرية أولى المدارس الأهلية بمصر وتلامذتها جميعاً (خارجية)^(٢). ولسنا نعرف على وجه التحقيق متى تحولت مدرسة الإسكندرية إلى مدرسة أهلية، ونرجح أن ذلك حدث منذ سنة ١٨٧٦ حين ألغى المكتب الأهلى الخيرى الذى كان ملحقاتها اكتفاء بتحويل المدرسة كلها إلى مدرسة أهلية أو مكتب أهلى، على أن ذلك لم يطل أمره، ولسنا نعرف على وجه التحقيق كذلك متى أعيدت مدرسة الاسكندرية (مدرسة أميرية) يصرف عليها من ميزانية الدولة، ولكن التقارير السنوية التى أصدرتها نظارة المعارف منذ سنة ١٨٨٥ تعدها ضمن المدارس الأميرية.

على أن أمين باشا سامى يذكر^(٣) أن مدرسة الاسكندرية من ابتداء يناير ١٨٧٩ أصبحت تابعة للمكاتب الأهلية لغاية ديسمبر ١٨٨١، ومن ابتداء يناير ١٨٨٢ أعيدت للدارس الأميرية.

نظارة المدرسة:

عين لنظارة المدرسة أول إنشائها البكباشى « أحمد أفندى التومى »^(٤)، ويذكره

(١) انظر أوراق أمين سامى باشا بمتحف التعليم.

(٢) ص ١٨

(٣) التعليم فى مصر : القسم الخامس من الملاحقات ص ٥٧

(٤) دقتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ١ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان

باسكندرية فى ٨ رمضان ١٢٧٩

أمين باشا سامي^(١) كما تذكره بعض الوثائق باسم أحمد بك فتحى^(٢)، ونرجح أنهما اسمان لشخص واحد .

وخلفه « محمد أفندى نامى » من مارس ١٨٧٦ إلى أكتوبر ١٨٧٧^(٣)، ثم « أحمد أفندى إدريس » من نوفمبر ١٨٧٧ إلى أكتوبر ١٨٧٨^(٤)، ثم « حامد أفندى نيازى » من نوفمبر ١٨٧٨ إلى يولية ١٨٧٩^(٥)، ثم « دوفان بك » من أغسطس ١٨٧٩ إلى ديسمبر ١٨٨٥^(٦) .

وكلاء المدرسة

عين وكيلا للمدرسة أول إنشائها « الصاغقول أغاسى رضوان أفندى حلى »^(٧)، وظل فى منصبه حتى سنة ١٨٦٧ حين فصل لإلغاء وظيفته بناء على (الترتيب) الذى وضع فى ذلك العام^(٨) . (ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤) . وظل منصب الوكالة ملغى

-
- (١) التعليم فى مصر . القسم الخامس من الملحقات ٥٧
 - (٢) دفتر ٣٦٧ (مدارس عربى) ص ٥٨ رقم ١٩٠ من مدرسة إسكندرية فى ١٧ شوال ١٢٨١
 - (٣) وكان قبل ذلك وكيلا وضابطا بالمدرسة .
 - (٤) وكان قبل ذلك مدرسا للرياضة بمدرسة الإسكندرية ثم نقل ناظرا للمدرسة أسيوط فناظرا لمدرسة الصنائع بالقاهرة .
 - (٥) وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم .
 - (٦) وكان ناظرا للمدارس الحرة المجانية العامة بالإسكندرية .
 - (٧) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٦٣ رقم ٤٦ إلى المالية فى ٢٢ ذى القعدة ١٢٧٩
 - (٨) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ١٢٢ رقم ١٥٥ إلى المالية فى ٦ ذى القعدة ١٢٨٤

حتى كثر العمل على ناظر المدرسة ، إذ أحيلت إليه — علاوة على نظارة المدرسة — ادارة الأوقاف بالاسكندرية وملاحظة المكاتب الأهلية بها ، فأعيدت وظيفة الوكالة في فبراير ١٨٧٣ ، وأسندت إلى « محمد أفندى نامى » وكان مأموراً لجفلك الوادى فعين وكيلا وضابطا لمدرسة الاسكندرية ^(١) ، ثم فصل في يونية ١٨٧٥ وعين بدلا منه محمد أفندى ماهر » وكان قبلا ضابطا بالمدرسة ثم معاوناً بديوان المدارس ^(٢) .

وكان الضبط بالمدرسة موكولا إلى « رؤساء فرق » ، وقد عين للمدرسة الأول إنشاءها « محمد أفندى ماهر » والملازم الثانى « حسن كامل أفندى » والملازم الأول « محمد كامل أفندى » رؤساء فرق بالمدرسة ^(٣) . ثم ألغيت وظائف رؤساء الفرق فى (ترتيب غرة رمضان ١٢٨٤) ، ففصل الأول وجعل الثانى (باشخوجه) اللغة التركية بالمدرسة وعين الثالث ضابطا بها ^(٤) .

ميزانية المدرسة

نثبت فيما يلى بياناً بميزانية المدرسة السنوية : مصروفاتها ومرتبات موظفيها وخدمها مع بيان عدد تلامذتها وموظفيها فى بعض السنوات التى استطعنا أن نحصل على أرقام عنها نطمئن إليها :

- (١) دفتر ٥٨٤ (مدارس عربى) ص ٢٣ رقم ١٢١ إلى مدرسة الاسكندرية فى ١٩ المحرم ١٢٩٠
- (٢) دفتر ٤٨٦ (مدارس عربى) ص ١٧٣ رقم ٢١٦ إلى مدرسة الاسكندرية فى ٢٠ جمادى الأولى ١٢٩٢ — ويذكر دور فى كتابه (التعليم فى مصر ص ٣٨٦) فى إحصاء موظفى المدرسة فى شتاء ١٨٧١ — ١٨٧٢ أن محمد كامل ، كان وكيلا للمدرسة ، ولكنه الوثائق تذكره رئيسا لفرقة بالمدرسة .
- (٣) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربى) ص ٦ إلى مدرسة اسكندرية فى ٢٨ رمضان ١٢٧٩
- (٤) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٧٤ إلى مدرسة اسكندرية فى ٤ شوال ١٢٨٤

السنة	الميزانية			عدد التلاميذ	عدد المعلمين والخدم وسائر الموظفين
	بارة	قرشا	جنيتها		
ديسمبر ١٨٦٧ (١)	٢٠	٩٢	٧٧٨٦	٢٥٠	٧٣
سبتمبر ١٨٦٩ (٢)	٢٦	١١	٨٨٩٥	٣٠٠	—
مايو ١٨٧٠ (٣)	٢٧	١٢	٨٥٥٩	»	—
نوفمبر ١٨٧٠ (٤)	٣٢	٨١	٧٥٩٤	»	٥٩ (٥)
يونية ١٨٧٢ (٦)	٣١	٦٠	٥٧٨٢	٣٦٠	١٦ معلما
نوفمبر ١٨٧٣ (٧)	٢١	١٦	٦٨٤٢	٤١٥	١٨ معلما

(١) وضعت هذه الميزانية تطبيقاً لما جاء في ترتيب عموم المدارس وقروها الصادر عليه الأمر الكريم في غرة رمضان ١٢٨٤ رقم ٦) وقد فصل من المدرسة بناء على هذا الترتيب ٢٨ بين موظف وخادم ٧٧ تلميذا وأبقى بالمدرسة ٢٥٠ تلميذا : ١٥٠ للتجهيزية و ١٠٠ للبتديان كما أبقى بها ناظرها وضابطها وطبيبها و ٢٢ معلما و ٥ من الكتبة (ومنهم وكيل الخرج والمخزنجي) و ٤٣ خادماً وجنديا (بين طاه وغسال وحلاق وسقاء وفراش وممرض وحراس) — دفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ١٢ رقم ٧٤ إلى مدرسة اسكندرية في ٤ شوال ١٢٨٤

(٢) زادت ميزانية سنة ١٨٧٠ (١٢٨٦) على سابقتها لزيادة التلامذة ٥٠ تلميذا : دفتر ٤٢٤ (مدارس عربي) ص ٨٢ رقم ٢١٥ من مدرسة اسكندرية في غرة جمادى الثانية ١٢٨٦ (٣) دفتر ٤٣٣ (مدارس عربي) ص ١٠٣ رقم ١٠١ من مدرسة الاسكندرية في ٢٨ صفر ١٢٨٧

(٤) وردت هذه الميزانية في (الترتيب الذي وضع للدارس) وصدر في ٤ رمضان ١٢٨٧ (نوفمبر ١٨٧٠) وكان في جرائه أيضا فصل عدد من الموظفين والخدم — دفتر ٤٣٦ (مدارس عربي) ص ٧٧ رقم ٤٨ إلى مدرسة الاسكندرية في ٦ رمضان ١٢٨٧ (٥) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربي) ص ٨٧ رقم ٥١ إلى مدرسة الاسكندرية في ١٧

رمضان ١٢٨٧

مدرسة المنصورة الأميرية

كانت المنصورة من المدن التي اتجهت إليها رغبة إسماعيل منذ أول حكمه لإنشاء

= (٦) ميزانية هذه السنة أقل ميزانية نعرفها لمدرسة الاسكندرية على الرغم من ازدياد عدد تلامذتها — دفتر ٤٥٤ (مدارس عربي) ص ١٢٩ رقم ١٦٠ من مدرسة الاسكندرية في ٢٤ ربيع الثاني ١٢٨٩

(٧) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ٢٩ رقم ٤٢ إلى مدرسة الاسكندرية في ١٩ رمضان ١٢٩٠ ونأسف لأننا لم نستطع أن نعثر على أرقام للسنوات التالية لسنة ١٨٧٣. ونختتم هذا الحديث عن مدرسة الاسكندرية بذكر أسماء أعضاء هيئة التدريس بأقسامها المختلفة منذ إنشائها حتى سنة ١٨٨٢

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط العربي: المشايخ محمد حمودة وحسين الشباسبى ومنصور العوامرى وإبراهيم حنفي وعلى المصرى وإبراهيم شمس وسيد محمد وطه محمد وعطا العوامرى والافندية حسين حافظ ومحمد مذكور وإبراهيم رشدى (للخط).
مدرسو اللغة التركية: عمر أفندي ومصطفى حافظ وحافظ على ترابى وحسن كامى وحسن شكرى وعبد الله سعد الدين.

مدرسو اللغة الانجليزية: الدكتور محمد على (وكان فى الوقت نفسه طبيب المدرسة وقد أتم علوم الطب فى إنجلترا) وروبرت لوت وبوناويا ومحمد صادق ومحمد منجى.
مدرسو اللغة الفرنسية: عبد الكريم فهمى وبرتبلى وأحمد راتب وعلى سلامة.
مدرسو اللغة الألمانية: محمد توفيق وأحمد كمال.
مدرسو الجغرافيا: على سلامة وأحمد راتب وأحمد كمال.

مدرسو الرياضة: أحمد خليل وعلى أحمد وعلى عزت وأحمد إدريس ومحمد طلعت وعبد الوهاب ذهنى ومحمود منجى وحسن كامى ومصطفى راشد وعثمان أنور ومصطفى صادق وأحمد شرين.

مدرسة فيها ، وقد تجدد السعى لإنشائها لتكون على غرار مدرستي طنطا وأسيوط .
وقد وضع منذ سنة ١٨٧١ مشروع لتحويل بناء المصنع الذي كان يملكه « إبراهيم
باشا » نجل الخديو إلى مدرسة أهلية ^(١) لخمسة تلميذ من الذكور والإناث . وتبرع
إبراهيم باشا ببعض المال لإنشاء المدرسة وأمر بوقف بناء المصنع عليها ^(٢) .

وعلى الرغم من ذلك كله لم تفتتح مدرسة المنصورة الابتدائية إلا في ٧ فبراير
سنة ١٨٨١ (٨ ربيع الأول ١٢٩٨) . وكانت النية متجهة — قيل افتتاحها — إلى
أن تكون مدرسة تجريبية ، ولكنها جعلت مدرسة ابتدائية أميرية ينفق عليها من
ميزانية نظارة المعارف العمومية ، وظلت على ذلك حتى الوقت الحاضر .

ووضعت ميزانيتها على أن يكون بها من هيئة التدريس : اثنا عشر مدرساً
وعريفان ، ومن التلاميذ خمسة تلميذ نصفهم بالقسم الخارجي ونصفهم الآخر بالقسم
الداخلي ، والبعض منهم بالمجان والبعض الآخر يدفع رسوماً مدرسية ^(٣) .

== مدرسو الرسم : إبراهيم خورى ولويجي ومسيو إكلى لىكى (Achille ؟) وقد أخذنا
هذه الأسماء من دفاتر امتحانات مدرسة الاسكندرية ودور (في كتابه عن التعليم ص ٣٨٦)
والإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ ومن وثائق متفرقة .

(١) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربى) ص ٧١ رقم ١٩ إلى مديرية الدقهلية في ٢٩
ربيع الأول ١٢٨٨ ومحفظه ٤ (مدارس) رقم ٢١٨ إلى ناظر الأشغال والمعارف
والأوقاف في ١٥ ربيع الأول ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١١ رقم ٧ إلى المعية السنية في ٢٩ شعبان ١٢٩٠

(٣) دفتر ١٩٤٧ (أوامر عربى) ص ٢١ رقم ٥ أمر إلى الخاصة الخديوية في ١١

وعين نظارتها أمين أفندي (باشا) سامى . وكان قبل ذلك مدرسا بمدرسة
بنى سويف ثم مفتشا بالديوان^(١) . وقد بذل لنجاحها ما وسعه من جهد : يقول إنه ألقى
على تلاميذها يوم افتتاحها خطبة طريفة تقتطف منها ما يلى :

« ونحن إن شاء الله تعالى نريد أن نسلك بكم فى كيفية التعليم طريقة ألفتها البلاد
المتمدنة وأقرتها العقول النيرة ، لتستكملوا حق الاستكمال وتسكونوا من جملة أعضاء
الامة فتنتفع بكم وتنفعون بها وتقسمون الثروة والرفاهية فيما بينكم بنسبة ماستصلون
إليه من درجات الكمال وعلى قدر ما تتصفون به من محاسن الأدب وما يعود منكم
من المنفعة على العباد » .

وهذه — فيما نعلم — أول مرة يصارح فيها ناظر المدرسة تلامذته — فى خطاب
يلقيه عليهم — بما يعتزم أن يسلك بهم من طرائق التربية . وقد بلغ من إخلاص
(الأستاذ) أمين سامى أنه — لما كان يقدره من قلة عدد المدرسين — كان يلقي
دروسا على الفصول المتأخرة بعد انتهاء اليوم المدرسى مساعدة لتلامذتها .

وبلغ من نجاح المدرسة — فيما يحكى المرحوم سامى باشا — أن أقبل ناظر
لمدرسة أجنبية بالمنصورة يلتمس قبوله وتلامذته بالمدرسة وكانوا ١٢٨ تلميذا ،
ووافقت النظارة وعين هذا الأستاذ الأجنبى مدرسا للغة الفرنسية بها . ونظمت
الدراسة بمدرسة المنصورة الابتدائية الأميرية على مثال المدارس الابتدائية الأميرية

(١) لمساعدة المرحوم أمين باشا سامى أوراق مخطوطة مودعة بمتحف التعليم ، وقد اطلعنا
عليها وأكثرها خاص بمدرسة المنصورة فى عهد نظارته لها (من يناير ١٨٨١ إلى ديسمبر
١٨٨٥) ومنها أخذنا أكثر معلوماتنا عن هذه المدرسة .

الأخرى ، أى طبقاً للنهاج التى صدرت فى سنة ١٨٧٤^(١) .

مدارس أميرية أخرى

فى ديسمبر سنة ١٨٨٠ تقدم (قومسيون تنظيم المعارف) بمقترحاته لإصلاح التعليم فى مصر وبمشروع القانون الذى وضعة لتنظيم التعليم الأولى الابتدائى وجعله على ثلاث درجات^(٢) . وقد تقبلت الحكومة آراء القومسيون قبولاً حسناً وشرعت فى تنفيذها ، فأنشأت لذلك المدارس أو المكاتب الابتدائية الآتية :

١ — مدرسة الجيزة :

أنشئت فى يناير ١٨٨١ وهى من مكاتب الدرجة الأولى وعدد تلامذتها ٢٢٠ تلميذاً ، وكان عدد تلامذتها فى سنتيها الأوليين ١٦٢ و ١٣٠ تلميذاً على التوالى . ونظمت خطة

(١) انظر دفتر ٣٤ (امتحانات مدرسة المنصورة) بدفترخانة المعارف . ومن هذا الدفتر ننقل أسماء مدرسى المدرسة :

مدرسو العربية والقرآن والحط : المشايخ عبد الرحيم غلاب وعبد الرؤف الهيثى وإبراهيم محمد الملاحظ وعبد الله المنصورى و خليل الروينى ومحمد سليمان وعلى عرفة .
مدرسو الرياضة : عبد الرحمن محمد و خليل أفندى عبد الرحمن غلاب وعبد الرؤف الهيثى وعلى الألفى — مدرسو الفرنسية : محمد شاكر والياس هيمان — مدرسو التركية : محمد شاكر — مدرسو التاريخ والجغرافيا : الشيخ عبد المنعم — مدرسو الرسم : نهر نعمت وحسن فهمى ودرويش أفندى .

(٢) انظر فيما سبق ص ٨٦

الدراسة فيها على مثال المدارس الابتدائية الأخرى (١).

٢ — مدرسة قليوب :

أنشئت في نوفمبر ١٨٨١ وهي من مكاتب الدرجة الثانية ، وكان عدد تلامذتها في سنها الأولى ١١٠ تلميذاً (٢) ، وقد نقلت إلى بنها في أكتوبر ١٩٠٦ (٣) .

٣ — مكتب طوخ :

أنشئ في يناير ١٨٨٢ وهو من مكاتب الدرجة الثالثة ، وكان عدد تلامذته ستين تلميذاً (٤) .

وقد أنشئت هذه المدارس جميعاً بأموال من ميزانية نظارة المعارف ، فهي لذلك مدارس (أميرية) ، وتلا ذلك إنشاء مدارس أميرية أخرى في دمنهور وشبين الكوم والزقازيق في خلال سنة ١٨٨٣ ، وقبل ذلك كانت نظارة المعارف قد أنشأت مدرسة المعلمين (النورمال أو التوفيقية) وألحقت بها قسماً ابتدائياً في سبتمبر ١٨٨٠ ليرن فيه طلبة المعلمين على التدريس . ولذلك سرّجى الكلام عليه الآن .

وفي أواخر سنة ١٨٨٥ أو أوائل سنة ١٨٨٦ حولت هذه المدارس — عدا القسم الابتدائي بمدرسة المعلمين — إلى مدارس أهلية ونقلت إلى ميزانية المكاتب الأهلية (٥) .

(١) انظر دفتر ٣٦ (امتحانات الجيزة) بدفترخانة المعارف . ويذكر أمين باشا سامي (التعليم في مصر القسم الثاني من الملاحظات ص ٦) أن مدرسة الجيزة كان بها في السنوات الأولى من إنشائها ٢٢٠ تلميذاً .

(٢) أمين باشا سامي : التعليم في مصر القسم الثاني من الملاحظات ص ٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٣

(٤) المصدر السابق .

(٥) Minist. de l'Inst. publique, Exposé des réformes 1885. p. 85, 113.

وبذلك لم يبق من المدارس الابتدائية الأميرية التي يصرف عليها من ميزانية نظارة المعارف العمومية سوى مدرستي الناصرية بالقاهرة ورأس التين بالاسكندرية ومدرسة المنصورة .

ونختم حديثنا عن المدارس الابتدائية الأميرية ببيان مسألتين :
المسألة الأولى : السن التي كانت تشترط في تلامذة هذه المدارس .
المسألة الثانية : خطة الدراسة الابتدائية ومناهجها .

أما عن سن التلامذة فالأمر الصادر بإنشاء المدارس الابتدائية في سنة ١٨٦٣ ينص على أن تتراوح أعمار التلامذة الذين يقبلون فيها بين الثامنة والحادية عشرة (١) .
ولكن سرعان ما تجاهلت المدارس والديوان هذا الأمر ، وقبل بالمدارس تلاميذ في سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة (٢) .

وقد نصت المادة السابعة من لائحة قبول التلامذة بالمدارس الملكية الصادرة في فبراير ١٨٧٤ (٣) على أن تلامذة مدرسة المبتديان يجب أن تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثانية عشرة . على أن هذه المادة ظلت بدون تنفيذ ، حتى شكوا (قومسيون تنظيم المعارف) في سنة ١٨٨٠ ازدحام المدارس بعدد كبير من التلامذة المتقدمين في السن

(١) دفتر ٣٤٢ (مدارس عربي) ص ١٥ رقم ٨ إلى مدرسة التجهيزية والمبتديان بالاسكندرية في ١٥ شوال ١٢٧٩

(٢) دفتر ٣٦٤ (مدارس عربي) ص ١٠٠ رقم ٣٣٥ إلى مدرسة الاسكندرية في ١٨ صفر ١٢٨٢

(٣) انظر هذه اللائحة في ملحقات الكتاب (الجزء الثالث) .

والفاشليين في دراستهم ، ودعا الحكومة في تقريره ^(١) إلى أن لاتأخذها شفقة في إبعاد هؤلاء التلاميذ عن المدارس ، حتى تزول من أذهان التلاميذ فكرة أن الحكومة ملزمة بالصرف عليهم وتدير الوظائف لهم مهما تقدم بهم السن أو أخفقوا في الدراسة .

ولم يتح لاقتراح القومسيون أن ينفذ - شأن كثير من اقتراحاته الأخرى - إلا في سنة ١٨٨٥ حين عين يعقوب أرئين باشا وكيلًا لنظارة المعارف وأخذ نفسه بتنفيذ السياسة التي رسم قومسيون ١٨٨٠ قواعدها ، ومنها فصل التلامذة الأغنياء المتقدمين في السن وقصر المجانية على المتفوقين وتحديد عدد تلاميذ الأقسام الداخلية تمهيداً لإلغائها .

خطة الدراسة الابتدائية ومناهجها

ليس لدينا معلومات رسمية - نستطيع الإطمئنان إليها - عن خطة الدراسة بالمدارس الابتدائية قبل سنة ١٨٧٤ وهي أول سنة وضعت فيها خطة دراسية ومناهج مفصلة طبقت على جميع المدارس الابتدائية القائمة في ذلك الوقت سواء أكانت مدارس أميرية أو أهلية . وقد قسم أمين باشا سامى المدة بين سنتي ١٨٦٣ و ١٨٧٤ إلى فترتين ، وأورد لكل منهما خطة دراسية مع اعترافه بأنه « لم يكن هناك جداول رسمية تشمل ما كان جارياً تدريسه » : الفترة الأولى من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٨ ، ويقول إنه كان في ذلك الوقت تلميذا ودرس على مقتضى جدول الدروس الآتي ويوضح عدد الدروس من كل مادة في الأسبوع ^(٢) :

(١) ص ٥٧ و ٥٨

(٢) أمين باشا سامى : التعليم في مصر القسم الثالث من الملاحقات ص ٢

(١) السنة	قرآن كريم	لغة عربية	خط عربي	حساب	لغة تركية	جملة	دراسة باللغة العربية	دراسة باللغة الاجنبية	دراسة باللغة التركية	جملة الدروس في الاسبوع
الاولى	١٤	١٤	—	—	—	٢٨	٢٨	—	—	٢٨
الثانية	١٤	١٤	—	—	—	٢٨	٢٨	—	—	٢٨
الثالثة	—	٩	٥	٩	٥	٢٨	٢٣	—	٥	٢٨
الرابعة	—	٩	٥	٩	٥	٢٨	٢٣	—	٥	٢٨

وزاد أمين باشا سامى على ذلك أن (الجغرافيا) كانت تدرس باللغة الأجنبية، مع أنه لم يذكر — فى هذه الخطة — شيئاً عن تدريس أية لغة أجنبية، ولكن الواقع أن هناك فروقا كثيرة بين (خطة) أمين باشا سامى هذه والبيانات التى تذكرها بعض الوثائق الأخرى :

أولا — من حيث مدة الدراسة : ذكر أمين باشا سامى أنها أربع سنوات ، ولكن «Sachot» الذى رفع الى وزير المعارف الفرنسية تقريراً عن التعليم فى مصر فى سنة ١٨٦٨^(٣) ذكر أن مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية ثلاث سنوات ، وتؤيده فى

(١) رتب أمين باشا سامى هذه الخطة بترتيب (السنوات) فاذا أردنا ترتيبها على حسب الفرق بالنظام الذى كان متبعاً فى ذلك العصر قلنا : الفرقة الرابعة (وتعادل السنة الأولى) ثم الثالثة ثم الثانية فالأولى (وتعادل السنة الرابعة) .

(٢) Sachot, Mission en Egypte. Rapport adressé à S. E. M. Victor Duruy, Ministre de l'Instruction publique. sur l'état des sciences, des lettres et de l'Instruction publique en Egypte dans la population indigène et dans la population européenne. 1868 p. 12.

فى ذلك وثيقة رسمية نشرت فى العام التالى (١٨٦٩)^(١) وزعت فىها مواد الدراسة على السنوات الابتدائية الثلاث . وليس فى الوثائق العربية ما يجعلنا نجزم برأى قاطع فى هذا الموضوع سوى ما جاء فى إحدى الوثائق^(٢) من أن مدرسة المبتديان بالقاهرة — وقد مضى على افتتاحها نحو العام وتكامل لها نحو ٣٠٠ تلميذ « مستعدين لقراءة العلوم السائرة المرتب تدريسها بالمدرسة فى علم الحساب والنحو والتركى والخط » — رأت « أن ترتب ثلاثة أطقمة (كذا) خوجات للعلوم المذكورة وكل طقم يترتب (من) أربعة خوجات أحدهم حساب والثانى نحو والثالث تركى والرابع ثلث كما هو جارى ، وهذا الطقم يتغير بطريق التبادل » . وليس ما يمنع أن نرجح أن كل (طقم) أعد لإحدى الفرق الدراسية الثلاث التى تتألف منها المدرسة .

ثانياً — لم يذكر أمين باشا سامى شيئاً عن تدريس لغة أجنبية بالمدارس الابتدائية فى ذلك الوقت (١٨٦٣ — ١٨٦٨) . ولكن الواقع أن اللغة الفرنسية كانت من مواد الدراسة بالمدارس الابتدائية : فكانت تدرس لتلامذة السنة الثالثة (ويقتصر فيها على القراءة وأوليات من الأجرومية) كما ذكر Sachot^(٣) أو لتلامذة السنتين الثانية (أحرف الهجاء وقراءة كلمات بسيطة) والثالثة (أجرومية وتمارين) كما ذكر مصدر آخر^(٤) .

(١) Notice sur les établissements d'Instruction publique en Egypte. 1869. (١)
p. 8

(٢) دفتر ٢٥٦ (مدارس عربى) ص ١٠٤ رقم ٥٩٩ من مدرسة المبتديان فى ٧ ذى القعدة ١٢٨٠

(٣) Sachot, Rapport (op. cit.,) p. 13.

(٤) Notice sur établissements.. (op. cit.,) p. 8.

وقد بدأ تدريس اللغة الفرنسية لتلامذة مدرسة المبتديان بالقاهرة في العام التالي لإنشاء المدرسة وكانت ماتزال بالعباسية ، وقد دعا إلى تدريسها أن أنجال الخديو — عقب التحاقهم بالمكتب الخاص الذي أنشئ لهم في مدرسة المبتديان — رغبوا في تعلمها ، فعين لهذا الغرض معلم من خريجي مدرسة الألسن القديمة ليعلم الأنجال وبعض التلامذة (المستعدين) من المدرسة وليكون أمينا على (الكتبخانة) الموجودة بها (١) . ثم ترتب تدريسها لفرقة واحدة بمدرسة المبتديان (٢)

أما مدرسة الإسكندرية فقد بدأ تدريس اللغة الإنجليزية لتلامذتها (وإن كنا لانستطيع أن نجزم إن كانوا من المبتديان أو من التجهيزية) منذ الشهور الأولى من افتتاحها ، ووكّل تدريسها إلى طبيب المدرسة وهو مصرى أتم دراسته بالإنجلترا (٣) ثم عين مدرسون من الإنجليز (٤) . أما اللغة الفرنسية فقد درست في مدرسة الاسكندرية الابتدائية في سنة ١٨٧٣ (٥) .

كما أن اللغة الانجليزية بدأ تدريسها بمدرسة المبتديان بالقاهرة في أوائل سنة ١٨٦٩ ،

(١) دفتر ١٥٨٠ (إرادات للمدارس) ص ٢ رقم ٥ في ٩ المحرم ١٢٨١

(٢) دفتر ٣٦٢ (مدارس عربي) ص ١٩٥ رقم ٤١٥ إلى المدرسة التجهيزية في ٩

ذي القعدة ١٢٨١

(٣) دفتر ٣٤٣ (مدارس عربي) ص ١١٤ رقم ١٠٣ إلى مدرسة إسكندرية في ١٤

صفر ١٢٨٠

(٤) دفتر ٥٣٩ (معية تركي) ص ١٠٥ رقم ٢٤٢ أمر إلى ناظر المالية في ٤ صفر ١٢٨١

(٥) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربي) ص ٧٩ رقم ٢٩ من مدرسة إسكندرية في ٢٠

رمضان ١٢٩٠ ، وكانت الفرنسية تدرس قبل ذلك لتلامذة المدرسة التجهيزية بأسكندرية .

وفي الوقت نفسه بدأ تدريس اللغتين الفرنسية والانجليزية في مدرستي بنها وأسيوط المركزيتين ^(١)، وتلا ذلك إدخال اللغة الألمانية في المدارس الابتدائية. وكان التلاميذ يختارون إحدى اللغات الأجنبية الثلاث: الفرنسية أو الانجليزية أو الألمانية.

ثالثا — وفي (جدول الدراسة) الذي أورده أمين باشا سامي أن مادة الحساب كان يقصر تدريسها على تلاميذ السنتين الثالثة والرابعة (أي الفرقتين الثانية والأولى)، ولكننا نستبعد ذلك: فان مادة الحساب كانت من المواد التي تبذل في تدريسها عناية كبيرة، وقد رأيت أن أهم إصلاح للتعليم في السكتاتيب في لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧) هو إدخال مادة الحساب إلى جانب القرآن والقراءة والكتابة، وتؤيدنا في ذلك الوثيقة التي نشرت بالفرنسية في سنة ١٨٦٩ عن المدارس المصرية ^(٢): ففيها أن الحساب كان يدرس منذ السنة الأولى، ومع ذلك فقد لاحظ ديوان المدارس أن تلامذة المبتديان بالقاهرة «لم لهم (كذا) دراية بقواعد الحساب والقياس منهم جاري تفهيمه ذلك... فيقتضى ترتيب حصص من حصص القراءة لتعليم قواعد الحساب وبيان العديّة حتى بحلول الامتحان يكون التلامذة ماهرين في العمليات الحسابية ويقتضى عدم الالتفات للإثبات والبرهان... في الفرق الأخيرة لجميع التلامذة من دون استثنى...» ^(٣).

رابعا — وفي الوثيقة الفرنسية التي أشرنا إليها أن الرسم كان يدرس في السنة الثالثة الابتدائية، وليس في (جدول) أمين باشا سامي ذكر له.

(١) دفتر ٤١٥ (مدارس عربي) ص ١٨٩ رقم ٢٣٢ إلى ناظر التجهيزية وما معها في

٨ شوال ١٢٨٥

(٢) Notice sur les établissements... (op. cit.) p. 8.

(٣) دفتر ٤٠٥ (مدارس عربي) ص ٩٣ رقم ٥٥ إلى المبتديان في ٢ رجب ١٢٨٤

والفترة الثانية من سنة ١٨٦٨ إلى سنة ١٨٧٤ :

وقد وضع لها أمين باشا سامى جدول الدروس الآتى « بناء على جداول أوقات دروس كانت محفوظة بتفتيش المدارس » (١) :

السنة	١٥	١٨	خط	١٧	١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	جملة	دراسة بالعربية	دراسة بالإنجليزية	دراسة بالتركية	دراسة باللغة	في الأوقات
الأولى	١٥	١٨	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٣	٣٣	—	—	—	٣٣
الثانية	١٠	١٦	—	٧	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٣	٣٣	—	—	—	٣٣
الثالثة	—	٧	٥	٧	٣	٦	٥	٣٣	٣٣	٢٢	٦	٥	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٣	٣٣	٦	٥	—	٣٣
الرابعة	—	٧	٥	٧	٣	٦	٥	٣٣	٣٣	٢٢	٦	٥	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٣	٣٣	٦	٥	—	٣٣

وزاد أمين باشا سامى على ذلك أن دراسة الجغرافيا والتاريخ كانت باللغة الأجنبية .
فيتضح من هذا الجدول :

- (١) أن عدد الحصص الأسبوعية زاد من ٢٨ إلى ٣٣ حصة .
- (٢) وأن اللغة الأجنبية والرسم أصبحت تدرس لتلاميذ السنتين الثالثة والرابعة .
- (٣) وأن الحساب زيد على تلاميذ السنة الثانية .

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الثالث من الملحقات ص ٢

(٤) وأن حصص اللغة العربية والحساب للسنتين الثالثة والرابعة قد نقصت في مقابل زيادة اللغة الأجنبية .

ولكن بين أيدينا وثائق على جانب كبير من الأهمية : هي (جداول امتحانات) تلامذة المدارس - الابتدائية وغير الابتدائية - وتبدأ من امتحانات سنة ١٢٩٠ هجرية (١٨٧٣ م)^(١) . وهذه الجداول وإن كانت لا تعطينا عدد الحصص لكل مادة من مواد الدراسة إلا أنها تقدم لنا صورة صحيحة عما درسه التلامذة في كل عام وامتحنوا فيه في آخر العام الدراسي . وبمقارنة هذه الجداول بجدول الدراسة الذي ذكره أمين باشا سامي نجد farkا كبيرا .

ففي سنة ١٨٧٣ كان تلاميذ المدرسة الابتدائية بالقاهرة موزعين على ستة (فصول) وقد درسوا المواد الآتية وامتحنوا فيها^(٢) .

(١) هذه الدفاتر أكثرها بحفوظات (دفتر خانة) وزارة المعارف العمومية وبعضها بمتحف التعليم ، وهي في الأصل بدون أرقام وقد أعطيناها أرقاما من عندنا تسهيلات للبحث فيها والرجوع إليها .

(٢) انظر دفتر ١٧ (امتحانات المبتدیان) بدفتر خانة المعارف .

مــــــــــــــــواد الدراــــــــــــــــسة							الفصل
هندسة	رسم نظري	ثلث ونسخ	لغة تركية	لغة فرنسية	لغة عربية	حساب	الفصل الأول
تعريفات هندسية	»	»	»	لغة إنجليزية	»	»	» الثاني
—	»	»	»	»	»	»	» الثالث
—	»	»	»	لغة فرنسية	»	»	» الرابع
—	»	»	»	» ألمانية	»	»	» الخامس
—	»	»	»	» فرنسية	»	»	» السادس

أما تلامذة المكتب الخيري أو مدرسة المبتديان الخيرية فكانوا في سنة ١٨٧٣ أيضاً موزعين بين أحد عشر فصلاً وقد درسوا ما يلي :

مواد الدراسة					الفصل
حساب	لغة عربية	لغة فرنسية	لغة تركية	ثلاث ونسخ	الفصل الأول
»	»	لغة ألمانية	»	»	» الثاني
»	»	»	»	»	» الثالث
»	»	»	»	»	» الرابع
»	»	لغة فرنسية	»	»	» الخامس
»	»	»	»	»	» السادس
»	قرآن ^(١)	»	—	—	» السابع
»	»	—	—	—	» الثامن
»	»	—	—	—	» التاسع
»	»	—	—	—	» العاشر
»	»	—	—	—	» الحادى عشر

وفي امتحان العام التالى (١٨٧٤) لم يدخل تغيير كبير على هذه الخطة سواء فى المدرسة الملكية (الأميرية) أو فى المدرسة الخيرية . ولم يظهر أثر الخطة والمناهج التى وضعت فى سنة ١٨٧٤ إلا فى امتحان شعبان ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) .

(١) وفى مادة القرآن ثلاث درجات للطاعة والخط والإملاء.

أما تلامذة المدرسة الابتدائية بالاسكندرية فكانوا في سنة ١٨٧٣ موزعين على خمس (فرق) وقد درسوا المواد الآتية (١) :

مواد الدراسة						الفرقة
حساب	قرآن	لغة عربية	لغة أجنبية (٢)	لغة تركية	ثلث ونسخ	الفرقة الأولى
»	»	»	»	»	»	» الثانية
»	»	»	»	»	»	» الثالثة
»	» (٣)	—	—	—	ثلث	» الرابعة
—	»	—	—	—	—	» الخامسة

أما تلامذة المكتب الخيري بالاسكندرية فكانوا موزعين على فرقتين اثنتين ودرسوا المواد الآتية :

مواد الدراسة			الفرقة
حساب	قرآن (٤)	ثلث	الفرقة الأولى
حساب	قرآن	ثلث	الفرقة الثانية

والفرق كما ترى واضح بين خطة الدراسة في مدرسة الناصرية بالقاهرة وخطتها في مدرسة رأس التين بالاسكندرية ، على الرغم من حرص ديوان المدارس على توحيد

(١) دفتر ٤ (امتحانات إسكندرية) بدفتر خانة المعارف .

(٢) الفرنسية أو الانجليزية أو الألمانية .

(٣) وقد طالع تلاميذ الفرقين الرابعة والخامسة مع القرآن قطعا من كتاب التمرين لملي باشا مبارك .

(٤) الملاحظة السابقة .

خطة الدراسة بالمدرستين بأن تتبع مدرسة الاسكندرية (جدول الدروس) الذى وضعته مدرسة القاهرة (١).

وكانت المدارس المركزية فى بنها وأسيوط وبنى سويف والمنيا قد افتتحت ، ونظمت المكاتب الأهلية بالقاهرة والاسكندرية أسوة بالمدارس الابتدائية الأميرية ، لهذا أصبحت الحاجة ماسة إلى وضع خطة دراسية ومنهج مفصل ليطبقا فى جميع المدارس الابتدائية الأميرية والأهلية .

وقد وضعت هذه الخطة وهذا المنهج فى سنة ١٨٧٤ ، وظلت قائمة فى مجموعها حتى بدأ تعديلها فى سنة ١٨٨٥ . وضعتها لجنة رئيسها عبد الله بك فكرى وكيل ديوان المكاتب الأهلية فى ذلك الوقت وأعضاؤها دور بك مفتش المدارس وإسماعيل بك زهدى وكيل ديوان المدارس وإسماعيل بك الفلكى ناظر المهندسخانة وعلى بك إبراهيم ناظر المدرسة التجريبية وأحمد أفندى عبيد ناظر مدرسة الناصرية وأبو السعود أفندى رئيس قلم الترجمة بديوان المدارس وبعض المدرسين بالمدارس (٢). وقد طبع المنهج المفصل باللغة العربية بمطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٩١ هجرية وبالفرنسية أيضاً فى ذلك الوقت (٣). وأثبت أمين باشا سامى خطة الدراسة فى مؤلفاته (٤) ، ونوردها فيما يلى :

(١) دفتر ٣٦٣ (مدارس عربى) ص ١٦٦ رقم ٢٩٢ فى ٧ المحرم ١٢٨٢ و ص ١٧٨ رقم ٣٠٢ فى ١٣ المحرم ١٢٨٢ إلى مدرسة اسكندرية

(٢) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الثالث من الملحقات ص ٢

(٣) Ecoles Civiles du Gouvernement égyptien. Programme général de l'enseignement aux écoles primaires. Le Caire. 1874.

(٤) التعليم فى مصر . القسم الثالث من الملحقات ص ٢ ، وتقويم النيل وعصر اسماعيل . المجلد الثالث من الجزء الثالث ص ١٣٣

الاول	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة
١	١	١	١	١
٢	٢	٢	٢	٢
٣	٣	٣	٣	٣
٤	٤	٤	٤	٤
٥	٥	٥	٥	٥
٦	٦	٦	٦	٦
٧	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٨	٨	٨
٩	٩	٩	٩	٩
١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
١١	١١	١١	١١	١١
١٢	١٢	١٢	١٢	١٢
١٣	١٣	١٣	١٣	١٣
١٤	١٤	١٤	١٤	١٤
١٥	١٥	١٥	١٥	١٥
١٦	١٦	١٦	١٦	١٦
١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
١٨	١٨	١٨	١٨	١٨
١٩	١٩	١٩	١٩	١٩
٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
٢١	٢١	٢١	٢١	٢١
٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢
٢٣	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣
٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤
٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥
٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦
٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨
٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩
٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠
٣١	٣١	٣١	٣١	٣١
٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣
٣٤	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤
٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥
٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣٨	٣٨	٣٨	٣٨	٣٨
٣٩	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩
٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
٤١	٤١	٤١	٤١	٤١
٤٢	٤٢	٤٢	٤٢	٤٢
٤٣	٤٣	٤٣	٤٣	٤٣
٤٤	٤٤	٤٤	٤٤	٤٤
٤٥	٤٥	٤٥	٤٥	٤٥
٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
٤٧	٤٧	٤٧	٤٧	٤٧
٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
٤٩	٤٩	٤٩	٤٩	٤٩
٥٠	٥٠	٥٠	٥٠	٥٠
٥١	٥١	٥١	٥١	٥١
٥٢	٥٢	٥٢	٥٢	٥٢
٥٣	٥٣	٥٣	٥٣	٥٣
٥٤	٥٤	٥٤	٥٤	٥٤
٥٥	٥٥	٥٥	٥٥	٥٥
٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
٥٧	٥٧	٥٧	٥٧	٥٧
٥٨	٥٨	٥٨	٥٨	٥٨
٥٩	٥٩	٥٩	٥٩	٥٩
٦٠	٦٠	٦٠	٦٠	٦٠
٦١	٦١	٦١	٦١	٦١
٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
٦٣	٦٣	٦٣	٦٣	٦٣
٦٤	٦٤	٦٤	٦٤	٦٤
٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥
٦٦	٦٦	٦٦	٦٦	٦٦
٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧
٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨
٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩
٧٠	٧٠	٧٠	٧٠	٧٠
٧١	٧١	٧١	٧١	٧١
٧٢	٧٢	٧٢	٧٢	٧٢
٧٣	٧٣	٧٣	٧٣	٧٣
٧٤	٧٤	٧٤	٧٤	٧٤
٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
٧٦	٧٦	٧٦	٧٦	٧٦
٧٧	٧٧	٧٧	٧٧	٧٧
٧٨	٧٨	٧٨	٧٨	٧٨
٧٩	٧٩	٧٩	٧٩	٧٩
٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠
٨١	٨١	٨١	٨١	٨١
٨٢	٨٢	٨٢	٨٢	٨٢
٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣
٨٤	٨٤	٨٤	٨٤	٨٤
٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥
٨٦	٨٦	٨٦	٨٦	٨٦
٨٧	٨٧	٨٧	٨٧	٨٧
٨٨	٨٨	٨٨	٨٨	٨٨
٨٩	٨٩	٨٩	٨٩	٨٩
٩٠	٩٠	٩٠	٩٠	٩٠
٩١	٩١	٩١	٩١	٩١
٩٢	٩٢	٩٢	٩٢	٩٢
٩٣	٩٣	٩٣	٩٣	٩٣
٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤
٩٥	٩٥	٩٥	٩٥	٩٥
٩٦	٩٦	٩٦	٩٦	٩٦
٩٧	٩٧	٩٧	٩٧	٩٧
٩٨	٩٨	٩٨	٩٨	٩٨
٩٩	٩٩	٩٩	٩٩	٩٩
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

وبمقارنة هذا الجدول بجدول الدراسة السابق الذى ذكر أمين باشا سامى أنه كان متبعاً فى الفترة بين سنتى ١٨٦٨ و ١٨٧٤ يتضح ما يلى :

- (١) ظل عدد (الحصص) الأسبوعية كما هو لجميع الفرق (٣٣ حصّة فى الأسبوع) .
- (٢) زيدت مادة الحساب على تلامذة السنة الأولى (الفرقة الرابعة) .
- (٣) زيدت اللغة الأجنبية (والخط الأفرنكى) على تلامذة السنة الثانية (الفرقة الثالثة) وفى مقابل ذلك نقصت حصص القرآن الكريم واللغة العربية .
- (٤) زيدت حصّة للتاريخ على تلامذة السنة الثالثة (الفرقة الثانية) وحصتان للتاريخ ومثلهما للجغرافيا على تلامذة السنة الرابعة (الفرقة الأولى) وفى مقابل ذلك نقصت حصص المواد الأخرى .

ونظمت خطة دراسية خاصة للتلامذة الذين يود آباؤهم أن يحفظوهم القرآن كله ويقتصروا فى الدروس الأخرى على الخط فقط ، فهؤلاء يمكنون بالمدرسة ست سنوات يتمون فيها القرآن الكريم حفظاً وترتيلاً .

كما نظمت خطة دراسية أخرى للتلاميذ الذين يودون حفظ القرآن كله وحضور الدروس الأخرى كلها فى تسع سنوات .

ونظمت كذلك خطة للتلامذة الذين يودون الاقتصار على قراءة القرآن دون حفظه ، وتبدأ هذه الخطة فى أول السنة الثانية ، حتى إذا انتهت السنتان الثانية والثالثة أتموا قراءة القرآن الكريم كله على أن يستعوضوا عن حفظه بحفظ أجزاء من كتاب (الفصول الفكرية) (١) .

(١) كتاب مدرسى فى النحو وضعه عبد الله (بك) فمكرى وقد حل فى المدارس محل (متن الأجرومية) ، وكان التلاميذ يقرءون أيضاً فى كتاب (التمرين) لعلى باشا مبارك .

اللغة العربية : يبدأ التلاميذ في السنة الثالثة في دراسة قواعد النحو ويستعملون لهذا الغرض كتاب (الفصول الفكرية) في السنتين الثالثة والرابعة مع الاستمرار في القراءة في كتاب (التمرين) . وعلى المدرس أن يعنى — إلى جانب تعويد تلامذته على حسن القراءة — بتفهمهم قواعد النحو والإعراب وعمل تطبيقات كثيرة مما يقرأونه .

وفي التركية والفارسية : يستعمل التلاميذ كتابي (النخبة) و (علم حال) .
وفي اللغة الفرنسية : يستخدمون كتاب (Guide de Conversation) لقدري بك (باشا) وله كتاب آخر في القراءة .

وفي اللغتين الإنجليزية والألمانية : يعنى التلاميذ بدراسة قواعد النحو والقراءة والترجمة إلى العربية وبالعكس وكتابة قطع للإملاء .

ويختار التلميذ من السنة الثانية (الفرقة الثالثة) إحدى هذه اللغات الثلاث ويستمر في دراستها طوال دراسته الابتدائية ثم التجهيزية .

الحساب : يتدرج التلميذ من (العد) شفوياً في السنة الأولى إلى الكسور العشرية والموازن والمكاييل المصرية وتحويلها والنسبة والتناسب في السنة الرابعة .

الجغرافيا والتاريخ والتاريخ الطبيعي والصحة : ويستعمل التلميذ في السنة الثالثة كتاب (التمرين) ، وفي السنة الرابعة يدرسون الحوادث الهامة من تاريخ مصر حتى فتح العرب بطريق القصص والمحادثات البسيطة ، ومن الجغرافية يدرس التلميذ التعاريف الأولية وجغرافية النيل ومصر .

هذه خطة الدراسة الابتدائية ومناهجها كما وضعت في سنة ١٨٧٤ ، فلننظر الآن إلى حظها من التنفيذ .

أما مدرسة الناصرية فقد نفذت هذه الخطة تماماً في سنة ١٨٧٦ (١) .
ونلاحظ أن دراسة (القرآن) في الفرقتين الثالثة والرابعة تتضمن القراءة والكتابة والخط والإملاء .

ولهذا نجد أن درجة امتحان التليذ في القرآن كانت تتألف من أربع درجات :
للخط والمطالعة والإملاء والامتحان التحريري على التوالى أسوة بامتحان اللغة العربية واللغة التركية واللغة الأجنبية .

وكان الامتحان في المواد الأخرى - عدا الرسم - يتضمن اختباراً شفويًا وآخر تحريريًا ولكل منهما درجة ، وكان يقوم بالتدريس في كل فصل من فصول الفرقة الرابعة مدرس واحد للحساب والقرآن وما يتصل به من قراءة وكتابة وحفظ .

أما المدرسة الابتدائية بالإسكندرية فقد اتبعت في هذه السنة (١٢٩٣ - ١٨٧٦) نفس الخطة التي وضعت في سنة ١٨٧٤ مع تغيير بسيط جداً (٢) .

وقد استمرت هذه الخطة قائمة حتى نهاية عصر إسماعيل ، وقد طبقت في مدرسة المنصورة التي أنشئت في سنة ١٨٨١ .

وكان أول تغيير - إن عد هذا تغييراً - جعل مادة (الدين) أساسية في التعليم ولها درجة خاصة في الامتحان ، وكانت تسمى (قواعد الإسلام) . وذلك بالمشور الذي أصدرته

(١) دفتر ١٨ (امتحانات المبتدیان) بدفترخانه المعارف .

(٢) دفتر ٤ (امتحانات إسكندرية) بدفترخانه المعارف .

نظارة المعارف في أواخر سنة ١٨٨٠^(١)، ودعت فيه نظار المدارس الابتدائية الى العناية بتدريس (قواعد الإسلام المندرجة في المسامرة الخامسة والعشرين من كتاب التمرين - بمعرفة خوجات القرآن) لتلاميذ الفرقة الثالثة المسلمين ومذاكرتها لهم كل سنة في كل فرقة يترقون اليها حتى لا ينسوها « بحيث يحفظونها عن ظهر القلب ويفهمون معناها فيها جيداً ويعرفون كيفية أدائها على أكمل وجه ... ». وعلى مدرسى القرآن والنحو حت التلامذة على الصلاة في المحل المعد للصلاة بالمسكتب أو المدرسة أو في أقرب مسجد أو في فناء المدرسة إلى أن ينشأ مكان خاص بها للصلاة . وقد علق الشيخ محمد عبده على هذا القرار بمقال نشره - مع نص القرار - في جريدة الوقائع في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٠ (وكان الشيخ إذ ذاك رئيساً لتحريرها) شكر فيه النظارة على اهتمامها بالتربية الدينية في المدارس والمكاتب، ولكنه رجا « أن لاتكون هذه العبادات والتعليمات الدينية صوراً يابسة لاروح فيها كعبادة الجاهلين »، ودعا النظارة الى ملاحظة الدروس الدينية التي يلقيها المعلمون « حتى لاتكون محشوة بأنواع من التخريف المضاد لحقيقة الدين كما جرت به عادة كثير من المتعلمين الذين يظهرون بصورة العلماء وإن كانوا في الحقيقة من أردأ الجهلاء » .

وفي سنة ١٨٨٠ عني (قومسيون تنظيم المعارف) ببحث خطة الدراسة الابتدائية وتقدم باقتراحات نفيسة منها :

(١) إلغاء تدريس اللغة الألمانية لتلامذة المدارس الابتدائية على أساس أن التلامذة

(١) انظر نص المنشور وتعليق الشيخ محمد عبده عليه في : تاريخ الامام للسيد رشيد رضا ج ٢ ص ٨٠ نقلا عن الوقائع المصرية . العدد ٩٥٧ في ٣ ذى الحجة ١٢٩٧ (٢٩ نوفمبر ١٨٨٠) .

الذين يدرسونها وآباءهم قد شكوا واعتبروا أنفسهم « في حالة حرمان وخسران » — وفي الترجمة الفرنسية « ضحوا أنفسهم » — لأن اللغة الألمانية لاتستعمل في مصر ، لا في الإدارات العامة ولا في العلاقات الاجتماعية بين الناس ^(١) .

(٢) جعل تدريس اللغة التركية اختياريا للتلامذة الذين لا يزمعون أن يلتحقوا بالمدارس التجريبية ، لأنه لا يستفيد من تعلمها إلا التلامذة الذين يتكلم أهلهم التركية ، أما أغلب تلامذة الريف والمدن فليس لديهم استعداد لتعلمها ، وبسبب فتورهم يتأخر غيرهم من التلاميذ الذين يستعدون لدراستها ^(٢) .

(٣) قصر تعليم اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية على تلامذة الفرقتين الأولى والثانية (السنتين الثالثة والرابعة) أى إلغاؤها من الفرقة الثالثة (السنة الثانية) بسبب الرغبة في « لزوم تقوية الأولاد في معرفة لغتهم الأصلية قبل أن يبتدئوا في تعلم اللغات الأجنبية » ، على أن يهتم في تعليم اللغة الأجنبية بالتمرين ، أما قواعد الأجرومية فيؤجل تدريسها الى المرحلة التجريبية ^(٣) . وقد شك القومسيون من ضعف مستوى مدرسي اللغات الأجنبية — وإن يكن قد سلم بأن مدرسي الانجليزية أكفأ من مدرسي الفرنسية — ولم يجد علاجا لهذه الحالة إلا بإنشاء مدرسة المعلمين لتخريج المعلمين الأكفاء .

(٤) واقترح القومسيون تأليف لجنة من المختصين للبحث في رفع مستوى تدريس اللغة العربية .

(١) تقرير قومسيون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ ص ١٦ وص ٦١ — ٦٢ والنسخة الفرنسية ص ١٧ ، ص ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) المصدر السابق .

(٥) أما التاريخ والجغرافيا « فلا وجود لهما بين فروع التعليم الا صورة فقط ، (١) .
ولاعلاج لهذا إلا إعداد المعلم الصالح .

(٦) ولاحظ أعضاء القومسيون أن زائر المدارس يعجب لفتور تلامذتها ، « وبدل
أن يلعبوا أو يترضوا برياضة نافعة يمكنشون بدون حركة قعوداً أو قياماً في جمعيات
صغيرة أو يتفسحون بغاية البطء » واقترح إدخال الألعاب الرياضية في كافة المدارس (٢) .
وبدأت نظارة المعارف تنفذ مقترحات القومسيون :

(١) فأصدرت في ديسمبر ١٨٨١ الى مدارسها (منشورا) (٣) بالقرار الذي أصدره
مجلس المعارف الأعلى بالغاء تدريس اللغات الأجنبية من الفرقة الثالثة (السنة الثانية)
بجميع المكاتب والمدارس الابتدائية والاستعاضة عنها بتقوية التلامذة في اللغة العربية
قراءة وكتابة ، ليسهل عليهم تحصيل المواد الأخرى ، هذا إلى أن دراسة اللغة
الأجنبية في سن متقدمة تمكن من زيادة تحصيلها .

على أن نظارة المعارف عادت بعد هذا إلى تقرير دراسة اللغة الأجنبية في السنة الثانية
الابتدائية في سنة ١٨٨٧ (٤) ثم في السنة الأولى في سنة ١٩٠١ (٥) وقد أقدمت وزارة
المعارف أخيراً على إلغاء اللغة الأجنبية (الإنكليزية) من منهج السنة الأولى ، ويقال

(١) المصدر السابق ص ٦٢ ، ص ٦٣

(٢) المصدر السابق ص ٦٣

(٣) انظر نص هذا المنشور في المجلد الرابع من (قاموس الادارة والقضاء) لفيليب بك

جلاد ص ٢٩٣

(٤) Minist. de l'Inst. Publique Prog. de l'enseignement pour les Lycées (٤)
(enseignement primaire et secondaire) 17 août, 1887.

(٥) أمين باشا سامي : التلميم في مصر . القسم الثالث من الملحقات ص ٤

إن الوزارة تبحث الآن في إلغائها من منهج التعليم الابتدائي جملة ، وهو لا شك إصلاح محمود .

(٢) وبالتدريج ألغيت اللغة الألمانية في المدارس الابتدائية ، فلم يبق بها سوى اللغتين الفرنسية والانكليزية يختار التلميذ إحداهما ، حتى انقرضت الفرنسية وأصبحت اللغة الإنكليزية وحدها هي التي تدرس لتلاميذ المدارس الابتدائية في سنة ١٩٠٣ .
ويعمل مرب انجليزى (١) انقراض اللغة الفرنسية من المدارس الابتدائية إلى هبوط النفوذ الفرنسى فى مصر بعد حادثة فاشودة .

(٣) وعينت النظارة بإعداد المعلمين الأكفاء : فأنشأت فى سبتمبر ١٨٨٠ مدرسة المعلمين (النورمال — التوفيقية) ليتخرج فيها مدرسو اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا ، ثم أنشأت مدرسة المعلمين الحديوية فى سنة ١٨٨٩ (بضم قلم الترجمة أو مدرسة الألسن القديمة إلى المدرسة التجهيزية) لتخرج مترجمين ومدرسين للغة الإنجليزية بالمدارس الابتدائية .

(٤) أما اللغة التركية فقد قررت النظارة فى سنة ١٨٨٨ أن لا تعلم للتلامذة إلا إذا طلب آبائهم ذلك (٢) ، ولهذا حذفت اللغة التركية من جدول الدراسة وجعلت اختيارية (وقت الفسحة) منذ سنة ١٨٨٨ (٣) .

George Robb : Report on Educational progress in Egypt. 1882-1921. p. 7. (١)

Minist. de l'Inst. publique. Quatrième rapport 1888. p. 22. (٢)

(٣) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الثالث من الملحقات ص ٢

(٥) وفي سنة ١٨٨٨ اهتمت النظارة بإصلاح تدريس اللغة العربية فكونت لجنة من بعض المفتشين والمدرسين « للنظر فيما يختص بتعليم اللغة العربية بالمدارس الأميرية وتقرير ما ينبغى اتخاذه من الوسائل واتباعه من الطرق للوصول إلى الغاية المقصودة من تدريسها » (١) .

على أن الخطة الدراسية في المدارس الابتدائية ظلت في مجموعها قائمة حتى سنة ١٨٨٥ ، حين وضعت مناهج جديدة « لتساير التقدم الذي تم حديثاً في علوم التربية في أوروبا » (٢) .

(١) انظر قرار النظارة وتقرير اللجنة في المجلد الرابع من (قاموس الادارة والقضاء)

لفيليب بك جلاد ص ٣٠٩ — ٣١٣

(٢) Minist. de l'Inst. publique, Exposé des Réformes . . . 1885. p. 13-14. (٢)

الفصل الثاني

المدارس المركزية

أدرك إسماعيل منذ بداية حكمه أن التعليم الابتدائي لا يستقيم أمره ويعم أثره إلا إذا تعددت معاهده ، فلا تقتصر على حاضرة البلاد وثغرها . على أن أكثر مدارس الأقاليم التي أمر بإنشائها لم تخرج إلى حيز الوجود إلا بعد أن صدرت قرارات شورى النواب ولائحة رجب ١٢٨٤ . وقد فصلنا في مكان آخر الحديث عن هذه القرارات وعن لائحة رجب (١) . ونقتصر في هذا الفصل وفي الفصول التالية على الحديث عن أحكام اللائحة الخاصة بالمدارس المركزية ثم المكاتب الأهلية ثم السكتاتيب معقبين على شرح هذه الأحكام بتتبع نصيحتها من التنفيذ .

ولنبداً بالمدارس المركزية ، وهي المدارس الابتدائية التي تقرر افتتاحها في عواصم المديریات .

أشارت اللائحة (المادة ٣٣) بأن يبدأ بإنشاء ثمانى مدارس مركزية : أربعة منها بالوجه البحرى وهى : مدرسة فى طنطا لقبول أبناء مديرتى الروضة (الغربية والمنوفية) والبحيرة ، ومدرسة فى الزقازيق لقبول أبناء مديرية الشرقية والبلاد القريبة منها من مديرتى القليوبية والدقهلية ، ومدرسة فى المنصورة لقبول أبناء مديرية الدقهلية والبلاد القريبة منها من مديرتى الروضة والشرقية ، ومدرسة فى الجيزة لقبول أبناء مديرية الجيزة وما جاورها من بلاد القليوبية والروضة .

(١) انظر فيما سبق ص ٣٩ - ٦٣ .

ومثلها بالوجه القبلى وهى : مدرسة فى بنى سويف لقبول أبناء مديرتى بنى سويف والفيوم ، ومدرسة فى المنيا لقبول أبناء مديرية المنيا وبنى مزار ، ومدرسة فى أسيوط لقبول أبناء مديرتى أسيوط وجرجا ، ومدرسة فى قنا لقبول أبناء مديرية قنا وإسنا .

وتقام هذه المدارس فى أبنية أعلى أرض تملكها الحكومة وتتنازل عنها فتصبح « من ضمن المباني الخيرية الأهلية » ، ونفقات إصلاح البناء أو تشييده تكون على نفقة أهالى المديريات . فإذا لم يكن للحكومة بناء أو أرض اشترى بناء جديد بثمن من الأهالى ، إن لم يتبرع بالبناء كله أو بعضه أحد من أهل الخير (المادة ٣٤) . أما أثاث المدرسة فبعض ثمنه من الأهالى وبعضه من الأوقاف الخديوية والأوقاف « الآيلة لمدارس المديريات » .

والمدرسون تتراوح مرتباتهم بين مائتى قرش و ٧٥٠ قرشاً فى الشهر وتحصل من الأوقاف الآيلة للمدرسة ، والنظار لا تزيد رتبهم على الصاغقول أغاسى ومرتباتهم « على طرف » أهالى المديرية .

ويعين بديوان المدارس مفتشان عامان : أحدهما للتفتيش على مدارس الوجه البحرى ، والآخر للتفتيش على مدارس الوجه القبلى ، ويكونان برتبة الصاغقول أغاسى ، ويكون مع كل منهما معاونان برتبة اليوزباشى ، ومرتباتهم من ميزانية الحكومة . ويكون تعيين هؤلاء الموظفين من اختصاص ديوان المدارس .

ويندب أطباء المديريات لزيارة هذه المدارس ، وتصرف الأدوية للمرضى من تلامذتها أسوة بالأهالى « من الإحسانات الخديوية » (المادة ٣٥) .

ويتراوح عدد تلاميذ كل مدرسة من هذه المدارس المركزية بين مائتين وثلاثمائة تلميذ ، يوزعون بنسبة عدد سكان كل مديرية ، ويكونون داخلين بالمدرسة ، ويمكن أن

يسمح بقبول تلامذة خارجيين فوق العدد المقرر للمدرسة ، على أن لا يزيدوا على نسبة ٢٠ ٪ من مجموع تلامذتها ، ويمكن الترخيص بتحويل التلامذة من القسم الداخلى إلى القسم الخارجى بشروط يسيرة .

وتقوم لجنة من ناظر المدرسة ومدرسيها وبعض أعيان المديرية باختبار التلامذة الجدد ممن يتقدم لها من أطفال مكاتب القرى وغيرها . ولحظ فى هذه المدارس صفتها (الأهلية) فتقرر قبول تلامذتها من غير تعنت فى السن والصحة ، فيقبل التلامذة فيها من سن العاشرة إلى الخامسة عشرة من غير تمييز بين غنى وفقير ، مسلم وغير مسلم ، على أن يكون صحيح الجسم سليم البصر بالقدر الذى يمكنه من الاستفادة من التعليم .

ويدرس التلاميذ المواد الآتية (المادة ٣٦) :

أولا — اللغة العربية من نحو وصرف ومطالعة وإنشاء وعقائد التوحيد وواجبات العبادة والأدب .

ثانيا — اللغة التركية ولغة أوروبية .

ثالثا — مبادئ الجغرافيا والتاريخ .

رابعا — أصول الحساب وتطبيقه على التجارة ومبادئ الهندسة وتطبيقها على المساحة .

خامسا — نبذة فى الحيوانات والنباتات الأهلية ومقدمة لفن الزراعة .

سادسا — خط الثلث والنسخ والرقعة والرسم .

وتجتمع لجنة بديوان المدارس لتقرير الكتب سواء من الكتب الموجودة أو التى تشير اللجنة بطبعها ونشرها .

ويلبس التلاميذ جميعاً لباساً واحداً ، ومن يريد من التلاميذ أن يلبس ملابس أخرى فله أن يلبسها تحت « الجلاية لتحفظ قيافة التلامذة » (المادة ٣٧) .

وتعقد في المدارس المركزية امتحانات شهرية يقوم بها المعلمون وامتحانات في منتصف السنة يقوم بها ناظر المدرسة وأحد المفتشين ، وامتحانات عامة في آخر السنة تقوم بها لجان يرأسها مندوب من ديوان المدارس ويشترك فيها بعض علماء وأعيان المديرية وتوزع المكافآت في احتفال تعزف فيه الموسيقى ، ومن يود من تلامذة المدرسة الناجحين أن يتحق بالمدرسة التجهيزية الأميرية فليتقدم بطلبه ، ومن يرسب في الامتحان عامين يفصل أو يقبل بالقسم الخارجي (المادة ٣٨) .

وبذلك ترى أن هذه المدارس « ولو أنها أهلية » إلا أن « إدارتها كالمدارس الأميرية بمعرفة ديوان المدارس » . ولذلك فإن موظفيها يعاملون أسوة بموظفي الحكومة من حيث المعاش . والواقع أننا لا نجد فرقاً كبيراً واضحاً بين هذه المدارس والمدارس الابتدائية الأميرية إلا في ناحية واحدة : هي أن هذه المدارس لا ينفق عليها من ميزانية الدولة بل دبر لها إيراد خاص من الأوقاف ومما يقدمه الأهالي . على أن ديوان المدارس حرص على أن يقرر أن جميع إيراداتها تحفظ في خزائنه ومنها يصرف ما تحتاج إليه ، وفي كل سنة يوضع الحساب الختامي للعام المنصرم ، وتوضع ميزانية العام القادم بحضور جمعية من أعيان المديرية (المادة ٣٩) .

أما فيما عدا ذلك فالنظام الذي وضع لهذه المدارس مزيج من النظم القديمة وأخصها الاحتفاظ بالنظام الداخلي كأساس للحياة المدرسية واللباس الموحد لجميع التلاميذ وحظر خروجهم من المدرسة إلا إذا أتموا الدراسة ، مع قدر ليس بالقليل من النظم الحديثة وأخصها تقرير مبدأ اشتراك الأهالي في تحمل نفقات تعليم أبنائهم ،

وإن يكن هذا التقرير جاء غامضاً - ولكن يصح أن نتخذه أساساً لمبدأ فرض الرسوم المدرسية على الآباء مقابل تعليم أبنائهم - وإيجاد أقسام خارجية بالمدارس . وسينمو هذان المبدآن : مبدأ فرض الرسوم المدرسية ومبدأ النظام الخارجى حتى يصبحا - بعد سنوات - أساساً للحياة المدرسية فى التعليم الابتدائى على وجه الخصوص .
هذا ما جرت به لأئحة رجب ١٢٨٤ خاصة بالمدارس المركزية . فلنر الآن حظها من التنفيذ :

أشرنا إلى أن الشروع فى فتح مدارس ابتدائية بالأقاليم بدأ منذ السنة الأولى من حكم الخديو إسماعيل ولكن افتتاحها تأخر بالفعل إلى ما بعد صدور لأئحة رجب ١٢٨٤ ، وافتتحت المدارس الآتية :

مدرسة طنطا

عهد إلى « على مبارك » قبل نقله وكيلا لديوان المدارس - وكان ما يزال ناظراً للقناطر الخيرية وكبيراً لمهندسى المعية السنية - بوضع رسم لبناء المدرسة على قطعة أرض بقرب محطة السكة الحديدية فى طنطا ^(١) ، وفى أوائل سنة ١٨٦٧ وضع الحجر الأساسى للبناء ^(٢) ، ودعى أعيان المديرية (الروضة) إلى تقديم معوتهم « للمدرسة الخيرية لتتيمم المشاركة فى الأجر والأهلية » ، فجمع منهم مبلغ ٣٥ بارة و ٩٩٤ قرشاً و ٥٦٦ جنياً أرسل لديوان المدارس ^(٣) . ولكن البناء

(١) دفتر ٣٨٧ (مدارس عربى) ص ١٥٤ إلى ناظر القناطر الخيرية وباشمهندس المعية السنية فى ١٨ ذى الحجة ١٢٨٣

(٢) محفظة ٤٢ (معية تركى) رقم ١٩ من مفتش عموم الأقاليم إلى رياض باشا (بالمعية) فى ٤ جمادى الأولى ١٢٨٤

(٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٩٩ رقم ١٠٢ إلى المالية فى ١٢ شعبان ١٢٨٥

كان يحتاج إلى وقت طويل حتى يتم ، فرؤى البحث عن مكان بطنطا ليستأجر ليكون مكتبا أهلياً لمائة تلميذ حتى يتم البناء^(١). ثم رؤى أن تفتح المدرسة في بنها في القصر الذى كان عباس باشا الأول قد ابتناه لنفسه وإعداده لمائة وخمسين تلميذاً ريثما يتم بناء المدرسة بطنطا^(٢) . وهكذا افتتحت مدرسة أو مكتب بطنطا ببنها في شوال — ذى القعدة ١٢٨٤ (يناير — فبراير ١٨٦٨) .

وعين ناظراً للمدرسة أول افتتاحها (إبراهيم أفندى مقامى) ، وكان معاوناً بديوان المدارس ، ثم خلفه^(٣) عبد الله أفندى حسين من يناير ١٨٧١ إلى أكتوبر ١٨٧٢ وكان قبلاً ناظراً لمدرسة أسيوط ، ثم منصور أفندى عزمى من ديسمبر ١٨٧٢ إلى أغسطس ١٨٧٣ وكان قبلاً بالمدرسة التجهيزية ، ثم محمد أفندى على القوصى من ديسمبر ١٨٧٣ إلى نوفمبر ١٨٧٥ وكان قبلاً ناظر قلم جوازات السفر بالاسكندرية ، ثم يوسف أفندى وعدى من ديسمبر ١٨٧٥ إلى يولية ١٨٧٩ ، ثم محمد أفندى ثابت

(١) دفتر سنة ١٥٨٤ (إرادات للدارس) ص ١ رقم ٢ ودفتر ١٩٢٥ (أوامر عربى) ص ١٤ رقم ٦ إلى تفتيش عموم الأقاليم في ٢٧ رجب ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٥ رقم ٣٤٧ إلى رئيس مجلس بنها و ص ٦٦ رقم ٣٥٢ إلى ناظر مكتب بطنطا في ٤ شوال ١٢٨٣ وقد استؤجر الجانب الذى شغلته المدرسة من القصر — وكان قد حول بعد عباس إلى دار للضيافة — من دائرة طوسون باشا بمبلغ عشرة جنيهات في الشهر (دفتر ٤١٤ مدارس عربى ص ١٣٩ رقم ٧ إلى الداخلية في ١٠ رجب ١٢٨٥)

(٣) أمين باشا سامى : التعليم في مصر — القسم الخامس من الملحقات ص ٦٣ ودفتر ٤٠٣ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ٣٤٥ إلى كتاب الحسابات بديوان المدارس في ٢٧ رمضان ١٢٨٤

من أغسطس ١٨٧٩ إلى يولية ١٨٨١ ، ثم مراد أفندي مختار من سبتمبر ١٨٨١ إلى نوفمبر ١٨٨٢ .

ومضت أشهر على افتتاح المدرسة بنها ، وأهمل « عمد المديريات » ما كانوا اتفقوا عليه من تجهيز أدوات البناء بطنطا ، فوقف العمل في بناء المدرسة بعد وضع أساسه^(١) . وكان ديوان المدارس يقدر ضرورة التعجيل بإتمام البناء وخاصة لضيق المكان الذي خصص من القصر لمدرسة بنها ، وكان « مجلس » بنها يشغل جانباً منه^(٢) . ومضت سنوات ولم يشرع بعد في البناء ، حتى ضاق الخديو ذرعاً فأمر بأن ترسل المواد اللازمة للبناء على نفقته الخاصة^(٣) . وهكذا فشل مشروع اشتراك الأهالي في تحمل نفقات أبنية المدارس المركزية بالمديريات .

ونظمت المدرسة على غرار المدارس الأميرية ، ولا غرو فقد أزمعت الحكومة أن تجعل منها « نموذجاً للمدارس الأهلية المركزية »^(٤) .

وعمل ديوان المدارس على أن يبسط عليها إشرافه التام ، فكان يعين المدرسين وسائر الموظفين ويطلب إلى الناظر أن يبعث إليه (بيوميات) عن التلاميذ في كل

(١) دفتر ٤١٤ (مدارس عربي) ص ٤٦ رقم ٢ إلى الداخلية في ٤ جمادى الثانية ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٦ (مدارس عربي) ص ٦٥ رقم ٢٧ إلى مديرية القليوبية في ٩ ذي القعدة ١٢٨٥

(٣) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢١٣ إلى ناظر الأشغال والمعارف والأوقاف في ١٥ ربيع الأول ١٢٩٠

(٤) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ١١ رقم ٨ إلى المعية السنية في ١٥ شوال ١٢٩٠

أسبوع^(١) وجداول بما حصله التلامذة من العلوم في كل ثلاثة أشهر وترتيب الدروس والمعلمين الخ^(٢).

وقد أصابت المدرسة في مستهل حياتها نجاحاً كبيراً . إذ لم تمض أشهر حتى كان بها ١٥٠ تلميذاً ، وأذن الديوان برفع العدد إلى مائتي تلميذ ، لأن « القصد من افتتاح المكاتب بالأقاليم هو تمدن الأهالي واتساع دائرة العلوم وقبول كل من يرغب الإلحاق بالمدارس عليه مدار كلي بالنسبة لكثرة التلامذة »^(٣). وأشار مفتش المدارس الملكية في أحد تقاريره إلى أنه وجد المدرسة « في غاية النظافة وحسن الترتيب وتلامذتها مستعدين »^(٤). ولهذا وافق ديوان المدارس على ما رآه ناظر المدرسة من انتخاب بعض تلامذتها « من أولاد العمد خالين عن أبناء الترك وخلافهم » ليحضروا التشريفات الخديوية في عيد الفطر ، حتى يرى الخديو بنفسه ثمار غرسه^(٥) .

وظل تقدم المدرسة مطرداً ، حتى وصل عدد تلامذتها إلى ٣٠٠ تلميذ ، وهو الحد

(١) دفتر ١٠٤ (مدارس عربي) ص ١٩٤ رقم ١٠ من مكتب طنطا في ٢٤ ذي الحجة ١٢٨٤ ودفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ٦٢ رقم ١ و ٢ و ٣ و ٤ إلى مدرسة طنطا في ١٠ — ٢٤ ذي القعدة ١٢٨٤

(٢) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربي) ص ١٣٥ رقم ١١٢ من مكتب طنطا بينها في ٢٦ المحرم ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربي) ص ١٢ رقم ٦٠ إلى مكتب طنطا في ١١ ربيع الأول ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١١ (مدارس عربي) ص ٧٢ من حماد بك مفتش المدارس الملكية في ١١ المحرم ١٢٨٥

(٥) دفتر ٤١٥ (مدارس عربي) ص ٥٨ إلى مكتب طنطا بينها في ١٨ شعبان ١٢٨٥

الأعلى الذى حددته لائحة رجب لعدد تلاميذ المدرسة المركزية . ولم يجد الديوان بداً — ليفسح المجال لأبناء العمد والأهالى الذين يلحون فى طلب الدخول بالمدرسة — من فصل بعض تلامذتها الأغنياء وأصحاب العاهات والمتقدمين فى السن (١) .

وعلى أن مبعد المدرسة عن الإدارة المركزية بالقاهرة ما لبث أن كان له أثره فى ارتباك سير الدراسة والنظام بالمدرسة ، وقد ظهر هذا فى عهد ناظرها الثانى : « فالتعليمات الجارى عليها العمل بالمدرسة ليست موافقة لأصول التعليمات بالمدارس الميرية » ، والتلاميذ ملابسهم قدرة ممزقة ومكان المستشفى غير لائق وأدوات الطعام وغرفة المائدة قدرة والمعلون يتعدى بعضهم على بعض ويؤذون التلاميذ بالضرب المبرح والتلاميذ الذين أرسلوا إلى القاهرة وجدوا مبتدئين لم يقرأوا الكتب التى أرسلها الديوان إلى المدرسة ... الخ (٢) .

ويبدو أن الديوان قد اقتنع بأن اكتظاظ المدرسة بالتلاميذ ليس مما يعين على تقدمها ، فقرر نقل مائة منهم إلى مدرسة الاسكندرية (٣) ، وعلى أثر ذلك توالى هبوط عدد تلامذتها حتى وصل إلى ١٧٤ تلميذاً فى سنة ١٨٧٨ ، ثم عاد يرتفع حتى وصل

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١٤٣ رقم ٥١ إلى مدرسة طنطا بنها فى ٢٦ شوال ١٢٨٧ .

(٢) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص ٦٠ رقم ١٠٩ إلى مدرسة بنها فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٨٩ — وعلى أثر ذلك فصل الناظر وعين آخر بدله .

(٣) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ٨٦ رقم ٤٥ إلى مكتب بنها فى ١٢ ذى القعدة ١٢٨٩ ، على أن لا يكون من بينهم تلاميذ سودانيون .

في سنة ١٨٨٣ إلى ١٤٤ تليذاً^(١).

وكان تلاميذ المدرسة — في عامها الأول — موزعين بين أربع فرق دراسية^(٢) ، وفي العام التالي استكملت المدرسة فرقتها الست^(٣) . وكان تلاميذها يدرسون القرآن الكريم واللغة العربية والخط والحساب والجغرافية .

ولما صدر منهج التعليم الابتدائي في سنة ١٨٧٤ طبق على المدارس المركزية أسوة بمدرسة المبتديان بالقاهرة . فأضيف إلى خطة الدراسة الهندسة واللغتان التركية والفرنسية والجغرافيا والرسم .

وقد ألحقت بالمدرسة في فترات مختلفة من تاريخها فرقة للساحة وفرق تجهيزية سنعود إلى الكلام عليها في مواضع أخرى .

مدرسة أسيوط

في شعبان ١٢٨٤ (ديسمبر ١٨٦٧) صدر أمر الخديو بمنح ديوان المدارس قصر الحكومة القائم بالحمام بأسيوط وما يحيطه من أرض ووقفهما لينشأ فيهما مدرسة أهلية لمائة تليذاً^(٤) . وعلى أثر ذلك نشط ديوان المدارس لافتتاح المدرسة ودعا أهالي

(١) انظر دفتر (امتحانات مدرسة طنطا) بمتحف التعليم ، أمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ٩٨

(٢) دفتر ٤١٢ (مدارس عربي) ص ٤٥ رقم ٦٦ من مكتب ططا في ٢٥ ربيع الأول ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٢٢ (مدارس عربي) ص ١٣٥ رقم ١١٢ من مكتب طنطا في ٢٦ المحرم ١٢٨٦

(٤) دفتر سنة ١٥٨٤ (أرادات المدارس) ص ١ رقم ٣ ومحفظه (مدارس) رقم ١٨٦ أمر إلى المدارس في ٥ شعبان ١٢٨٤ ، وكان يقيم بالقصر إذ ذاك مجلس استئناف أسيوط : دفتر ٤٠٣ (مدارس عربي) ص ١٣٦ رقم ٧ إلى مديرية أسيوط في ١٧ ذي القعدة ١٢٨٤

مديرية أسيوط والأقسام المجاورة لها من مديريات الوجه القبلي إلى إلحاق أبنائهم بها « بالطوع والاختيار » ، على أن تتراوح ألسنانهم بين العاشرة والخامسة عشرة وأن يكونوا أحماء الجسم والبصر « بقدر المساعدة على الكتابة والقراءة والمنفعة الملكية » وأن يكونوا عند الدخول يحسنون القراءة والكتابة « لأجل الاشتغال بالعلوم النافعة » ، وعين اليوم الأول من شهر ذى القعدة ١٢٨٤ (فبراير ١٨٦٨) لافتتاح المدرسة (١) .

ولكن مدرسة أسيوط في مستهل حياتها لم تصادف من الإقبال ما صادفته زميلتها في بنها : فقد مضت أشهر على افتتاح المدرسة ولم يدخلها سوى ٢٨ تلميذاً ، بينما استكملت مدرسة بنها مقررهما من التلاميذ ، ويتعلل الناظر بأن هذا النقص يرجع إلى اشتراط القراءة والكتابة في التلامذة الجدد ، وقدر الديوان هذه العقبة فقرر أن يقبل بها جميع من يتقدم إليها سواء أكان ملماً بالقراءة والكتابة أم غير ملهم بهما مادام خالياً من العاهات ، وذلك لأن « القصد من افتتاح المدارس بجهات الأقاليم هو تعليم التلاميذ وتمدن الأهالي واتساع دائرة العلوم » (٢) .

على أنه يبدو أن أول ناظر للمدرسة ، وهو أحمد أفندي جابر — وكان مهندساً

(١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربي) ص ٦٥ رقم ٣٤٦ إلى كتاب الحسابات في ٢٧ رمضان ١٢٨٤ و ص ٦٦ رقم ٦٥١ إلى ناظر مكتب أسيوط في ٤ شوال ١٢٨٤ و ص ٨٩ رقم ٣٨٢ إلى مفتش عموم الأقاليم في ١٨ شوال ١٢٨٤ . كانت المواصلات في ذلك الوقت شاقة بين القاهرة وأسيوط لأن خط السكة الحديدية كان قد مد إلى المنيا فقط ومن المنيا كانت المهمات ترسل في سفينة للبريد (دفتر ٤٠٣ مدارس عربي ص ١٦٤ رقم ٤٤١ إلى الانجرارية في ٢ ذى الحجة ١٢٨٤)

(٢) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ١٩٤ رقم ٣٦ إلى مكتب أسيوط في ١١

ربيع الأول ١٢٨٥

بالأشغال العمومية ^(١) — لم يكن موقفاً في إدارة المدرسة ^(٢)، مما أدى إلى عزله وتعيين آخر محله ^(٣) لم يكن خيراً منه فكان نصيبه العزل أيضاً ^(٤) وكان قد مضى على افتتاح المدرسة عام كامل وليس بها سوى ١٤٧ تلميذاً وثلاثة معلمين: أحدهم للرياضة وآخر للنحو والثالث القرآن ^(٥)، ثم أضيف إليهم معلم للفرنسية وآخر للتركية ^(٦). ويظهر أنه كان لتغيير أشخاص النظار أثره: فما لبث الإقبال أن اشتد على المدرسة حتى أذن الديوان بزيادة عدد التلاميذ الذين يقبلون بها إلى ٣٠٠ تلميذ، وكان ذلك بعد نحو عامين ونصف عام منذ أنشئت المدرسة ^(٧)، واقتضى ذلك بناء حجرات جديدة ^(٨)، بل فكر ناظر المعارف

-
- (١) دفتر ٤٠٣ (مدارس عربي) ص ٦٥ رقم ٣٤٦ إلى كتاب الحسابات بديوان المدارس في ٢٧ رمضان ١٢٨٤
- (٢) شكوا بعض الموظفين إلى الديوان أنه يرفض قبول أولادهم بالمدرسة (دفتر ٤١٤ (مدارس عربي) ص ١١ رقم ٣ إلى مكتب أسيوط في ٥ جمادى الثانية ١٢٨٥) وأخذ عليه أنه كان يترك المدرسة ويقوم كثيرًا بالقاهرة (دفتر ٤٢٠ مدارس عربي ص ١٢٤ رقم ١٦ من مكتب أسيوط في ٤ رجب ١٢٨٥)
- (٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربي) ص ١٦٧ رقم ٤٤ إلى مدرسة أسيوط في ١٤ شوال ١٢٨٥
- (٤) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربي) ص ١٦١ رقم ٩ إلى مديرية أسيوط في ٢٨ شوال ١٢٨٦
- (٥) دفتر ٤٢١ (مدارس عربي) ص ٦٢ رقم ٣٨ من مكتب أسيوط في ١٩ شوال ١٢٨٥
- (٦) دفتر ٤١٥ (مدارس عربي) ص ١٦٧ رقم ٤٥ إلى مدرسة أسيوط في ٢٣ شوال ١٢٨٥ ودفتر ٤١٦ (مدارس عربي) ص ٥٠ رقم ٥٠ إلى مكتب أسيوط في ١٧ ذي القعدة ١٢٨٥
- (٧) دفتر ٤٣٩ (مدارس عربي) ص ٤٥ رقم ٥٤ إلى مكتب أسيوط في ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٨
- (٨) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربي) ص ١٥ رقم ١٧ إلى مديرية أسيوط في ٢ ربيع الأول ١٢٨٧

في بيع القصر وشراء آخر يكون أنسب منه (١) .

ولكن عدد التلاميذ مالمثل أن هبط إلى درجة كبيرة ، والأرقام التالية توضح ذلك (٢) :

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧١	٣٠٠	
١٨٧٣	٢١٦	منهم ٢٨ تلميذاً سودانياً .
١٨٧٤	١٦٨	
١٨٧٥	١٨١	منهم ١٠ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٦	١٣٦	منهم ٧ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٧	٩٧	منهم ١١ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٨	١٠٠	منهم ١٠ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٩	١٤٠	منهم ١٧ يكونون فرقة التجهيزية .
١٨٨٠	١٢٦	منهم ٢١ يكونون فرقتين تجهيزيتين .
١٨٨١	١٢٨	منهم ١١ يكونون فرقة تجهيزية .
١٨٨٢	١٣١	

(١) دفتر ٢٧ (معية عربي) ص ٢٨ رقم ٣٠ من المهرار إلى نظارة الداخلية في ١٨

رجب ١٢٩٥

(٢) أخذنا هذه الأرقام من دفترى ٣٠ و ٣١ (امتحانات أسيوط) بدفترخانة المعارف وهذه الأرقام يتفق أكثرها مع ما أورده أمين باشا سامى في كتابه (التعليم في مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٦) .

مصادر الدراسة :

كان تلاميذ المدرسة في سنة ١٨٧٢ يدرسون اللغات العربية والتركية والفرنسية والخط والرسم والحساب والتاريخ والجغرافية موزعة على فرق المدرسة الأربع ، وقد درس المتقدمون منهم أحيانا شيئاً من الفقه والتوحيد والهندسة والجبر .

حتى إذا كانت سنة ١٨٧٦ نظمت خطة الدراسة على نحو يقرب ممارسها منهج سنة ١٨٧٤ مع تعديلات يسيرة كانت تختلف من عام إلى آخر ^(١) .

ونحنم حديثنا عن مدرسة أسيوط بإثبات أسماء من تولوا نظارتها من أول إنشائها (ديسمبر ١٨٦٧ أو يناير ١٨٦٨) ^(٢) إلى سنة ١٨٨٥ :

(١) انظر دفترى ٣٠ و ٣١ (امتحانات أسيوط) بدفترخانة المعارف وثبت فيما يلي أسماء معلمي مدرسة أسيوط من أول إنشائها إلى سنة ١٨٨٢ مأخوذة من هذين الدفترين ووثائق الديوان العربية ومؤلف دور ، عن التعليم في مصر ص ٣٧٧ والإحصاء العام سنة ١٨٧٥ :

مدرسو اللغة العربية والخط والقرآن : المشايخ زين الدين رافع ، حسن بشنك ، محمد عطية ، محمد الحداد ، على عوض ، أحمد جوده

مدرسو اللغة التركية : محمد فاضل ، إبراهيم رأفت ، أحمد صدقي .

مدرسو اللغة الفرنسية : حبيب شدودي ، محمد شيته ، مصطفى علوى ، حسن على .

مدرسو الرياضة : حسن وصفي ، حسن على ، محمد قدرى ، على أحمد ، أحمد إدريس ،

إسماعيل محمد ، محمد أدريس

مدرسو الرسم : محمد إسلام ، محمد عبد اللطيف ، محمد توفيق .

(٢) نقلا عن وثائق الديوان وأمين باشا سامى : التعليم في مصر . القسم الخامس من

أحمد جابر أفندي : من يناير ١٨٦٨ إلى يناير ١٨٦٩ ، وقد رأيت أنه فصل لسوء إدارته .
عبد الله حلي أفندي : من فبراير ١٨٦٩ إلى يناير ١٨٧٠ ، وقد فصل هو الآخر
لسوء إدارته .

عبد الله حسين أفندي : من فبراير ١٨٧٠ إلى ديسمبر ١٨٧٠ ، ثم نقل ناظراً
لمدرسة بنها (١) .

أحمد إدريس أفندي : من يناير ١٨٧١ إلى يولية ١٨٧٥ ، وكان مدرساً للرياضة بمدرسة
الإسكندرية ، ثم نقل في يولية ١٨٧٥ ناظراً لمدرسة الصنائع التي أنشئت في ذلك الوقت
بالقاهرة (٢) .

على أحمد أفندي : من أغسطس ١٨٧٥ إلى أكتوبر ١٨٨٥ ، وكان مدرساً للرياضة
بمدرسة المبتديان بالقاهرة (٣) .

مدرسة بنى سويف

بعد افتتاح مدرستي بنها وأسيوط بعام أزمعت الحكومة افتتاح مدرستين
أخرين في المنيا وبنى سويف ، وأخذت تدبر الأمكنة اللازمة (٤) . ولكن الحكومة

(١) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ٩٤ رقم ٣٨ إلى مكتب طنطا بنها
في ٩ شوال ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤٣٦ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٦٣ إلى مدرسة الاسكندرية في ١٢
شوال ١٢٨٧

(٣) دفتر ٤٨٢ (مدارس عربى) ص ١٥٨ رقم ٣١٦ إلى كتاب الحسابات في ١٤
رجب ١٢٩٢

(٤) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ٦٢ رقم ٢٦٠ إلى وكيل تفتيش عموم الأقاليم
قبلى في ٢٩ شوال ١٢٨٥

لم تجد بناء صالحاً لمدرسة بنى سويف فأقدمت على تشييد بناء جديد لها ، ولم يتم البناء إلا في سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) ، ودعى أهالى مديريات الجزيرة وبنى سويف والفيوم لإلحاق أبنائهم بالمدرسة الجديدة وفرضت عليهم رسوم دراسية بسيطة روعى أن تكون « مناسبة لحالة الأهالى ووجوه وعمد البلدان والتجار وما يماثلهم » (١) . وسرعان ما امتلأت المدرسة بالتلاميذ .

وفى ما يلي بيان بعدد تلاميذ المدرسة منذ إنشائها حتى سنة ١٨٨٢ (٢) .

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧٣	١٥٠	
١٨٧٤	٢٥١	
١٨٧٥	٢٥٨	منهم ١٠ تلاميذ يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٦	١٩٥	» » » » »
١٨٧٧	١٣٦	» ١١ تلميذاً » » »
١٨٧٨	١٦٢	» » » » »
١٨٧٩	٣٠٣	» ١٣ » » »
		و ٢٢ » » تجهيزية .
١٨٨٠	٣٣٦	» تلاميذ » فرقتين تجهيزيتين .
١٨٨١	٣٥٨	» » » » »

(١) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربى) ص ٧٩ رقم ٤ إلى عموم وجه قبلى فى ١٨ جمادى الثانية ١٢٨٩

(٢) اقتبسنا هذا الإحصاء من وثائق الديوان ودفتر ٣٣ (امتحانات بنى سويف) بدفترخانة المعارف وهو يتفق كثيرا مع الإحصاء الذى ذكره أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الثانى من الملحقات ص ٦

وتولى نظارة المدرسة منذ فتحت في سبتمبر ١٨٧٢ إلى ديسمبر ١٨٨٥ أحمد أفندي
نظيم ، وقد طبقت خطة التعليم الابتدائي التي وضعت في سنة ١٨٧٤ مع تعديلات
يسيرة اختلفت من عام لآخر (١) .

مدرسة المنيا

شرعت الحكومة في إنشاء مدرسة بالمنيا منذ سنة ١٢٨٥ (١٨٦٩) ووقع اختيارها
على بناء مصنع قديم كانت تملكه الحكومة (٢) ، ثم هزت الأريحية « مدير عموم قبلي »
فصح عزمه على أن ينشئ مدرسة بالمنيا ويقف عليها جانبا من أطيانه وفاء لمصروفاتها .

(٢) انظر دفتر ٣٢ (امتحانات بنى سويف) بدفترخانة المعارف . وثبت فيما يلي
أسماء مدرسي المدرسة مقبسة مما جاء في هذا الدفتر ووثائق الديوان والإحصاء العام
للتعليم سنة ١٨٧٥ :

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط : المشايخ محمد عبد الرؤف ، على ندوى ، عبد الله
عبد الرحمن (عريف) ، عبد المنعم النقيب ، عبد الدايم يوسف ، محمد هندواوى (عريف) ، سيد
يوسف (عريف) ، حسن على ، حسين نامق (خط) .

مدرسو اللغة التركية : حافظ محمد على ، حسين نامق .

مدرسو اللغة الفرنسية : مسيو اريجتى ، مسيو أورسينى .

مدرسو الجغرافيا والتاريخ : أحمد كمال . مسيو اريجتى ، إبراهيم توفيق ، أمين سامى (باشا) .

مدرسو الرياضة : أحمد تنظيم ، سيد أحمد حمدى ، عبد الدايم يوسف ، أمين سامى (باشا) .

وكان يدرس لفرقة المساحة : عفيفى شوكت ، أحمد وصفي ، إبراهيم حلمى .

مدرسو الرسم : أحمد كمال ، عفيفى شوكت ، محمد حسيب .

(١) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ١٤٩ رقم ٣٥٢ إلى مفتش أقاليم قبلى في ١٢

وقدر له الخديو جميل صنعه فأمر بأن تتنازل له الحكومة عن قطعة من الأرض ليشيد عليها البناء، إذ « أن هذه مادة خيرية » (١). ولكن البناء لم يتم إلا في سنة ١٨٧٣ وافتتحت المدرسة في يناير من ذلك العام (٢). وكان عدد تلامذتها : (٣)

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧٤	١٥٧	كان التلاميذ موزعين على ست فرق دراسية .
١٨٧٥	٢٠٦	» » » أربع »
١٨٧٦	١٣٤	» منهم ١١ تلميذاً يكونون فرقة المساحة .
١٨٧٧	١١٠	» » ١٠ تلاميذ »
١٨٧٨	٩٦	
١٨٧٩	٨٧	
١٨٨٠	٨٥	
١٨٨١	١١٨	
١٨٨٢	١٣٧	

وطبقت بالمدرسة خطة التعليم التي وضعت في سنة ١٨٧٤ مع تعديلات كانت

- (١) دفتر ١٩٣٥ (أو امر عربي) ص ١٢٠ رقم ١٥٦ أمر كريم إلى المالية في ٦ ذي الحجة ١٢٨٧
- (٢) دفتر ٤٥٨ (مدارس عربي) ص ٧ رقم ١٢ إلى مديرية المنيا في ١٣ المحرم ١٢٩٠ وأمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ٢٨
- (٣) هذا البيان مقتبس من دفتر ٣٣ (امتحانات المنيا) بـ دفتر خزانة المعارف ولا يختلف عنه كثيرا البيان الذي ذكره أمين باشا سامي : التعليم في مصر القسم الثاني من الملحق ص ٦

تختلف من عام لآخر (١) .

وقد تولى نظارة المدرسة حين إنشائها إبراهيم أفندي مقامى : من يناير ١٨٧٣ — نوفمبر ١٨٧٤ ، وكان قبل ذلك معاوفاً بديوان المدارس ثم ناظراً لمدرسة بنها المركزية ثم مدرساً بمدرسة أسيوط المركزية (٢) . ثم خلفه « مراد أفندي مختار » من ديسمبر ١٨٧٤ إلى أغسطس ١٨٨١ وكان ناظراً لمكتب الشيخ صالح بالقاهرة (٣) .
ثم خلفه « عابدين أفندي خير الله » من سبتمبر ١٨٨١ إلى نوفمبر ١٨٨٨ (٤)

مدرسة رشيد

فى سنة ١٨٧٣ (١٢٩٠ هـ) نشط ديوان المدارس للسعى لافتتاح مدارس مركزية

(١) انظر دفتر ٣٣ (امتحانات) وقد اقتبسنا منه ومن الإحصاء العام للتعليم (١٨٧٥)
أسماء المدرسين وهم :

مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط : المشايخ رشوان مروان ، على الرشيدى ،
أحمد غانم (عريف) إبراهيم زهران (عريف) .

مدرس اللغة التركية : حسين يحيى ، مراد مختار (الناظر) .

مدرس اللغة الانكليزية : محمد زكى .

مدرس اللغة الفرنسية : غبريال منقريوس .

مدرسو الحساب : محمود حمدى ، على قادر ، محمود فهمى ، محمد على ، محمد المنياوى .

مدرس الجغرافيا والتاريخ : محمد زكى مدرس الرسم : محمود حمدى ، محمود فهمى .

(٢) دفتر ٥٨ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ١٢ إلى مديرية المنيا فى ١٣ المحرم ١٢٩٠

(٣) دفتر ٧٩ (مدارس عربى) ص ١٥٠ رقم ٥٤ إلى كتاب الحسابات فى ٢٦

شوال ١٢٩١

(٤) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر القسم الخامس من الملاحقات ص ٦٦

أو أهلية أخرى في الثغور والبنادر ومنها ثغر رشيد . وحوّل المصنع الذي كانت تملكه الحكومة فيها إلى مدرسة بعد إصلاحه على نفقة ديوان الأوقاف ، ووضع « ترتيب » للمدرسة على أن يقوم ديوان الأوقاف بالإيفاق على كافة شئونها ^(١) ، على أن تتبع ديوان المدارس في الشؤون الفنية : كتعيين المدرسين وإمدادها بالكتب المدرسية وامتحان تلامذتها ووضع مناهج الدراسة ... الخ ^(٢) .

وافتحت المدرسة في مارس ١٨٧٦ (١٢٩٣ هـ) ^(٣) وكان عدد تلامذتها ^(٤) :

السنة	عدد التلاميذ	ملاحظات
١٨٧٦	٧٠	كان التلاميذ موزعين على فرقتين ابتدائيتين .
١٨٧٧	٩١	» » » » » »
١٨٧٨	١٠٢	» » ثلاث فرق ابتدائية .
١٨٧٩	١١٩	» » أربع » »
١٨٨٠	٩٠	» » ثلاث » وفرقة تجهيزية .
١٨٨١	٩٧	» » » » » »
١٨٨٢	١١٧	» » أربع » »

(١) محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٢٢ إلى مدير المدارس والأوقاف في ١١ شوال ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٨٧ (مدارس عربي) ص ٧٠ رقم ١٤٢ إلى مفتش المدارس والمكتبات

في ٣ رجب ١٢٩٢

(٣) أمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ٣٣

(٤) هذا البيان لعدد التلاميذ ومواد الدراسة مقتبس من دفتر (امتحانات رشيد)

بمتحف التعليم ، ونقل عن هذا الدفتر أيضا أسماء مدرسي المدرسة :

ولم يكن يدرس بالمدرسة أول إنشائها سوى القرآن والنحو والحساب واللغة التركية وخط الثلث ، وفي العام التالي لإنشائها أدخلت دراسة الفرنسية والجغرافية ، وعند ما استكملت المدرسة فرقتها الأربع في سنة ١٨٧٩ كانت خطة الدراسة لا تختلف كثيراً عن خطة التعليم الابتدائي التي وضعت في سنة ١٨٧٤ .
وتولى نظارة المدرسة (١) :

محمود أفندي وهي : من مارس ١٨٧٦ إلى فبراير ١٨٧٩

ثم عبد السلام أفندي محمد : من فبراير ١٨٧٩ إلى أغسطس ١٨٨١

ثم أحمد أفندي خلوصي : من سبتمبر ١٨٨١ إلى ديسمبر ١٨٨٢

مدرسة الفشن .

ليس في الوثائق التي أتيح لنا الاطلاع عليها ذكر لتاريخ إنشاء مدرسة الفشن ، ولم نجد عنها إلا ما ذكره أمين باشا سامي (٢) من أنها فتحت في فبراير ١٨٧٩ أى قبل انتهاء حكم إسماعيل بأشهر ، وناظرها « أحمد أفندي راتب » ولم نعر لها على دفاتر (امتحانات) وكان عدد تلامذتها (٣) :

== مدرسو اللغة العربية والقرآن والخط : المشايخ محمد علي الجريسي ، سليمان محمد عبد الواحد وافي ، أحمد إسماعيل ، عبد السلام طييه ، أحمد حسين ، مدرس التركية : أحمد صدي .
مدرس الرسم : علي حيدر — مدرسو الحساب : محمود وهي ، علي حيدر ، عبد الباقي ، — مدرسو الفرنسية والجغرافية : محمد كامل ، عبد السلام محمد ، يوسف أفندي ، مسيو قراييت سربيان .

(١) أمين باشا سامي : التعليم في مصر القسم الخامس من الملاحقات ٨٨

(٢) المصدر السابق ص ٧١

(٣) المصدر السابق ص ٣٣ والقسم الثاني من الملاحقات ص ٦

في سنة ١٨٧٩ ٧٧ تليدأ

» » ١٨٨٠ ١٠٠ تليد

» » ١٨٨١ ٨٣ تليدأ

» » ١٨٨٢ ٨٦ »

وفي التقرير الذي أصدره (قوميون تنظيم المعارف) في سنة ١٨٨٠^(١) ثم في التقارير التي أصدرتها نظارة المعارف سنوياً منذ سنة ١٨٨٥ ذكر لمدرسة الفشن بين المدارس الأهلية بالأقاليم وبيان لعدد تلامذتها .

* * *

هذه هي المدارس المركزية أو الأهلية التي افتتحت في الأقاليم في حكم الخديو إسماعيل ، وعلى الرغم من صدور أوامره تباعاً بالسعى لافتتاح مدارس في جهات أخرى كالمنصورة والزقازيق ودمياط والسويس وقنا وتقدم مصانع الحكومة لتحويلها إلى مدارس ونفقات إنشائها تكون من « الجيب » الخاص^(٢) ، على الرغم من هذا كله لم تفتح منها مدرسة طوال حكمه .

وفي الفترة من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٨٢ أنشئت مدارس الجيزة وقلوب والمنصورة في سنة ١٨٨١ وطوخ في سنة ١٨٨٢ .

وقبل ذلك كان أنشئ قسم ابتدائي ملحق بمدرسة المعلمين (التوفيقية) في سبتمبر

(١) ص ١٩

(٢) دفتر ٣٥٩ (مدارس عربي) ص ٥٠ رقم ١٠ إلى تفتيش المدارس الملكية

والمكاتب الأهلية في ١٦ ربيع الثاني ١٢٩٠

١٨٨٠ ليمرن فيه طلبة المعلمين على التدريس . وقد أنشئت هذه المدارس كلها على نفقة الدولة وكان يصرف عليها من ميزانية نظارة المعارف ، ثم نقلت كلها — ما عدا مدرسة المنصورة والقسم الابتدائي بمدرسة المعلمين — إلى ميزانية المكاتب الأهلية في أواخر سنة ١٨٨٥^(١) تخفيفاً عن ميزانية الدولة وتمشياً مع السياسة التي سارت عليها حكومة إسماعيل وأشرنا إليها قبل ذلك من الرغبة في قصر ميزانية الدولة على الإنفاق على المدارس التجهيزية والخصوصية وجعل التعليم الابتدائي « أهلياً ، ينفق عليه من موارد أهلية ، أهمها إيراد جفلك الوادي .

الفصل الثالث

المكاتب الأهلية

ولنتقل الآن إلى القسم الآخر الذى تنظمه لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ وهو الخاص بالمكاتب الأهلية ، القديم منها والجديد ، وما كان منها فى المدن وما كان فى القرى ، مبتدئين بما جرت به اللائحة فى تنظيمها ومعقبن بحظها من التنفيذ ، على نحو ما فعلنا فى حديثنا عن المدارس المركزية .

عنى على مبارك فى « رسالته » أو تقريره الذى تقدم به إلى الخديو فأحاله على « القومسيون » بالمكاتب الأهلية القائمة فى المدن والبنادر والقرى أكبر عناية ، حتى ليشغل حديثه عنها واقتراحاته بشأنها أكبر جزء من تقريره ولائحته . وقد قام مشروعه على ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى :

الاحتفاظ لهذه المكاتب بصيغتها « الأهلية » : ويظهر هذا فى تعيين الموارد المالية التى تعتمد عليها هذه المكاتب ، فقد حرص على أن تكون موارد « أهلية » بعيدة عن ميزانية الدولة ، فعمارتها تكون إما من الأوقاف أو من الإحسانات الخيرية .

والمكاتب التى تنشأ فى القرى يكون بناؤها وعمارتها وأثاثها على نفقة القرى والنواحي المنشأة فيها ، وكذلك القائمون بالتدريس للأطفال فى هذه المكاتب وهم المؤدبون — ولأول مرة تستعمل هذه الكلمة بدلا من الفقهاء — والعرفاء

« يرتب لهم من طرف أهالى المتعلمين شىء على قدر معاشهم بدون اتكالهم على الأشياء الهينة كالأخمسة التى لا تقوم بمعاشهم » ، وفى ذلك تقرير — أو تنظيم — لمبدأ فرض الرسوم (المصروفات) الدراسية على الأطفال ، ومنها تخصص مرتبات المؤدين والعرفاء . وتلامذة المكاتب يترددون عليها نهاراً ويبيتون فى بيوتهم ليلاً ، وبذلك يتحمل أهلهم ما يقتضيه لباسهم وغداؤهم ويساهمون مع المكاتب فى تنشئة أبنائهم .

الفاعمة الثانية :

إخضاع هذه المكاتب لهيمنة الدولة ممثلة فى ديوان المدارس : فهو الذى يضع مناهج الدراسة ويشرف على تنفيذها بواسطة مفتشية ولجان امتحانه ، وهو الذى يضع رسوم أبنيتها وعمارتها ، وعلى الجملة « جميع المدارس والمكاتب سواء بالقرى أو بالبنادر تكون تحت أصول تنظيمية وترتيبات حسنة منتجة وامتحانات سنوية وملاحظات وتفتيشات من طرف الحكومة وهذا لتحسين حالهم واستقبالهم ومنفعتهم الخصوصية العائدة إليهم مع المنفعة العمومية على الحكومة من تهذيب رعاياها وإصلاح حالهم ووجود التعاون بينهم ومعاونتهم لأوطانهم » .

الفاعمة الثالثة :

السعى إلى رفع المكاتب الكبيرة فى المدن ذات الأبنية الصالحة والاستعداد الطيب من حيث عدد المدرسين والتلاميذ والموارد المالية إلى مستوى المدارس الابتدائية . وسنرى أن ديوان المدارس نجح فى ذلك إلى حد كبير ، حتى أصبحت المدارس الابتدائية كلها — عدا مدرستى الناصرية ورأس التين « الأميريتين » (١) — مكاتب

(١) وقد رأيت أن مدرسة رأس التين حولت وقتاً ما إلى مكتب أهلى .

أهلية بعضها ينفق عليه من ديوان الأوقاف وبعضها الآخر من الإيرادات التي خصصت للمكاتب الأهلية ، ولكنها كلها تخضع لديوان المدارس خضوعاً تاماً .

أما المكاتب الصغيرة — سواء في المدن أو في القرى — فسنفصل أمرها في الفصل التالي ، ولكننا نكتفي هنا بأن نقول إن اللائحة قنعت بأن تجعل منها المرحلة « الأولى » التي تعدّ تلامذتها — إذا شاءوا — للمدارس الابتدائية ومنها للمدارس التجهيزية . ولذلك اكتفت اللائحة بما كان يدرس بها من القرآن والقراءة والكتابة وأضافت إليها قليلاً من الحساب . وبذلك ترى أن لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ قد أرخت أول محاولة من جانب الحكومة لإدخال الكتاتيب الأهلية في نطاق النظام التعليمي المصري .

وأقرّ « القومسيون » هذه القواعد وعلى أساسها وضعت المواد الخاصة بالمكاتب في لائحة رجب .

ميزت اللائحة بين مكاتب المدن الكبيرة ومكاتب القرى والنواحي .

مكاتب المدن الكبيرة

مكاتب المدن الكبيرة تنقسم من حيث مواردها ثلاثة أقسام :

(١) مكاتب لها أوقاف تحت نظر (الميرى) أى ديوان الأوقاف .

(٢) ومكاتب لها أوقاف نظارتها لغير ديوان الأوقاف .

(٣) مكاتب أهلية لا وقف لها .

وقد لحظ القومسيون أن هذه المكاتب ليست على نسق واحد من حيث صلاحية البناء وتوفر الموارد وعدد التلامذة وحال المؤدين ، فقرر أن يجعلها جميعاً في أسلوب

واحد ، بأن يطبق عليها أحكاماً معينة . فقرر أن تلغى المكاتب الصغيرة القائمة في أمكنة خربة ضارة بالصحة سواء أكانت معدة من قبل واقف لغرض التعليم وانقطع إيرادها أو كان قليلا لا يفي بعمارتها أم كانت غير معدة من قبل واقف لغرض التعليم ، أما أطفالها فينقلون إلى مكاتب أخرى صالحة (المواد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

أما المكاتب القائمة في أماكن ضيقة يستطيع إصلاحها فيكون ذلك من إيرادها إذا كان لها إيراد وإلا فمن « أهل الخير أو من طرف بيت المال » (المادة ٥) .

وقد وقعت اللائحة على مصدر هام للإيراد تنفق منه على المكاتب الأهلية ، وقد قام هذا المصدر على اعتبار جدير بالنظر : وهو أن « إحياء المدارس والمكاتب لتعليم القرآن وغيره من أنواع المعارف الشرعية لا يخرج عن كونه أحد الوجوه الخيرية » ، فرسمت اللائحة بأن الأوقاف الأهلية والخيرية التي انقرض مستحقوها ومآلها أن تصرف في أوجه خيرية غير معينة أو معينة — ولكن تعذر الصرف لها — يصرف ريعها في تعليم الأطفال بالمكاتب (المادتان ٨ ، ٩) . ولكن الحق أن لائحة رجب لم تكن في ذلك مبتدعة : فقد سبقها إلى تقرير هذا المبدأ مجلس شورى النواب حين كان يتناقش في أفضل السبل المؤدية إلى نشر التعليم ، فقرر استخدام موارد الأوقاف الخيرية بعد الصرف منها على عمارتها وما يلزم لها . ثم جاء على مبارك في لائحة رجب فأكد هذا المبدأ وزاده بياناً . وقد أرادت اللائحة أن تجعل لديوان المدارس سلطة في البحث عن هذه الأوقاف الخيرية وعزل نظارها وتعيين غيرهم (المادة ١٠) ضمناً للاستيلاء على إيراداتها وصرفه في شؤون المكاتب ، ولكن (المجلس الخصوصي) حين عرضت عليه اللائحة أقرها كلها فيما عدا سلطة ديوان المدارس على هذه الأوقاف ، فقرر أنه « لا يكون للدارس فيها بحث لأنها من الأمور التابعة لديوان الأوقاف

وإنما فى كل سنة ينظر بمعرفة ديوان الأوقاف إلى مقدار ما يصير انحلاله من الأوقاف الموضح عنها فى الثلاثة بنود المذكورة وتخص منه قيمة تعميراتها والخيرات المتعلقة بها وبعد ذلك إذا كان يزيد شئ من إيرادها فيرسل مقداره من ديوان الأوقاف للمدارس ، ولما عرضت اللائحة على الخديو وافق عليها مع هذا التحفظ .

حتى إذا فرغت اللائحة من التنظيم « المالى » لمكاتب المدن الكبيرة على النحو الذى رأيت ، أقبلت تبغى تنظيمها الفنى . وقد قدرت اللائحة ما بين هذه المكاتب من تباين فى الشهرة والسعة والاستعداد ، فأشارت بأن المكاتب الكبيرة التى يزيد أطفالها على السبعين يعلم بها الخط والحساب — وتطبيقه على التجارة — والنحو والصرف والتاريخ والجغرافية وإحدى اللغات الأجنبية « وما يلزم من كتب الآداب » .

أما معلومها فمرتباتهم على نفقة الأوقاف — إن كانت من مكاتب الأوقاف — أو من غلة وقفها إن كانت كافية ، وإلا فمن الأوقاف الخيرية التى سبقت الإشارة إليها ، فإن لم تكن كافية وزع الباقي على أهالى الأطفال ، ويطلب منهم أدائه فى أول كل شهر (المادتان ١١ ، ١٢) .

وبذلك ترى أن اللائحة أزمعت رفع هذه المكاتب من حيث المستوى العلمى إلى مستوى المدارس الابتدائية فى القاهرة وعواصم المديريات . وقد تحقق هذا فى عدد لا بأس به من مكاتب الأوقاف بالقاهرة والإسكندرية .

والآن بعد أن قدمنا بين يديك خلاصة لما جرت به لائحة رجب بشأن إنشاء وتنظيم المكاتب الأهلية بتحويلها إلى مدارس ابتدائية حقة تعلم فيها من المواد ما يعلم فى تلك المدارس ، وتعد تلامذتها للمدارس التجهيزية فلندرس حظها من التنفيذ ، أو

بعبارة أخرى فلنجب عن هذا السؤال : إلى أى حد حققت الدولة مارسه
(الشارع) في سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) ؟

وتتناول الإجابة عن هذا السؤال الموضوعين الآتين :

(١) إنشاء المكاتب الأهلية الكبيرة أو تحويل بعض المكاتب ذات الاستعداد
الطيب إلى مكاتب أهلية كبيرة ، أى إلى مستوى المدارس الابتدائية .

(٢) المدى الذى وصل إليه تحقيق مبدأ إشراك الأهالى فى تحمل الأعباء المالية
للمكاتب الأهلية ، ويؤدى بنا هذا إلى بحث الموارد المالية التى استمدت منها هذه
المكاتب كيائها .

رأيت ^(١) أن مجلس شورى النواب — حين كان يتناقش فى اقتراح أحد أعضائه
نشر التعليم فى مصر — قرر إنشاء مدارس مركزية فى حواضر المديرىات ، أما
فى القاهرة والاسكندرية فقد قرر أن يكتبى بما فيها من مكاتب أهلية بعد تنظيمها
و « إدخالها تحت رابطة حسنة » .

وبذلك كانت قرارات مجلس النواب فى سنة ١٨٦٧ أول مانبه الأذهان إلى ضرورة
الاستفادة من هذه المكاتب كأداة لنشر التعليم الابتدائى « الأهلى » أى الخارج عن
ميزانية الدولة ، ولا سبيل إلى ذلك إلا إذا بسط ديوان المدارس عليها سلطانه حتى
يتسنى إصلاح ما يحتاج منها إلى الإصلاح فى نواحيها الصحية والتعليمية . وكان لابد
للتمهيد لذلك بحصر هذه المكاتب فى القاهرة والاسكندرية وجمع البيانات الصحيحة
عن مختلف أحوالها من حيث أبنيتها ومواردها المالية وعدد تلامذتها ومعلميها إلخ .

والحق أن ديوان المدارس نشط لجمع هذه البيانات ، حتى إذا وضع على مبارك مذكرته ولائحته واجتمع القومسيون ووافق عليها لم يكن شيء مما قرره مجلس النواب خاصاً بالمكاتب الأهلية قد نفذ . ولكن على مبارك كان قد (تسلم) الفكرة غامضة محدودة قاصرة على القاهرة والاسكندرية فعكف على دراستها ، وكانت ثمرة هذه الدراسة لائحة رجب ، وفيها فصل على مبارك هذه الفكرة تفصيلاً ودبج حواشيها وأعد لها ما وسع من الضمانات لنجاحها ، وأهم من هذا كله أنه رسم تعميمها في أنحاء القطر كافة ، وجعل من هذا كله نظاماً تعليمياً واضح المعالم محبوبك الأطراف . وفي ظل هذا النظام تحقق إنشاء المكاتب الأهلية (الابتدائية) ، ولكنها ظلت — على ما رسمه مجلس شورى النواب — مقصورة على القاهرة والاسكندرية ، وأصاب من النجاح حظاً عظيماً . ولا غرو فقد تضافرت في العمل لنجاحها قوى ثلاث بذلت كل منها ما وسعها من جهد ومال : الخديو بتشجيعه المستمر وهباته المتكررة ، وديوان الأوقاف بماله ، وديوان المدارس بإشرافه الفني والإداري .

والآن ننبع هذه المكاتب منذ إنشائها أو تنظيمها حتى سنة ١٨٨٢ .

يذكر المرحوم أمين باشا سامى — فى إحصاء تلامذة هذه المكاتب — أن أول إنشائها كان فى سنة ١٨٧٢ ثم توالى إنشاؤها حتى سنة ١٨٧٩ (١) .

ولكن الواقع أن أكثر هذه المكاتب كانت تقوم منذ زمن بعيد ، وكان ديوان الروزنامة أو ديوان الأوقاف أو منشؤها يجرون عليها المرتبات لفقهاءها وعرفائها

(١) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الثانى من الملاحقات ص ٦ و ص ٨

وتلامذتها^(١)، وكانت المكاتب التي ينفق عليها من الروزنامة أو الأوقاف تدعى أحيانا « مكاتب ميرية » أو تابعة « للميرى » .

وقد نشط ديوان المدارس — على أثر صدور لائحة رجب ١٢٨٤ — لتنفيذ مرسومته هذه اللائحة خاصا بإشراف ديوان المدارس على هذه المكاتب . فعين المفتشين ليزوروا المكاتب ويقرروا عن حالتها ويمتحنوا القائمين فيها على تعليم الأطفال من فقهاء وعرفاء ، وكتب إلى أطباء الصحة ليفتشوا عن أبنية هذه المكاتب ويظهروا الفاسد منها والصالح ، وبادر إلى الاتصال بالروزنامة والأوقاف لتنفيذ المادة (١٦) التي تقول بأن تعيين المؤدين يختص به ديوان المدارس^(٢) .

وكان الديوان يرمى — بهذا النشاط — إلى الكشف عن المكاتب الكبيرة التي تصلح — بعد أن يتم تنظيمها — أن تكون مكاتب ابتدائية تدرس بها المواد التي تدرس بالمدارس الابتدائية الأخرى على النحو الذي رسمته اللائحة . وكان الديوان قيناً بأن

(١) لناخذ منها مثالا مكتب خليل باشا بالنحاسين ومكتب طوسون باشا بالعقادين . فقد كانا يتبعان ديوان الروزنامة وكان مرتب كل منهما من التلاميذ عشرين ولكل منهم في اليوم خمسة (فضة) ورغيفان من الخبز وفي السنة كسوة ، ورتب لتعليمهم فقيه وعريف وللفقيه في اليوم خمسة أرغفة وفي الشهر ثلاثون قرشا وفي السنة أربعة أذرع من الجوخ وطاقة من القطن الشامي ، وللعریف في اليوم أربعة أرغفة وفي الشهر خمسة وعشرون قرشا وفي السنة أربعة أذرع من الجوخ وألاجه شامى . أما التلامذة فيحفظون القرآن وبعد ختمه يتوجه بعضهم إلى الازهر لطلب العلم ويترك آخرون القرآن لتعلم صنعة ما (دفتر ٤٠٩ مدارس عربى ص ٤٣ رقم ٦ من ديوان الروزنامة في ١١ جمادى الاولى ١٢٨٥)

(٢) دفتر ٤٠٩ (مدارس عربى) ص ٤٣ رقم ٥ من ديوان الروزنامة في ٧ جمادى

يجد ضالته في المكاتب « الميرية » بالقاهرة ، وهي التي ينفق عليها من ديوان الإوقاف أوالروزنامة وكانت أربعة عشر مكتباً ، ذلك لأنها أكثر المكاتب استعداداً من حيث الموارد المالية وصلاحيه البناء . لهذا وجه ديوان المدارس إليها عنايته واستطاع أن ينظم أكثرها وأن يرتفع بها إلى مستوى المدارس الابتدائية النظامية ، ولم يكن هذا العمل هيناً ، فقد كان تلامذتها لا يقرءون بها سوى القرآن فإن تعدوه فإلى قليل من خط الثلث على الألواح ، وكان فقهاؤها لا يعرفون أكثر مما يعرفه تلامذتهم ، وأثابها حصر خلقه وأكثر أبنيتها يحتاج إلى تقويم ^(١) .

وقد وفق ديوان المدارس — ولما يمض على وضع لأئحة رجب عام واحد — إلى تنظيم مكتبتين — كان يصرف عليهما من الروزنامة : مكتب خليل باشا بالنجاسين ومكتب طوسون باشا بالعقادين . وجدهما مفتشو ديوان المدارس « صالحين لتعليم القرآن الشريف وعلوم أخرى مثل النحو والصرف والتاريخ والحساب والجغرافية والتركي » ، أما بناؤهما فجديد « وفي غاية الاعتدال » مع حاجته إلى قليل من الإصلاح . فأزعم الديوان تنظيمهما ، ومهد لذلك بتعيين المعلمين وراعى في ذلك الاقتصاد ، فقرر أن يكتفى بأربعة معلمين يقومون بالتدريس في كلا المكتبتين : أحدهم للنحو والتاريخ وآخر للحساب والجغرافية وثالث للصرف واللغة التركية ورابع للثلث والرقعة ، ولا تزيد مرتباتهم جميعاً في الشهر على ١٣٥٠ قرشاً ، ونبه إلى فرش المحلات الخالية (بالحصص الجديدة) ، وأبدى استعداده لإرسال الأثاث اللازم من المناضد والكراسي على أن تؤدى الروزنامة أثمانها ^(٢) ، فإن لم تف النقود المقرر صرفها من الروزنامة في كل شهر

(١) المصدر السابق

(٢) دفتر ٤١٤ (مدارس عربي) ص ٢١ رقم ٤ إلى الروزنامة في ١١ شعبان ١٢٨٥ ،

دفتر ٤١٥ (مدارس عربي) ص ١١٤ رقم ٦ إلى الروزنامة في ٥ رمضان ١٢٨٥

لأداء هذه المرتبات وأثمان الأثاث ألخ ، ولم يكن لهذه المكاتب أوقاف خاصة فلينفذ ما جاء بالمادتين الثامنة والتاسعة من لائحة رجب خاصاً باستخدام إيرادات الأوقاف الخيرية التي انقرض مستحقوها في الصرف على المكاتب الأهلية باعتبار أنها من أوجه الخير^(١) . وعلى هذا النحو نظم مكتباً (أو مدرستا) النحاسين والعقادين في أواخر سنة ١٨٦٨ ، وقد أصبحا بعد من المكاتب الأهلية الشهيرة بالقاهرة ، وهما من المكاتب التي يذكر أمين باشا سامى - خطأ - أنها أنشئت في سنة ١٨٧٢ .

وفي الوقت نفسه جرى تنظيم المكاتب الآتية على هذا الأسلوب :

مكتب السلطان قلاوون : وكان ينفق عليه من ديوان الأوقاف^(٢) ، وقد أحيل في يونيو ١٨٧١ إلى ديوان المكاتب الأهلية عقب إنشائه ، على أن تدفع الأوقاف لهذا الديوان في نظير إدارته بمبلغ ٣٧/١٣,٠٨٠ قرشاً في السنة^(٣) .

مكتبا السلطان مصطفى ، والسلطان قايدباى بالسيدة زينب ، ومكتب السلطان محمود بالدواية : وهى من مكاتب الأوقاف^(٤) . وكان بالمكتب الأول ٣٥ تلميذاً

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ١٥٢ إلى ديوان المالية في ١٣ شعبان ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٢ إلى ديوان الأوقاف في ٤ جمادى الثانية ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤٤٦ (مدارس عربى) ص ١٨ رقم ٣ من ديوان الأوقاف في ٩ ربيع الثانى ١٢٨٨

(٤) دفتر ٤٠٨ (مدارس عربى) ص ٢ رقم ١٦ إلى ديوان الأوقاف في ١١ جمادى الأولى ١٢٨٥

وبالثنائي ٦٠ تليزاً وبالثلث ٤٠ تليزاً ، ولم يكن بها كلها من المعلمين سوى معلم واحد لخط الثلث ، فقرر الديوان تعيين ثلاثة مدرسين آخرين ومرتباتهم من ديوان الأوقاف^(١) ، ثم نظم مكتب الصليبية (شيخون) وكان يصرف عليه من أوقاف الحرمين التي نظارتها لديوان الأوقاف . وكان هذا المكتب كثير التلاميذ — إذ كان به ١٧٥ تليزاً — على الرغم من سوء بنائه وفساد هوائه^(٢) .

ونظم مكتب الحبانية^(٣) ومكتب الحرمين الشريفين ببولاق بجوار ضريح السلطان أبي العلاء (وكان يدعى أحياناً مكتب القزلاق أو مكتب أبي العلاء) وكان من المكاتب الكبيرة التي رؤى صلاحيتها للتنظيم^(٤) .

وكانت العناية بالمكاتب الأهلية — على النحو الذي رأيت — حافزة لبعض رجال الخير إلى إنشاء مكاتب وحبس الأوقاف عليها : منهم « خليل أغا » كبير أغوات والدة الخديو إسماعيل ، فقد أنشأ بعمارته الكائنة بالمشهد الحسيني « مدرسة لأربعين من الأيتام وأغدق عليهم الخيرات الكثيرة والمبرات العظيمة وسمح أيضاً لطلاب العلم

(١) دفتر ٤١٤ (مدارس عربي) ص ١٧٩ رقم ١٧ إلى ديوان الأوقاف في ١٣ رجب ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤١٤ (مدارس عربي) ص ٩٧ رقم ٩ إلى ديوان الأوقاف في ٢٦ جمادى الثانية ١٢٨٥

(٣) دفتر ٤١٤ (مدارس عربي) ص ١٤٩ رقم ١٠ إلى ديوان الأوقاف في ٣ رجب ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١٩ (مدارس عربي) ص ٥٦ رقم ٥٢٣ إلى مفتش مكاتب وجه بحرى في ١٧ جمادى الأولى ١٢٨٦

الذين يريدون التزود فى الانتظام فى سلكها . . »^(١) ، ودعا هذا المحسن ديوان المدارس إلى النظر فى الإشراف على مكتبه « ليعامل تلامذته أسوة بتلامذة المدارس » ، فلبى الديوان الدعوة ووضع أحد مفتشيه ترتيباً للدروس والمعلمين^(٢) . ومن ذلك الوقت أصبحت « مدرسة خليل أغا » من المدارس الابتدائية الشهيرة بالقاهرة .

ومن المكاتب الأهلية بالقاهرة التى أنشأها أفراد على نفقتهم الخاصة المكتب الذى أنشأه بشيرا « محمد بك سيد أحمد » سكرتير المجلس الخصوصى ، وكان من المكاتب الناجحة الخاضعة لإشراف ديوان المدارس ، فقد كان تلاميذه يدرسون اللغة الفرنسية قبل تلاميذ كثير من المكاتب الأخرى . ولكن هذا المكتب لم يظل قائماً حتى سنة ١٨٨٠ لأننا لا نراه ماثلاً بين المكاتب الأهلية فى تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) فى تلك السنة . ومن تلك المكاتب المكتب الذى أنشأه « حافظ باشا » وكان من مكاتب الدرجة الأولى وظل قائماً حتى سنة ١٨٨٠^(٣) .

على أن الإصلاح رغم بطئه كان مجدياً ، وحسبك أن تلامذة مكاتب الأوقاف الأربعة عشر قد أدوا فى نهاية العام الدراسى الذى بدأ فيه تنظيم المكاتب امتحاناً فى الحساب واللغة التركية واللغة العربية والخط والإملاء ، وما كانوا من قبل يعرفون

(١) الوقائع المصرية : العدد ٣٠٠ فى ٢٢ صفر ١٢٨٦ (٣ يونية ١٨٦٩)

(٢) دفتر ٤١٨ (مدارس عربى) ص ٥٨ رقم ٤٣٢ إلى مفتش مكاتب وجه بحرى ،

ص ٩٣ رقم ٤٤٣ إلى سراغى افندم والدة باشا فى ٢٥ ربيع الاول ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٥٦ (مدارس عربى) ص ١٣٦ رقم ٩٥ إلى محمد بك سيد أحمد كاتب المجلس

الخصوصى فى ٢٢ شعبان ١٢٨٩ (بخصوص نذب عبد الله بك فكرى وكيل ديوان المكاتب الأهلية لامتحان تلامذة مكتبه) .

سوى قراءة القرآن وحفظه (١).

وكان إنشاء ديوان المكاتب الأهلية فى مارس ١٨٧١ (٢) بشير خير للمكاتب الأهلية ، فقد حصر إدارتها فى سلطة واحدة قامت على تنظيم دروسها وترتيب معلميها . ونشط على مبارك باشا حين عين مديرا لـديوان المكاتب الأهلية ثم حين جمع بينه وبين ديوان المدارس للسعى لما فيه ترقية المكاتب الأهلية وتقوية (شخصيتها) : فنزع من ديوان المدارس المدرستين المركزيتين بيدها وأسيوط ، واستصدر من الخديو أمراً بإنشاء مكتبين أهليين بكل من مدرستى الناصرية ورأس التين الأميريتين وأمراً آخر بتعميم المكاتب الأهلية بالأقاليم وإنشاء ثمانية مكاتب أهلية بالقاهرة ، وكلها من إيرادات المكاتب الأهلية ، وشرع يؤلف اللجان لوضع الكتب المدرسية الصالحة ، وسعى لزيادة إيرادات المكاتب الأهلية بتحسين استغلال جفلك الوادى والبحث عن الإعانات التى سبق أن تبرع بها أغنياء البلاد والالتجاء إلى عطف الخديو وكرمه ، أما المكاتب (القديمة) فقد تسلمها ديوان المكاتب الأهلية من الأوقاف ، على أن تدفع الأوقاف مصروفاتها ، ونظمت دروسها ورتب معلموها وهى (٣) : مكتبة السلطان مصطفى والسااطان قايتباى (وقد ضمما معاً بعد ذلك ودعيا باسم مدرسة السيدة زينب)

(١) دفتر ٤٢٦ (مدارس عربى) ص ١٤ رقم ٢٨ الى ديوان الأوقاف فى ١٣ شعبان ١٢٨٦

(٢) انظر فيما سبق ص ١٥٦

(٣) دفتر ٤٥١ (مدارس عربى) ص ٦١ رقم ١٦٣ فى غرة جمادى الثانية ١٢٨٩ ، ص ٨٦ رقم ١٦٧ فى ١١ جمادى الثانية ١٢٨٩ الى الأوقاف — ويذكر أمين باشا سامى (التعليم فى مصر ص ٢٥) أن هذه المكاتب أنشئت فى سنة ١٨٧٢ ، ولكن واضح مما قدمنا ان هذه المكاتب كانت قائمة قبل هذا التاريخ أما فى سنة ١٨٧٢ فقد تسلمها ديوان المكاتب الأهلية لتسكون تابعة له وتحت إشرافه ، فشرع ينظم دروسها ويعين نظارها ومعلميها .

وبهما ٨ معلمين ، ومكتب الشيخ صالح ومكتب الحبانبة (ولهما ناظر واحد) وبهما تسعة معلمين ، ومكتب العقادين وبه ستة معلمين ، ومكتب النحاسين وبه ثلاثة معلمين ، ومكتب القزلار وبه خمسة معلمين .

وكان النظار يكتفون بتدريس بعض العلوم ، وخاصة الحساب أو اللغة التركية ، كما كان أكثر المعلمين يلقون الدروس في أكثر من مكتب ، وكان بكل مكتب عريف لمعاونة معلمى القرآن الشريف . ولم تعد مواد الدراسة في أول الأمر الحساب والنحو واللغة التركية والخط والقرآن .

أما مشروع إنشاء مكاتب القاهرة الثمانية فقد سار بطيئاً ، وهذا بيان بما أنشئ من هذه المكاتب وتاريخ إنشائه :

- (١) مكتب القرية : أنشئ في سنة ١٨٧٢^(١) .
- (٢) » الجمالية : أنشئ في يناير ١٨٧٣ .
- (٣) » باب الشعرية : أنشئ في ديسمبر ١٨٧٣^(٢) .
- (٤) » الإمام الشافعى : أنشئ في ديسمبر ١٨٧٨ .
- (٥) » مصر القديمة : أنشئ في يناير ١٨٧٩ .

-
- (١) وكانت بالمكتب فرقة من التلاميذ تتعلم النجارة ثم انتقلوا إلى مدرسة المبتدیان : دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ٧٥ رقم ١٦ في ٢٦ رجب ١٢٩٠ ، دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ٧٩ رقم ٦٥٩ في ٧ ربيع الأول ١٢٩٢ إلى مدرسة القرية
 - (٢) وليس في ديسمبر سنة ١٨٧٤ كما ذكر أمين باشا سامى (التعليم في مصر ص ٣٠) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ١٣٨ رقم ٢٣٦ إلى اسماعيل أفندي سرى (ناظر المكتب) في ٩ ذى القعدة ١٢٩٠

(٦) مكتب عابدين : أنشئ في يناير ١٨٧٩ .

(٧) « الحسينية : أنشئ في مارس ١٨٧٩ .

وكلمنا أنشئ مكتب جديد كان ديوان المدارس ينشر إعلانياً بالوقائع المصرية عن
ميعاد افتتاحه ، فمن أراد تعليم أولاده فليبادر « إليه ويقبل بكلية عليه ويتنزه الفرصة
قبل الفوات ليحتسب من يانع المعارف أطيب الثمرات ويشقى على ولى النعم خديو مصر
على تسهيل طرق التحصيل فى هذا العصر ... » (١) .

وظل ديوان المكاتب الأهلية يتفقد المكاتب الكبيرة ليدخلها تحت إدارته وينظم
دروسها ، ومنها المكتب الكائن بالصليبية الموقوف من قبل والدته عباس باشا والذي
يسمى لذلك « مكتب أم عباس » (٢) .

(١) إعلان بافتتاح مكتب الجمالية : دفتر ٤٥٧ (مدارس عربى) ص ٨٨ رقم ١٨ إلى
قلم الوقائع فى ١٩ ذى القعدة ١٢٨٩

(٢) من المكاتب التى كانت موجودة بالقاهرة « مكتب والدته المرحوم محمد على باشا ،
وقد امتحن تلامذته مع بقية تلامذة المكاتب فى امتحان شعبان ١٢٨٩ ، ولكننا نرجح أنه
لم يضم إلى ديوان المكاتب الأهلية أسوة بالمكاتب الأخرى لأننا لانراه فى أى إحصاء رسمى
للمكاتب فى سنة ١٨٧٣ — انظر :

Programmes des Ecoles, 1873, & Regny : Statistique, 1873, & Distribution
des prix, 1873. Minist. de l'Inst. publique.

ودفتر ٤٥٨ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٢٧٧ إلى ناظر مكتب والدته المرحوم محمد على

باشا فى ١١ المحرم ١٢٩٠

وكان يقام لامتحان تلامذة المكاتب محفل عام في سراى درب الجمامين ، ويؤتى بالتلاميذ فى ملابس نظيفة ويدعى كبار رجال الدولة ولفيف من آباء التلاميذ (١) . ثم رؤى تعيين لجان للامتحان تزور المكاتب وتمتحن تلامذتها ، ويرأس اللجان بعض كبار رجال ديوانى المدارس والمكاتب الأهلية كمنظار المدارس والمفتشين ووكيلى الديوانين ، ويقتصر فى (المحفل العام) على امتحان نجباء التلامذة (٢) .

وكان يؤذن للليف من تلامذة كل مكتب بحضور (التشريفات) مصحوبين بناظرهم وبعض أساتذتهم (٣) .

ولم يغفل الديوان الاهتمام بالناحية الفنية من هذه المكاتب ، وأهم ماحدث من تجديد فى دروسها — بعد مارأينا من تنظيمها فى سنة ١٨٧١ — إدخال اللغات الأجنبية فى بعض هذه المكاتب وهى مكاتب خليل أغا وقلاوون والنحاسين والقريبة وحافظ باشا ومحمد بك سيد أحمد وكانت تدرس فيها اللغة الفرنسية ، ومكتبا الجمالية وباب الشعرية وكانت تدرس فيهما اللغة الانكليزية ، ومكتب الشيخ صالح وكانت تدرس فيه اللغة الألمانية . أما المكاتب الأخرى فلم تكن تدرس بها من اللغات سوى العربية والتركية (والفارسية فى مكتب والده محمد على باشا) .

(١) دفتر ٤٥٦ (مدارس عربى) ص ٨٢ رقم ٤٢ إلى مصطفى بك وهبى (رئيس الامتحان) فى غرة شعبان ١٢٨٩ ، دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ٣٧ رقم ٢ إلى تفتيش المدارس والمكاتب فى ٢٩ رجب ١٢٩٠

(٢) انظر لجان امتحان المكاتب فى دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ١١٧ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٠ الخ

(٣) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ٤ رقم ٣١٦ إلى ناظر مكتب القرية فى ٢ ذى الحجة ١٢٩٠

وتبعاً لهذا كانت هذه المكاتب موزعة على درجتين^(١) :

مكاتب الدرجة الأولى : القرية ، قلاوون ، الجمالية ، خليل أغا ، حافظ باشا ، محمد بك سيد أحمد . وتدرس فيها اللغة العربية (بما فيها القرآن) والتركية ولغة أوروبية والجغرافية والحساب والخط العربي والخط الأوروي .

مكاتب الدرجة الثانية : قايدباي ، الشيخ صالح ، السلطان مصطفى ، الحبانية ، أم عباس باشا ، شيخون ، العقادين ، النحاسين ، القزلار بيولاق . ويدرس فيها اللغتان العربية والتركية والحساب والخط العربي .

وفي سنة ١٨٧٤ وضع منهج التعليم الابتدائي ، فشرع الديوان يطبقه على هذه المكاتب ، وبدأ بتعميم دراسة لغة أوروبية — الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية — في مكاتب الدرجة الثانية ، وأدخل بها كذلك دراسة الجغرافية والرسم وقوى دراسة المواد الأخرى^(٢) . حتى استطاع دور بك أن يقول في مقدمة الإحصاء العام في سنة ١٨٧٥ : « وحدث تطور كلي في المكاتب الأهلية ، فقد اختفت تماماً مدارس الدرجة الثانية ذات البروجرام الناقص وأصبح التعليم الآن في هذه المدارس كلها يسير على قدم المساواة مع التعليم في المدارس الابتدائية الأميرية ، وهذا التعديل يضع منذ الآن أساساً

(١) Programmes des Ecoles. 1873. ، ودقتر ٦٧٤ (مدارس عربي) ص ٣٢—٣٥

في ١٥ ذي الحجة ١٢٩٠ : ترتيب ناظر ومعلمي كل مكتب .

(٢) دقتر ٨٠٤ (مدارس عربي) ص ٨٠٤ و ٢٤٦ في ١٠ ذي القعدة ١٢٩١

إلى مكتبي أبي العلا والعقادين ودقتر ٨١٤ (مدارس عربي) ص ٤١٤ رقم ١٤٦ في ١٣ صفر ١٢٩٢ إلى الأوقاف

قوياً للمدارس العالية» (١) . ولكن يبدو أن نجاح ديوان المدارس في هذا الشأن لم يكن تاماً : فإذا كان تقرير إقومسيون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ قد عدّها كلها — مع مدرسة الناصرية الأميرية — مدارس ابتدائية راقية أو عالية (Ecoles primaires supérieures) فقد لاحظ مع ذلك أن التعليم لا يسير فيها على أسلوب واحد (٢) .

ونختم الحديث عن المكاتب الأهلية بالقاهرة بذكر المدرسة التي أنشأها في سنة ١٨٧٤ سمو ولي العهد (توفيق باشا) على نفقته الخاصة في أملاكه (بالقبة) ، وكانت تعد من المدارس الأهلية ، وكان بها ٩٠ تلميذاً منهم ٥٠ تلميذاً بالقسم الداخلي بالمدرسة والباقيون بالقسم الخارجي ويتعلمون بها المواد الآتية (٣) .

الزراعة العملية	ويقوم بتدريسها	أحمد بك ندا .
الهندسة والرسم والحساب	» »	أحمد أفندي صبرى .
اللغة الفرنسية والجغرافية	» »	إسماعيل أفندي .
اللغة العربية	» »	الشيخ أحمد .
القرآن والقراءة	» »	الشيخ الشعراوى .
الخط العربى	» »	الشيخ حسين .
الألعاب الرياضية	» »	يعقوب أفندي .

Minist. de l'Inst. publique, Statistique des Ecoles Civiles. (١)
1875. p. VI.

(٢) انظر هذا التقرير ص ١٨ — ٢١ وفي الاصل الفرنسى

“ l'enseignement est loin d'être donné d'une manière uniforme. ”

Mc. Coan. Egypt as it is, p. 219. Minist. de l'Inst. publique, (٣)
statistique des Ecoles. 1875 p. 7-8.

وكان توفيق باشا يعنى بمدرسته ، فكان يكثر من زيارة الفصول وتفقد أحوال الطلبة ، بل قيل إنه كان يعرف كلا منهم باسمه (١) .

مكاتب الاسكندرية الأهلية

أحيل على ناظر مدرسة الاسكندرية (رأس التين الأميرية) تنظيم المكاتب الأهلية بالاسكندرية على نحو ما كان جاريا بالقاهرة ، وكان مكتب « وقف الأستاذ البوصيرى » أول مكتب أهلى من مكاتب الأوقاف نظم بالاسكندرية على مثال مكاتب الأوقاف بالقاهرة ، وقد نظم فى أوائل سنة ١٨٦٩ .

وتلا ذلك أن أنشأ « راتب باشا » على نفقته مكتباً بجوار الكمرك بالاسكندرية ، افتتح فى مايو ١٨٧٠ واجتمع به ١٠٠ تلميذ وخمسة معلمين ، ورتب مفتش مكاتب الاسكندرية دروسهم (٢) ، وأعلن عن ذلك بالوقائع المصرية لأنه « من المواد الخيرية ... ومما يسر الناظرين » (٣) .

وكانت هاتان المدرستان تعدان أول إنشاءهما وسطا بين المدارس والكتاتيب . فقد كانت كل منهما تتألف من ثلاثة فصول واقتصر التعليم فيها على القرآن والحساب واللغتين العربية والتركية (٤) ، أو بعبارة أخرى كانت بمثابة مكاتب الدرجة الثانية بالقاهرة

(١) Mismar, Souvenirs. p. 268.

(٢) دفتر ٤٣٣ (مدارس عربى) ص ١٤٢ رقم ٤٧ (سائرة) من مفتش مكاتب الإسكندرية إلى مفتش وناظر عموم المكاتب — دروس المدارس .

(٣) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٢٧ رقم ٤٤ إلى قلم الوقائع فى ١٩ ربيع الأول ١٢٨٧ وراتب باشا هذا هو مؤسس رواق الحنفية بالأزهر .

(٤) Dor: L'Instruction publique en Egypte, p. 259.

قبل إدخال تعليم لغة أوروبية بها . وفي سنة ١٨٧٣ أدخلت في مكتبي الاسكندرية دراسة اللغة الفرنسية (١) ، وبذلك ارتفعوا إلى مستوى مكاتب الدرجة الأولى أو المدارس الابتدائية الراقية (٢) .

على أن الديوان كان يستبطن حركة إنشاء أو تنظيم المكاتب الأهلية بالاسكندرية ، فقرر ضرورة « وجود أربعة مكاتب متميزة باسكندرية لكل ربع فيها مكتب ، وأحال أمرها على ناظر مدرسة الاسكندرية بالاتفاق مع محافظ المدينة (٣) ، ولكن هذا القرار لم ينفذ ، وذلك لصعوبة العثور على الأبنية أو المكاتب الصالحة (٤) .

هذه هي المكاتب الأهلية - سواء ما كان منها بالأقاليم وتدعى أحيانا المدارس المركزية أو ما كان منها بالقاهرة والاسكندرية - وقد أنشئت كلها في حكم اسماعيل ، وقد أنشئ بعضها إنشاءً وهي المكاتب التي يصرف عليها من الإيرادات الخاصة بالمكاتب الأهلية والمكاتب التي أنشأها وقام على نفقاتها أفراد ، وكان البعض الآخر منها - وهي مكاتب الأوقاف - قائما منذ عهد بعيد ، ورأى فيها ديوان المدارس استعداداً للإصلاح ، فقام على إصلاحها وتنظيمها أسوة بالمكاتب الأخرى .

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ٣٣ رقم ١٦ إلى مفتش المدارس الماسكية في ٤ شوال ١٢٩٠

(٢) Minist. de l'Instruction publique, Statistique des écoles.. 1875. p. 12.

(٣) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربي) ص ١٣٦ رقم ١٢١ إلى مدرسة الإسكندرية في ١٦

المحرم ١٢٩١

(٤) دفتر ٤٧٤ (مدارس عربي) ص ١٥٧ رقم ٦١ من مدرسة الاسكندرية في ١٨

القبعة ١٢٩٠

ويرجع فضل التفكير في إنشائها إلى أعضاء مجلس شورى النواب ، وفضل تنفيذها وتوفير أسباب نجاحها إلى على باشا مبارك . وقد أصبحت وحدتها تكاد تحتكر التعليم الابتدائي كله في مصر في عصر إسماعيل .

بل إن المكاتب أو المدارس الابتدائية الأميرية التي أنشئت بعد حكم إسماعيل من ميزانية الدولة - في سنتي ١٨٨١ و ١٨٨٣ في الجيزة وقلوب وطوخ ثم في الزقازيق ودمهور وشبين الكوم - سرعان ما تحولت إلى مكاتب أو مدارس « أهلية » يصرف عليها من إيرادات المكاتب الأهلية .

وبذلك ترى أن النزعة التي كانت سائدة في سياسة التعليم في حكم إسماعيل وبعد حكمه بسنوات كانت ترمى إلى جعل التعليم الابتدائي في البلاد كلها « أهلياً » ، وذلك بخصره في تلك المكاتب الأهلية التي أنشئت أو تنشأ في القاهرة والأقاليم .

وقد نهض ديوان المدارس للإشراف على المكاتب الأهلية القائمة في مصر عقب صدورلائحة رجب ١٢٨٤ ، وكان أكبر ما توجهت إليه عنايته السعي (لاستنقاذ) المكاتب التي يرى صلاحيتها واستعدادها للتنظيم ، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد وخاصة في مكاتب الأوقاف بالقاهرة ، وعين لذلك المفتشين ولجان الامتحان وتدخل في تعيين المدرسين والنظر وترتيب الدروس ... الخ . أما في الأقاليم فقد نهض لإنشاء المكاتب الأهلية التي سميت باسم (المدارس المركزية) بسبب إقامتها في (مراكز المديرية) ، كما بذل الديوان وسعه لإصلاح المكاتب الصغيرة المنتشرة في المدن والريف .

على أنه وجد بعد ذلك أن من الخير أن ينشأ لإدارة هذه المكاتب الأهلية ديوان خاص ، فأنشئ (ديوان المكاتب الأهلية) في مارس ١٨٧١ . ووضع على رأسه

الرجل الذى يرجع إليه الفضل فى وضع اللائحة التى نظمت هذه المكاتب والذى قام بالخطوات الأولى فى سبيل تنفيذها : وهو على مبارك باشا ، وكان قد ترك منذ عهد قصير ديوان المدارس^(١) . ونشط على مبارك للعمل : فنظم الديوان فى ناحيته الفنية والادارية ، على أن يكون مستقلاً تمام الاستقلال عن ديوان المدارس . على أن الفصل التام بين الديوانين اللذين يقومان على شؤون العلم والتعليم فى البلاد لم يكن طبعياً ، وهو ليس فى مصلحة العلم والتعليم ، لهذا سرعان ما نصب على مبارك باشا مديراً للديوانين . ولكنه حرص على أن يحفظ لديوان المكاتب الاهلية شخصيته فاستبقاه تحت إدارة « وكيل » خاص هو عبد الله فكرى بك (باشا) ، على أن يعمل تحت إشراف مدير المدارس أو ناظر المعارف ، فكان عليه أن يتفقد فى كل يوم مكتباً من مكاتب القاهرة وفى آخر كل أسبوع يرفع إلى ناظر المعارف تقريراً مفصلاً عن مشاهداته ومقترحاته . أما مدارس الاقاليم فترفع إليه تقريراً فى كل أسبوع ، وعلى وكيل ديوان المكاتب الاهلية أن يرفع إلى ناظر المعارف هذه التقارير الأسبوعية مشفوعة بما يعن له من ملحوظات^(٢) . وحرص الديوان الناشئ على أن يحتفظ بشخصيته ، بل أخذ يزد من النفوذ ليجعل من نفسه (ديواناً) لا يقل خطراً ونفوذاً عن ديوان المدارس . فإذا كان لديوان المدارس فروعه من المدارس الخصوصية والتجيزية والابتدائية (الأميرية) فى القاهرة والاسكندرية ، فلديوان المكاتب فروعه من المدارس المركزية والمكاتب الاهلية المنبثة فى حواضر الأقاليم

(١) انظر فيما سبق ص ١٥٦

(٢) دقتر ٤٦٩ (مدارس عربى) ص ١٣٣ رقم ٧٤٧ إلى وكيل ديوان المكاتب الاهلية

وسائر المدن والريف. وإذا كان لديوان المدارس نصيبه من ميزانية الدولة فلديوان المكاتب موارد متنوعة مما وقفه ولى الأمر فى البلاد وبعض أهل الخير ومما تغله الأوقاف المرصودة على أعمال البر.

وعلى هذا النحو توزع التعليم فى مصر بين هيئتين إداريتين : إحداهما تشرف على التعليم (الأميرى) وهى التى أنشأت الحكومة معاهدة بمالها وطبقت فيها نظاماً خاصة لتكوين عمالها من الموظفين ، والأخرى تدير التعليم (الأهلى) أو القومى ومعاهده أشد اتصالاً بالشعب . واعتزاز ديوان المكاتب الأهلية بشخصيته وحرصه على تحقيق رسالته جعل منه أداة نافعة حملت دور بك فى أحد تقاريره الخاصة إلى الخديو على أن يثنى عليه ويفضله — من الناحية الإدارية — على ديوان المدارس ، ويقول عن مدارسها إنها تعطى نتائج طيبة وإنها استطاعت أن تنال محبة الأهلى وعنايتهم^(١). وكان لإنشاء ديوان المكاتب الأهلية أثره فى العناية بالتعليم الابتدائى ، وفى عهده أنشئت :

- (١) المدارس المركزية فى بنى سويف والمنيا والفشن بالإضافة إلى مدرستى بنها وأسيوط اللتين أنشئتا من قبل .
- (٢) المكاتب الأهلية الآتية فى القاهرة : القرية والجمالية وباب الشعرية ومصر القديمة والحسينية وعابدين .
- (٣) وخضعت لإدارته مكاتب الأوقاف الآتية : الحبانية والشيخ صالح وشيخون

(١) انظر Dor, Rapport (confidentiel) à S.A. le Khédive sur les améliorations à apporter à l'état actuel des Ecoles Civiles.
S. D. (1874-75) بالمحفوظات الأوربية بعابدين .

وأبى العلاء وقلاوون والإمام الشافعى والسلطان مصطفى والسلطان قايد باى والعقادين والنحاسين بالقاهرة ومكتب البوصيرى بالاسكندرية ومكتب رشيد برشيد .

(٤) كما خضعت لإدارته كذلك المكاتب التى أنشأها وقام على نفقتها أفراد وهى :
أم عباس باشا و خليل أغا وحافظ باشا ومحمد بك سيد أحمد بالقاهرة ، ومكتب راتب باشا بالاسكندرية .

وعمل ديوان المكاتب الأهلية على أن يمهّد لإلغاء المدرستين الابتدائيتين (الأميريتين) الباقيتين لديوان المدارس إتماماً لخطة احتكاره التعليم الابتدائى فى البلاد ، فأنشأ مكتبين أهليين (أو خيريين) ألحقهما بكل من مدرستى الناصرية ورأس التين ، وحولت مدرسة رأس التين وقتاً ما إلى مكتب أهلى .

بل لقد عمل ديوان المكاتب على أن يجعل من مدارسه المركزية بالأقاليم معاهد للدراسة الابتدائية وفوق الابتدائية كذلك ، فأنشأ بها — فى سنوات مختلفة — فرقاً للدراسة التجهيزية وأخرى للمساحة .

وعلى هذا النحو استطاع ديوان المكاتب أن يبسط سلطانه على كل النواحي المالية والفنية والإدارية لهذه المكاتب .

فمن الناحيتين الإدارية والفنية كان من اختصاصه تعيين موظفى هذه المكاتب ونقلهم وتأديبهم ووضع مناهج التعليم وتقرير الكتب الدراسية والتحقق من حسن الدراسة بالتفتيش والامتحانات . واستطاع ديوان المكاتب أن يرفع هذه المكاتب إلى مستوى لا يقل كثيراً عن مستوى الدراسة فى المدارس الأميرية ، وخاصة بعد أن وضعت خطة الدراسة الابتدائية فى سنة ١٨٧٤ ، ونشط الديوان لتطبيقها على المكاتب جميعها وأخذها باتباع برنامج واحد ، وأصبح يشترط فى الدخول فيها معرفة القراءة

والكتابة ، وسار التعليم فيها على نمط قريب من المدارس الحكومية ، وأصبحت تعد تلامذتها للمدارس التجهيزية : فقد بدأت مدرستا بنها وأسيوط تمونان المدرسة التجهيزية بالقاهرة بعد عامين من إنشائها . ولم يكن العدد الذى أرسلته كل منهما من التلاميذ قليلا : فقد أرسلت إحداهما ٦٢ تلميذاً والأخرى ٦٤ تلميذاً ^(١) . وفكر ديوان المدارس أولاً فى أن يأذن لمدارس الأقاليم بأن تنشئ بها فرقاً تجهيزية ثم عدل عن ذلك ودعا تلامذتها المتفوقين إلى القاهرة ^(٢) ، ثم حقق ديوان المكاتب الأهلية هذه الفكرة بعد ذلك ، فأنشأ أقساماً تجهيزية بالمدارس المركزية .

وكان نجاح المدارس المركزية فى إعداد تلامذتها للدراسة التجهيزية مما لفت أنظار بعض المعاصرين المهتمين بمشاكل التعليم ومستقبله وغذى أملهم فى زيادة تقدم هذه المدارس ^(٣) .

ولم تكن هذه المكاتب الأهلية ترمى — كالمدارس الأميرية — إلى إعداد تلامذتها للدارس التجهيزية والخصوصية ومنها إلى وظائف الحكومة فحسب ، وإنما كان المرجو كذلك أن تعد تلامذة قد تلقوا تعليماً ابتدائياً طيباً يمكنهم من أن يصبحوا

(١) دفتر ٤٢٦ (مدارس عربى) ص ١٦٢ رقم ٣٢٨ فى ٢ ذى القعدة و ص ١٦٥ رقم ٤٨ فى ١٢ ذى القعدة ١٢٨٦

(٢) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ١٣ إلى مدرسة أسيوط فى ٤ ذى الحجة ١٢٨٦

(٣) نشرت جريدة Courrier de Port-Said فى عددها (٨) الصادر فى ٢٦ ديسمبر ١٨٧٤ فى إحدى مقالاتها عن التعليم الابتدائى فى مصر أنه كان بالمدرسة التجهيزية بالقاهرة مائة محل خال ملئت باثنين وسبعين تلميذاً من مدرسة المبتديان بالقاهرة وثمانية وعشرين تلميذاً من مدارس الأقاليم ، وأملت أنه عند ما تستكمل هذه المدارس الأخيرة مناهجها سيكون لها النصيب الأكبر فى ملء الأماكن الخالية .

قادرين على أن ينغمروا في الحياة العملية ليمارسوا مهنة يكسبون منها رزقهم^(١) .
أما الناحية المالية لهذه المكاتب فكانت أشد تعقداً ، وذلك لتعدد الموارد المالية
التي يصرف منها على المكاتب الأهلية واختلاف مصادرها . وقد رأيت في قانون
رجب ١٢٨٤ حرص الشارع على أن لا يكلف الدولة من نفقاتها شيئاً ، فقرر أن تكون
مواردها من مصادر ثلاثة^(٢) :

الأول : إيرادات الأوقاف التي وقفها أو يقفها الخديو وأهل الخير .
الثاني : إيرادات الأوقاف الموقوفة على التعليم أو الأوقاف التي انقرض
مستحقوها وتقرر صرف إيراداتها في وجوه الخير ومنها التعليم .
الثالث : المساعدات المالية التي يقدمها الأهالي ، وتكون على أشكال متنوعة
كتقديم نفقات البناء والتأثيث ومرتببات الموظفين أو على شكل رسوم دراسية
يدفعها الآباء .

وكان جفلك الوادي أول ما وقف على المدارس ، ومن إيراده أنشئت مدرستا
بها وأسيوط المركزيتان في أول الأمر . ثم كان هذا الإيراد أكبر مورد لميزانية
المكاتب الأهلية ، وقد رأيت ما كان من سوء استغلال هذا المورد الهام^(٣) .

أما تبرعات الأهالي — في أولى خطوات المشروع عقب قرارات مجلس شورى
النواب — فعلى الرغم من أنها لم تكن شيئاً قليلاً إلا أنها استخدمت في غير الأغراض

(١) Dor , Rapport confidentiel بالمحفوظات الأوروبية بعابدين ، وعلى باشا مبارك :

الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٢

(٢) انظر من اللائحة المواد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ الخ

(٣) انظر فيما سبق ص ٤٤ — ٤٥ ، ص ٤٨ — ٤٩

التي خصصت لها (١).

أما بعد ذلك فلم نعد نسمع عن تبرعات من الأهالي سوى ما فعله أحد أثرياء القاهرة وهو « مصطفى بك العناني » حين تبرع في سنة ١٨٧١ بنفقات تعليم مائة تلميذ من « الأيتام والفقراء والمساكين والمنقطعين لأجل أكلهم وشربهم وملابسهم وتربيتهم وتعليمهم في أحد المكاتب الأهلية »، وأعلن أنه يقف « العمارة الجديدة بشارع قولة لينتفعوا بريعها أبد الآبدين ودهر الداهرين ». وقبل الديوان تبرعه وشكره عليه (٢). هذا عدا إقبال بعض الأثرياء على إنشاء مكاتب على نفقتهم وقيامهم بكافة مصروفاتها: وقد رأينا منها مكاتب حافظ باشا وراتب باشا ومحمد بك سيد أحمد و خليل أغا الخ.

وطالب ديوان المدارس ديوان الأوقاف بأن ينفذ ما جاء بلائحة رجب خاصاً بصرف إيرادات الأوقاف الخيرية التي انقرض مستحقوها على المكاتب الأهلية باعتبار أن التعليم فيها من وجوه الخير التي انصرفت إليها رغبة الواقفين. وكان لجمع على مبارك باشا بين نظارتي المدارس والأوقاف أثره في معاونته الأوقاف للمدارس معاونة جدية بتقديم المال من جهة وقبولها إخضاع مكاتبها للمدارس من جهة أخرى، فقررت الأوقاف أن ترسل للمدارس سبعة آلاف قرش في كل شهر من إيرادات الأوقاف الخيرية « وفي آخر كل سنة تعمل الحسبة اللازمة بالأوقاف عن إيرادات

(١) بعضها ورد لخزينة المالية وبعضها الآخر حسب على ديوان المدارس من أصل ميزانيته — محفظة ٤ (مدارس) رقم ٢٠٧ أمر إلى ناظر الأشغال والمعارف والأوقاف في ٢٧ جمادى الثانية ١٢٨٩

(٢) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربي) ص ٨٦ رقم ٢١١ إلى حضرة مصطفى بك عناني في

٩ شوال ١٢٨٨ .

الأوقاف التي تخصص منها المبالغ المذكور ومنه ماصرف في العماير اللازمة بمحلات الأوقاف المذكورة وما يترتب صرفه في شئونها أيضاً وما أعطى للمدارس ، وإذا تبقى بعد ذلك شيء من الإيراد يرسل للمدارس « وكان ديوان المدارس حريصاً على إجراء « هذه الحسبة » ومطالبة الأوقاف بما يبقى له منها (١) .

هذه هي الموارد المالية التي كان ينفق منها على المكاتب الأهلية حتى إنشاء ديوان المكاتب الأهلية في سنة ١٨٧١ . وكانت — على قلتها — تكفي المدارس الأهلية الموجودة إذ ذاك ، ولم تكن تتعدى مدرستى بنها وأسيوط المركزيتين وبعض المكاتب بالقاهرة .

وقد رأيت أن إنشاء ديوان المكاتب قد بدأ صفحة جديدة في تاريخها : فقد تعددت (فروعه) بإنشاء مدارس مركزية في بعض عواصم المديریات ومكاتب أهلية في القاهرة وكان ينفق عليها كلها من إيراداته ، كما تعددت فروعه كذلك باخضاع مكاتب الأوقاف والروزنامة والمكاتب الأهلية التي أنشأها أفراد ووضعوها تحت إدارته . فكان على ديوان المكاتب الأهلية أن يواجه هذا التوسع الجديد . وقد نشط الديوان واتخذ لهذا وسائل ثلاث : الأولى تدبير موارد مالية جديدة مع الحرص على حسن استغلال الموارد الموجودة . والثانية اتخاذ خطة الاقتصاد في إدارة ديوان المكاتب وفروعه . والثالثة الاستعانة بالأهالي وآباء التلاميذ في أداء بعض ما يتكلفه تعليم أبنائهم من نفقات .

١ — أما عن الوسيلة الأولى فقد رأيت ما كان من سعى ديوان المكاتب الأهلية لضمان

(١) دفتر ٤٣٧ (مدارس عربي) ص ١٢ رقم ٤٥ إلى الأوقاف في ٢١

ثم أمر الخديو بإعطاء جميع الأملاك والعقارات والأطيان التي تخلفت للحكومة من (مبايعة) الأمير عبد الحليم باشا — ما عدا مصلحة شبرا والأطيان التي دخلت في السكة الحديدية — للمكاتب الأهلية « بنوع الإيقاف » لصرف ريعها على المكاتب^(١).

من هذه الموارد المتنوعة كان يتكون الجانب الأكبر من إيرادات المكاتب الأهلية ، أما بقيتها فكانت من الرسوم الدراسية التي يدفعها آباء التلاميذ^(٢) ، وسنعود إليها عما قليل . ومن هذه الإيرادات كان ينفق على المدارس المركزية في الأقاليم والمكاتب الأهلية بالقاهرة ، وبسبب تنوع هذه الموارد وتغيرها من عام إلى آخر كان من المتعذر وضع (ميزانية) للمكاتب الأهلية^(٣) .

أما مكاتب الأوقاف فكانت — كما رأيت — تتبع من الناحيتين الإدارية والفنية ديوان المكاتب الأهلية ، أما من الناحية المالية فكان ديوان الأوقاف يرسل إلى ديوان المكاتب ما خص مكاتبه من ريع الأوقاف الموقوفة عليها ويتولى الديوان الأخير الصرف عليها .

(١) دفتر ١٩٤٧ (أوامر عربي) ص ٣١ رقم ٤٢ أمر إلى المالية في ١١ شوال ١٢٩٠

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية م ج ٣ ص ٩ ص ٥٠ — ٥١

(٣) دفتر ٤٦٨ (مدارس عربي) ص ٤٥ رقم ٥٢٦ إلى وكيل ديوان المكاتب

الأهلية في ٢٨ المحرم ١٢٩١ وقد أحصى قومسيون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ (ص ٧٥ من النسخة الفرنسية) إيرادات المكاتب الأهلية ب ١٧ بارة و ٥٢ قرشا و ١٤٩٧ ر ١٤ جنيها ، يضاف إليها ٣٦ بارة و ٤ قروش و ١٢٥٧ جنيها رسوما دراسية ، أما ديوان الاوقاف فيقدم ٢٦ بارة و ٦٣ قرشا و ٥٧٥٥ جنيها (عدا ما يقدمه للصرف على دار العلوم ومدرسة العميان ومدرسة السيوفية للبنات ومعمل الطبيعة) . أما ديوان الروزنامة فيقدم ٢٠ بارة و ٣٨ قرشا و ١٢٨ جنيها .

أما المكاتب الأهلية التي أنشأها أفراد فلهم أن يتولوا الصرف عليها بأنفسهم أو يكلوا ذلك إلى ديوان المكاتب الأهلية على أن يرسلوا إليه المصروفات المقررة .

٢ — أما عن الوسيلة الثانية التي لجأ إليها ديوان المكاتب الأهلية لتدبير موارده وهي الاقتصاد في إدارة المكاتب الأهلية فكانت من خطط على مبارك ، الذي يفخر بأنه « جعل المصاريف اللازمة للدارس والمكاتب جارية على وجه يستوجب انتظامها مع خفة المصرف على الديوان » (١) . وقد اتجه ديوان المكاتب الأهلية أول إنشائه إلى انتهاج خطة الاقتصاد ، ولو أدى ذلك إلى فصل بعض الموظفين وتخفيض مرتبات البعض الآخر (٢) . وتظهر خطة الاقتصاد هذه عند مقارنة ما كان ينفق على مدرسة « أميرية » وأخرى « أهلية » : فقد قدر دوربك أن التلميذ بمدرسة الناصرية — وهي المدرسة الابتدائية الأميرية الوحيدة بالقاهرة — كان يتكلف في السنة من نفقات التعايم فقط (فضلاً عما يتكلفه من نفقات الطعام واللباس والمرتب الشهري) جنهين وسبعة وسبعين قرشاً ، بينما يتكلف التلميذ في مكتب القرية جنهين وثلاثة وثلاثين قرشاً ، وأقل من ذلك في مكتب قلاوون ، إذ يتكلف فيه التلميذ جنهياً واحداً وتسعة وثمانين قرشاً ، وأقل من ذلك في مكاتب أخرى (٣) .

(١) الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٢) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربي) ص ٣٥ رقم ٧ إلى مدرسة أسبوط ، ص ٧١ رقم ١٠

إلى مدرسة بنها في ١١ رجب ١٢٨٨

(٣) Dor. L'Instruction publique. p. 394.

وقد رت نظارة المعارف في سنة ١٨٨٨ أن تلميذ المدرسة الأميرية يتسكف في العام

٦٦ ملياً و ٣٥ جنهياً بينما يتكلف تلميذ المدرسة الأهلية ٩٥ ملياً و ٥ جنهيات .

ويجب أن لا يغرب عن البال أن التلاميذ في هذه المكاتب يتحملون بالرسوم الدراسية التي يؤدونها جانباً كبيراً — بل الجانب الأكبر — من مرتبات معلمهم ، وقد قدر دوربك — نقلاً عن معلومات رسمية استقاها من الديوان — أن تلاميذ القرية وقلاوون كانوا يتحملون سبعين في المائة من مجموع مرتبات معلمهم .

على أن هذا الاقتصاد الذي حرص عليه الديوان قد تم على حساب المعلمين ، فقد قدم لهم الديوان مرتبات جد حقيرة : فمن بين الثمانية عشر مدرساً بمكتبي القرية وقلاوون تجد عشرة مدرسين لا يزيد مرتب الواحد منهم على جنهين في الشهر ! وسخط دوربك على هذه الخطة وتساءل عما إذا كان مستظاءً أن يجد الديوان بهذه المرتبات الضئيلة رجالاً ذوي معارف تؤهلهم لأن يؤتي تعليمهم الثمر المرجو ، وكيف يستطيع معلم بمثل هذا المرتب الضئيل أن يؤثر بشخصيته على تلاميذه ويحملهم على احترامه ويحفظ بكرامته ؟ وخشى أن تؤدي هذه الخطة إلى زيادة تلك الطبقة الفقيرة المجتهدة من طغام المعلمين (prolétariat) وهي أحد الأدواء التي تشكو منها مصر^(١) .

وفي إحدى الوثائق أن بعض الفقهاء والعرفاء رفضوا أن يعملوا بالمرتبات الزهيدة التي عرضها ديوان المدارس عليهم « بالقول أن المرتب لا يكفي لمعاشهم ومع ترغيبهم وتشويقهم توجهاً ولم يعودوا ثانية »^(٢) ويجب أن نضيف إلى هذا أن أكثر معلمي هذه المكاتب كانوا يقومون بالتدريس في أكثر من مكتب .

(١) Dor, op. cit. p. 256-257.

(٢) دفتر ١٤٤ (مدارس عربي) ص ٣ رقم ٣ إلى الاوقاف في ٨ جمادى الثانية ١٢٨٥

٣ — والآن نتكلم على الوسيلة الثالثة من وسائل تدبير المال التي لجأ إليها ديوان المكاتب الأهلية : وهى الاستعانة بالأهالى وأباء التلاميذ فى تقديم بعض ما يتكلفه تعليم أبنائهم من مال ، وقد رأيت أن لائحة رجب سنة ١٢٨٤ قررت أن نفقات بناء المدارس المركزية أو إصلاحها تكون على أهالى المديريات التى تنشأ بها تلك المدارس (المادة ٣٤) ، وكذلك أثمان الأثاث (الثابت) بالمدرسة كالكراسى والمناضد والألواح ومرتبات المدرسين والنظار (المادة ٣٥) ، وتسلم إيرادات هذه المدارس إلى خزانة ديوان المدارس ، وهو الذى يتولى الصرف ويحاسب المديريات فى كل عام (المادة ٣٩) ، وكذلك قررت اللائحة أن تكون تلامذة هذه المدارس (داخلية) ويسمح بقبول ٢٠ ٪ من التلاميذ (خارجية) ، ويتحمل أبائهم نفقاتهم لأنهم يقيمون معهم (المادة ٣٦) .

ولكن الأمر فى إنشاء المدارس المركزية لم يجر على النحو الذى رسمته اللائحة . أما عن تحمل الأهالى نفقات بناء المدرسة القائمة فى مديريتهم فقد رأينا (١) كيف أن بناء المدرسة المركزية فى طنطا قد وضع أساسه وتعاهد العمدة والأعيان من ناحية وديوان المدارس من ناحية أخرى على أن يقدم الأهالى الطوب والجير والعمال ويقدم الديوان الأخشاب وأرباب الصنائع ، ولكن مضت سنوات ورغم إلحاح الديوان لم يف الأهالى بما تعهدوا به ، واضطر الديوان إلى أن يقيم المدرسة فى بنها ريثما يتم البناء ، كما اضطر الخديو بعد ذلك إلى أن يأمر بإرسال مواد البناء اللازمة إلى طنطا على نفقته .

أما عن تحمل الأهالي نفقات التأثيث والمرتببات الخ. فلم نسمع عن تنفيذه شيئاً ، بل نهض ديوان المدارس بكافة النفقات من إيرادات جفلك الوادى ، وكان أول ما رصد للمكاتب الأهلية ، وعيشتا أعلن الديوان أن « الصرف على المدارس المركزية عائد الخصم به على المديرية المقيمة بها بما أن مصروفاتها وماهيات خدمتها عائد سدادهما من طرف أهالى وعمد تلك الجهات ... وتوقف الصرف عليها من المديرية مما يوجب إبطال حركة إدارتها » (١) .

وظل الأمر يجرى على أن يقوم ديوان المدارس — ومن بعده ديوان المكاتب الأهلية — بكافة مصروفات هذه المكاتب من الإيرادات الخاصة بالمكاتب الأهلية ، وإذا أنفقت المديرية شيئاً حاسبته عليه ديوان المدارس ، وبذلك انهارت الفكرة التي بنى عليها إنشاء المدارس المركزية على نفقة المديرية القائمة فيها ، وانهار بذلك ركن أساسى من لائحة رجب ١٢٨٤ .

وقامت هذه المدارس على أساس النظام الداخلى المجانى ، فالتلبيذ فيها لا يتكلف شيئاً فى تعليمه أو مقامه بالمدرسة ، والشئ الوحيد الذى يميزها عن المدارس « الأميرية » أن التلبيذ فيها لا يأخذ مرتبة شهرياً (٢) . وفى الوقت الذى بدأ فيه الديوان يتقاضى آباء التلاميذ فى مدرسة الناصرية الابتدائية الأميرية (المبتديان بالقاهرة) بعض ما تتكلفه الدولة فى تعليم أبنائهم وتنشئتهم ، ظل تلامذة المدارس المركزية بالأقاليم يتمتعون

(١) دفتر ٤٣٠ (مدارس عربى) ص ٢٨ رقم ٣٠١ إلى ديوان المالية فى ٧

جمادى الثانية ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤١٧ (مدارس عربى) ص ١ رقم ٣٣٨ إلى وكيل مرور مصر فى ٢٢

ذى الحجة ١٢٨٥

بالإعفاء أو المجانية الكاملة^(١)، إلى أن أنشئت مدرسة بني سويف في سنة ١٨٧٢ فبدأ لديوان المكاتب الأهلية أن ينظم ما جرت به اللائحة خاصاً باشتراك الأهالي في تحمل نفقات المدارس المركزية، وذلك بفرض رسوم مدرسية يدفعها آباء التلاميذ كل بحسب قدرته المالية على النحو الآتي : (٢)

٦٠ تلميذاً يدفع كل منهم في الشهر ١٥ قرشاً .

و ٤٠ » » » » » » » ٢٠ »

و ٣٥ » من الفقراء لا يدفعون شيئاً .

وتلاميذ هذه (الفئات) الثلاث تصرف لهم الكتب مجاناً .

و ٤٠ تلميذاً يدفع كل منهم في الشهر ٢٥ قرشاً .

و ٣٥ » » » » » » » ٣٥ »

و ٣٥ » » » » » » » ٣٨ / ٢٣ قرشاً (أى نصف بنتو) .

و ٢٥ » » » » » » » ٥٠ قرشاً .

وتلاميذ هذه (الفئات) الأربع تؤخذ أثمان كتبهم من أهاليهم، وتحصل المصروفات مقدماً في كل ستة أشهر أو أربعة أو ثلاثة أو شهرين حسب ما يراه ناظر المدرسة . ونفذ هذا النظام أيضاً في المدرستين المركزيتين القائمتين في بنها

(١) دفتر ٤١٦ (مدارس عربي) ص ١٤٢ رقم ٦٧ إلى الاسبتالية والمدرسة الطيبة

في ٢٢ ذى الحجة ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٥٦ (مدارس عربي) ص ١٥٩ رقم ١٠ إلى مكتب بني سويف في

١٧ شوال ١٢٨٩

وأسيوط ، وكان هذا أول تقرير للمصروفات المدرسية على تلاميذهما (١) . كما نفذ أيضاً في مدرسة المنيا عقب إنشائها (٢) . وكذلك سمح فيها بنظام الخارجية وإن يكن التلامذة الخارجيون أقل بكثير من التلاميذ الداخليين . ويحسن أن نلاحظ هنا أن أكبر مبلغ قدر على التلاميذ وهو خمسون قرشاً كان أقل مبلغ قرر على تلامذة مدرسة المبتديان بالقاهرة (٣) . أما مدرسة الاسكندرية فلا تزيد فيها نسبة التلاميذ الذين يتعلمون بالمجان على عشرة في المائة من مربوط تلامذتها ، ويكونون من أبناء الفقراء والمعوزين وأبناء مدرسي المدارس وموظفيها (٤) .

وعندما صدرت لائحة قبول التلامذة بالمدارس الملكية (أى الأميرية) وحددت فيها المصروفات المدرسية بين ٢,٦٠٠ قرش و ١,٢٠٠ قرش في السنة (عدا تلاميذ الدرجة الثالثة المجان) لم يطبق منها شيء على تلامذة المدارس المركزية .

أما المكاتب الأهلية بالقاهرة والاسكندرية فكان لها شأن آخر : ذلك لأنها قامت منذ القدم على أساس النظام الخارجي ، فتلامذتها يترددون عليها نهراً ويقيمون مع ذويهم ليلاً ، كما أنها قامت كذلك منذ القدم على أساس نظام (المصروفات المدرسية)

(١) دفتر ٤٥٧ (مدارس عربي) ص ٩٨ رقم ٥٠ إلى مكتب بنها في ١٦

ذى القعدة ١٢٨٩

(٢) دفتر ٤٦٠ (مدارس عربي) ص ٢٤ رقم ٧ إلى مدرسة المنيا في ٧ جمادى

الاولى ١٢٩٠

(٣) دفتر ٤٠٦ (مدارس عربي) ص ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٩٥ إلى مدرسة المبتديان في

٢٧ ، ٤ ، ٣ صفر ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤١٦ (مدارس عربي) ص ٥٧ رقم ٩٧ إلى مدرسة الاسكندرية في ٢٦

شوال ١٢٨٥

فالطفل يحمل إلى الفقيه والعريف في كل أسبوع أوفى كل شهر بضعة قروش وقد يحمل إليه بعض الزاد أيضاً . وإلى جانب هذا كان يعطى لتلامذة المكاتب الفقراء من ريع أوقافها — إذا كان لها أوقاف تغل ريعاً — بعض الخبز في كل يوم وشئ من السكسى في كل عام^(١) . فلما نظمت هذه المكاتب وأصبحت خاضعة لإشراف ديوان المدارس ثم تابعة لديوان المكاتب الأهلية عقب إنشائه احتفظ بهذا الأساس القديم الذى قامت عليه مع تهذيبه وتحسينه . فالتلاميذ جميعاً يبيتون في بيوتهم وأهلهم يتعهدونهم بالغذاء واللباس ، والقروش التى كان الأطفال يحملونها إلى فقهاءهم استحالَت إلى (رسوم دراسية) تتراوح بين خمسة قروش وخمسة عشر قرشاً يحملها الآباء إلى (إدارة) المكتب في كل شهر فيحملها ناظره إلى خزانة الديوان ، لتكون مصدراً من مصادر إيرادات المكاتب الأهلية^(٢) . أما الفقراء والمعوزون فظل يجرى عليهم بعض الرزق من ريع الأوقاف المحبوسة على مكاتبهم^(٣) . وعلى هذا النحو جرى الأمر كذلك في المكاتب الجديدة التى أنشأها ديوان المكاتب الأهلية بالقاهرة^(٤) . وبذلك ترى أنه لأول مرة في تاريخ التعليم الحديث في مصر تنشئ الحكومة مدارس تقوم فيها الحياة المدرسية على النظام (الخارجى) ويتحمل الآباء قسطاً مما يتكلفه تعليم أبنائهم ، استمالة

(١) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ٨ رقم ٣٦ إلى الأوقاف في ٢٦ شعبان ١٢٨٨

(٢) Dor, L'Instruction publique. p. 256, De Regny, Statistique. 1873. p. 251.

(٣) المصدر السابق ، دفتر ٤٧٤ (مدارس عربى) ص ٤٩ رقم ٦٨ من وكيل دائرة

والدة وكريمات إلهامى باشا في ٢٩ شعبان ١٢٩٠

(٤) روضة المدارس : السنة الثانية العدد ١٠ في غاية جمادى الأولى ١٢٨٨ (إعلان

بافتتاح مكتب القرية) .

لقلوبهم واستدعاء لرغبتهم»^(١). لهذا لا غرو إذا اعتبر دور بك إنشاء هذه المدارس أهم تجديد في التعليم المصرى منذ السنوات الأولى من حكم إسماعيل^(٢).

على أن إدخال نظام (الخارجية) في المدارس المركزية سار ببطء شديد وخاصة في المدرستين اللتين أنشئتا في سنة ١٨٦٨. والأرقام التالية توضح ذلك في سنة ١٨٧٥ وهى السنة التى نملك عنها إحصاء رسمياً^(٣)، ونورد معها عدد تلامذة المدرسة الابتدائية الأميرية بالقاهرة على سبيل المقارنة:

المدرسة	التلاميذ الداخليون	التلاميذ الخارجيون	المجموع	النسبة المئوية للتلامذة للخارجيين
بنها	٢٣٣	—	٢٣٣	صفر %
أسيوط	١٦٤	١٤	١٧٨	٧,٧٥ %
بنى سويف	٢٠٨	٤٤	٢٥٢	١٧, ٥ %
المنيا	١٣٠	٧١	٢٠١	٣٥ %
المبتديان بالناصرية	٤٧٠	٦٩	٥٣٩	١٢,٧٥ %

(١) على باشا مبارك: الخطط التوفيقية م ٣ ج ٩ ص ٥٠

(٢) Dor, op. cit. p. 256.

(٣) Minist. de l'Inst. Publ. Statistique des Ecoles Civiles. 1875.

وفي ٣١ ديسمبر ١٨٨٥ صدر أمر نظارة المعارف بتحويل جميع تلامذة المدارس المركزية الأربع إلى (الأقسام الخارجية) أسوة ببقية المدارس الأهلية بالقاهرة والأقاليم^(١).

أما نسبة التلاميذ الذين يدفعون المصروفات إلى التلاميذ الذين لا يدفعون شيئاً في مختلف المدارس الابتدائية فتوضحها الأرقام التالية عن يونية ١٨٨٥ ، وهي أول سنة نملك فيها إحصاء رسمياً مفصلاً^(٢) :

(١) وهو أول تقرير للمعارف : Minist. de l'Inst. publ. Exposé des réformes :

1885. p. 5.

(٢) المصدر السابق . وقد أخذنا هذه الأرقام من إحصاءات مطولة ، أما النسب المتوية فنعملنا وهي تقريبية .

النسبة المئوية للخارجية	النسبة المئوية للديجانية	المجموع العام	خارجية			داخيلية			المدارس
			المجموع	مجانا	بمصرفات	المجموع	مجانا	بمصرفات	
٪ ٣٨	٪ ٧٨,٥	٨٤٧	٣٢١	١٩٥	١٢٦	٥٢٦	٤٦٩	٥٧	المبتديان بالناصرية
٪ ٨٥,٥	٪ ٥٦	٢٢٧٩	١٩٤٩	١٠٠٨	٩٤١	٣٣٠	٢٧٣	٥٧	مدارس ابتدائية أخرى لميرية (١)
٪ ٨٨,٥	٪ ٥٩,٥	٢٦٣٨	٢٣٣٧	١٢٩٨	١٠٣٩	٣٠١	٢٧٦	٢٥	المدارس الأهلية (٢)
٪ ١٠٠	٪ ٧٠	١٥١٤	١٥١٤	١٠٦٩	٤٤٥	—	—	—	مكاتب الأوقاف (٣)

(١) وهي مدارس رأس التين والمنصورة والرقازيق ودونهور وشبين الكوم والجيزة

وقليوب وطوخ وقد حولت الست الأخيرة بهذلك إلى مدارس أهلية .

(٢) وهي مدارس طنطا وأسيوط وبني سويف والمنيا والفشن ومصر القديمة والقريبة والحسينية وباب الشعرية وعابدين والجمالية .

(٣) وهي مكاتب شيخون والشيخ صالح والسيدة زينب والإمام الشافعي والجبانية

والعقادين والنجاين وقلاوون وأم عباس وأبو العلا ورشيد وفي مكان آخر من تقرير سنة

١٨٨٥ الذي نقلنا عنه هذه الإحصاءات أن تلامذة مكاتب الأوقاف كانوا ٣٩٦ بمصرفات

و ١١٨٥ مجانا (انظر ص ١٩ من تقرير ١٨٨٥)

وبذلك ترى أن نسبة التلامذة الذين يتمتعون بالمجان في المدارس والمكاتب الأهلية كانت أقل منها في المدارس الأميرية، كما أن التلامذة الخارجيين في المدارس والمكاتب الأهلية أكثر منهم في المدارس الأميرية، وقد هالت نظارة المعارف في سنة ١٨٨٥ ارتفاع نسبة التلامذة الذين يتمتعون بالمجان وخاصة في الأقسام الداخلية ورأت أن المدارس قد اكتظت بتلامذة من أشد الأوساط فقراً ليس لهم أى ميل للتعليم، وإنما يعتبرون المدارس مجرد ملاجئ ويعتبرون الحكومة ملزمة بأن تنفق عليهم طول حياتهم، فقررت النظارة — تمشياً مع توصيات قومسيون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ — ما يلي :

(١) تحديد عدد التلامذة الذين يتمتعون بالمجان بأقل عدد ممكن .

(٢) » » » » » بالداخلية تمهيداً لإلغاء النظام الداخلى من المدارس جملة . وتنفيذاً لذلك حولت النظارة تلامذة المدارس المركزية بالأقاليم جميعاً إلى النظام الخارجى . وفرضت على كل تلميذ بالمكاتب عشرة قروش في الشهر ، وحددت عدد الذين يتمتعون بالمجان بنصف عدد تلامذة المكتب ، وفصلت كثيراً من التلامذة الأغنياء الفاشلين ، وكان لهذا كله أثره : ففي سنة ١٨٨٨ كانت نسبة التلامذة الذين يتمتعون بالمجان (فى الداخلية والخارجية) من المدارس الأميرية ٤١ ٪ ومن المدارس الأهلية ٢٣ ٪ فقط (١) .

وظلت المكاتب الأهلية بالقاهرة والأقاليم تابعة لديوان المكاتب الأهلية، وعلى رأسه « وكيل » يعمل تحت إمرة مدير ديوان المدارس أو ناظر المعارف ، تابعة له من الناحية الإدارية والفنية ، أما من الناحية المالية فهذا الديوان يتولى الصرف — من إيراداته الخاصة وأهمها إيراد جفلك الوادى — على مدارسه ومكاتبه بالقاهرة وعواصم المديریات ، أما مكاتب الأوقاف ومكاتب الأفراد فتزسل مصروفاتها إلى ديوان المكاتب وهو يتولى الصرف عليها ، حتى إذا كانت سنة ١٨٧٨ لاحت لنظارة المعارف وديوان المكاتب أن يتخففا من عبء الإدارة المالية لهذه المكاتب ، فصدر أمر الخديو فى ٦ أغسطس من ذاك العام — بناء على طلب ناظر المعارف — بإحالة حسابات وإيرادات ومصروفات المكاتب الأهلية على ديوان الأوقاف « بشرط إبقاء إدارة المكاتب المذكورة مستقلة ومنفصلة على حدتها كما هى الآن فى عهدة وكيل المكاتب تحت أمر ناظر المعارف وملاحظته العمومية ، وعلى ديوان الأوقاف القيام بأداء مصروفات المكاتب المذكورة والمكاتب الجارى الصرف عليها بمعرفة الأوقاف من قبل بأوقاتها بحسب أصولها المقررة » ، أى أن تكون الإدارة المالية من اختصاص الأوقاف والإدارة الفنية من اختصاص المعارف ، ومن ذلك « اعتبار كل من ناظر المعارف ومفتشها ووكيل المكاتب بصفة قومسيون لإدارة المدارس والمكاتب على وجه العموم » (١) .

(١) دفتر ٢٥ (أوامر عربى) ص ٣٣ رقم ٥٦ إلى الداخلية فى ٧ شعبان ١٢٩٥

(٦ أغسطس ١٨٧٨)

وظل الأمر يجرى على هذا النحو : للأوقاف الإدارة المالية وللمعارف الإدارة الفنية، ونجم من ذلك نزاع مستمر بين المعارف والأوقاف ، حتى إذا كانت أواخر سنة ١٨٨٥ أريد أن يوضع حد لهذا التعدد في الاختصاص : فصدر أمر الخديو بأن تتبع المدارس والمكاتب الأهلية ديوان الأوقاف من أول إبريل ١٨٨٦^(١) ، حتى تولى على باشا مبارك نظارة المعارف في سنة ١٨٨٧ فعاد الحال إلى ما كان عليه .

Minist. de l'Instruction publi., Exposé des Réformes ... 1885. (١)
pp. 19, 32, 33.

الفصل الرابع

الكتاتيب الأهلية

تحدثنا في الفصل السابق عن المكاتب (الكبيرة) بالمدن ، وهي التي أشارت لائحة رجب بتنظيمها وتحويلها إلى مدارس أهلية ابتدائية نظامية على غرار المدارس الأميرية الابتدائية ، درسنا المواد الخاصة بها في لائحة رجب ، ثم درسنا الخطوات التي نفذت بها هذه المواد ، ومدى تنفيذها سواء في النواحي الفنية أو الإدارية أو المالية . ونستطيع أن نلخص هذه الدراسة في أن الحكومة استطاعت أن تنشئ - أو تحول - بضعة عشر مكتباً من هذه المكاتب الكبيرة بالقاهرة والإسكندرية إلى مدارس ابتدائية تخضع لبرامج التعليم الابتدائي التي وضعت في سنة ١٨٧٤ خضوعاً يختلف شدة وضعفاً باختلاف موارد هذه المكاتب ومستوى هيئة التدريس بها .

فلنتقل الآن إلى المكاتب (الصغيرة) بالمدن أولاً ثم بالقرى والبنادر ، ولندعها « بالكتاتيب » احتفاظاً لها باسمها الذي لازمها منذ نشأتها من جهة وتميزاً لها عن « المكاتب » الأهلية التي أنشئت أو نظمت على غرار المدارس الابتدائية الأميرية من جهة أخرى .

وستكون خطتنا في دراسة هذه الكتاتيب - كما فعلنا في دراسة المدارس المركزية ثم المكاتب الأهلية - أن نبدأ بما جاء خاصاً بها في لائحة رجب ، إذ هي كما قررنا الأساس الذي قام عليه تنظيم التعليم الابتدائي في عصر إسماعيل ، ثم تتبع ذلك بالخطوات التي نفذ بها ما أشارت به اللائحة ومدى هذا التنفيذ .

تحدثت اللائحة عن كتاتيب المدن وكتاتيب القرى والبنادر .

كتاتيب المدن

احتفظت اللائحة بالبساطة التي لازمت هذه الكتاتيب ، وتظهر هذه البساطة في خطة الدراسة وتعيين القوامين على تعليم التلاميذ فيها . فقررت أن يكتفى فيها بتعليم القرآن الشريف والكتابة والقراءة وهي مواد الدراسة التي كانت تدرس بهما من قديم ، ثم أضافت إليها الحساب وقصرته على « باب العدية » . فكان هذا أول تجديد بل أهم تجديد في هذه الكتاتيب ، كما قررت اللائحة أن يكتفى فيها بالمؤدين والعرفاء (المادة ١٣) على أن يكون تعيينهم من اختصاص ديوان المدارس ، وهو بالاتحاد « مع من يلزم من العلماء وعمد الجهة » يعطى الصالحين منهم للتدريس « شهادة » (البند ١٦) ، ويشترط في المؤدب « أن يكون حسن الأخلاق والصفات وفيه أهلية لتعليم القرآن الشريف كما ينبغي ، وأن يكون له معرفة بأمور الدين القويم وأن يحسن الخط ويحسن باب العدية من الحساب » (المادة ١٧) ويكون دخول الأطفال في المكاتب الصغيرة « بالربة » ومنها إلى المكاتب الكبيرة ثم إلى المدارس الأميرية بالربة كذلك ، على أن يؤدوا امتحاناً (المادة ١٨)

وتعقد الامتحانات لتلامذة المكاتب في شهر شعبان من كل عام ومن فاق منهم أقرانه « تعمل له صرافة تفريحية »^(١) ، فإذا كان بمكتب من المكاتب الكبيرة تعمل له

(١) كان المعتاد — إلى عهد ليس بالبعيد — أنه عند ما يختم الصبي القرآن يدعو أهله الناس إلى شيء من الطعام — كل ويساره — ويعطون شيخه شيئاً من المال أو اللباس . (انظر : الدكتور طه حسين بك : الأيام . الجزء الاول ص ٢٩ — ٣٠ والاستاذ محمد عبد الجواد : في كتاب القرية ص ١١٥ — ١١٧)

الصرافة « بالموسيقى الميرية » ، هذا عدا ما يصيب من المكافآت التي يقدمها ديوان المدارس في كل عام ، وتكون محابر أو كتباً أو ما شا كل ذلك . ويكون للتلاميذ المتقدمين أيضاً حظ حضور « التشريفات » في الأعياد « مكافأة لهم على تقدمهم » (المواد ١٩ و ٢٠ و ٢١) .

ويعين ديوان المدارس الكتب التي يستعملها تلاميذ المكاتب ويصرفها لهم بأثمانها (المادة ٢٢) .

ويتكون أثاث المكاتب الكبيرة من كراس للثودين و (دكاك) خشبية للأطفال ، أما أثاث المكاتب الصغيرة فحصر . ويكون أثاث المكاتب التابعة للأوقاف على نفقتها . أما المكاتب التي لا وقف لها فأثاثها على نفقة أصحابها (المادة ٢٣) .

ويمنع من دخول المكاتب الأطفال المصابون بأمراض منفرة أو معدية ، ولا يضر وجود عاهات غير معدية كالعمى والعرج (المادة ٢٤) ، وعلى طبيب القسم أن يزور المكاتب القائمة في قسمه ليتفقد النظافة العمومية وصحة الأولاد (المادة ٢٥) .

كتاتيب القرى والبنادر

كان من أهم ما اتجهت إليه عناية اللائحة الأبنية التي تشغلها مكاتب القرى لما كانت تعلم من سوء حالها : فقضت بأن تكون « حسنة الموقع لطيفة المبنى تأنس بها نفوس الأطفال المقيمين بها أكثر ساعات النهار ومدة سنوات » ولذلك يجب عمارة المكاتب المحتاجة إلى الإصلاح ، أما أبنية المكاتب الجديدة بالقرى فيجب أن تنشأ طبق رسم مخصوص يضعه ديوان المدارس (المادة ٢٨) .

ويقوم أهالى القرية بكافة النفقات التى يتطلبها (مكتبهم) من بناء وترميم وممرات المؤدين و (صرافة) الأولاد المتفوقين و (تشويق) المؤدين فى آخر العام . أما أدوات التعليم كالمصاحف والكتب المطبوعة والألواح والمحابر والأوراق فأثمنها على أهالى الأولاد ، أما اليتامى فما يلزم لهم يكون على القرية (المادة ٢٨) . أما من الناحية (الفنية) فعلى جميع المكاتب أن تنبع أسلوباً واحداً فى التعليم . والسبيل إلى هذا أن تستخدم — عدا القرآن — الكتب التى يصدق عليها ديوان المدارس « لأنها تعمل سهلة العبارة قريبة المأخذ من المسائل الأولية التى تقبلها عقول الأطفال ، ، ويكتفى فى مكاتب القرى والكفور بتعليم القرآن الشريف والكتابة والقراءة وباب العدة من الحساب وهى المواد التى تعلم فى المكاتب الصغيرة فى المدن الكبيرة .

ولما كان دخول الأطفال فى هذه المكاتب بمطلق الرغبة من أهليهم ، فلا يحدد للتعليم بالنسبة لجميع الأطفال ساعات معينة بل تكون الأولاد تحت احتياجات أهليهم وإنما يكون المكتب فى جميع ساعات النهار المعدة للتعليم مفتوحاً والمؤدب (أى الفقيه) حاضر للتعليم والملاحظة ، وإذا كان فى بحر السنة يحتاج أحد من الأهالى لإخراج ولده من المكتب فلا يمنع من ذلك ولو كان ولده من المتقدمين فى المكتب ، ما دامت تلك المكاتب أهلية فتبقى كالجارى فى السابق إلا فى النظافة وانتظام التعليم والتربية . (المادة ٢٩) .

وقد رت اللائحة بساطة التعليم فى هذه المكاتب ، فأقرت للتعليم فيها « فقهاء الريف كما هم الآن ، ، على أنها اشترطت فى المؤدب أو — الفقيه — أن « يحسن تجويد القرآن والخط وله معرفة بأمور الدين وأن يكون بيده شهادة تدل على رضا أهل القرية عنه ، وعلى أن يكون محكوماً فى هذه الشهادة بلياقته للتعليم على هذا الوجه من أعيان

الناحية وأهل العلم الموجودين بها أو بمجاورتها ، ويكون على ورقة الشهادة المذكورة تصديق ممن يندب من طرف ديوان المدارس للتصديق على ذلك » ، ويسمح للفقهاء المكفوفين من ذوى الخبرة الطويلة بتعليم الأطفال ومن حسنت فيهم الشهادة بمزاولة مهنتهم .

ولما كانت معرفة الحساب من الشروط الجوهرية فى المؤدين فيمهل من يحمله منهم مدة لا تزيد على السنة ليتعلم فيها (باب العدية) ، وأما المؤدبون الجدد الذين يعينون بالمكاتب من الآن فصاعدا فيجب أن يستوفوا هذا الشرط الهام (المادة ٣٠) .

ويمتحن غلمان المكاتب فى آخر شعبان من كل عام ويقوم على امتحانهم مؤدبوهم وبعض الفقهاء « وأهل الفضل بحضور عمدة الناحية ووجوه البلد » و (يشوق) الأطفال المتقدمون (بصرافة) وكذلك يشوق المؤدبون و « يطيب خاطرهم » ويشجع أوائل التلاميذ فى جميع سنى الدراسة بقبولهم بدون امتحان فى المدارس المركزية « المعدة لاتساع دائرة المعارف الوطنية » (المادة ٣٢) .

وختمت لائحة رجب بتوجيه جميع المؤدين القائمين على تربية الأطفال الى « أن يبذلوا غاية جهدهم فى تلقين ما يلزم اكتسابه فى المدارس والمكاتب الأولية للأطفال بالطرق البسيطة الحسنة الموافقة لحداثه سنهم بحيث لا يستعملون فى تربيتهم إلا ما تقوى به حواسهم وقواهم العقلية ويحتذون فى التربية الأمور المورثة لشراسة الأخلاق مثل السب وما أشبه مما يوجب الجفاوة وأن يعاملوا الأطفال معاملة الأبناء لأنهم عوض عن آبائهم ألح » .

وبذلك نستطيع أن نلخص القواعد التي قامت عليها لائحة رجب فيما يختص بالكتاتيب الأهلية فيما يلي :

أولاً — احتفظت اللائحة لهذه الكتاتيب بالحياة البسيطة التي عاشتها ودرجت عليها منذ إنشائها : ويتمثل ذلك في احتفاظها بالقرآن الكريم أساساً للتعليم والتربية فيها ، وعن طريق القرآن الكريم يتعلم الصبي القراءة والكتابة ، ولم تزد اللائحة على هذا سوى مبادئ في الحساب لا تتجاوز (الأعداد) ، ويتمثل ذلك أيضاً في احتفاظها بمؤدبي صبيتها من الفقهاء والعرفاء ، وهم الذين لم تعرف البلاد غيرهم من تكل إليه تربية أبنائها ، كما يتمثل في احتفاظها بالآثار البسيطة الذي لم تعرف تلك الكتاتيب غيره ، هذا عدا أن اللائحة أقرت بعض التقاليد التي كانت تجد هوى في نفوس الناس في ذلك الوقت والتي كانت تعد حافزاً قوياً للصبية على الجد والإقبال على الحفظ : وهي تلك (الصرافة) التفرجية التي كانت تعمل للصبية الذين أتموا حفظ القرآن فيطاف بهم في البلد ويقدم أهلهم للفقهاء ما تيسر من الطعام والشراب أحياناً ومن اللباس والنقد أحياناً أخرى .

كما أن اللائحة قد أقرت للمكاتب عنصراً هاماً من مقوماتها : وهو الحرية التي كان يتمثل بها الأهليون في إرسال أبنائهم إليها أو صرفهم عنها ، لا يحفزهم إلى ذلك سلطان غير الرغبة المطلقة من ناحية وإقبال أبنائهم على الدرس واحتفالهم به من ناحية أخرى .

وهكذا ترى أن اللائحة قد حرصت على أن تظل هذه الكتاتيب — كما كانت — مؤسسات « أهلية » ، لا تتدخل الحكومة في شأنها إلا بمقدار ، حرصاً من الحكومة على أن تظل تلك الكتاتيب محتفظة بثقة الأهليين . حتى تكون في يد الحكومة أداة شعبية

بسيطة ورخصة لنشر قسط من التعليم الأولى وإن يكن بسيطاً إلا أنه لا شك يجدى في مكافحة الأمية ومقاومة الجهالة .

ويلخص هذا كله في تلك العبارة التي جرت بها اللائحة : « ما دامت تلك المكاتب أهلية فبقى كالجارى فى السابق إلا فى النظافة وانتظام التعليم والتربية » (المادة ٢٩) .
ثانياً — وهنا نصل إلى القاعدة الثانية التى قام عليها تنظيم الكتاتيب فى لائحة رجب : وهى إخضاعها لإشراف الدولة ممثلة فى الإدارة التعليمية القائمة فى ذلك الوقت وهى ديوان المدارس ، ثم ديوان المكاتب الأهلية . وقد حددت العبارة التى أسلفنا المجال الذى يكون فيه إشراف الدولة وهو مراعاة « النظافة وانتظام التعليم والتربية » فى « النظافة » رسمت اللائحة زيارة المفتشين وأطباء الصحة يتفقدون أبنية الكتاتيب ويفحصون صحة الصبية ويقررون عن هذا كله إلى ديوان المدارس ليتخذ الإجراءات الملائمة لإصلاح الفاسد وتلافى النقص .

أما « انتظام التعليم والتربية » فقد رأى الديوان أنه لا يتم إلا بتطلب شروط خاصة فى المؤدين ، كان أهمها — إلى جانب إجادة حفظ القرآن والكتابة — معرفة القواعد الأولية من الحساب ، بل إن اللائحة كانت رفيقة بالمؤدين فأهملتهم عاماً ليستكملوا ما بهم من نقص فى هذه الناحية ، حتى إذا توافرت فى المؤدين الشروط المطلوبة تقدموا إلى الديوان ، فنح كلاً منهم إجازة أو رخصة تتيح له الاشتغال بمهنة التعليم .

و « انتظام التعليم والتربية » يقتضى أن لا يقرأ الصبية كتباً غير الكتب التى يقرها ديوان المدارس . أما السبيل إلى التحقق من هذا كله فزيارات متوالية من مفتشى الديوان وإشراف على امتحان الصبية فى الكتاتيب فى نهاية كل عام .

ثالثاً — ومن المبادئ البارزة التي قام عليها تنظيم الكتاتيب على النحو الذي رسمته لائحة رجب محاولتها ربط المكتب بالبيئة التي يقوم فيها ، ولا شك في أن هذا الارتباط كان موجوداً من قبل ، ولكن اللائحة عملت أن (تنظم) الصلة بين المكتب والبيئة المحلية على نحو جديد يرمى من ناحية إلى أن تتحمل القرية النفقات التي تتطلبها تأسيس مكتب جديد أو إصلاح مكتب موجود وإلى أن يتحمل آباء الصبية نصيباً من مرتبات المؤدين والعرفاء وإن لم تحدد اللائحة مقدار هذا النصيب ، كما يرمى من ناحية أخرى إلى أن يبعث في نفوس الأهالي الشعور بأن هذا المكتب القائم في قريتهم لم ينشأ إلا لخدمتهم ، فيجب أن يعدوه جزءاً من كيانهم يحفلون لنجاحه ويجهدون لتقدمه ، فأعضاء (المجالس) يتفقدون المكاتب ويقررون عن حالتها ، وعلماء الناحية ووجوهها يشتركون في الشهادة للمؤدين والعرفاء كما يشتركون في امتحانات الصبية كل عام ، وأثريائهم يدعون إلى أن يجودوا بالمال لتعليم الفقراء واليتامى من أبناء بلدتهم الخ .

رابعاً — أما الشيء الجديد حقاً فهو أن اللائحة قد جهدت أن تصل ما بين هذا التعليم « الأهل » الممثل في الكتاتيب والتعليم « الأميرى » الممثل في مدارس الحكومة الابتدائية والتجهيزية والخصوصية ، وذلك بأن تجعل اللون الأول من التعليم أساساً ودعامة يستند إليها اللون الثانى ويستمد منه مصدر كيانه ، فرسمت اللائحة بأن التلامذة المنتهين من تلك الكتاتيب يدخلون — إذا شاءوا — فى المدارس الابتدائية الأهلية أو المركزية ومنها إلى المدارس الأميرية التجهيزية فالخصوصية ، وهكذا رمت اللائحة إلى أن تمهد لسد الثغرة — أو الهوة — التي كانت تفصل بين النظام التعليمى الأهلى والنظام التعليمى الأميرى .

ومن تعاون هذين اللوين - أو هاتين المرحلتين - في تعليم ناشئة البلاد يقوم نظام قومي للتعليم المصرى . وعلى هذا النحو رسمت اللائحة الطريق التى يجب أن تتجه إليها جهود المصلحين والمتحدثين على أمور التربية والتعليم فى مصر . وقد أثمرت - على مر الزمن - الدعوة التى توجهت بها اللائحة فى الناحية التى عنيت بها وهى التعليم فى الكتاتيب ، أما ماعدا ذلك من معاهد التعليم «الأهلى» - إن جاز أن نصف الأزهر والمعاهد الدينية بهذا الوصف - فقد جهدت فى المحافظة على شخصيتها ومقوماتها ونجحت فى ذلك إلى الحد الذى نراه ماثلا فى أيامنا هذه ، ولكنها مع ذلك لم تكن بمعزل عن التطورات التى مر بها التعليم الحديث منذ نشأته فى مصر حتى الوقت الحاضر ، فقد أثرت فى هذه التطورات أحيانا وتأثرت بها فى أكثر الأحيان .

هذه هى الأحكام التى جرت بها لائحة رجب بشأن الكتاتيب الأهلية . فلنر الآن حظها من التنفيذ .

والحق أن أكثر النظار الذين تولوا أمر المعارف لم تكن تعوزهم الرغبة الصادقة فى العمل لجعل تلك الكتاتيب إدارة منظمة لنشر التعليم ومقاومة الجهلة .

فشريف باشا كان يزعم الإكثار من المكاتب حتى « لا يكون هناك عذر فى مصر للجيل الناشئ من الذكور والإناث فى عدم معرفة القراءة والكتابة على الأقل » (١) . وقد رأيت أنه فى أواخر نظارته للمعارف (١٨٦٧) بدأت فكرة إصلاح المكاتب الأهلية للاستعانة بها فى نشر التعليم الابتدائى .

أما على مبارك باشا فقد رأينا جهوده فى وضع لائحة رجب وصياغته للأحكام

الخاصة بالمكاتب الأهلية وهى الجزء الرئيسى من اللائحة . وقد ظل على مبارك مخلصاً لسياسته هذه فى كل مرة تولى فيها نظارة المعارف سواء فى عصر إسماعيل أم بعده .

ورياض باشا كانت سياسته ترمى إلى جعل تلك المكتاتيب كلها تحت رقابة الدولة وإلى تحسين إدارة الأوقاف ليستعين بها فى زيادة مرتبات المؤدين ، حتى يستطيع أن يحسن مستوى التعليم بأن يجذب إلى المهنة أفراداً أكثر كفاءة من غير أن يحمل ميزانية الدولة أعباء جديدة^(١) .

على أن هذه الجهود — على قيمتها وما اكتشفها من حسن القصد — لم يتح لها أن تتحقق إلا فى أواخر القرن الماضى ، على النحو الذى سنراه . أما الآن فلنقتصر بحثنا على جهود حكومة إسماعيل فى تنفيذ ما رسمته لائحة رجب خاصة بالمكتاتيب .

بدأ ديوان المدارس فأعد عدته : كون « قومسيوناً » للدارس والمكاتب الأهلية بالديوان ليعرض عليه كل المسائل الخاصة بالمكاتب وخاصة تقارير المفتشين الذين يزورونها ويقررون عن أحوالها التعليمية والصحية^(٢) . وأفرد من أقلامه قلماً خاصاً للمكاتب ليقوم بالتحريات الخاصة بها^(٣) . وأهم من هذا أنه نظم التفتيش عليها : فعين مفتشاً عاماً يساعده (مفتشان) أحدهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى ، وألحق بكل منهما معاونين ، أما التفتيش عن مكاتب القاهرة فيقوم به المفتش العام أو أحد

Mc. Coan, Egypt as it is, p. 225. (١)

(٢) دفتر ١٥٤ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ٦ إلى مديرية القليوبية فى ٢٦ رجب ١٢٨٥

(٣) دفتر ١٤٤ (مدارس عربى) ص ٩١ رقم ٨ إلى مديرية المنيا فى ٢٧ جمادى

الأولى ١٢٨٦ (من قلم المكاتب) .

المفتشين الآخرين (١).

أما التفتيش عن مكاتب الاسكندرية فعهد به إلى أحد أساتذة الرياضة بمدرسة الاسكندرية (٢).

وشرع ديوان المدارس يتصل بالإدارات المختلفة التي يتصل عملها بالمكاتب عن قرب أو عن بعد : فاتصل بالجهات الإدارية كديوان الداخلية وتفتيش عموم الأقاليم ومديرى المديرية لتصدر أوامرها إلى السلطات الإدارية المحلية لمعاونة المفتشين في تفقد مكاتب الأقاليم وتنفيذ ما يرونه من ضرورة إصلاح بعض المكاتب أو إلغاء بعضها الآخر (٣)، « لأن نتيجة هذا تعود على منفعة الوطن والتقدم لأبناء الوطن » (٤). واتصل بمجلس الصحة العام لتنظيم زيارة أطباء الصحة في القاهرة والأقاليم للمكاتب لفحص أبنيتها وحالة تلاميذها الصحية (٥).

واتصل بديوان الأوقاف لينهض إلى إصلاح المكاتب التي تعتمد على أوقاف يديرها الديوان والتي تدعى لذلك (مكاتب الأوقاف) (٦).

-
- (١) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ١١٥ رقم ٦٣٥ إلى حماد بك مفتش المدارس الملكية في ١٥ ربيع الثانى ١٢٨٥
- (٢) دفتر ٤٢٨ (مدارس عربى) ص ١٣١ رقم ١٥١ إلى مدرسة الاسكندرية في ٨ ربيع الاول ١٢٨٧
- (٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٧ رقم ٦ إلى مديرية القليوبية في ٢٦ رجب ١٢٨٥
- (٤) دفتر ٤٢٧ (مدارس عربى) ص ٦ رقم ٢٥٨ إلى مفتش عموم الأقاليم المصرية في ١٩ ذى القعدة ١٢٨٦
- (٥) دفتر ٤٠٧ (مدارس عربى) ص ٩٦ رقم ٢٥ إلى مجلس الصحة في ٢٣ ربيع الثانى ١٢٨٥
- (٦) دفتر ٤١٤ (مدارس عربى) ص ٣ رقم ٤ إلى الأوقاف في ١١ جمادى الثانية ١٢٨٥

وانبث المفتشون في (أقسام) القاهرة وبنادر الأقاليم لزيارة الكتاتيب — سواء كانت للمسلمين أم للأقباط — والتقارير عن أحوالها^(١) . ولسنا نعرف على وجه التحقيق النتائج العملية لهذا التفتيش ، ولكننا نعلم أن حالة هذه الكتاتيب كانت من السوء بحيث رأى المفتشون أن كثيراً منها لا يصلح قط أن يكون أما كن للتعليم فما ترددوا في أن يشيروا بإلغائها وتحويل صليتها إلى الكتاتيب الأخرى إن اتسعت لهم أو إنشاء كتاتيب جديدة . وهاك بعض الأمثلة لذلك :

كان بطنطا ١٦ مكتباً بها ٥٠٠ تلميذ ، رأى المفتش أن ستة مكاتب منها فقط صالحة البناء وبها ٣٨٥ تلميذاً ، أما العشرة الباقية فيجب إلغاؤها وبناء مكاتب جديدة تتسع للتلاميذ الباقين وهم ١١٥ تلميذاً^(٢) .

وفي مدينة الجيزة لم يجد المفتش مكتباً صالحاً ، فأشار بإلغاء مكاتبها جملة وإنشاء غيرها^(٣) .

وفي الفيوم ٢٤ مكتباً أشار المفتش بإغلاق اثني عشر مكتباً منها وإنشاء غيرها^(٤) . وهكذا .

(١) دفتر ٤٣٢ (مدارس عربي) ص ١١ رقم ٢٢ من مديرية الغربية في ٥ صفر ١٢٨٧

(٢) دفتر ٤١٥ (مدارس عربي) ص ٤٤ رقم ٧ إلى مديرية الغربية في ٢٧

١٢٨٥ رجب

(٣) دفتر ٤١٥ (مدارس عربي) ص ٤٥ رقم ١٠ إلى مديرية الجيزة وأطفيح في ٢٠

شوال ١٢٨٥

(٤) دفتر ٤٢٥ (مدارس عربي) ص ٩٣ رقم ٣٢ إلى مديرية بني سويف والفيوم

في ٢٦ جمادى الثانية ١٢٨٦

وكان المفتشون يمنحون أصحاب المكاتب أو المديريات مهلة ستة أشهر ليتم فيها إصلاح المكاتب المحتاجة إلى الإصلاح أو بناء المكاتب الجديدة، حتى إذا عاد المفتش لزيارة المكاتب بعد هذه المهلة وجد كل ما أشار به قد أنفذ. والحق أن المفتشين لم يدخروا وسعاً في النهوض بواجبهم: ففي أقل من أربعة أعوام من صدور اللائحة أتم المفتشون التفتيش على عدد من السكتاتيب بلغ تلامذتها ٤٤,٠٩٥ تلميذاً وهو عدد لم يكن قليلاً بالنسبة لمجموع تلامذة السكتاتيب في مصر، وعلى كواهل المفتشين وبفضل جهودهم تم وضع الإحصاء المفصل للمكاتب في مصر الذي تضمنه الإحصاء العام الذي نشره «دوربك» في سنة ١٨٧٥ .

ولكن الإصلاح المنشود مالبت أن اصطدم بعقبات كان لها الأثر الأكبر أو الأثر كله في تعطيل الجهود ووقف الإصلاح:

العقبة الأولى — المال : فطبعي أن إصلاح المكاتب القائمة وبناء المكاتب الجديدة وتأثيرها واستخدام المؤدين يقتضى المال، وقد رسمت اللائحة — كما رأيت في مواد مختلفة — طرق الحصول عليه، فبعضه من إيراد الوقف إن وجد (المادة ٢٣) وبعضه من أهالى الأطفال أو على (طرف) القرية (المادتان ٢٧ و ٢٨) .

وقد عوّل ديوان المدارس على تنفيذ هذه الأحكام، فكان يطلب إلى المديريات أن تتصل بالقاضى والقمص الموجودين بها للنظر في حالة الأوقاف الأهلية أو الخيرية للاستعانة بها في بناء المكاتب الجديدة^(١)، أو يطلب إلى المديريات أن تعمل

(١) دفتر ٤٢٣ (مدارس عربي) ص ١١٩ رقم ٣٨٣٦ من مديرية بني سويف
والفيوم في ٣ ربيع الثانى ١٢٨٦

لتنفيذ المواد الخاصة بقيام القرى بنفقات مكاتبها^(١).

ولكن هذا المصدر أو ذاك لم يأت بشمرة، فأصحاب المكاتب في إحدى المديريات يتعللون بأنه لا يوجد في بلادهم أوقاف أو مرتبات أهلية أو خيرية يستعان بإيرادها في بناء المكاتب أو إصلاحها^(٢). والأهالي في مديرية أخرى «تضربوا من جسامته (هذا) المبلغ وتكليفهم به» وطلبوا الاقتصار على إصلاح بضعة مكاتب تسكفهم «لحين افتتاح مدرسة الميرى»^(٣). وعلى هذا النحو فشلت الخطة التي رسمتها لائحة رجب، وهي تحميل القرى نفقات المكاتب المنشأة بها، وإنهار بذلك حكم هام من أحكام هذه اللائحة، ووضح أن المشروع أعظم من أن تستطيع القرى أن تنهض به، وأن الأمر يقتضى الحكومة أن تسكرس له جانباً من ميزانيتها أو تنظم له موارد خاصة كما فعلت للمكاتب الأهلية (الابتدائية) بالقاهرة والاسكندرية، وكما ستفعل عند إنشاء مجالس المديريات، فتفرض ضريبة خاصة يخصص إيرادها لنشر التعليم الأولى.

العقبة الثانية — تعيين المؤدين الذين تتوفر فيهم الشروط التي نصت عليها اللائحة، ويظهر أن هذه الشروط كانت — على بساطتها — عقبة في الحصول على المؤدين اللازمين، إذ أنها كانت تتطلب شيئاً جديداً لم يكن موجوداً في فقهاء البلاد في ذلك الوقت: وهو معرفة القواعد الأولية من الحساب. وكان ديوان المدارس يكل إلى

(١) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٤٤ رقم ٧ إلى مديرية الغربية في ٢٧ رجب ١٢٨٥

(٢) دفتر ٤٢٣ (مدارس عربى) ص ١٩٩ رقم ٣٨٣٦ من مديرية بنى سويف

والفيوم في ٣ ربيع الثانى ١٢٨٦

(٣) دفتر ٤٤١ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ٣ من مديرية المنيا وبني مزار في

وجوه الناحية وعلمائها - كالقاضي أو شيخ الجامع الأحمدي مثلاً - أمر اختيار المعلمين « اللاتقين » وإفادة الديوان (١) .

وبذلك كانت صعوبة الحصول على المؤدبين العارفين بالحساب معطلة لتنفيذ إصلاح هام وأساسي في برنامج التعليم بالكتاتيب وهو إدخال مادة الحساب أو باب « العدية » على التخصيص . فأحد المفتشين بعد ثلاث سنوات من وضع اللائحة يقرر أن « معلمى المكاتب - فى إحدى المديريات - فىهم الكفاءة التامة لتعليم القرآن والخط العادى » ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن الحساب (٢) .

وفى المحفل العام الذى عقد بدار العلوم لامتحان تلامذة المكاتب بالقاهرة كانوا يتنافسون « فى تجويد القرآن وكان كل مكتب يفاخر غيره بكثرة شبابه الذين أتموا التجويد ووصلوا إلى غاية إتقانه ، وقد أنشأ ذلك فى الحاضرين ابتهاجا وسروراً » (٣) . وفى سنة ١٨٨٠ ذكر قومسيون تنظيم المعارف فى تقريره أن التعليم فى الكتاتيب مازال مقصوراً على حفظ القرآن والقراءة والكتابة (٤) .

والواقع أن (تقوية) منهج الدراسة بهذه الكتاتيب لم يبدأ إلا بعد ضم كتاتيب الأوقاف إلى المعارف فى سنة ١٨٩٠ . ثم كان من الواضح أنه لا يتسنى إيجاد المعلمين الأكفاء إلا بإنشاء مدارس خاصة لتخريج المعلمين للكتاتيب ، وقد اقترح إنشاءها

(١) دفتر ٤١٥ (مدارس عربى) ص ٤٥ رقم ١٠ إلى مديرية الجيزة وأطفيح فى ٢٠

شوال ١٢٨٥ ، Mc . Coan, op. cit. p 224

(٢) روضة المدارس : العدد ٢ فى غاية المحرم ١٢٨٧

(٣) روضة المدارس : العدد ١٦ فى غاية شهبان ١٢٨٨

(٤) تقرير القومسيون : ص ١١

« قومسيون تنظيم المعارف » في تقريره في سنة ١٨٨٠ (١) ، ولكنها لم تنشأ فعلاً إلا في سنة ١٩٠٤ حين أنشئت مدرسة عبد العزيز للمعلمين بعد عام من إنشاء مدرسة المعلمات ببولاق (٢) .

العقبة الثالثة : كان تفتيش عمال الحكومة على هذه الكتاتيب وتفقد أحوالها بغية الوقوف على حالها من حيث المستوى الصحي والعلمي لتلامذتها ومؤديها شيئاً جديداً لم يألفه أهل البلاد عامة وأصحاب الكتاتيب من الفقهاء خاصة ، وقد عدوه تدخلا (حكومياً) في أخص شؤونهم وأكثرها اتصالاً برزقهم يصحبه ما يصحب التدخل (الحكومي) عادة من إرهاب وعنت . وهم يرون أن هذا التفتيش يتبعه في أغلب الأحيان إغلاق لبعض مكاتبهم ، وفي ذلك ما فيه من تعطيل للمصدر الرئيسي — والوحيد أحياناً — الذي منه يتعيشون (٣) أو تكليفهم ما يطبقون وما لا يطبقون في سبيل (إصلاح) مكاتبهم على النحو الذي يرضى المفتش ، وهم يرون أن المفتشين يستعدون عليهم السلطات الإدارية لتنفيذ ما يشاءون . ويلوح أن بعض المفتشين قد غالى في تقدير مهمته فلجأ إلى العنف لتحقيق ما أراد ، ومن ذلك « حبس الفقهاء وإهانتهم » (٤) ، لهذا لم يكن عجيباً إذا تسامع أصحاب الكتاتيب بوصول المفتش إلى

(١) ص ١١ و ١٢

(٢) وزارة المعارف العمومية : تقرير (عن حركة تطور التعليم الأولى خلال المائة

عام الماضية) ، Robb, op. cit. p. 4.

(٣) دفتر ٤٤٢ (مدارس عربي) ص ١٨٨ رقم ١٤٣٠ من مديرية المنوفية في ٥

المحرم ١٢٨٨

(٤) دفتر ٤٣٤ (مدارس عربي) ص ٩٦ رقم ٢٩ من مديرية الغربية في ٥ جمادى

الثانية ١٢٨٧

بلدهم فأغلقوا مكاتبهم وسرحوا أطفالهم وانصرفوا إلى بيوتهم ، حتى إذا وصل المفتش لم يجد شيئاً (١) . وظلت حالة الحذر هذه قائمة وقتاً طويلاً . ومن ذلك أنه في سنة ١٨٧٥ حين شرع دور بك (المفتش العام) في وضع إحصاء مفصل لكتاتيب المدن والقرى وأنفذ لذلك مفدثيه ليجمعوا له البيانات اللازمة عنها لم يستطع أن يحصل على أرقام مضبوطة ، لأن « مدارس الأقاليم الصغيرة لا تدرك دائماً الغرض من إجراء تفتيش منتظم وكثير منها تختفي (تتوارى) حذراً من كل تجديد » (٢) . ولم يستطع ديوان المدارس — ونظارة المعارف من بعده — أن يتغلب على هذه العقبة إلا بعد جهد وصبر طويلين .

هذه هي العقبات التي صادفها مشروع تنظيم الكتاتيب الأهلية وإصلاحها على النحو الذي رسمته لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧) ولقد كانت كفيلة أن تعوق تنفيذ المشروع في جملته وتفصيله .

(١) دفتر ٤٤٧ (مدارس عربي) ص ٤٣ رقم ٦ إلى مديرية جرجا في ٢٦ شوال ١٢٨٨

(٢) Minist. de l'Instruction Publique, Statist. des Ecoles Civiles. 1875 p. 7.

ومن ذلك أنه في سنة ١٨٩٨ حين سن نظام إعانة الكتاتيب لتشجيع أصحابها ومساعدتهم على رفع مستوى التعليم في مكاتبهم وإصلاح أوضاعها وتوفير أمتعتها كان عدد الكتاتيب الأهلية التي طلبت الإعانة قليلاً بالنسبة لعدد جميع الكتاتيب ، ويرجع ذلك إلى أن الفقهاء على وجه العموم كان عندهم سوء الظن بمشروع الإعانة في مبدأ تنفيذه ، فعوضوا عن أن يمتدحوه بطريقة لتشجيعهم بواسطة المكافأة لأن يؤهلوا أنفسهم تدريجياً إلى تأدية وظيفتهم ، كانوا يظنون أنه وسيلة اتخذتها الحكومة لوضع يدها على كتاتيبهم ، فبناء على هذه الآوهام امتنعوا إلا القليل منهم عن تقديم طلبات الإعانة ، وزارة المعارف العمومية : تقرير عن تطور التعليم الأولي . الخ .

حتى إذا كانت سنة ١٨٧٤ وشرع رياض باشا ناظر المعارف يعاونه دور بك المفتش العام للمدارس والمكاتب في تنظيم التعليم ورفع مستواه بوضع مناهج الدراسة والوائح المنظمة لقبول التلاميذ في المدارس وتحديد واجبات النظار والمعلمين ووضع مشروع لإنشاء مدرسة للمعلمين (١) ... الخ كان من الطبيعي أن لا يغفلا أمر التعليم في الكتاتيب وهو الأساس الذي يجب أن يقوم عليه كل نظام تعليمي قومي، فنشط المفتشون للتفتيش ونشط الديوان إلى الاتصال بالسلطات الإدارية ووضع إحصاء للكتاتيب في جميع أنحاء البلاد (٢). على أن الأمر لم يتعد حد التفتيش وكتابة التقارير ودعوة السلطات الإدارية إلى معاونة (المدارس) في رفع المستوى العلى والصحي للكتاتيب (٣). على أنا لا نرى أن هذا كله قد ذهب عبثاً، فإذا كانت الدعوة إلى الإصلاح لم تثمر في وقتها، إلا أنها لا شك قد نهت الأذهان إلى ضرورة السعى لرفع الكتاتيب من الوهدة التي كانت متردية فيها ووضعت بذلك الأساس لمجهود الحكومات والأفراد، ويكفي أنها وضعت ذلك المبدأ الذي ستقوم عليه كل المحاولات والمجهود : وهو مبدأ إخضاع الكتاتيب لرقابة الدولة على اعتبار أنه السبيل الوحيد

(١) انظر فيما سبق ص ٦٧ — ٧٤

Ministère de l'Instruction publique, Statistique des Ecoles Civiles. 1875. (٢)

Ecoles primaires arabes inspectées dans les grandes villes et les provinces. pp. 17 — 135.

(٣) دفتر ٤٧٠ (مدارس عربى) ص ٩٦ رقم ٤٤ إلى مديرية الغربية في ١٣ جمادى الأولى ١٢٩١ : من تقرير المفتش عن مكاتب الغربية في يونية ١٨٧٤ أى بعد سبع سنين من لائحة رجب . وأنه وجد إدارتها في طريقة غير مستقيمة الأحوال خصوصاً نظافتهم (كذا) وإقامتهم بمحلات وخيمة غير لائقة بالصحة البشرية كما وعدم التفات الخوجات للتعليم ...

لرفع مستواها العلى والصحى واتخاذها أداة صالحة لنشر التعليم الأولى فى البلاد، كما أن عناية الحكومة بالكتاتيب واعتبارها إياها المصدر الذى يمول مدارسها الأميرية بالتلاميذ المبتدئين واهتمام الحكومة بحياة التلاميذ الصحية والتعليمية بتلك الكتاتيب كل هذا لا شك كان حافزاً على زيادة إقبال الناس على تعليم أبنائهم بها، ومن ثم كانت الزيادة المطردة فى عدد تلاميذ الكتاتيب كما نرى فى الإحصاءات التالية التى جمعناها أو استنتجناها من مصادر متعددة :

سنة	(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)	(٨)	(٩)
١٨٦٩	١٨٧١	أوائل	نهاية	١٨٧٤	أوائل	١٨٧٤	١٨٧٥	١٨٧٨	١٨٨٦
١٨٧٣	١٨٧٣	١٨٧٣	١٨٧٣	١٨٧٣	١٨٧٥	١٨٧٥	١٨٧٥	١٨٧٨	١٨٨٧
عدد الكتاتيب	—	١,٢١٩	٢,٠٦٧	٢,٦٢٤	—	٣,٧٠٨	٤,٦٨٥	٥,٣٧٠	٧,١٤٢
عدد المعلمين	—	—	٢,٠٧٧	٢,٦٩٦	—	٣,٨٣٦	٤,٨٨١	٥,٧٢٥	٧,٧٦٤
عدد التلاميذ	٦٠,٠٠٠	٤٤,٠٩٥	٦٩,٨٥١	٨٢,٢٥٦	٩٠,٠٠٠	٩٨,٣٠٨	١١١,٨٠٣	١٢٧,٥٥٣	٢٠,١٢١

(١) De Régný, Statistique 1870. p. 91, Notice sur les établissements d' Instruction Publique en Egypte 1869. p. 9.

(٢) De Régný, Statistique 1872 P. 109, Dor , L' Instruction Publique en Egypte P. 379

وقد أضاف دور إلى هذا العدد مدارس للسوريين والأرمن وبها ١٠٤ تلاميذ — ولكن عند ترزيع الكتاتيب على المحافظات والمديريات اختلف المصدران. وإحصاء سنة ١٨٧١ هو أول إحصاء للكتاتيب موزعة على القاهرة والاسكندرية والمحافظات والمديريات .

(٣) De Régný. Note statistique sur les Progrès des Ecoles en Egypte.

(N. 13. 1875. pp. 234—237.)

تابع صفحة ٣١٧

سنة ١٨٧٨ (٤)						سنة ١٨٧٥ (٣)			سنة ١٨٧٣ (٢)			سنة ١٨٧١ (١)					المحافظات والمديريات
عدد التلامذة من كل ألف شخص	عدد الأهالي للكتب الواحد	عدد السكان	متوسط عدد التلاميذ بالمكتب	عدد التلاميذ	عدد المكاتب	عدد التلاميذ	عدد المعلمين	عدد المكاتب	عدد التلاميذ	عدد المعلمين	عدد المكاتب	عدد القرى لكل مكتب	عدد الأشخاص بالنسبة للتلميذ الواحد	عدد الأهالي لكل مكتب	عدد التلاميذ	عدد المكاتب	
٢٦	١١٧٨	٣٢٧٤٦٢	٣١	٨٥٦٥	٢٧٨	٨٨٧٥	٢٧٥	٢٦٥	١٠٥٧٧	٣٣٢	٢٨٥	—	٦١	٢٠٣٤	٩٧٧٩	٢٩١	القاهرة وضواحيها
٢٦	٩١١	١٦٥٧٥٢	٢٤	٤٣١٦	١٨٢	٣١١٤	٢١٢	١٣٧	٢٢٠٦	١٣٧	١٢٧	—	٨٥	٦٠٨٧	٣٢٨٤	٤٦	الاسكندرية
٤٢	٩٩٢	٣٢٧٣٠	٤٢	١٣٩٢	٣٣	١٤٣٠	٢٨	٢٨	١٤٣٠	٢٨	٢٨	—	—	—	—	—	دمياط
١٢	١٤٧٧	١٦٢٤٣	١٨	٢٠٢	١١	٣٧٦	١٢	١٢	٥٣٨	١٤	١٤	—	٧٨	٢١٤٣	٣٨٥	١٤	رشيد
٥٢	٧٥٥	١١٣٢٧	٣٩	٥٨٧	١٥	٣٦٣	١١	١١	٣٦٣	١١	١١	—	—	—	—	—	السويس
٨٠	٤٢٨	٣٨٥٤	٣٤	٣١٠	٩	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	بورسعيد
٧٥	٤٧٤	١٨٩٧	٢٦	١٠٤	٤	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	الاسماعيلية
٢٧	٨٦٥	٢٣٨٥٩٠	٢٤	٦٥٠٣	٢٧٥	٤٦٠٦	١٨٩	١٨٩	٥٤٣٢	١٩٥	١٩٥	—	—	—	٥٨٢	٢١	البحيرة
٣٥	٧٥٤	٤٨٤٥٥٠	٢٦	١٦٩٣٦	٦٤٢	١٤١٩٥	٦٦٦	٦٣٠	١١٧٥٥	٢٧٦	٢٧٦	٢١	٢٧	١٥٨٣	٦٢٣٠	١٤٤	المنوفية
٣٢	٧٥٨	٤١٤٤٧٠	٢٥	١٣٤٢٥	٥٤٧	٩٢٦٠	٥١١	٥٠٧	٢٤٦٧	١٠٨	١٠٨	٢١	٢٤٣	١٠٦٠٦	١٠١٩	٣٣	الشرقية
٢٦	٨٩٥	٥٣١٩٥٤	٢٣	١٣٥٨١	٥٩٤	١٠٥٠١	٤٤٢	٤٤٠	٩٤٢٢	٣٢٥	٣٢٦	٦	١٢٤	٣٧٥٠	٢٦٥٦	٨٨	الدقهلية
٣٤	٦٨٤	٦٧٨٩٧٩	٢٣	٢٢٦٩٣	٩٩٣	١٦٤٠٩	٩٦٢	٩٥٥	٥٦٨٣	٢٥٠	٢٥٠	—	—	—	٢٦٦١	١١١	الغربية
٢٧	٨٦٧	٢٠٥٣٨٠	٢٤	٦٦٣٥	٢٣٧	٥١٢٣	٢٠٥	١٩١	٣٠٨٢	١٣٧	١٣٧	٥	١٧٣	٣٨٦٤	٩٨٢	٤٤	القليوبية
٢٠	١١٥٩	٢٧٠٠٧٢	٢٣	٥٣١١	٢٣٣	٤١٩١	١٧٤	١٦٦	٤٢٣٤	١٦٧	١٦٧	٢٠	٣٦١	٨٦٩٦	٥٥٤	٢٣	الجيزة
٢٥	١١٥٤	١٤٠٨٤٨	٢٨	٣٤٩٦	١٢٢	٢٦٠١	٨١	٧٩	٢٣٧١	٨٢	٧٨	١٣	١٠٠	٤٨٧٨	٢٤٩١	٨٢	بنى سويف الفيوم المنيا أسيوط
١٥	١٧٠٢	١٧٣٦٥٥	٢٥	٢٦٢٩	١٠٢	٢٦٩٤	١٠٤	١٠٤	٢٣٠٠	٧٣	٧٣	—	—	—	—	—	
١٦	١٦٠٥	٣٣٨٦١٦	٢٦	٥٥٠٣	٢١١	٤٦٥١	١٩٥	١٨٨	٤٦٥١	١٩٥	١٧٨	٢٢	٢٤٨	٩٢٦٨	١٥٣٠	٤١	
١٩	١٢٩٣	٤٦١٦٧٩	٢٥	٩٠٤٦	٣٥٧	٨٤٨٣	٣٠٠	٢٨٣	٧٦٠٥	١٥٠	١٥٠	٥	٥٣	٢٦٢٤	٧٨١٢	١٥٧	
٢١	١٥٤٧	٤١٧٨٦٩	٣٣	٨٩٢٠	٢٧٠	٧٦٣٦	٢٦٣	٢٥٧	٥٧٥٠	١٦٤	١٦٤	٤	٩٠	٢٩٨٤	٤١٣٠	١٢٤	جرجا
١١	٢٩٨٣	٣١٠٢٥٧	٣٣	٣٥٠٦	١٠٤	٣١٧٥	١١٦	١١٣	٢٣٩٠	٥٨	٥٨	—	—	—	—	—	قنا
١٨	١٨٦٥	٢٨١٥٩٣	٣٢	٤٩٠٣	١٥١	٤١٢٠	١٣٥	١٣٠	—	—	—	—	—	—	—	—	إسنا
٣٠	—	٥٥١٠٢٨٣	٢٦	١٣٧٥٥٣	٥٣٧٠	١١١٨٠٣	٤٨٨١	٤٦٨٥	٨٢٢٥٦	٢٦٩٦	٢٦٢٤	—	—	—	٤٤٠٩٥	١٢١٩	المجموع

(١) Dor, op cit. p. 379 ويتفق معه Statistique, P.72: في مجموع عدد التلاميذ (٤٤٠٩٥) بعد انقاص تلامذة المكاتب السورية والأرمنية التي

ذكرها إحصاء دور بك ولكنهما يختلفان في توزيع التلاميذ على المحافظات والمديريات ، وقد اعتمدنا هنا على إحصاء دور بك لأنه أكثر تفصيلا . ويلاحظ أن هذا الإحصاء ينقصه مكاتب محافظتي دمياط والسويس ومديرتي قنا واسنا ومكاتب (مراكز) مديرية البحيرة .

(٢) Programmes et tableaux Statistiques.

(٣) Statistique des Ecoles Civiles. 1875.

(٤) تقرير قومسيون تنظيم المعارف ص ٨

والإحصاء التالى يبين عدد المكاتب وتلاميذها موزعة على المحافظات والمديريات :

== De Régny Bey له إحصاء آخر للكتاتيب فى سنة ١٨٧٣ (Statistique 1873) ذكر فيه أنها كانت ٢٢٠٦٧ كتاباً بها ٢٣٨١ معلماً و ٧٧٢٩٢ تلميذاً ، إذا أنقصنا منهم معلى الأزهر (٣١٤) وطلبته (٩٤٤١) كان عدد معلى الكتاتيب ٢٠٦٧ معلماً وعدد تلاميذها ٦٧٨٥١ تلميذاً .

(٤) المصدر السابق Programmes, des Ecoles du Gouvernement et tableaux Statistiques. 1873.

وهذا الإحصاء مفصل أيضاً إذ فيه عدد الكتاتيب بالمحافظات والمديريات .

(٥) وثيقه بقسم المحفوظات بعابدين Pall Mall Budget 28 Aout 1874.

(٦) De Régny, Note Statistique sur les Progrès des Ecoles.

ونتيجة إحصائية عمومية للدارس والمكاتب بالقطر المصرى عن سنة ١٢٩٢ هـ

(١٨٧٥) ص ٣٤٦ ونشر بالفرنسية بعنوان : —

Ministère de l' Instruction Publique. Statistique des Ecoles Civiles 1875.

وهو الإحصاء المفصل جداً الذى وضعه دوربك المفتش العام للدارس والمكاتب ونشره فى القاهرة فى ديسمبر ١٨٧٥ مع مقدمة بقلبه .

(٧) المصدر السابق

(٨) تقرير قومسيون تنظيم المعارف (سنة ١٨٨٠) ص ٦ ، E. Plauchut : l' Egypte ،

et l'Occupation anglaise, 1889. p. 231.

(٩) Minist, de l' Instruction publique. 3 ième rapport. 1887. p. 198.

وواضح أن إحصاء سنة ١٨٦٩ ليس دقيقاً بل هو مبالغ فيه كثيراً. أما إحصاء سنة ١٨٧١ وهو الذى نشره فى سنة ١٨٧٢ « دور بك » فى كتابه عقب حضوره إلى مصر لأول مرة كما أورده « De Régný » فى إحصاءاته التى نشرها فى سنة ١٨٧٢ فهو أول إحصاء (رسمى) وضعه ديوان المدارس بناء على تقارير مفتشيه عن زياراتهم للكتاتيب ثم رفعه إلى الخديو مع بيان آخر بعدد تلامذة الكتاتيب الذين امتحنهم مندوبو الديوان فى القاهرة والاسكندرية ^(١) . ولكن إحصاء سنة ١٨٧١ غير كامل إذ تنقصه كتاتيب مديرتى قنا وإسنا ومراكز مديرية البحيرة كما تنقصه أيضاً كتاتيب دمياط والسويس وبورسعيد والإسماعيلية، ويبدو أن (التفتيش) لم يكن قد وصلها بعد .

أما إحصاء أواخر سنة ١٨٧٣ فقد نشره ديوان المدارس ضمن بيان باللغة الفرنسية عن برامج الدراسة فى المدارس المختلفة — الأميرية والأهلية — وعدد تلامذتها وقد جاء — كإحصاء السنة السابقة — مفصلاً. فالكتاتيب موزعة فى القاهرة والإسكندرية على (أقسامها أو أثمانها) وفى المديريات على قاعدة المديرية ومراكزها، وزاد على إحصاء السنة السابقة أنه لم يكتف بعدد الكتاتيب وعدد التلاميذ بل زاد عليها عدد المعلمين ومكاتب مديرية البحيرة كلها ودمياط والسويس ومديرية قنا .

أما إحصاء أوائل سنة ١٨٧٥ فقد نشره (De Régný Bey) فى بيان وضعه على سبيل المقارنة بغية إظهار تقدم التعليم فى مصر — مدعماً بالأرقام — من أوائل

(١) دفتر ٤٤٨ (مدارس عربى) ص ١٩٦ رقم ١٦ إلى المعية السنية فى ١٧

سنة ١٨٧٣ إلى أوائل سنة ١٨٧٥ ، واكتفى فيه بعدد الكتاتيب والمعلمين والتلاميذ من غير أن يتكلف عناء توزيعهم على المحافظات والمديريات .

أما إحصاء سنة ١٨٧٥ فهو بلا شك أكثر الإحصاءات السابقة دقة ، ولا غرو فهو ثمرة التفتيش الذى نظمه ديوان المدارس لأول مرة عقب صدور لائحة رجب سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) ثم عاد فانتعش بتولى دور بك رياسته فى مارس ١٨٧٣ . وقد نشر دور بك إحصاءه العام عن المدارس والمكاتب الأميرية والأهلية والأزهر ومدارس الجاليات الأجنبية والطوائف غير الإسلامية باللغتين الفرنسية والعربية فى ديسمبر ١٨٧٥ ووضع له مقدمة قصيرة (وتلاحظ هنا أن ترجمتها العربية التى نشرت فى نسخة الإحصاء العربية غير دقيقة بل وفيها أخطاء كثيرة) . ويمتاز البيان الخاص بالكتاتيب بأنه اشتمل - لأول مرة - على إحصاء كتاتيب مديرية إسنا وتلامذتها ومعلميها « بناء على ما حصل الآن من إتمام التفتيش على المكاتب بالأقاليم والمحافظات بالقطر المصرى من إسكندرية إلى وادى حلفا » ، كما يمتاز بالتفصيل التام : فقد أورد المكاتب مكتباً مكتباً مقرونة بأسماء أصحابها أو فقهاءها ، ولهذا فقد استغرق إحصاء الكتاتيب الشطر الأكبر من هذا الإحصاء العام . على أن هذا الإحصاء - كما ذكر دور بك نفسه - ليس دقيقاً كل الدقة للأسباب التى أبداها وسندكرها بعد قليل .

وبلى ذلك الإحصاء الذى وضع فى سنة ١٨٧٨ واعتمد عليه « قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ » ونشره فى تقريره الذى صدر فى نوفمبر من هذه السنة ، ولم يرد به عدد معلمى الكتاتيب ، ولكنه - بمقارنة عدد الكتاتيب وتلامذتها بعدد السكان فى كل محافظة ومديرية - أتى ببيانات طريفة : كمتوسط عدد التلامذة فى المكتب ومتوسط عدد الأهالى للمكتب الواحد وعدد التلامذة من كل ألف من الأهالى ، وقد نقلنا هذه البيانات فى الإحصاءات التى أوردناها .

والمتتبع لهذه الإحصاءات — في سني ١٨٧١ و ١٨٧٣ و ١٨٧٥ و ١٨٧٨ — يستطيع أن يلاحظ الملاحظات التالية :

أولاً — يلاحظ أن العمل في المكتب كان يقع في الغالب على كاهل معلم واحد . فقد رأيت أن عدد الكتاتيب في إحصاء سنة ١٨٧٨ بلغ ٥٣٧٠ كتاباً وعدد معلميها ٥٧٢٥ معلماً ، فيخص كل ١٠٠ كتاب ١٠٦ من المعلمين . والواقع أنه لم يكن ثمة إرهاب لهُؤلاء المعلمين ، فقد كان متوسط عدد التلاميذ بالمكتب ٢٦ تلميذاً وهو عدد معقول نجده في كثير من البلاد الأجنبية ، كما يظهر من الإحصاءات التي نشرها تقرير قوميون سنة ١٨٨٠ .

ثانياً — نلاحظ الزيادة المطردة في عدد الكتاتيب وتلاميذها ومعلميها ، فقد بلغت هذه الزيادة :

الزيادة في عدد	بين سني ١٨٧٣ — ١٨٧١	بين سني ١٨٧٥ — ١٨٧٣	بين سني ١٨٧٨ — ١٨٧٥
المكاتب	١,٤٠٥	٢,٠٦١	٦٨٥
التلامذة	٣٨,١٦١	٢٩,٥٤٧	٢٥,٧٥٠
المعلمين	غير معروف في ١٨٧١	٢,١٨٥	٨٤٤

أو بعبارة أخرى تكون الزيادة في عدد الكتاتيب وتلاميذها في عصر إسماعيل ، أو بعبارة أدق منذ نظم التفتيش ووضع أول إحصاء رسمي في سنة ١٨٧١ إلى سنة ١٨٧٨ أي قبل انتهاء حكم إسماعيل بعام واحد : ٤,١٥١ مكتباً و ٩٣,٤٥٨ تلميذاً .

أما في السنوات التسع التالية لإحصاء سنة ١٨٧٨ فقد زادت عدد المكاتب ١,٧٧٢ مكتباً، ولكن نقص عدد التلامذة ١٧,٤٣١ تلميذاً وهو نقصان لا نجد ما يبرره .
ويظهر اطراد الزيادة في عدد المكاتب من دراسة عدد الأهالي بالنسبة إلى عدد المكاتب في محافظتهم أو مديريتهم في أول عام وآخر عام وضع فيه إحصاء رسمي في عصر إسماعيل ، أى في عامي ١٨٧١ و ١٨٧٨ :

المحافظة أو المديرية	عدد الأهالي للمكتب الواحد	
	سنة ١٨٧١	سنة ١٨٧٨
القاهرة	٢٠٣٤	١١٧٨
الإسكندرية	٦٠٨٧	٩١١
الدقهلية	٣٧٥٠	٨٦٧
المنوفية	١٥٨٣	٧٥٤
المنيا	٩٢٦٨	١٦٠٥

وهكذا . ومن هذه الإحصاءات ترى أن أكبر زيادة في عدد الكتاتيب كانت بين سنتي ١٨٧٣ و ١٨٧٥ ، ونستطيع أن نعلل هذه الزيادة بما يلي :

(١) دقة الإحصاء العام الذي تم في سنة ١٨٧٥ بالنسبة إلى الإحصاءات السابقة ولو أن دور بك نفسه يذكر — في مقدمة هذا الإحصاء — (١) أن عدد الكتاتيب أقل من الحقيقة لسببين :

الأول : انعدام المعلومات الكافية ، لأن أصحاب الكتاتيب في المديريات لم يفهموا

الغرض الحقيقي من التفتيش ، ولهذا لم تظهر في الإحصاء ككتائب كثيرين منهم .

والآخر أن التفتيش على أكثر من مديرية حدث في وقت جنى المحصول أو ارتفاع فيضان النيل حين خرج الأهالي جميعاً إلى الحقول أو إلى جسور النيل ، ولهذا فإن عدد التلاميذ في هذا الإحصاء (سنة ١٨٧٥) جاء أقل من الحقيقة بكثير .

(٢) انتهاء التفتيش على مكاتب القطر جميعاً (من الإسكندرية إلى وادي حلفا كما ذكر دور في مقدمة الإحصاء) ، ولم تكن مكاتب الصعيد الأعلى قد أحصيت في الإحصاءات السابقة .

(٣) ونعید هنا ماسبق أن ذكرناه من أن عناية حكومة إسماعيل بالكتائب الأهلية وسعيها إلى رفع مستواها الصحي والتعليمي حتى يفيد التلاميذ من ترددهم عليها الفائدة المرجوة قد أدى إلى أن تبدأ هذه الكتائب في عهد إسماعيل حياة جديدة ، فأخذت تجذب إليها تلاميذ أكثر من ذي قبل وأقدم (فقهاء) كثيرون على فتح مكاتب جديدة ، ومن هنا كانت الزيادة المطردة في عدد المكاتب وتلامذتها ومعلميها .

(٤) هذا إلى أن الحكومة قد رفعت مستوى الدراسة بالمدارس الابتدائية سواء الأميرية أو الأهلية فجعلتها — على حد تعبير تقرير قوميون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ — مدارس ابتدائية راقية أو عالية وألزمت تلامذتها المبتدئين معرفة القراءة والكتابة وقليل من الحساب^(١) ، ويستطيع التلميذ أن يتلقى هذه (المبادئ)

(١) لم يكن يشترط في تلامذة المدارس والمكاتب الابتدائية التي أنشأتها حكومة محمد علي معرفة القراءة والكتابة ، بل كانوا كما قالت لائحة تنظيم التعليم الابتدائي في سنة ١٨٣٦ « مبتدئين عجم » ، ولذلك فإن مستوى الدراسة فيها لم يكن يعلو كثيراً على مستوى الكتائب الأهلية (انظر كتابنا : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ١٤٧ ، ص ١٧٤)

في بيته ، ولكنه يتلقاها في الغالب على أيدي (فقيه) في أحد الكتاتيب المنتشرة في المدن والقرى ، وقد رأيت أن لائحة رجب (المادتان ١٨ و ٣٢) قد أذنت لمن يشاء من صبية الكتاتيب المنتهين أن يلتحقوا بالمدارس الأميرية . وبذلك (نظمت) الصلة بين الكتاتيب الأهلية والمدارس الأميرية وزاد إقبال الأهالي على تعليم أبنائهم بالكتاتيب لتعدهم للحاق بالمدارس الأميرية .

(٥) ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم أن نشاط الحركة التعليمية في البلاد كلها — ويتمثل في افتتاح المدارس الأميرية وتنظيم المكاتب الأهلية والسعي إلى إصلاح الأزهر والكتاتيب وازدياد المدارس الأجنبية وانتشار الصحف والكتب وبقظة الرأي العام أُلح — هذا كله لاشك قد نبه أذهان المصريين إلى العمل على تعليم أبنائهم وليس أمامهم من معاهد لتلقين التعليم (الأولى) سوى هذه الكتاتيب التي تقوم بينهم منذ عهد بعيد والتي يتمتعون فيها (بحرية) لا يجدونها في غيرها ، إذ لا يحفزهم على موالاة التعليم فيها أو الانقطاع عنه سوى مطلق الرغبة وتوفر أسباب الرزق ، وهكذا أصاب الكتاتيب الأهلية حظ كبير من النهضة التي أصابت التعليم في مصر على وجه العموم .

ثالثاً — على أن نلاحظ أنه بالرغم من هذه الزيادة المطردة فإن انتشار الكتاتيب في المدن والقرى كان بطيئاً :

ونعتمد في بيان ذلك على آخر إحصاء في عهد إسماعيل وهو إحصاء سنة ١٨٧٨ : ففي هذا الإحصاء قدر أن لكل ١٠٢٨ نفساً من الأهالي مكتب واحد ^(١) ، وكانت

(١) ويقرب من هذه النسبة من الدول الأوروبية (في ذلك الوقت) هولندا (لكل ١٠٣٥ نسمة مدرسة) واليونان (١٠٦٢) وأكثر من ذلك النمسا والمجر (١٢٧٦) =

نسبة عدد التلاميذ إلى عدد الأهالى تتراوح بين ٨٠ فى الألف (أى ٨٠ تلميذا بين كل ألف من الأهالى (فى بورسعيد) و ١١ فى الألف (فى قنا). ويمكن ترتيب المحافظات والمديريات بنسبة انتشار التعليم فيها كما يلى :

المحافظة أو المديرية	النسبة	المحافظة أو المديرية	النسبة
بورسعيد	٨٠ فى الألف	الاسكندرية	٢٦ فى الألف
الاسماعيلية	٧٥ »	الدقهلية	٢٦ »
السويس	٥٢ »	بنى سويف	٢٥ »
دمياط	٤٢ »	جرجا	٢١ »
المنوفية	٣٥ »	الجيزة	٢٠ »
الغربية	٣٤ »	أسيوط	١٩ »
الشرقية	٣٢ »	إسنا	١٨ »
البحيرة	٢٧ »	المنيا	١٦ »
القليوبية	٢٧ »	الفيوم	١٥ »
القاهرة	٢٦ »	رشيد	١٢ »
		قنا	١١ »

والمتوسط العام ٣٠ تلميذا من كل ألف من الأهالى .

= والروسيا (٢٣٠١) . وأكثر دول أوروبا من حيث عدد المدارس النرويج : فلكل ٢٨٠ نفسا من أهلها مدرسة وفى إنجلترا ٥٨٢ وفى فرنسا ٥١٨ (انظر تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى ١٨٨٠ ص ٩ — ١٠)

وبإيجاد النسبة بين عدد التلاميذ في ذلك الإحصاء (في سنة ١٨٧٨) وهو ١٣٧,٥٥٣ تلميذا وعدد المكاتب وهو ٥٣٧٠ مكتباً ومجموع عدد السكان وهو ٥,٥١٠,٢٨٣ نسمة يكون متوسط كل مكتب ٢٥ أو ٢٦ تلميذا فقط ، ويكون لدينا تلميذ واحد بين كل ٤٠ نفساً من الأهالي ، وإذا قدرنا — مع دوربك — أن عدد الأطفال الذكور الذين بلغوا سن الدخول في المدارس بلغ ٣٣٤,٠٠٠ طفل نرى أن ٤١٪ منهم يتلقون مبادئ التعليم الأولى وأن ٥٩٪ منهم محرومون منها . ويجب أن لا يغرب عن البال — حين تقدير نسبة المتعلمين إلى مجموع الأمة في ذلك الوقت — أن نحو نصف مجموع الأمة ويتكون من الإناث كان محروما من تلقى أى تعليم

الفصل الخامس

مشروع التعليم القومى

(مقترحات قومسيون تنظيم المعارف لتنظيم التعليم الابتدائى فى سنة ١٨٨٠)

وعلى هذا النحو كان التعليم الابتدائى - الأولى فى عصر إسماعيل وكانت معاهده .
وقد رأيت أنها لم تكن كلها من نوع واحد أو فى مستوى واحد .
فهناك أولا :

المدارس الابتدائية (الراقية أو العالية) وتنظم أنواع متعددة :

(١) المدرستان الأميريتان فى القاهرة والإسكندرية ، وقد حولت المدرسة
الآخيرة إلى مكتب أهلى فترة من الزمن .

(٢) المدارس المركزية فى بنها وأسيوط وبنى سويف والمنيا والفشن .

(٣) المكاتب الأهلية الآتية بالقاهرة : القرية والجمالية وباب الشعرية
ومصر القديمة والحسينية وعابدين .

ويصرف على المدارس المركزية والمكاتب الأهلية من إيرادات المكاتب الأهلية
وأهمها إيراد جفلك الوادى .

(٤) المكاتب الأهلية التى ينفق عليها من ديوان الأوقاف وهى : رشيد والحبانية
والشيخ صالح وشيخون وأبو العلا وقلاوون والإمام الشافعى والسيدة زينب (السلطان
مصطفى والسلطان قايد باى) .

(٥) مكتبان ينفق عليهما من الروزنامة عن طريق ديوان الأوقاف : وهما مكتب العقادين والنحاسين .

(٦) مكاتب ينفق عليها مؤسسوها من مالهم أو أوقافهم الخاصة : وهى أم عباس باشا و خليل باشا وحافظ باشا بالقاهرة و راتب باشا بالإسكندرية .

ولم يكن التباين فيما بينها قاصراً على اختلاف مواردها المالية بل كان موجوداً أيضاً فى مستوى التعليم بها ، وقد رأيت ما كان بينها من اختلاف كبير فى هذه الناحية .

وهناك ثانياً — الكتاتيب : ويدعوها تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ (مدارس التعليم الابتدائى ذى الدرجة الثالثة) وباللغة الفرنسية (Enseignement primaire du degré Inférieur) تمييزاً لها عن المدارس الابتدائية الراقية أو العالية (Supérieures) . وقد رأيت كيف حاولت لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧) أن تدخل هذه الكتاتيب الأهلية فى نظام التعليم العام ، وذلك بجعلها الأساس الذى يقوم عليه هذا النظام واستخدامها أداة لنشر التعليم فى مصر ، ورسمت لهذا إخضاعها لرقابة الدولة ممثلة فى ديوان المدارس تمهيداً لإصلاحها ورفع مستواها الصحى والتعليمى . وقد رأيت أن هذه الجهود الإصلاحية لم تؤت ثمرها وأن هذه المكاتب فى سنة ١٨٨٠ لم تتغير كثيراً عما كانت عليه فى الوقت الذى صدرت فيه لائحة رجب ، فإن التعليم فى الكتاتيب لم يسم — فى خطا الدراسة أو معلميه — إلى الدرجة التى تؤهله لإعداد تلامذته إعداداً حسناً للمدارس الابتدائية فالتجهيزية والعالية و « ظلت الهوة القائمة بين نظامى التعليم : العربى القديم والأوروبى الحديث من

الاتساع بحيث أن أحداً منهما لا يستطيع أن يمد يديه للآخر ويعملا متفقين جنباً إلى جنب .

وهكذا أصبح نظام التعليم — على حدّ تعبير دوربك — يشبه الدرج الذى ينقصه عدة (درجات) لا يستطيع التلميذ اجتيازها بدون مساعدة خارجية وبدون أن يقف قليلاً ليستعيد نشاطه قبل الاستمرار فى الصعود (١) .

وقد زار « دور » مصر فى الفترة التى تلت وضع لائحة رجب ، وعنى بدراسة نظام التعليم الأولى فى مصر فقرر الحقائق التى أسلفنا ، وخرج من دراسته إلى أن العيب الأساسى أن مصر لا تملك نظاماً للتعليم بالمعنى القومى ، فلا التعليم فى الكتاتيب ولا التعليم فى المدارس الابتدائية التى أنشئت على النسق الأوروبى يحقق شيئاً من ذلك ، وفى رأيه أن مصر يجب أن تقيم على أنقاض هذين النوعين من التعليم نظاماً تعليمياً « لاهو بالعربى ولا هو بالأوروبى ، بل هو قومى ثابت أصوله فى ثرى مصر نفسها » (٢) . وأدرك دور أن هذا المشروع العظيم يحتاج إلى المال والرجال . أما عن المال فقد قرر أن الحكومة المصرية يجب أن لا تتقهقر أمام أية تضحية فى سبيل تعميم التعليم الأولى بين الشعب ، وأن تعود الشعب على أن يسعى إلى التعليم بنفسه من غير أن يفرض عليه (من فوق) ، فإن يكون للتعليم أساس قومى إلا حين يدرك الشعب قيمته ويجعل منه مسأله ومملكه وأن يكون على استعداد لعمل كل شئ فى سبيل تقدمه ودفع الأذى

(١) Dor, L' instruction publique en Egypte p. 301—303.

(٢) الأستاذ شفيق بك غربال . خبير سويسرى فى خدمة التعليم المصرى فى عهد اسماعيل ف . إدوار دوربك (مجلة التربية الحديثة . السنة العاشرة . العدد الرابع فى ابريل ١٩٣٧ ، ص ٣٧٧ — ٣٨٢) .

عنه كأمّن شيء يملكه (١).

أما عن الرجال - ونقص المعلمين الكفاة للنهوض بالتعليم الأولى - فقد اقترح دور لإعدادهم إنشاء مدرسة مركزية ومدارس فرعية للمعلمين . حتى إذا حققت مصر هذا كله حق لها أن تقرر مبدأ التعليم الإلزامي .

ووضع دور بك - المفتش العام للدارس والمكاتب - نصب عينيه أن يتدبر الوسائل التي يحقق بها مشروعه في إنشاء نظام التعليم الأولى القومي ، ولكن لم يتح له أن ينهض لتحقيق هذا الإصلاح الجوهري إلا في السنة الأخيرة من حياته (سنة ١٨٨٠). في سنة ١٨٨٠ تولى رياض باشا رئاسة الوزارة وكان على إبراهيم باشا ناظراً للمعارف وعبد الله باشا فكري وكيلها ، وكان دور بك قد عاد إلى منصبه في رئاسة التفتيش بالمعارف بعد عزله منه في ٨ أبريل ١٨٧٩ . وكان لكل منهم خبرته الخاصة بمسائل التعليم ، وهكذا تضافرت الجهود لوضع سياسة التعليم في مصر ونظمه على أساس سليم من الحاجة القومية . واستعين على ذلك بتكوين « قومسيون » أو لجنة لتنظيم التعليم ، وكان دور بك من أعضائها البارزين الذين اشتركوا بنصيب كبير في توجيهها ، ولكنه مات قبل أن تتم اللجنة وضع تقريرها .

وكان طبعياً أن يشغل التعليم الابتدائي - وهو الأساس الذي يقوم عليه أي نظام تعليمي - الجانب الأكبر من اهتمام ناظر المعارف وأعضاء اللجنة : رأى ناظر المعارف (٢) - ونلاحظ من ورائه قلم دور بك وفكره - أن « التعليم الابتدائي

(١) Dor, op. cit. p. 313

(٢) انظر مذكرة ناظر المعارف إلى مجلس الشورى في مايو ١٨٨٠ في (مجموعة الديكرتات ص ٢٤٥ - ٢٤٨) وقد أتى أمين باشا سامي في كتابه (التعليم في مصر ص ٣٦) على خلاصتها ، ونشرناها كاملة في الجزء الثالث (ملحقات) .

قليل الاتساع ولم ينتشر في أى جهة بين الأهالى ما خلا المحروسة ، ورتب على ذلك نتيجة الحتمية وهى ضعف مستوى التعليم التجهيزى والتعليم الخصوصى . فالمدارس التجهيزية لا تستطيع أن تجدد « تلامذة أنجب مستعدة للتعليمات التجهيزية » والمدارس الخصوصية « تنجر في أكثر الأحوال على قبول تلامذة لم يستوفوا الحالة التجهيزية اللازمة » ، وينتج من ذلك ضعف الأداة الحكومية على وجه العموم ، إذ تستخدم الحكومة « في أكثر الأحوال بعض التلامذة في خدمات ليسوا أهلا لها ، وقد سرى الاعتقاد وتشعب في قلوب الجميع أن الحكومة المصرية ملزمة على أن تخدم جميع التلامذة الخارجين من المدارس بعد انتهاء الدراسة حتى من لم يصلوا إلى درجة الاستعداد التام » . ورأى على باشا إبراهيم أن لاسبيل إلى إصلاح هذا كله إلا « باتساع دائرة المعارف بين جميع أهالى الديار المصرية وسريانها بالتدريج حتى تصل إلى أهالى الأرياف لكي توجد عند ذرياتهم المستجدة احتياجا إلى التعليم وإحساسا بما لهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات في حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » وبذلك كان على إبراهيم باشا — فيما نعلم — أول من نبه الأذهان إلى الهدف (القومى) الذى يجب أن يتجه اليه التعليم الأول فى مصر .

ورسم ناظر المعارف فى مذكرته إلى مجلس النظار السبيل إلى نشر التعليم الأول — الابتدائى ، فجعله ثلاث درجات ، وأشار بأن تنشأ فى كل قرية مهمة مدرسة ابتدائية من الدرجة الثالثة وفى كل بندر أو مدينة صغيرة أو قرية كبيرة مدرسة من الدرجة الثانية وفى كل قاعدة مديرية أو مركز مهم عدد من المدارس الابتدائية من الدرجة الأولى .

وكان الناظر يدرك ما يحتاجه هذا المشروع الضخم من نفقات جمة لا قبل للحكومة

بتحملها جميعاً، فأقترح « طلب مساعدة محدودة من الأهالى لهذا المشروع » مؤكداً « أن الأهالى ترغب زيادة فى المدارس التى يصرفون عليها أكثر من المدارس المستجدة التى تنسب للبرى خاصة.. وقدر ناظر المعارف خطر هذا المشروع، فطالب أن تعبأ قوى الدولة جميعاً للعمل لإنجاح هذا المشروع، ويكون ذلك بواسطة « اجتماع جميع القوى المتعددة مهما كانت ضعيفة بانفرادها ».

وصدر الأمر بتأليف « قومسيون » للنظر فى مقترحات ناظر المعارف واقتراح أفضل الوسائل لتنفيذها، وتلقى القومسيون آراء الناظر - وقد جعل رئيساً له - وعليها بنى دراسته ومقترحاته فى التعليم الابتدائى - الأولى، وقد شغلت من تقريره الذى رفعه إلى الحكومة فى نوفمبر ١٨٨٠ مكان الصدارة (١).

بدأ القومسيون دراسته يبحث مدعم بالاحصاءات لنوعى التعليم الابتدائى القائمين فى مصر فبدأ بالتعليم فى الكتاتيب وقد أسماه (التعليم الابتدائى ذى الدرجة الثالثة (Inférieur) وقد تكلم على هذا التعليم من ناحيتين :

الأولى مدى انتشاره : وقد دلت بالأرقام المختلفة عن التعليم فى مصر وفى الدول الأوروبية على أنه ليس منتشرأ فى مصر بالدرجة التى تجعلنا نطمئن إلى كفايته لنشر التعليم بين الأهالى .

والثانية مستواه العلى : فالتعليم فيها ما زال قاصراً على حفظ القرآن الكريم والقراءة والكتابة وما زالت طريقة التعليم فيها هى الطريقة (الفردية) : ويقصد بها أن المعلم يعنى بتعليم تلامذته كل منهم على حدة : فهذا يحفظ (الماضى) وذاك يكتبه فى (لوحه)

وثالث يعث بزملائه وهكذا ، حتى إذا أتم كل منهم عمله توجه إلى الفقيه يسمعه ما حفظ أو يعرض عليه ما كتب ، والفقيه — ويساعده أحياناً العريف — يستمع إلى التلاميذ الذين يقرأون فيصلح لهم أخطاءهم مع انهماكه في الوقت نفسه في إملاء الطفل الجالس بجانبه أو الاستماع إلى (ماضيه) .

ومع أن طريقة التعليم الفردى من الطرائق التى تميل إليها النظريات الحديثة فى التربية ^(١) ، إلا أن القومسيون رأى فى تطبيقها على النحو الذى وصفنا تكراراً للدرس الواحد وإضاعة لوقت المعلمين والمتعلمين .

ولعلاج هذين النقصين — قلة انتشار التعليم الأولى وضعف مستواه — سيلان :
الأول ازدياد عدد المكاتب والآخر تعليم المؤدبين طريقة التدريس .

وانتقل القومسيون إلى بحث النوع الآخر من التعليم الابتدائى وهو التعليم ذى الدرجة العالية (Supérieur) ونموذجه المدرسة الابتدائية الأميرية بالناصية . فعدّد معاهده الأميرية منها والأهلية ، وما يصرف عليه من إيرادات المكاتب الأهلية وما يصرف عليه من الأوقاف أو الروزنامة أو الموارد الخاصة . ودعّم دراسته بإحصاء عدد تلاميذ كل مدرسة ومعلميها ومنهاج الدراسة بها ، وخلص من هذه الدراسة إلى تقرير الحقيقة التى أشرنا إليها أكثر من مرة : وهى تبين هذه المدارس والمكاتب فيما بينها تبايناً واضحاً من حيث مواردها المالية وعدد تلامذتها ومستوى التعليم فيها وكفاية مدرسيها .

من هذه المكاتب والمدارس المتنوعة المشتتة التى لا تقوم بينها رابطة أو تقوم بينها

رابطة ضعيعة حاول قومسيون سنة ١٨٨٠ أن يقيم نظاماً قومياً للتعليم الأولى — الابتدائى يعمق أساسه حتى ينتظم ككتاتيب القرى وتمتد فروعه حتى تشمل تلك المدارس والمكاتب الأميرية والأهلية التى ذكرنا . ويتمثل هذا النظام القومى فى قانون التعليم الابتدائى والتجهيزى الذى اقترحه القومسيون فى سنة ١٨٨٠ (١) .

يقوم هذا النظام على اعتبار أن التعليم الابتدائى — الأولى كله فى البلاد يكوّن وحدة متصلة الحلقات أدناها الكتاتيب الصغيرة وأرقاها المدارس والمكاتب الابتدائية القائمة فى القاهرة والاسكندرية وعواصم المديريات ، وفيما بين هاتين (الحلقتين) أنشئت (حلقة) وسطى لتسد الثغرة التى كانت قائمة بين التعليم فى الكتاتيب والتعليم فى المدارس . وقد قام هذا التقسيم على اعتبار جدير بالنظر : وهو اختلاف احتياجات الأهالى فى المدن والقرى والكفور ، فنشأ لكل منها مكتب مناسب لاحتياجاتها (٢) .

(١) فأبسطها مكاتب الدرجة الثالثة (degré Inférieur) وتقوم على أنقاض الكتاتيب الأهلية : فالمكتب منها يتكون من فصل واحد ولا يزيد تلامذته على الستين ويعلمهم معلم واحد يساعده عريف إذا زاد عدد تلامذته على الأربعين (المادة ٣) ، ويقتصر التعليم فى مكتب الدرجة الثالثة على مبادئ الدين والقرآن والقراءة والكتابة وقواعد الحساب الأربع . ويمرن التلاميذ على استعمال الموازين

(١) نشر هذا القانون بالفرنسية كملحق للنسخة الفرنسية التى نشرت من تقرير قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ وقد ترجمناه إلى العربية ونشرناه فى ملاحق الكتاب (الجزء الثالث) .

(٢) تقرير القومسيون ص ١٢

والمقاييس ويتلقون معلومات أولية في جغرافية مصر وقانون الصحة ويقومون بتدريبات رياضية (المادة ٤) . وينشأ مكتب من الدرجة الثالثة في كل قرية يتراوح عدد سكانها بين ألفين وخمسة آلاف نسمة (المادة ١١) ، أما القرى الصغيرة التي يقل عدد سكانها عن ذلك فتجتمع ليكون لها جميعاً مكتب ابتدائي من الدرجة الثالثة (المادة ١٢) .

(٢) وتعلوها مكاتب الدرجة الثانية : ويتكون المكتب منها من فصلين اثنين ولكل منهما معلم ، ولا يزيد عدد تلاميذ المكتب على ١١٠ تلاميذ (المادة ٥) ، ويتعلم التلاميذ في هذا المكتب مبادئ الدين والقرآن والمطالعة والكتابة والنحو وقواعد الحساب الأربع وشيئاً من الموازين والمقاييس وجغرافية مصر وتاريخها والتاريخ الطبيعي وقانون الصحة وتمارين عملية على قياس السطوح والأحجام البسيطة والرسم الخطي ويتلقون تدريبات رياضية (المادة ٦) .
وينشأ مكتب ابتدائي من الدرجة الثانية في عاصمة كل مركز وفي كل مدينة يتراوح عدد سكانها من خمسة آلاف إلى ١٠ آلاف نسمة (المادة ١٠) .

(٣) وأرقاها المكاتب الابتدائية الراقية أو مكاتب الدرجة الأولى (degré supérieur) وهي تعد تلامذتها للمدارس التجهيزية ، ولهذا فهي تسير طبقاً لبرنامج الدراسة بالمدارس الابتدائية الأميرية . وتلاميذ هذه المكاتب الذين لا يزمعون أن يدخلوا فيما بعد إحدى المدارس التجهيزية ليسوا ملزمين بتعلم اللغة التركية أو إحدى اللغات الأوروبية ، ولكنهم يمضون سنة دراسية تكملية يتلقون في خلالها معلومات عملية في قياس السطوح والأحجام البسيطة والرسم الخطي ، وفي البلاد التي يشتغل أغلب أهلها بالزراعة تعطى لهم عدا ذلك دروس في المساحة والزراعة والتاريخ الطبيعي ، وفي

البلاذ التي يشتغل أغلب أهلها بالتجارة تعطى لهم دروس فى الحساب التجارى وإمساك الدفاتر والخط ومعلومات اقتصادية، ويتدرب التلاميذ جميعا تدريبا رياضيا، ولا يقبل تلميذ بهذه المدارس إلا فى الشهر الأول من السنة الدراسية (المادة ٧).

وتألف هيئة التدريس فى المدرسة الابتدائية الراقية من ناظر ويعهد إليه بقسط من التدريس ومن أربعة معلمين ومن العدد اللازم من العرفاء والخدم، ولا يزيد عدد تلامذة المدرسة على مائتى تلميذ (المادة ٨)، وتنشأ فى القاهرة وعواصم المحافظات والمديريات والمراكز وجميع مدن الأقاليم مدارس ابتدائية من الدرجة الأولى باعتبار مدرسة واحدة لكل عشرة آلاف نسمة (المادة ٩).

ولا يقبل بهذه المكاتب — على اختلاف درجاتها — سوى تلامذة خارجيين (المادة ١) والتعليم فيها مجانا وكذلك تقدم للتلاميذ الأدوات المدرسية من غير مقابل (المادة ٢٠)، وتنشأ المكاتب بالتدريج كلما توافر المال اللازم والمعلمون الأكفاء^(١).

أما السكتاتيب القديمة فمصيورها إلى الانقراض وعلى أنقاضها تقوم المكاتب الجديدة: فبمجرد أن يفتح فى ناحية ما عدد من المكاتب يكفى لسد حاجات الأهالى تقفل السكتاتيب القديمة ويسمح لفقهاها الذين يثبتون أهليتهم للتدريس فى امتحان مسابقة أن يعينوا فى المكاتب الجديدة ويفضلون على المعلمين الجدد أو يؤذن لهم بالالتحاق بمدرسة المعلمين لإكمال معلوماتهم ونيل إجازتها (المادة ٢١).

أما المال اللازم للصرف على هذه المكاتب من بناء وصيانة وتأثيث ودفع مرتبات الموظفين وأثمان الأدوات. ألخ فتحملة المحافظات والمديريات. وقد رأيت أن هذا

الإجراء كان من القواعد الهامة التي قام عليها تنظيم المكاتب في لائحة رجب ١٢٨٤ (١٨٦٧)، ولكنه لم ينفذ لأن المواد الخاصة بتولى القرى الصرف على مكاتبها واشترك الأهالي في نفقات تعليم أبنائهم جاءت عامة ولم ينص فيها على طريقة معينة. أما قومسيون سنة ١٨٨٠ فقد عمل على تلافي هذا النقص: فاقترح على مجلس النظار^(١) أن تفرض في المديريات ضريبة قانونية تحدد بالبارات أو بكسور البارات مضافة إلى كل قرش من الضريبة العقارية وتقدر في كل عام طبقا لحاجات المدارس التي أنشئت أو التي ستنشأ في كل عام. وفي عواصم المحافظات والمدن توزع هذه الضريبة تبعا لحاجات وموارد الأهالي المالية، وتستخدم حصيلة هذه الضريبة في الصرف على المكاتب الابتدائية. وكان هذا أساس فرض ضريبة الـ ٥ ٪ التي أنشئت في سنة ١٩٠٩ للمساعدة على نشر التعليم الأولى. وإظهارا لعناية الحكومة بهذا الضرب من التعليم أشار قومسيون ١٨٨٠ على نظارة المعارف العمومية بأن تخصص في ميزانيتها في كل عام قدرا من المال تقدم منه الإعانات للنواحي التي تتطلب المساعدة (المادة ١٣)، وكان هذا بدء نظام الإعانة الذي وضعته وزارة المعارف بعد ذلك وتوسلت به — من ناحية — إلى الإشراف على المكاتب (المعانة) لتضمن سيرها في الطريق المستقيم — ومن ناحية أخرى — إلى مساعدة أصحاب السكتاتيب من الفقهاء على تحسين حالهم ورفع مستوى مكاتبهم.

ونظم القانون الصلة بين المكاتب الابتدائية والإدارة المحلية، على نحو أفضل مما فعلت لائحة رجب، فقد جعلت هذه اللائحة لعمد البلاد وأعيانها حقا في الشهادة

للهوديين وحضور امتحان التلامذة والنظر في إيرادات ومصروفات المكاتب القائمة في بلادهم ، ولكن قانون التعليم الابتدائي نظم هذه الصلة على النحو الآتي :

(١) « أنه لأجل ترغيب الأهالي في حسن سير المكاتب المستجدة وتشجيعهم على دفع النقود الكافية لها . . . الخ ، ^(١) سيؤلف في كل محافظة أو مديرية « قومسيون » للمكاتب تحت رئاسة المحافظ أو المدير ، ويتألف « القومسيون » في المديريات من أعضاء يمثل كل منهم مركزا من مراكز المديرية وفي المحافظات من أعضاء يمثل كل منهم حيا من أحيائها ، وفي جميع الحالات لا يقل عدد الأعضاء الذين يكونون القومسيون عن خمسة . ويرسل المحافظون أو المديرون إلى نظارة المعارف العمومية قائمة تحتوي على ثلاثة أسماء عن كل مركز أو حي ، وتعين النظارة من هذه الأسماء الأعضاء الذين تتألف منهم (قومسيونات) المدارس . فإذا كثر عدد المكاتب أمكن إنشاء (قومسيون) فرعى في كل مديرية أو حي من محافظة ويكون تابعا للقومسيون الرئيسى في قاعدة المديرية أو المحافظة (المادة ١٥) .

(٢) وتدبر هذه (القومسيونات) الأموال التى تجبى (على ذمة) المكاتب وتودعها في صندوق خاص وتشرف على الصرف منها على المكاتب ، ولا يكون لنظارة المعارف سوى الاشراف والمراقبة ، وما فاض بعد مصروفاتها يستخدم إما في تكوين مال احتياطى أو فى إعانة مدارس المعلمين المقترح إنشاؤها فى الأقاليم أو فى دفع مصروفات كاملة أو نصف مصروفات لبعض تلامذة المديرية أو المحافظة الذين يتمون تعليمهم بالمدارس التجهيزية أو العالية (المادة ١٦) .

(٣) وتعرض على قومسيون المدارس المقترحات الخاصة بزيادة المصروفات (المادة ١٧) أو زيادة الموظفين أو توسيع البناء ، وله أن يرفع مستوى الدراسة بمكتب من المكاتب الداخلة في اختصاصه إلى درجة أعلى (المادة ١٨) .

(٤) تقدم النظارة للقومسيون الرسوم والتصميمات الخاصة بأبنية المكاتب وتقدم لها الأثاث والأدوات المدرسية بأثمانها الأصلية (المادة ١٩) ، وللنظارة وحدها « تنظيم بروجرامات الدروس وترتيب الخوجات وتعيرهم وعزلهم من وظائفهم عند الاقتضاء ، وقصارى الأمر لها الإدارة والملاحظة على التلامذة والخوجات » (١) .

أما الوجه الآخر من وجوه إصلاح التعليم الابتدائى وهو إنشاء مدارس تقوم على إعداد المعلمين الأكفاء فرجى الكلام عليه إلى مكان آخر (٢) .



هذه خلاصة وافية لمقترحات قومسيون تنظيم المعارف الخاصة بالتعليم الأولى الابتدائى وقد توجها بمشروع القانون الذى وضعه لتنظيم التعليم الابتدائى والتجهيزى فى مصر . وقد رأيت أنه — فى كثير من نواحيه — قام على المبادئ التى التى جرت بها لائحة رجب ١٢٨٤ ، ومن ذلك :

أولا — وحدة التعليم الأولى — الابتدائى : فقد رأت لائحة ١٨٦٧ (رجب ١٢٨٤) وقانون ١٨٨٠ أن تؤلف معاهد التعليم الابتدائى سواء القديمة (الكتاتيب) أو الحديثة (المدارس) ووحدة متصلة يمهّد أولها لآخرها ، والتلميذ يستطيع من غير عناء أو اضطراب أن يتم تعليمه بإحداها ثم ينتقل إلى الأخرى ومنها إلى المدارس التجهيزية فالعالية .

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر فيما بعد الفصل الخاص بمدارس المعلمين .

ولكن قانون ١٨٨٠ يختلف عن لائحة ١٨٦٧ فى أمر هام : فإن اللائحة قد اعترفت بالكتاتيب وأقرتها بل جعلت منها الأساس الذى يقوم عليه النظام التعليمى فى مصر ، وحاولت أن تجعلها جديرة بأداء هذه المهمة الخطيرة فأخضعها لرقابة الإدارة التعليمية الحكومية (ديوان المدارس) وأمرت بإدخال مادة الحساب فى خطتها الدراسية واشترطت فى مؤديها شروطا خاصة ... ألخ وعملت اللائحة من ناحية أخرى على أن تنظم المكاتب الأهلية والمدارس المركزية على نسق المدارس الابتدائية الأميرية ، أو على نسق مدرسة المبتديان بالناصرية على وجه التحقيق ، وهكذا وجد هذان النوعان أو هاتان المرحلتان من المدارس الابتدائية — الأولية : الكتاتيب وتعد — طبقا لهذا النظام — مدارس للتعليم الأولى ، ثم المدارس الابتدائية (سواء المدارس الأميرية أو المركزية أو المكاتب الأهلية) وتعد مدارس للتعليم فوق الأولى أو الابتدائى . والمرحلة الأولى تعد التلاميذ للرحلة الثانية . ولكن هذه الجهود الإصلاحية لم تنجح . وظلت الهوة قائمة بين نظامى التعليم الأهلى والأميرى — أو على حد تعبير دوربك العربى والأوروبى ، وظلت مصر يعوزها نظام قومى للتعليم ، وهو ما نهض لتشييده قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ .

وهذا النظام التعليمى القومى شاده قانون ١٨٨٠ على أنقاض الكتاتيب والمدارس الابتدائية جميعا : فهذه المدارس الابتدائية تتحول إلى مكاتب ابتدائية من الدرجة الأولى ، والكتاتيب تحتفى كلها أنشئ فى المناطق القائمة فيها من المكاتب الابتدائية ذات الدرجة الثالثة ما يكفى ليحل محلها ، وبين هاتين الدرجتين تقوم درجة وسطى من المكاتب لتسد الثلمة التى كانت قائمة بين الكتاتيب والمدارس .

فلائحة رجب لا تقيم نظاما جديداً للتعليم الأولى — الابتدائى ، وإنما تقع بتنظيم

معاهده القائمة ، فعمل على إدخال الكتاتيب فى نظام التعليم المصرى وتصل ما بينها وبين المدارس الابتدائية الحكومية . أما قانون ١٨٨٠ فىرى إلى (إنشاء) نظام جديد للتعليم الأولى — الابتدائى يستمد مقوماته من الكتاتيب والمدارس الابتدائية على السواء . ثانياً — وتتفق اللائحتان (لائحة ١٨٦٧ — رجب ١٢٨٤ ولائحة ١٨٨٠ التى وضع على أساسها تنظيم التعليم الابتدائى والتجهيزى) فى النظر إلى التعليم الأولى — الابتدائى نظرة قومية . وآية ذلك ما رسمته لائحة رجب خاصة بتحمل القرى نفقات كتاتيبها واشتراك الأهالى فى نفقات تعليم أبنائهم وإشراك عمد البلاد ووجوهها فى النظر فى بعض شئون المكاتب وأخصها إدارتها المالية . ولكن وجهة النظر (القومية) فى لائحة رجب لم تكن شاملة ، فإنها لم تشمل المدارس الابتدائية الأميرية ، ثم إنها لم تتحقق لأنها لم تنص على إجراءات واضحة معينة .

أما فى قانون ١٨٨٠ فقد حرص واضعوه على أن يوفرُوا الأسباب لتحقيق وجهة النظر (القومية) فى نظام التعليم الأولى الذى أقاموه ، فطبقوا الفكرة على درجات المكاتب جميعا الكبيرة منها والبسيطة ، فلا يكون هناك مكاتب أهلية وأخرى أميرية ، بل كلها مكاتب ابتدائية يدبر للصرف عليها إيراد قومى . ونظموا مبدأ نهوض البلاد بتكاليف كتاتيبها وإشراك الأهالى فى تحمل نفقات تعليم أبنائهم على شكل ضريبة جزئية يؤديها دافعوا الضرائب ، كما نظموا مبدأ إشراك الأهالى فى إدارة المكاتب بإنشاء (قوميونات) أو لجان مدرسية محلية وعهدوا إليها بسلطات واسعة .

وأضاف قانون ١٨٨٠ إلى هذا كله مبدأ لا يقل خطراً : وهو ضرورة بذل الدولة شيئاً من مالها بغية العمل لتقدم المكاتب ، ويكون ذلك على شكل جزء من ميزانية نظارة المعارف العمومية تخصصه لإعانة المكاتب التى تحتاج إلى الإعانة . وإذا كانت فكرة

(القومسيونات) المحلية لم تتحقق حتى الآن ^(١) فإن الدولة سرعان ما حققت المبدأين اللذين تقوم عليهما (ميزانية) التعليم الأولى وهما : فرض الضريبة الخاصة لنشر التعليم الأولى وتخصيص مال من ميزانية المعارف لإعانة المكاتب .

ولا يسعنا أن نختم هذه الملاحظات من غير أن نشير إلى مسائل ثلاث عنى « القومسيون » بدراستها وتدير العلاج لها :

أولاً — مصير التلاميذ المنتهين من المكاتب الابتدائية العالية : فقد رأى أن تلامذة المكاتب لا يلتحقون جميعاً بالمدارس التجهيزية ، فمنهم من يقعد به استعداداً أو سعيه للرزق عن متابعة التعليم فيقتصر على التعليم بالمكاتب ثم ينقلب إلى أهله ليعمل فيما يعملون فيه من زراعة أو تجارة أو صناعة ، فقرر القانون لكل فريق مستوى الدراسة الذى يجب أن يصل إليه . فالذين يزمعون متابعة الدراسة التجهيزية يجب أن يتعلموا اللغة التركية وإحدى اللغات الأوروبية ، أما من عداهم فقد رسم لهم أن يقضوا سنة تكميلية وقرر لهم من مواد الدراسة ما يتفق مع البيئة التى يعيشون فيها (المادة ٧) ، ومنهم من لا يزمع متابعة الدراسة التجهيزية ولكنه يرغب فى تلقى دراسة أخرى تساعد على توسيع أفق تفكيره وازدياد ثقافته ، ولهذا الفريق من التلاميذ اقترح القومسيون إنشاء مدرسة زراعية ، لا شك فى أن الحاجة تمس إليها فى بلد زراعى كمصر ، وتكون

(١) اقترح مستر «مان» على وزارة المعارف فى تقريره (عن بعض نواحي التعليم فى مصر) سنة ١٩٣١ أن « يكون لكل وحدة من وحدات الإدارة المحلية مجالس خاص بها يمثل المصالح المحلية فى التعليم والحياة الاجتماعية والتجارة والزراعة والصناعة ويجب أن توكل أعمال هذا المجلس التنفيذى إلى مدير التعليم ... » وتوجه هذه المجالس أخص عنايتها إلى مسائل التعليم الأولى (انظر ص ١٢ و ص ١٣ من النسخة العربية لهذا التقرير) .

بالإضافة إلى مدرسة (الشغالة) أو « الصنائع » ^(١) معهدين يلحق بهما التلامذة المنتهون من الدراسة الابتدائية ويتلقون في أحدهما ثقافة زراعية وفي الآخر ثقافة صناعية تتفق مع البيئة التي يعيشون فيها والمهنة التي يعدون أنفسهم لها ^(٢) .

ثانياً — والمسألة الثانية تتعلق بمستوى التعليم في المكاتب الابتدائية والوجهة القومية التي يجب أن يتجه إليها التعليم حتى يوجد في نفوس المصريين « إحساساً بما لهم من الحقوق الوطنية وما عليهم من الواجبات في حق أنفسهم وحق عائلاتهم وحق الحكومة » على حد تعبير ناظر المعارف في ذلك الوقت . ونظم قانون التعليم الابتدائي في سنة ١٨٨٠ هذه الوجهة القومية ، فقرر أن يبدأ الطفل — منذ التحاقه بأبسط معاهد التعليم الأولى وهي مكاتب الدرجة الثالثة — بتلقى « معلومات أولية عن جغرافية الوطن وقانون الصحة وتدريبات رياضية » ، وزاد عليها في مكاتب الدرجة الثانية دراسة شيء من « تاريخ الوطن » .

ثالثاً — وهنا نصل إلى تقرير حقيقة هامة فطن إليها قومسيون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ وعمل تقريرها في القانون الذي وضعه للتعليم الأولى — الابتدائي : وهي أن مهمة هذا التعليم أجل وأخطر من مجرد نحو الأمية بتعليم الصبية القراءة والكتابة كما كانت تفعل السكتاتيب القديمة ، فإن هذا التعليم القاصر المحدود لا يستطيع أن يثبت حين يخرج الصبي به إلى معترك الحياة العملية ، فغالباً ما ينسى الصبي ما تعلمه ويرتد كما بدأ أمياً ، وإذا ثبت فلا غناء فيه لتكوين ثقافة طيبة يستعين بها الرجل في رفع مستواه المادى والعقلى .

(١) تقرير القومسيون ص ٢٢ — ٢٥

(٢) وكانت هذه المدارس نواة المدارس المتوسطة الصناعية والزراعية .

فطن القومسيون إلى ذلك فأضاف إلى القراءة والكتابة قواعد الحساب الأربع ومعلومات في الدين وأوليات في جغرافية مصر وقانون الصحة واستعمال المقاييس والموازين . ولم ينس العناية بجسم الطفل إلى جانب العناية بعقله فأضاف إلى هذه (الخططة) الدراسية تدريبات رياضية . وفي مكاتب الدرجة الثانية أضاف إلى هذه المواد النحو وتاريخ مصر والتاريخ الطبيعي والرسم وقياس السطوح والأحجام . وفي مكاتب الدرجة الأولى أضاف اللغة التركية وإحدى اللغات الأوروبية ولكنه قصر تعلمهما على التلاميذ الذين يودون متابعة الدراسة التجهيزية . ثم أنشأ القانون دراسة تكميلية للتلامذة الآخرين تتصل ببيئتهم .

ووعد القومسيون أن ينظر في رفع مستوى الدراسة بهذه المكاتب عندما يتوافر العدد الكافي من المعلمين الأكفاء^(١) .



والآن بعد أن قدمنا بين يديك خلاصة وافية ونقداً مستفيضاً لمقترحات قومسيون تنظيم المعارف وقانون التعليم الابتدائي الذي وضعه في سنة ١٨٨٠ نحب أن نختم هذا الفصل ببحث عن مدى تنفيذ هذه المقترحات وأحكام هذا القانون :

كانت الحكومة — حكومة رياض باشا — تعلق أهمية كبيرة على مداولات قومسيون تنظيم المعارف وقراراته ، فكانت تتبع أعماله أولاً فأولاً ويصلها المهم من قراراته فتنفذ منها ما يمكن تنفيذه^(٢) ، ومن ذلك أنها أنشأت مدرسة المعلمين في

(١) تقرير القومسيون ص ١٣

(٢) أمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ٤٥

أكتوبر سنة ١٨٨٠ أى قبل تقديم تقرير القومسيون بشهر ، وأقرت قانون التعليم الابتدائى ، وشرعت تعد العدة لإنشاء مكاتب ابتدائية على ثلاث درجات ، فوضعت رسوم البناء لكل نوع^(١) وأنشأت المكاتب الآتية^(٢) :

- (١) مكتب الجيزة فى يناير ١٨٨١ وهو من مكاتب الدرجة الأولى .
- (٢) مكتب قليب فى نوفمبر ١٨٨١ » » » » الثانية .
- (٣) مكتب طوخ فى يناير ١٨٨٢ » » » » الثالثة .

وقبل ذلك كانت قد افتتحت مدرسة المنصورة الأميرية ، وكانت النية متجهة أول الأمر إلى جعلها مدرسة تجهيزية^(٣) ، ولكنها جعلت مدرسة ابتدائية راقية (من الدرجة الأولى) ثم أنشئ بها قسم تجهيزى^(٤) .

وفى القانون العمومى الذى وضع لنظارة المعارف فى سنة ١٨٨٧^(٥) نظم التعليم الابتدائى طبقاً للقواعد العامة التى وضعها قومسيون تنظيم المعارف فى سنة ١٨٨٠ مع تغييرات بسيطة أهمها أن التلميذ يدفع رسوما دراسية تختلف باختلاف درجة المكتب ، ونظمت المرحلة الثانوية على مثال (الليسيه) فتشغل أربع فرق ابتدائية ثم أربع

(١) نقل أمين باشا ساعى هذه الرسوم فى القسم الرابع من ملحقات كتابه .

(٢) انظر فيما سبق ص ٢٠٨ — ٢٠٩

(٣) تقرير القومسيون ص ٣١

(٤) انظر فيما سبق عن مدرسة المنصورة ص ٢٠٥ — ٢٠٧

(٥) انظر نص هذا القانون فى قاموس الإدارة والقضاء لقلب بك جلاذ ، المجلد

الرابع ص ٣٠٢ — ٣٠٨

فرق تجهيزية (١) .

ولكن النظارة لم تفعل شيئا لتنفيذ مقترحات قومسيون ١٨٨٠ و ما جاء في قانون نظارة المعارف سنة ١٨٨٧ خاصا بإنشاء المكاتب الابتدائية ذات الدرجات الثلاث ، بل قصرت الحكومة عنايتها على إنشاء مدارس ابتدائية من الدرجة الأولى .

أما مكاتب الدرجتين الثالثة والثانية فلم ينشأ منها شيء بعد مكتبي قليوب وطوخ . بل إنه لما بدأت مجالس المديرية تعنى بالتعليم وقررت لنشره ضريبة خاصة وجهت عنايتها أيضا إلى إنشاء مدارس ابتدائية (راقية أو عالية) وهى التى لا يفيد منها فى الحقيقة إلا عدد محدود من الأهالى وأهملت العناية بالتعليم الأولى ، تعليم سواد الشعب ، سواء فى السكتاتيب القديمة أو فى مكاتب الدرجتين الثالثة والثانية التى رسم قانون ١٨٨٠ وقانون ١٨٨٧ إنشاءها .

وهكذا تعطل تنفيذ إصلاح هام لانغلو إذا قلنا إنه كان يقدم خير الحلول لمشكلات التعليم الأولى والابتدائى فى مصر .

أما السكتاتيب فقد ظلت على ما هى عليه ، لم تفد فى إصلاحها لأئحة رجب ١٢٨٤ أو القانون الذى وضعه القومسيون فى سنة ١٨٨٠ أو قانون سنة ١٨٨٧ . وكذلك كان مصير المشروع الذى وضعه على باشا مبارك فى سنة ١٨٩٠ . بإنشاء نظام عام للتعليم الابتدائى « (٢) . وهو مقتبس فى مجموعه من قانون سنة ١٨٨٠ .

Minist. de l'Instruction publique, programme de l'enseignement pour (١)
les Lycées (enseignement primaire et secondaire) approuvé par arrêté
ministériel du 17 aout 1887 (29 zilkédeh 1304) . Le Caire. Imprimerie
Nationale, 1888 .

Minist. de l'Inst. publique. Note sur la création d'un système (٢)
général d'enseignement primaire en Egypte. 15 Février 1890.

وزاد في إهمال شأن الكتاتيب أنها في سنة ١٨٨٦، نزع من رقابة نظارة المعارف وتفتيشها وجعلت تابعة لديوان عموم الأوقاف^(١)، وبذلك انهارت دعامة من أقوى الدعامات التي قامت عليها لائحة رجب وهي إخضاع هذه الكتاتيب لسلطة ديوان المدارس (أو نظارة المعارف). وظل الأمر على ذلك حتى سنة ١٨٨٨ في نظارة على مبارك للمعارف أيضا، وكان لا يزال متشبثا بمبدئه الذي نادى به منذ عشرين عاما وعمل على تقريره في لائحة ١٨٦٧ (رجب ١٢٨٤) وهو ضرورة إخضاع جميع المدارس والمعاهد القائمة في مصر لهيمنة نظارة المعارف، فبدأ بالمكاتب الأهلية التي كان ينفق عليها من إيرادات المكاتب الأهلية (وأهمها إيراد جفلك الوادي) فأعادها إلى نظارة المعارف في سنة ١٨٨٨ ثم ألحق بها مكاتب الأوقاف في العام التالي. ولكن نظارة المعارف ما لبثت أن أدركت أن الإصلاح لا يجدي إلا إذا دعمه المال، ولا يتسنى هذا إلا إذا تقدمت النظارة ببعض المال لتشجيع أصحاب الكتاتيب « بإعانة مالية تساعد على إصلاح أوضاعهم وتوفير أمتعتها وتنمية معارفهم » وأصدرت لهذا الغرض لائحة في ١٢ ديسمبر ١٨٩٧^(٢).

وهكذا — بواسطة هذه الإعانات المالية — اشتركت الدولة لأول مرة في تحمل بعض نفقات التعليم الأولى في مصر.

وهكذا فشلت المحاولات التي بذلت لتشييد نظام قومي للتعليم الأولى — الابتدائي يجمع بين المكاتب الأولية والمدارس الابتدائية في مرحلة واحدة لها من المرونة ما يسمح بالتنوع في أجزائها المختلفة. ويرجع هذا الفشل — في رأينا — إلى أن العناية بكلا

Exposé des réformes effectuées pendant l'année 1885... etc. (١)

(٢) وزارة المعارف العمومية: تقرير عن تطور التعليم الأولى في المائة عام الماضية.

النوعين من التعليم لم تكن متكافئة : فقد كانت الحكومة — حكومة محمد علي وحكومة إسماعيل من بعده — تبذل للتعليم الابتدائي في مدارسها التي أنشأتها على الطراز الأوروبي (à l'européenne) لتعد لها الموظفين في الإدارات المختلفة من مالها ورعايتها ، فأكثر من معاهده في العاصمة والمدن الصغيرة والكبيرة ورفعت مستوى التعليم فيه (ويظهر ذلك على الخصوص في إدخال اللغات الأجنبية في منهجه) كما عنت بإعداد معلميه وتوفير الأبنية والكتب والأثاث لتلاميذه . . . الخ . حتى أصبحت المدرسة الابتدائية الآن لا تعدو أن تكون في الواقع قسما أوليا من المدرسة الثانوية .

أما التعليم الأولي — وهو التعليم القومي للشعب — فقد بدأت العناية به متأخرة ، ذلك لأن الإصلاح الحقيقي للكتاتيب لم يتحقق إلا في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي . وعلى أنقاضها نشأ نظام التعليم الأولي القائم إلى أيامنا هذه ، وقد اتخذته الدولة أداة سهلة متواضعة لمساخنة الأمية ليس غير . فهو بالنسبة للتعليم الابتدائي أضعف مستوى وأشد فقرا في البناء والمعلم والأثاث وفي كل شيء .

وهكذا تم الانفصال بين التعليم الابتدائي والتعليم الأولي في مصر ، وهو انفصال غير طبيعي نشأت منه مشاكل خطيرة في التعليم المصري : أخصها مشكلة التعليم الأولي أين يبدأ ، وأين ينتهي ، وما هدفه ، وماذا نعلم الأطفال منه ؟ (١) .

(١) في وزارة المعارف في الوقت الحاضر حركة ترمي إلى توحيد التعليم الأولي والتعليم الابتدائي في مدارس واحدة ، فلعل القائمين بهذه الحركة يفيدون من دراسة المشروعات التي وضعت لهذا الغرض في سنوات ١٨٦٧ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩٠ الخ .

الفصل السادس

مدرسة العميان والخرس

فى سنة ١٨٧٤ فكر « دور بك » فى انشاء مدرسة خاصة لتعليم العميان ، ولكنه كان مترددا ، لأنه — على حد تعبيره — لم يكن واثقا من إمكان طبع الكتب ذات الحروف البارزة للقراءة والكتابة بالقاهرة (١) .

وفضل دور أن يقوم بتجربته فى مجال محدود ، حتى إذا نجحت التجربة تقدم برأيه ومشروعه إلى الخديو .

بدأت التجربة بتعليم ثمانية من الأطفال المكفوفين : بنتين وستة صبيان أخذوا من مدارس شيخون والسيدة زينب والحبانية . وفى أربعين يوما تعلم ستة منهم القراءة بسهولة وتعلمها اثنان منهم بصعوبة ، هذا عدا اثنين من هؤلاء الأطفال تعلموا أيضا الكتابة فى ثمانية أيام .

وطبعت دروس للهجاء وكتاب المطالعة وجزءان من القرآن الكريم . وهكذا نجحت التجربة ، واعتقد دور بك أن العوامل مهيأة لنجاح المشروع ، فتقدم به إلى الخديو ، وتقبل سموه المشروع بقبول حسن ، وطلب إلى دور بك أن يرفع إليه تقريراً عن مشروع إنشاء المدرسة وما تتكلفه من مال .

Dor : Rapport à S. A. le Khédivé sur la création d'une (١)

وثيقة بالمحفوظات الأوروبية بعابدين
Ecole pour Les Aveugles.

ورفع دور بك إلى الخديو تقريره في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٤^(١).
ويقوم مشروع دور بك على أن تنظم المدرسة مائة تلميذ، ويتولى ديوان الأوقاف
تقديم المصروفات اللازمة لتعليمهم ومقامهم في (بيت) خاص. ووضع دور بك
ميزانية سنوية للمدرسة بلغت في السنة ٢٢٩,٠٤٠ قرشا تشمل مرتبات ناظر وثلاثة
معلمين وصانعين للنسيج ومثلهما لأشغال الخيزران و (المقاطف) وطباخ وخدم كما
تشمل ما يتكلفه غذاء التلاميذ ولباسهم وكتبهم وأدوات التعليم عدا مكافأة قدرها
١٠٠ قرش لكل تلميذ.

وعلى أثر ذلك أصدر الخديو أمراً إلى ديوان المدارس بالموافقة على المشروع
الذي تقدم به إليه دور بك، على أن تكون المدرسة بمثابة « مدرسة خارجية ابتدائية »
ولهذا فإن ميزانيتها هبطت إلى ٧,١١٠ قروش في الشهر أو ٨٥,٣٢٠ قرشا في السنة،
يقوم بأدائها ديوان الأوقاف^(٢).

على أنه يبدو أن ميزانية المدرسة رفعت بعد ذلك إلى ١٢٧,٨٥١ قرشا و٣٦ بارة^(٣)
ثم إلى ٢١٢,٥١٤ قرشا و٣٦ بارة، ثم عادت ميزانية المدرسة فهبطت حتى وصلت في
سنة ١٨٨٠ إلى ١٩٨,٥٠٠ قرش في السنة^(٤).

ونشط ديوان المدارس لافتتاح المدرسة : فنشر (إعلانات) يبشر فيها « بافتتاح

(١) المصدر السابق.

(٢) دفتر سنة ١٢٩١ (إرادات المدارس) ص ٢ رقم ٤، دفتر ١ (أوامر) ص ٧

رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس في ٢١ جمادى الأولى ١٢٩١

(٣) وثيقة المحفوظات الأوروبية بعابدين : (Ecoles aux frais des Wakfs. (s.d.)

(٤) تقرير قومسيون تنظيم المعارف ص ٢٢

مدرسة جديدة لتعليم العميان القراءة والكتابة وبعض صنایع يدية (يدوية) مفيدة إحسانا من طرف الحضرة الخديوية «^(١)»، ووقع الاختيار على منزل من منازل الأوقاف (ببیر الوطاویط) لیسكون مدرسة بعد إصلاحه «^(٢)». وعین «محمد أفندی أنسی» من أساتذة المدرسة التجهیزية ناظرا للمدرسة الجديدة من فبراير ١٨٧٥ «^(٣)».

وجمع الديوان مجلساً لاتتخاب الفقهاء والعرفاء اللازمین، ثم عین المعلمون والصناع «^(٤)». وفي بضعة أيام اجتمع بالمدرسة — وقد جعلت بالصلیبة «^(٥)» — ٣٥ تلميذاً، كان يعطى لكل منهم في اليوم رغیف من خبز الجراية يصرف من «تسكية طيلون»... محسوبا من خيرات الأوقاف «^(٦)». وما لبث عددهم أن ارتفع بعد أشهر من إنشاء

-
- (١) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ١٤٢ رقم ٤٠ إلى ضبطية مصر في ٤ المحرم ١٢٩٢
(٢) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ١٥٢ رقم ١٠٥ إلى الأوقاف في ٧ المحرم ١٢٩٢
(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ١٩٨ رقم ١٨٦ إلى كتاب الحسابات في غرة صفر ١٢٩٢ — وقد ظل أنسی أفندی في نظارة المدرسة حتى سبتمبر ١٨٨٢ (أمين باشا سامي : التعلیم في مصر، القسم الخامس ملحقات ص ١٨٦) وقد أُنعم عليه بالرتبة الثالثة في سنة ١٨٧٩ (دفتر سنة ١٨٧٩ إرادات للدارس ص ١ رقم ٢ في ٢٠ رجب ١٢٩٦)
(٤) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ١٦٥ رقم ٥٠٣ إلى ناظر مدرسة العميان في ١٥ المحرم ١٢٩٢ وص ١٩٤ رقم ٥٣٧ إلى محمد أفندی أنسی في ٢٥ المحرم ١٢٩٢.
(٥) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ١٧١ رقم ٥٠٩ إلى ناظر مدرسة باب الشعريّة في ١٦ المحرم ١٢٩٢. أنشئت المدرسة في بيت (أحمد حسين) بإشارع أمير الجيوش بالقاهرة وهو من البيوت الأثرية وكان مقرا لمجلس التجار في عهد محمد علي (علي مبارك : الخطط ج ٣ ص ٢٢)
(٦) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربي) ص ١٩٢ رقم ١٢٩ إلى الأوقاف في ٢٦ المحرم ١٢٩٢

المدرسة إلى ٨٨ تلميذاً بالقسم الخارجى (١).

وعقب افتتاح مدرسة العميان بقليل أضيف إليها قسم لتعليم (الخرس) (٢) وكان يضم إلى جانب التلاميذ بضع تلميذات. ففى أول امتحان عقد لتلامذة المدرسة فى العام الدراسى ١٢٩٢ — ١٢٩٣ (١٨٧٥ — ١٨٧٦) (٣) كانت المدرسة مؤلفة من قسمين : قسم العميان وبه ٤٤ تلميذاً وتلميذة ، وقسم الخرس وبه ١٦ تلميذاً وتلميذة . ويتراوح سن الذكور بين ٩ سنين و ٢١ سنة وسن الإناث بين ١٣ و ١٨ سنة وكان قسم العميان يتألف من ثلاث فرق :

الفرقة الأولى وتتكون من فصلين : وقد درس تلاميذها القرآن (حفظاً وتجويداً) والقراءة والكتابة والإملاء والنحو والفقه والتوحيد والحساب والهندسة والجغرافية .
الفرقة الثانية وتتكون من فصلين : وقد درس تلاميذها القرآن والقراءة والكتابة والإملاء وحفظ الألفية والأجرومية والحساب والجغرافية .

الفرقة الثالثة : ودرس تلاميذها القرآن والقراءة والكتابة والإملاء .
أما فى الصنائع اليدوية فقد مرّن التلاميذ على صناعة الحصر والكراسى (البلدى) والكراسى الخيزران والمخرطة ونسج الأقمشة (للبنين والبنات) والشبيكة (للبنات) .
وكان قسم أو فرقة الخرس تتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعلم تلاميذه معرفة الفرق بين الماضى المسند المذكر والمسند المؤنث

(١) Minist. de l' Inst. publique, Statistique des Ecoles Civiles, 1875.

P. 13. & Mc. Coan, Egypt as it is .p. 218.

(٢) ولعل هذا القسم هو المدرسة الثانية التى ذكر (op.cit.p. 219) Mc. Coan أنها أنشئت بعد المدرسة الأولى .

(٣) دفتر امتحان مدرسة العميان المصرية بمتحف التعليم .

والمضارع والأمر وأسماء الصنائع وأدواتها وجملا ومركبات وقواعد في تعريف الكلام (كذا).

الفصل الثاني : تعلم تلاميذه معرفة أسماء الحيوانات ومركبات إضافية تابعة لها وأسماء البيت وأجزائه وأثاثه وأسماء أدوات المدرسة وعملها وأسماء الأسلحة وبعض مفردات تتعلق بالمسجد .

الفصل الثالث : تعلم تلاميذه معرفة أعضاء الجسم الإنساني مفردة ومثناة وأسماء الإفرازات الجسمية ومركبات إضافية ووصفية تابعة للجسم الإنساني .
وقد جمعت بعض (أشغال) تلاميذ وتلميذات المدرسة لإرسالها إلى معرض فيلادلفيا (١) .

وفي سنة ١٨٧٨ كان مجموع تلامذة المدرسة ٣٨ تلميذا وتلميذة موزعين على النحو الآتي :
(١) الفرقة الخصوصية : وبها ٤ تلاميذ وتلميذة : وقد درسوا القرآن والنحو والفقه والمطالعة والإملاء والحساب والهندسة والجغرافية .

(٢) الفرقة التجريبية : وبها ٤ تلاميذ و ٤ تلميذات : وقد درسوا القرآن وحفظوا الألفية والأجرومية وتعلموا القراءة والكتابة والإملاء والحساب والجغرافية .
(٣) الفرقة الابتدائية : فصلان :

الأول به ستة تلاميذ وتلميذة وقد درسوا القرآن والمطالعة والكتابة والإملاء والحساب .
والثاني به ١٥ تلميذا وثلاث تلميذات وقد درسوا القرآن والمطالعة والكتابة .
أما في الصنائع فقد تعلموا (الشغل بأربع إبر وبإبرة واحدة) والغزل ونسج الأقمشة والحصر والكراسي وخرط الخشب .

(١) دفتر ٤٨٢ (مدارس عربي) ص ٨٥ رقم ٩٣٧ إلى ناظر مدرسة العميان في ١٠ جمادى الثانية ١٢٩٢

وفي العام التالي (١٨٧٩) كان بالمدرسة ٤٣ تلميذا وتلميذة موزعين على أربع فرق وفرقة للصنائع .

وفي عام ١٨٨٠ كان بالمدرسة ٥١ تلميذا وتلميذة موزعين على ثلاث فرق وفرقة للصنائع وفرقة للخرس (١) .

وفي عام ١٨٨٢ كان بالمدرسة ٦٢ تلميذا وتلميذة موزعين على النحو السابق . وقد عدّ (قومسيون) تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ مدرسة العميان من المدارس الابتدائية (٢) وعنى ببحث حالتها . فلاحظ أن عدد تلامذتها قليل بالنسبة لكثرة عدد العميان والصم البكم في هذه البلاد . ولكن بناء المدرسة لا يتسع لعدد كبير ، حتى أن ناظر المدرسة ذكر في تقريره الذي رفعه إلى (القومسيون) أنه « لا يعد نفسه مسئولاً عن ضبط تلامذة هذه المدرسة ولا عن صحتهم » ، وطلب زيارة عدد المعلمين والعرفاء ورفع مرتباتهم (٣) .

(١) دفتر امتحانات المدرسة — جاء في تقرير (قومسيون تنظيم المعارف) في سنة ١٨٨٠ (الجزء الثالث : ملحقات ص ٢١٠) أن بالمدرسة في تلك السنة ٦٠ تلميذا من العميان و١٥ من الصم البكم . ولكن العدد الذي ذكرناه (٥١ تلميذا وتلميذة) مأخوذ من دفتر امتحان المدرسة .

(٢) تقرير القومسيون بالجزء الثالث : ملحقات ص ٢١٠ .

(٣) كان بالمدرسة في سنة ١٨٧٥ ١١ موظفاً بين ناظر ومعلم وعريف وصانع وفي سنة ١٨٨٠ أصعبوا سبعة . وثبت هنا أسماء معلمى المدرسة نقلاً عن بعض وثائق الديوان والإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ ودفتر امتحان المدرسة .

معلمو الحساب والهندسة والجغرافيا : محمد أنسى (ناظر المدرسة) ، عبد الرحمن عفت (من خريجي المهندسخانة وقد خاف أنسى في نظارة المدرسة) أحمد شفيق .

معلمو وعرفاء القرآن والنحو والفقه والتوحيد : المشايخ حسين المرصني ، أحمد أبو السعود ، =

إلغاء المدرسة

في ديسمبر ١٨٨٥ أحييت مدرسة العميان والخرس — مع غيرها من مدارس الأوقاف — إلى ديوان الأوقاف. حتى إذا كانت سنة ١٨٨٩ وأعيدت مدارس الأوقاف إلى المعارف كان مركز مدرسة العميان ضعيفاً. إذ لم يكن لها وقف خاص ورغب ديوان الأوقاف في التخلص منها. ورأت نظارة المعارف أن المدرسة تحولت عن غرضها الأصلي، فأصبحت ملجأً لنحو عشرين من العميان، فقررت النظارة في ٤ يولية ١٨٨٩ إلغائها وإلحاق تلامذتها من الذكور العميان بمدارس شيخون والحسينية وأبي العلاء (بولاق) الابتدائية كل بحسب قرب مسكنه، ويعطى كل منهم خمسون قرشا في الشهر، ويخصص لهم من المدرسين من يعلمونهم القراءة والكتابة بالطريقة التي اتبعت منذ أنشئت المدرسة مع ما يكون ضروريا لهم من الفقه وقواعد اللغة العربية ومبادئ

= محمود الرافعي ، محمد العجورى ، يوسف عفيفي ، محمد لوا ، محمد شمكر ، أحمد الحشباب ، ابراهيم أحمد .

لفرقة الخرّس : محمد أفندى الصياد .

لصناعة الكراسي : عبد الصمد جاد ، حسن بدرش ، محمد حزين .

لنسيج الاقشعة : حسن غالى ، موسى سعيد .

لصناعة الخراطة : الحاج سالم .

للحصر : درويش مصطفى .

للجرابات والشبيكة : مصطفى الخردجى .

للشبيكة والنسيج والتطريز على الماكينة : الست فيكتوريا دياسكاه وبولينه الخورى .
وكان الصناع يعملون في المدرسة (باليومية) : دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ١٧

رقم ٥٧٣ إلى أنسى أفندى في ٢ صفر ١٢٩٢

الحساب علاوة على حفظ القرآن الشريف وتجويده. أما الخرّس من الذكور فقد تقرر أن يلحقوا بالقسم الداخلي المجاني في مدرسة الصنائع ليتعلموا فيها الأشغال اليدوية ويخصص لهم من يعلمهم القراءة والكتابة وطريقة التفهيم والتفهيم ومبادئ العلوم الضرورية. أما الإناث من النوعين فألحقن بالمدرسة السنية للبنات مجاناً بالقسم الداخلي وجعلن في فصل مخصوص يتعلمن فيه القراءة والكتابة وطريقة التفهيم والتفهيم للخرّس مع ما يكون ضرورياً لهن من الأشغال اليدوية.

وجاء في القرار أنه « نظراً لما جبلت عليه المكارم الخديوية من الميل إلى اتساع نطاق التعليم والشفقة على مثل هؤلاء تسهيلاً لهم لطرق التعيش »، أذن لهذه المدارس أن تقبل بها تلامذة من العميان والخرّس، وحينما يتوافر العدد الكافي من المعلمين المختصين في تعليم العميان تنشأ لهم أقسام في المدارس الأخرى بالقاهرة والأقاليم (١). وهكذا اختفت مؤسسة تعليمية كانت من أكثر المؤسسات التعليمية نفعا. وكانت « أول مدرسة فتحت من نوعها بمصر وليتها دامت » (٢).

(١) Minist. de l'Inst. publique. Cinquième rapport . . 1889. p. 18-19.

انظر نص قرار نظارة المعارف في : قاموس الإدارة والقضاء لفيليب بك جلاّد ج ٤ ص ١٨٩

(٢) أمين باشا سامي : التعليم في مصر ص ٣٠

الفصل السابع

مدارس البنات

كان المرسلون الإنجلييون أول من فتحوا في القاهرة مدرسة لتعليم البنات في سنة ١٨٣٥ ، وكانت أكثر التلميذات بها من بنات الأقباط وقليل منهن من المسلمات . وقد خرجت المدرسة عدداً كبيراً منهن قادرات على القراءة والكتابة وكسب عيشهن بالتطريز ومختلف أشغال الإبرة . وكانت بعض المعلمات الأوربيات تدخل قصور محمد علي والأمراء لتعليم فتيات الأسرة الحاكمة و(حريمها) ، وكان وجهاء القوم يبعدون في تعليم فتياتهم إلى معلمات أوربيات إلى جانب معلمين من (المشايع)^(١) . والمدرسة الوحيدة التي أنشأتها حكومة محمد علي هي مدرسة الولادة لإعداد الموليدات والحكيمات^(٢) .

وفي عهد إسماعيل أنشأت بعض السيدات الإنكليزيات مدارس لتعليم البنات ، على أن أثرها — بطبيعة نشأتها وتسكوينها — كان محدوداً^(٣) .

ولسكن أهم (تجديد) في تعليم البنات إنشاء حكومة إسماعيل مدارس خاصة لتعليم البنات . وقد عني إسماعيل منذ أوائل حكمه بإنشاء هذه المدارس . وكان محمد شريف باشا يعلق أهمية عظيمة على إنشائها . ويذكر Sachot ، في تقريره إلى وزير المعارف الفرنسية

(١) انظر تاريخ التعليم في عصر محمد علي للؤلف ص ٦٧٤ .

(٢) المصدر السابق ٢٩٤ — ٣٠٩ .

(٣) انظر فيما بعد الفصل الخاص بمدارس الجاليات الأجنبية والطوائف الدينية .

أن « سجل مداولات مجلس التعليم الذى وضعته الحكومة تحت تصرفه يثبت أن هذه المسألة كانت من مشروعات الحكومة فى الوقت الحاضر » (١).

وفى ٢١ مارس سنة ١٨٦٧ ألفت لجنة كان أعضاؤها جميعاً من المصريين ما عدا رئيسها « ميرشير » ناظر المدارس الحربية ، وعهد إليها بدراسة مشروع لتعليم البنات وإبداء رأيها فى إنشاء مدرسة خاصة لهن .

ووضع مقرر اللجنة « شحاتة عيسى » مشروع لائحة لإنشاء المدرسة وبرنامجا للدراسة . وهذا أهم ما جاء فيه : تتسع المدرسة لخمسمائة فتاة تتراوح سنهن بين التاسعة والحادية عشرة ، ويلحق بالمدرسة فى كل سنة مائة تلميذة حتى تستكمل المدرسة فى سنتها الخامسة نصابها المقرر .

وتكون مدة الدراسة خمس سنوات وتوزع مواد الدراسة كما يلى :

السنة الأولى : اللغة العربية قراءة وكتابة ، وكذلك اللغة التركية ، الرسم ، أشكال هندسية .

السنة الثانية : اللغة العربية ، قراءة القرآن ، اللغة التركية ، مبادئ الدين ، الرسم ، قواعد الحساب الأربع .

السنة الثالثة : العربية والتركية ، رسم المناظر ، الحساب ، الجغرافية ، أشغال الإبرة .

السنة الرابعة : العربية والتركية ، أشغال الإبرة ، الجغرافية ، رسم المناظر .

السنة الخامسة : طرق تربية الطفل وحفظ الصحة ، الخياطة ، الطبخ ، التدبير المنزلى .

وتلا ذلك اقتراح بتنظيم هيئات الإدارة والتدريس والخدم (٢) .

Sachot: op. cit. p. 21. (١)

Ibid. p. 21 - 22. (٢)

وبلغ من اهتمام محمد شريف باشا بمشروع إنشاء المدرسة أنه في أواخر سنة ١٨٦٧
تحدث مع قنصل إنجلترا العام في شأن استدعاء ناظرة إنكليزية لها (١).

ومضى على ذلك نحو عامين ، ولم يخرج المشروع إلى حيز الوجود . ولكن الخديو
إسماعيل ظل على اهتمامه بإنشاء مدرسة للبنات بالقاهرة ، فأصدر أمراً إلى مدير ديوان
المدارس باختيار قطعة أرض من أراضي الحكومة التي تخلفت بشق طريق يصل بين
شارع عبد العزيز وباب اللوق وبناء مدرسة للبنات عليها (٢) ، ووقع الاختيار على قطعة
الأرض ووضع رسم البناء ، وصرح الخديو بأن تكون نفقاته من الجيب الخاص ،
وأن تحرر (حجة) الأرض باسم المدرسة (٣) ، ولكن العمل في بناء المدرسة كان
يسير ببطء شديد ، ونرجح أن السبب في ذلك عدم توفر المال اللازم (٤) .

وهكذا مضت خمس سنوات — منذ وضع مشروع إنشاء المدرسة — والحكومة
تحدث عن افتتاح قريب لمؤسسة كبيرة لتعليم البنات بعد أن وضعت الخطط
وبدأت في العمل فعلاً (٥) .

-
- (١) حفظة ٤٢ (معية تركي) رقم ٣٤٢ من شريف باشا إلى المعية في ٦ شعبان ١٢٨٤
(٢) حفظة ٤ (مدارس) رقم ١٨٩ أمر إلى ديوان المدارس في ٢٤ المحرم ١٢٨٦ ، دفتر
٨٥٢ (معية تركي) ص ١٤ أمر إلى ديوان المدارس في ٢٢ صفر ١٢٨٦
(٣) حفظة ٤ (مدارس) رقم ١٩٠ أمر إلى ديوان المدارس في ٣ جمادى الثانية ١٢٨٦
(٤) دفتر ٤٣٥ (مدارس عربي) ص ١٢١ رقم ٤٦ إلى الخواجه يعقوب القطاوى في
١٠ رجب ١٢٨٧ (بطلب مبلغ ١٠ آلاف جنيه الذي صدر أمر الخديو بأن يأخذها منه
ديوان المدارس ، وليس بخزانة الديوان نقود والمقابل نقود متأخرة) ودفتر ١٩٣٢
(أوامر) ص ٣٤ رقم ١٦٨ من المهردار إلى مدير المدارس في ٥ ربيع الأول ١٢٨٧ .

حتى إذا كانت أوائل سنة ١٨٧٣ أخذت سمو الأميرة جشمه آفت هانم أفندي الزوجة الثالثة للخديو إسماعيل - الأمر بين يديها ، وبفضل رعايتها وكرمها أنشئت أول مدرسة حكومية لتعليم البنات في مصر .

مدرسة السيوفية للبنات

قدّمت الأميرة من المال ما يكفي لشراء قصر قديم في أحد أحياء القاهرة المزدهمة بالسكان (السيوفية) وأعيد أكثر بنائه ليتسع لمائتي تلميذة داخلية و ١٠٠ خارجية . وقيل إنه حدث تردد في أول الأمر من جانب النساء الوطنيات ، ولكن سرعان ما امتلأت المدرسة بالتلميذات ، حتى زاد عدد الراغبات في الدخول على أضعاف العدد الذي يتسع له البناء ^(١) .

وافتححت المدرسة في يناير سنة ١٨٧٣ . وفي ستة أشهر كان بها ٢٨٦ تلميذة « وكثيرات يطلبن الالتحاق بها » . وكانت عمارة البناء ما تزال جارية ^(٢) ، وكان لهذا الإقبال الشديد أثره في التفكير في افتتاح مدارس أخرى لتعليم البنات .

وفي العام التالي (١٨٧٤) في الوقت الذي وضعت فيه خطط الدراسة ومناهجها ووضعت اللوائح لتنظيم المدارس ، وضعت لائحة لتنظيم مدرسة السيوفية

Mc. Coan: Egypt as it is. P. 217.

(١) Edwin de Leon: Egypt under its Khedives. P. 163—164.

(٢) دفتر ٤٦٠ (مدارس عربي) ص ١٠٣ رقم ٦١٤ من المستشار الى ناظر الاشغال

والمعارف والأوقاف في ٢ جمادى الثانية ١٢٩٠

للبنات^(١)، وكانت تدعى أحيانا مدرسة «السنية»^(٢).

الغرض من المدرسة : ترمى المدرسة إلى أن تقدم لتلميذاتها تعليما ابتدائياً وتعليماً مهنيّاً عملياً يمكنهن من إفادة عائلاتهن وكسب عيشهن وقت الحاجة ، كما أنها تعد أيضاً مدرسة تجهيزية لمدرسة الولادة بقصر العيني (المادة الأولى) . وقد تأكد ذلك بما جاء في لائحة قبول التلامذة بالمدارس الملكية الصادرة في يناير سنة ١٨٧٤ من أن تلميذات مدرسة الولادة يؤخذن من الآن فصاعداً من مدرسة البنات (المادة ١١) .

مدة الدراسة وخطتها : تتكون المدرسة من خمس فرق ، ومدة الدراسة لكل فرقة سنة ، ويمكن جمع فرقتين أو أكثر في بعض الدروس المشتركة

(١) طبعت هذه اللائحة بعنوان : Ecoles Civiles du Gouvernement égyptien :

Règlement pour l'Ecole des Filles. Le Caire. 1874.

وفي المحفوظات الأوروبية بعابدين مشروع هذه اللائحة بعنوان :

Ecoles Civiles du Gouvernement égyptien. Règlement pour l'Ecole des Filles de la Syoufieh sise au quartier de ce nom, créée et soutenue par la Magnanimité de Son Altesse Chachm, Aft Hanoum, 3^{ème} Princesse de Son Altesse le Khédive.

وقد نشرت جريدة (Courrier de Port-Said) مقالات عن تعليم البنات من سلسلة مقالاتها عن التعليم في العدد الصادر بتاريخ ٨ فبراير ١٨٧٥ وقد نسخ هذا المقال ورفع إلى الخديو ووجدناه في أوراق المحفوظات الأوروبية بعابدين ، وقد وصفت الجريدة اللائحة الجديدة بأنها «مظهر حر لسياسة كريمة لإصلاحية» . وقد ترجمنا اللائحة بأكملها ونشرناها في الجزء الثالث : الملحق التاسع ص ١٠٦ — ص ١٢٥ .

(٢) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربي) ص ٥٨ رقم ٤٠٣ الى دواير فامليات في ٢١ ذى الحجة ١٢٩٠ — وبذلك ترى أن اسم المدرسة (السنية) اطلق على المدرسة أحيانا قبل أن تسمى رسمياً بذلك الاسم في سنة ١٨٩٨ .

(المادة ٢) . ومواد الدراسة : الدين واللغتان العربية والتركية والحقائق البارزة في التاريخ القومى وجغرافية مصر وأوليات فى الجغرافية العامة والحساب ونظام الموازين والمكاييل المصرية ومبادئ فى المحاسبة المنزلية وأوليات فى التاريخ الطبيعى والطبيعة وتطبيقها فى الحياة اليومية والرسم والأشغال التى تمارسها المرأة (المادة ٣) كالأشغال اليدوية والتدبير المنزلى ، وكانت أثمان هذه الأشغال تودع فى صندوق المدرسة لتبقى ببعض مصروفاتها (المادة ٤) (١) .

ولا يزيد عدد الدروس فى الأسبوع — عدا الدروس العملية — على أربع وعشرين ساعة لكل فرقة (المادة ٦) ، ثم أضيفت اللغة الفرنسية (٢) ، ودروس فى البيانو لبعض التلميذات (٣) .

ولم تستكمل المدرسة فرقتها الدراسية الخمس إلا فى وقت متأخر .

ففى سنتها الأولى (١٨٧٤) كان بالمدرسة ٢٨١ تلميذة موزعات على الفرق الآتية (٤) :

الفرقة الأولى : بها ٨٥ تلميذة درسن الحساب والقرآن الشريف (حفظا ومطالعة

(١) وقد جاء فى مصدر آخر أن المال الذى يجمع يخصص لشراء جهاز العرس للتلميذات (Mc. Coan, op. cit. p. 218.)

(٢) دفتر ٤٨٤ (مدارس عربى) ص ١٥٢ رقم ٤١ إلى تفتيش المدارس فى ٢٠ ذى القعدة ١٢٩١ . وكان قد اقترح تدريس الفرنسية فى مشروع اللأئحة .

(٣) ويتعلم البيانو ٢٠ تلميذة وعلى معلمتهن أن تهتم بسرعة تعليمهن ليعزفن فى (محفل الامتحان) : دفتر ٤٨٧ (مدارس عربى) ص ٣٩ رقم ٢٤٤ إلى مدرسة السيوفية فى ٩ جمادى الثانية ١٢٩٢ .

(٤) دفتر رقم ١ (امتحانات السيوفية) بدفترخانة المعارف .

(وإملاء) واللغة التركية والأشغال اليدوية : تطريز بالأبيض . شغل السككفه . شغل بالسنارة . الجدل . الخياطة . وضع العلامات . شغل المنسج العربي . شغل القوية والظرافة .

الفرقة الثانية : بها ٩٣ تلميذة وقد درسن المواد السابقة إلا بعض تلميذات لم يمتحن في الحساب والتركبة .

الفرقة الثالثة : بها ١٠٣ تلميذات وقد درسن المواد السابقة ما عدا التركية ولم يمتحن في الحساب منهن إلا تلميذتان .

وفي العام التالي (١٨٧٥) أدخلت دراسة اللغة الفرنسية والرسم والجغرافية لبعض تلميذات الفرقتين الأولى والثانية ، وقسمت الأشغال اليدوية إلى أشغال أفرنكية (خياطة . كنفه . تطريز أبيض . كروشيه . شغل جوارب) ولكل منها درجة وأشغال تركية (منسج أويه . كروشيه) ولكل منها درجة و (كتي) ولها درجة ، ولكل تلميذة درجة للأخلاق .

وفي سنة ١٨٧٦ بدأ تدريس العزف على (البيانو) لبعض التلميذات ، ونظمت خطة دراسية قوية : فأكثر تلميذات الفرقة الأولى من قراءة القرآن والمطالعة في كتاب (التمرين) في اللغة العربية وكتاب (النخبة الزكية) في اللغة التركية وكتاب (الدر المنتخب) في اللغة الفرنسية ودرسوا الجغرافيا والحساب والرسم . أما تلميذات الفرقة الثانية فلم يدرسن الفرنسية والجغرافية ، واقتصرت تلميذات الفرقة الثالثة (المبتدئات) على قراءة القرآن و (التمرين) ، هذا عدا الأشغال اليدوية المعتادة .

ثم أدخلت دراسة الفرنسية في (مقرر) الفرقتين الثانية والثالثة لبعض التلميذات . ومن سنة ١٨٧٩ ألغيت اللغة الفرنسية من المدرسة : وفي سنة ١٨٨٠ جدت فرقة

رابعة للمبتدئات . وفيما يلي بيان بعدد تلميذات المدرسة ومعملاتها منذ إنشائها في سنة ١٨٧٣ إلى سنة ١٨٨٥ (١) :

السنة	عدد التلميذات			عدد المعاملات
	المجموع	داخلية	خارجية	
١٨٧٣	٢٨٦			
١٨٧٤	٢٨١			
١٨٧٥	٢٩٨	٢٠٣	٩٥	١٥
١٨٧٦	٢٨٦			
١٨٧٧	٢٢٧			
١٨٧٨	٢٤٨			
١٨٧٩	٢١٥			
١٨٨٠	٢٠٨			
١٨٨٠ (٢)	٢٤٤	٣١	٢١٣	١١

إدارة المدرسة : عهدت اللائحة إلى (ناظرة Directrice) بالإشراف على سير الدراسة والنظام بالمدرسة ، ومن ذلك الاتصال بأولياء أمور التلميذات وقيد الغائبات من التلميذات والمعلمين والمعاملات ورفع تقرير في نهاية كل عام عن التلميذات وهيئة التدريس وسير الدراسة (المواد ٧ و ٨ و ٩ و ١٠) وتقوم (الوكيله) مقامها أثناء غيابها (المادة ١١) .

(١) هذا البيان مقتبس من دفتر ١ (امتحانات السيوفية) ولا يختلف كثيرا عن البيان الذي أورده تقرير القومسيون سنة ١٨٨٠ — انظر الجزء الثالث (ملحقات) ص ٢١١ — ٢١٢ .

(٢) على أثر ضم مدرسة القرية إليها .

ويعين (ناظر Directeur) للمدرسة ويكون وحده مسئولا عن المسائل المادية للمدرسة . فهو يشرف على شراء المشتريات اللازمة وعلى الكتّاب والخدم (المادة ١٥) ويشرف على سجلات قيد التلميذات ويتصل بالنظارة في كل ما يطلب منه أدائه (المادة ١٦) . وله أن يتصل بأولياء أمور التلميذات إما رأسا أو عن طريق النظارة (المادة ١٧) . ولكنه لا يوجد بداخل المدرسة إلا إذا كان وجوده ضروريا (المادة ١٨) وعليه أن يفتش مرتين في الشهر بالاشتراك مع النظارة عن المخزن (المادة ٣٠) كما يشترك معها ومع المشرفة على النظام (الضابطة) والطبيبة في فحص المواد الغذائية (المادة ٢١) .

وتعين مشرفة على النظام (أوضابطة Saurveillante d'ordre) وتشرف على الخدم ونظافة المدرسة وعلى خروج ودخول التلميذات الخارجيات والتأكد من نظافتهن واستبدال ملابس (الخروج) بملابس المدرسة (المادة ٢٣) وفي حالة غياب النظارة ترافق الطبيب في زيارته (المادة ٢٤) .

ويلحق بالمدرسة عدد من المشرفات (القلفوات surveillantes) ويخترن من التلميذات بنسبة مشرفة واحدة لكل عشرين تلميذة ، ويسمن في (العنابر) مع التلميذات ويشرفن على نظافتهن وترتيب الأسرة والخدمة في المطبخ والمرافق ، كما يشرفن على أشغال التلميذات العملية .

هذا ما جرت به الألائحة لتنظيم إدارة المدرسة . وقد عين ديوان المدارس في الشهور الأولى من افتتاح المدرسة « حسن افندي صالح » ناظرا عليها^(١) و « مدام روزة »

(١) دفتر ٤٦١ (مدارس عربي) ص ٣٤ رقم ٢٧٠ الى ناظر مدرسة السيوفية في ١٥ رجب ١٢٩٠ .

Mme. Rose Naggar ، ملاحظة الضبط والربط والنظافة بالمدرسة «^(١) أى فى وظيفة (surveillante d'ordre) ، ثم جعلت « وكيلا » للمدرسة «^(٢) ثم « ناظرة » عليها . وتلا ذلك أن لقب الناظر « بمأمور أشغال المدرسة » . وكان انقسام (إدارة) المدرسة بين الناظرة والمأمور مدعاة لاستمرار النزاع بينهما ، مما دعا إلى تدخل الديوان وطلبه « أن يتحدا » لإدارة شؤون المدرسة «^(٣) .

ثم تولى نظارة المدرسة « برعى افندى » من يناير ١٨٧٧ إلى مارس ١٨٨٢ ثم عادت السيدة روزة فتولت النظارة من مارس ١٨٨٢ إلى ديسمبر ١٨٨٢ ثم خلفتها السيدة شمس جيهان من يناير ١٨٨٣ إلى اكتوبر ١٨٨٩ «^(٤) . أما (قلفوات) المدرسة فقد اخترن فى الشهور الأولى من افتتاح المدرسة من تلميذات مدرسة الولادة اللاتى يعرفن القراءة والكتابة . «^(٥)

الخدمة الصحية بالمدرسة : على الطبيب أن يزور المدرسة فى كل صباح ، ويشرف على قيد التلميذات المريضات وعلاجهن (المادة ٢٨) ، وعليه أن يذهب إلى المدرسة كلما

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٢٢ إلى مدرسة السيوفية فى ٢١ شوال ١٢٩٠

(٢) وكانت مرتبها فى الشهر ١٥ جنيهًا انكليزيا — دفتر ٤٨١ (مدارس عربى) ص ١١٠ رقم ٢٣١ إلى كتاب الحسابات فى ٢٥ ربيع الأول ١٢٩٢

(٣) دفتر ٤٨٧ (مدارس عربى) ص ٦٣ رقم ٢٥٥ إلى مدرسة السيوفية ، ص ٦٤ رقم ٢٦٠ إلى مأمور أشغال المدرسة السيوفية فى ٢٣ جمادى الثانية ١٢٩٢

(٤) أمين باشا سامى : التعليم فى مصر . القسم الخامس ملحقات ص ٨٨

(٥) دفتر ٤٦١ (مدارس عربى) ص ٢٠ رقم ٩٢ إلى المدرسة الطبية فى ١٤ رجب ١٢٩٠

طلب منه ذلك (المادة ٢٩) أما التلميذات اللاتي يصبين بأمراض خطيرة فعلى الطبيب أن يرسلهن حالا إلى آبائهن أو إلى مستشفى قصر العيني (المادة ٣٠) .

وتعين حكيمات (أو مولدات sages-femmes) لإدارة المستشفى ويتعاونن الخدمة ، ويقيدن أسماء التلميذات المريضات وما خصص لكل منهن من علاج ، ويناولن الأدوية للمريضات (المادة ٣٢) . وتكون المولدات تحت إدارة ناظرة المدرسة ويعاونها في الملاحظة العامة في الدروس والمشغل والعنابر (المادة ٣٣) . وتختار ممرضة من قصر العيني لتعاون المولدات في عملهن (٣٥) .

وقد بلغ من حرص ديوان المدارس على (سمعة) المدرسة أن طلب إلى الطبيب — وهو حكيمباشي المدارس — أنه عند ذهابه إلى المدرسة في صباح كل يوم يقف بباب المدرسة حتى تحضر الناظرة وترافقه في زيارته ، « وبخلاف ذلك تغلبوا (كذا) أنكم ليسوا مأذونين بإقامة وقت داخل المدرسة دقيقة واحدة » (١) .

قسم: التربين بالمرسة:

جعلت اللائحة الحد الأعلى لعمل المعلمين والمعلمات ٣٠ ساعة في الأسبوع (المادة ١٢) . ويشرفون على استذكار التلميذات دروسهن (المادة ١٣) . ويخضعون لأوامر الديوان والناظرة (المادة ١٤) (٢) .

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ٩٦ رقم ١٨٤ إلى محمود أفندي إبراهيم حكيمباشي المدارس في ٢٥ شوال ١٢٩٠ وعينت الست نفيسة والست آمنة والست زينب حكيمات بالمدرسة ، وكن يعاون في دروس العربية والحساب والأشغال (دفتر ١) (امتحانات السبوعية) .

(٢) وثبت فيما يلي أسماء أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة نقلا عن بعض وثائق الديوان وإحصاء سنة ١٨٧٥ ودفتر امتحانات المدرسة :

تلميذات المدرسة:

اشترطت اللائحة في التلميذة أن تكون سليمة الجسم والخلق ، ولا يقل سنها عن السابعة ولا يزيد على الحادية عشرة . والتعليم في المدرسة بالمجان (المادة ٣٦) .

وبمراجعة أسماء تلميذات المدرسة وأعمارهن في جداول الامتحان^(٢) وجدنا أن أعمارهن تتفاوت بين السابعة والخامسة عشرة (من الفرقة الرابعة إلى الأولى) أى في نطاق السن التي حددتها اللائحة ، وتراوحت مدة إقامة تلميذات الفرقة الأولى (النهائية) بالمدرسة بين أربع وسبع سنوات .

وتفحص الحكيمة المنوبة عن التلميذات الجديديات (المادة ٣٧) . وتقبل التلميذات داخلات بالمدرسة أو خارجيات^(٣) (المادة ٣٨) وتخرج التلميذات الداخليات إلى

= معلمو القرآن واللغة العربية : المشايخ أحمد زغلول . أحمد هنداوى . أحمد هلال
معلمة الحساب : الست روزة — معلمو الفرنسية : الست روشية ومسيو فالبرج ومسيو
بلاو ومصطفى رضوان

معلمو الرسم : محمد رشوان وسنتمارى
معلمو الجغرافية : محمد رشوان ومدمو ازيل اسبيرون
معلمو التركية : محمد فاضل ومصطفى أفندى ويحيى أفندى
معلمات الاشغال اليدوية والتدبير المنزلى : السيدات روشيه (Rochet) ولويزة وكاملة
وزينب وعائشة وصفية وسباط ومرية وفاطمة وأرينوله (Aranuola)

معلمات البيانو : السيدات فيدال وأميلي كوزاجى ومسيو نيقولا ومسيو بيلينو .

(٢) دفتر ١ (امتحانات السيوفية) بدفترخانة المعارف

(٣) كان قد افترح في (مشروع) اللائحة أن تكون التلميذات جميعا داخلات .

أهلين مرة كل خمسة عشر يوماً^(١) من مساء الخميس إلى صباح السبت ، ويمنع زيارة أهالى التلميذات لهن بالمدرسة (المادة ٤٩) .

وتقوم التلميذات الداخليات بأنفسهن - وتحت إشراف الملاحظات - بجميع أعمال النظافة من كنس وترتيب للأسرة وغسيل ، كما يقمن بطهى الطعام تحت إدارة ملاحظات مخصوصات (المادة ٤٠) .

ومدة الدراسة خمس سنوات تخرج التلميذة بعدها من المدرسة إلى أسرته أو للخدمة أو للعمل فى (المصانع) التى ستتشأ لإصلاح الملابس اللازمة لمدارس الحكومة أو الأفراد (المادة ٤١) .

التلميذات الخارجيات يتعلمن بالمدرسة ويكسبن ويتناولن وجبة الغداء ويتسلمن الكتب وأدوات الدراسة والأشغال بالمجان ، ولكنهن يعدهن إلى المدرسة عند خروجهن منها (المادة ٤٣) .

جميع أشغال التلميذات الداخليات والخارجيات تكون ملكا للمدرسة (المادة ٤٤) . ويصحب التلميذات الخارجيات فى ذهابهن إلى مدرستهن وإيابهن منها أهلهن أو خدمهن (المادة ٤٥) ، ويستطيع أهل التلميذة أو أولياء أمرها أن يأخذوا بنتهم من المدرسة فى أى وقت شاءوا ، وفى هذه الحالة لا يمكن قيدها أثناء العام الدراسى الذى خرجت فيه (المادة ٤٧) أما التلميذات اليتيمات فلا يخرجن من المدرسة (المادة ٥٠) . وتوقع على التلميذات العقوبات الآتية : (المادة ٥١) .

(١) وكان الديوان حريصا على تنفيذ هذا البند بدقة — دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى)

- ١ — التحذير شفاها .
 - ٢ — التحذير كتابة في دفتر الفصل .
 - ٣ — الحجز في وقت الفسحة في مكان خاص .
 - ٤ — الحجز في المدرسة أيام الجمع .
 - ٥ — تأنيب الناظرة للتلميذة بمفردها أو أمام زميلاتهما في الفصل .
 - ٦ — الحضور والتأنيب أمام هيئة المعلمين مجتمعة .
 - ٧ — كتابة خطاب مفصل لأولياء التلميذات ، فإذا كن يتيما أرسل الخطاب للديوان .
 - ٨ — الحرمان من امتحان آخر السنة .
 - ٩ — الطرد من المدرسة .
- وتحرم قطعاً العقوبات البدنية والسب (المادة ٥٤) .
- وتعطى الناظرة التلميذة المنتهية من المدرسة — إذا طلب أهلها — شهادة دراسية
- تختتم بخاتم الديوان عن أعمال التلميذة وسلوكها (المادة ٥٣) .

امتحانات المدرسة

تتخذ أسوة بالمدارس الأخرى في شعبان من كل عام ، وتتعقد امتحانات مدرسية في كل ثلاثة أشهر (المادة ٥٥) . وتقدر الدرجات من صفر إلى ٢٠ درجة . وتضع هيئة المعلمين مجتمعة درجة لمتوسط أعمال التلميذة في السنة ، ثم يؤخذ متوسط درجات الامتحان ، والمتوسط النهائي يحدد النتيجة النهائية للتلميذة (المادة ٥٨) . وللانتقال من فرقة إلى أخرى أعلى منها يجب أن تحصل التلميذة في المتوسط النهائي على ١٤

درجة (المادة ٥٩)^(١) . وتمنح المتفوقات جوائز أوشارات الشرف^(٢) .

وختمت اللائحة بتنظيم يوم التليذات المدرسى كما يلى :

(١) قبل شروق الشمس بساعة إلى ما بعد شروقها بنصف ساعة : يقظة ، نظافة ، صلاة ثم إفطار . ثم توزع الناظرات التليذات بين أعمال الطهى والغسيل والسكى .

ق ق ق ت

(٢) من الساعة^(٣) — ١ إلى ٣٠ ١ دخول التليذات الخارجيات .

(٣) » » ٣٠ ١ » ٢٥ ٢ درس القراءة والكتابة والأشغال اليدوية .

(٤) » » ٣٥ ٢ » ٣٠ ٣ درس القراءة والكتابة والأشغال اليدوية .

(٥) » » ٣٠ ٣ » — ٤ فسحة (ويوم السبت نداء لأسماء التليذات) .

(٦) » » — ٤ » ٥٥ ٤ دراسة وأشغال إبرة .

(٧) » » ٥ ٥ » — ٦ » » » .

(١) وكانت التليذات يرتبن فى كشوف الامتحان طبقا للدرجات الآتية : أعلى الأعلى . أعلى . عال . وسط . دون . أدنى . وكان يعطى للتليذة بعد درجات المواد والأشغال درجة خاصة للأخلاق : انظر دفتر ١ (امتحانات السيوفية)

(٢) وقد أعطيت للمتفوقات فى أحد الامتحانات (علم خياطة) — دفتر ٤٨٠

(مدارس عربى) ص ٨٦ رقم ١٣٠ إلى كتاب الحسابات فى ١٩ ذى الحجة ١٢٩١

(٣) الوقت محدد هنا طبقا للتوقيت العربى : فالساعة الواحدة تقع بعد شروق الشمس بساعة وهكذا .

ق ت	ق ت
(٨) من الساعة ٦ — إلى ٧ —	نداء وغذاء (١).
(٩) » » ٧ — » ٨ —	فسحة وصلاة.
(١٠) » » ٨ — » ٨ ٤٥	درس اللغة التركية للفرقة الأولى وأشغال يدوية للفرق الأخرى . ثم بعد ذلك تعطى للفرقة الأولى دروس في التاريخ والجغرافية .
(١١) » » ٨ ٥٠ » ٩ ٣٥	حساب للفرقة الأولى وأشغال يدوية للفرق الأخرى .
(١٢) » » ٩ ٤٠ » ١٠ ٣٠	أشغال يدوية لجميع الفرق .
(١٣) » » ١٠ ٣٠ » ١١ ٣٠	خروج التلميذات الخارجيات فسحة وصلاة .
(١٤) » » ١١ ٣٠ » ١٢ ٣٠	عشاء (٢).
(١٥) » » ١٢ ٣٠ » ١ ٣٠	فسحة وصلاة ثم نوم .

ميزانية المدرسة

قلنا إن سمو الأميرة جشمة آفت هانم أفندي هي التي أنشأت المدرسة على نفقتها، وكانت تؤدي إلى ديوان المدارس ما تتكلفه المدرسة في السنة من مصروفات

(١) كان يرفه عنهن في الغذاء : فكانت المدرسة تطعمهن فاكهة ولبناً وزيتونا وتأتي لهن بالبيض يوم شم النسيم — دفتر ٤٨٦ (— مدارس عربي) ص ٢٧ رقم ١٦٨ إلى مدرسة السيوفية في ١٦ ربيع الاول ١٢٩٢

(٢) الساعة الثانية عشرة والنصف (بالتوقيت العربي) تسكون بعد غروب الشمس بنصف ساعة .

ومرتبات ، ويتولى الديوان الصرف على المدرسة . وفيما يلي بيان (بميزانية) المدرسة في سنوات مختلفة من تاريخها :

سنة	بارة	قرشا	جنيها
سنة ١٨٧٣ (١)	٣٥	٣	٩,٣٠٧
سنة ١٨٧٥ (٢)	١٥	١٢	٧,٢٢٩
(منه)	٢٤	١٥	٥,٥٩٧ مصروفات والباقي مرتبات (٣)

وقيل في تعليل هبوط (ميزانية) المدرسة أن الارتباكات المالية التي حلت منذ سنة ١٨٧٥ اضطرت الأميرة جشمة آفت إلى بعض الاقتصاد في مصروفات مدرستها (٤) .

وقد اتجهت رغبة الخديو في السنة الأولى لإنشاء المدرسة إلى ربط إيراداتها بخصص ريعه للصرف على المدرسة (٥) ، ولكن هذه الرغبة لم تتحقق ، ولو تحققت

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ٦٢ رقم ١٣ إلى المعية السنية في ١٤ ذي القعدة ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٨١ (مدارس عربي) ص ٢٢ رقم ٩ إلى المعية السنية في ١٣ صفر ١٢٩٢

(٣) دفتر ٤٨٦ (مدارس عربي) ص ٤٨ رقم ١٧١ إلى مدرسة السيوفية في

٢٢ ربيع الأول ١٢٩٢ . وكان ديوان المدارس يطلب إلى دائرة الأميرة مذيعة المدرسة

صرف هذا المبلغ على أربع دفعات : دفتر ٤٨٢ (مدارس عربي) ص ٥١ رقم ٨٨٠ إلى

وكيل دائرة دوللو أوجنجي هانم أفندي في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٢

(٤) Yacoub Artin Pacha, op.cit.p. 136.

(٥) دفتر سنة ١٥٩٠ (إرادات للدارس) ص ٥ رقم ٥ ، دفتر ١٩٤٧ (أوامر)

ص ٥٧ رقم ٥ أمر إلى ديوان المدارس في ١٨ ذي الحجة ١٢٩٠

لأنقذت المدرسة مما حل بها على أثر خلع الخديو في سنة ١٨٧٩ ورحيله إلى خارج البلاد .

مدير المدرسة :-

رأى ديوان الأوقاف - على أثر حرمان المدرسة مؤسستها - أن يقنع بمدرسة واحدة للبنات ، فاحتفظ بمدرسة السيوفية وضم إليها مدرسة (القرية) ، فأصبحتا مدرسة واحدة ، تضم ٢٤٤ تلميذة وأحد عشر معلماً ومعلمة .

وكان لهذا الاضطراب أثره السيء على المدرسة فقد ساءت حالها بعد ازدهارها وفقدت قيمتها في أعين الناس ، وقد درس (قومسيون تنظيم المعارف) في سنة ١٨٨٠ حالة المدرسة فقرر أنها « لا تقوم في الوقت الحاضر بالخدمات التي كانت تنتظر منها ، ولا يهتم بها أهل القاهرة إلا قليلا ، وأوضح دليل على ذلك العدد القليل من البنات بالقسم الخارجى »^(١) . ولكن القومسيون لم يعتبر هذا الانحطاط سوى أزمة عارضة يجب العمل على التغلب عليها ، وتقدم دور بك المفتش العام إلى القومسيون بتقرير عن المدرسة أشار فيه إلى ضرورة وجود إدارة حازمة مستنيرة وإلغاء بعض مواد دراسية لا غناء فيها ، بل قد تتعارض مع تقاليد البلاد ، وهو الكفيل بعد ذلك بأن تنجح المدرسة وتكسب ثقة الرأى العام .

واقترح القومسيون أن تسعى الحكومة لإعداد العدد الكافى من الملمات ذوات الاستعداد لمهنة التعليم ، وأن تفتح مدرسة أخرى في مدينة غير القاهرة « على سبيل التجربة والمقارنة » ويكون تلميذاتها جميعاً خارجيات . ويقتصر فى هاتين المدرستين على

(١) عدد التلميذات الخارجيات فى سنة ١٨٨٠ $\frac{1}{8}$ مجموع تلميذات المدرسة : تقرير القومسيون بالملحقات (الجزء الثالث ص ٢١٢) .

التعليم الابتدائي والأشغال التي تعدّ الفتاة لتكون ربة بيت . حتى إذا نجحت التجربة أمكن التوسيع في إنشاء مدارس البنات برفق وحذر ^(١) .

على أن هذه المقترحات النافعة ظلت بدون تنفيذ .

وتحوّلت المدرسة عن غرضها تماماً ، حتى أصبحت تكاد تكون ملجأً لليتيمات ولبنات الطبقات الفقيرة ^(٢) ، وعدّها ديوان المدارس مدرسة خيرية (école de charité) ينفق عليها إحساناً من ديوان الأوقاف ، وهبط عدد تلميذاتها إلى مائة تلميذة وتلميذتين يعلمهن ٦ من المعلمين والمعلمات ، ثم إلى ٩٩ تلميذة كهن داخلات .

وفي أواخر سنة ١٨٨٥ أحيات — مع غيرها من مدارس الأوقاف — إلى ديوان الأوقاف ^(٣) ، ثم عادت نظارة المعارف وتسلمتها في سنة ١٨٨٩ فوضعت لها نظاماً جديداً وبرامج جديدة ترمي إلى أن تجعل من البنات الفقيرات ربّات بيوت أو خادِمات أو عاملات ، ومن تقبل منهن أن تعدّ لتكون معلّمة قدم لها ما يلزم من التعليم . وتقبل بعض التلميذات مجاناً وتفرض رسوم دراسية على البعض الآخر ، وهي عشر جنيهات في السنة للتلميذة الداخلية وأربع جنيهات للتلميذة الخارجية . وأعطى للمدرسة اسم جديد (المدرسة السنية) « بالنظر لما حصل (فيها) من الترتيبات والتعديلات التي صيرتها هو في درجة أرقى مما كانت عليه » ^(٤) . وأمّلت نظارة المعارف أن تصبح المدرسة — في وضعها الجديد — نواة لنظام عام لتعليم البنات ^(٥) .

(١) المصدر السابق ص ٢١٣

(٢) Yacoub Artin, op. cit. p. 136.

(٣) Minist. de l'Inst. publique. Exposé des réformes. p. 19. 110. 114.

(٤) انظر قرار النظارة في : قاموس الإدارة والقضاء لفيّلب بك جلاّد ج ٤ ص ١٨٩

(٥) Minist. de l'Inst. publique. Cinquième rapport. 1889. p. 20.

مدرسة القريية للبنات

كان إنشاء مدرسة السيوفية للبنات وإقبال الأهالى على إرسال بناتهم إليها أول إنشائها حافزاً للتفكير فى إنشاء مدارس أخرى للبنات .

فى أبريل ١٨٧٣ — أى بعد افتتاح مدرسة السيوفية بنحو ثلاثة أشهر — صدر أمر الخديو إسماعيل إلى ناظر الأشغال والأوقاف والمعارف بتسليم قصر المسافر خانة (دار الضيافة) بالجمالية بعد نقل المسافر خانة منه وإجراء عمارة به لجعله مدرسة بحى الجمالية . وكان القصر قد وقفه إبراهيم باشا على الخيرات ، ولما كانت المدرسة المزمع إنشاؤها فيه « من الأمور الخيرية فلا يلزم تكليف المدارس بدفع أجرة عليه للوقف » ، على أن لا تغير العمارة شيئاً من شكل المنزل ، « بل إن المحلات التى يلزم تعميرها يصير إعادتها كأصلها »^(١) . وفى هذا القصر كان مولد الخديو إسماعيل .

وكتب الديوان إلى (تفتيش المدارس) بتسلم القصر والشروع فى عمارته^(٢) . وتقدمت سمو الأميرة « أورطنجه هانم أفندى » حرم الخديو الثانية بما يلزم من المال^(٣) .

(١) محفظة ٤ (مدارس عربى) رقم ٢١٢ ودفتر سنة ١٥٨٩ (إرادات المدارس)
ودفتر ١٩٤٣ (وأمر) ص ١٤٣ رقم ٢٠ و ص ١١٢ رقم ٨ أمر إلى الدائرة السنية
والمدارس فى ٦ ربيع الأول ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٥٩ (مدارس عربى) ص ٥٢ رقم ١١ إلى تفتيش المدارس فى
١٦ ربيع الثانى ١٢٩٠ .

(٣) أمر إلى (وكيل دائرة فامليتنا) بصرف ١٦٩ ألف فرنك وكسور لديوان
المدارس — دفتر سنة ١٥٩٠ (إرادات للمدارس) ص ٤ رقم ٤ ، دفتر ١٩٤٧ (أوامر)
ص ٢٨ رقم ٤ أمر إلى ديوان المدارس فى ٦ ذى الحجة ١٢٩٠ . وأعلنت جريدة

Courrier de Port - Said هذا النبأ فى مقالها عن تعليم البنات الصادر فى ٨ فبراير ١٨٧٥ =

ولسكن مضت على ذلك ثلاث سنوات ، « ولم يعمل شيء بالمدرسة الآن » (١) .

ولم يتح قط لهذه المدرسة أن تظهر في حيز الوجود .

في تلك الأثناء كان ديوان الأوقاف جاداً في افتتاح مدرسة للبنات ينفق عليها من الأوقاف . وقد افتتحت هذه المدرسة في سنة ١٨٧٣ بالقريبة (٢) ، وعين لنظارتها « إبراهيم أفندي منصور » (٣) . وكانت هذه المدرسة أقل اتساعاً من زميلتها السيوفية ، إذ كان مقررها من التلميذات ١٠٠ تلميذة داخلية و ٥٠ تلميذة خارجية (٤) ، كما كان قصدها أكثر تواضعاً من قصد السيوفية : فغرضها الأساسي أن تعد تلميذاتها للخدمة المنزلية (٥) .

== وهذا المقال ناقص من مجموعة أعداد هذه الجريدة الموجودة بمكتبة المجمع المصري ، ولاكننا عثرنا على صورة منه (كانت رفعت إلى الخديو) في المحفوظات الأوروبية بعابدين .

(١) دفتر ٨ (أوامر) ص ٤٠ رقم ٢ أمر إلى ديوان الأوقاف في ٤ جمادى الأولى ١٢٩٣

(٢) ذكر أمين باشا سامي أن مدرسة القريبة للبنات فتحت في سنة ١٨٧٥ (التعليم في

مصر ص ٣٠) وذكر في موضع آخر (ص ٨٨) أنها فتحت في سنة ١٨٧٤ ، ولكننا وجدنا

وثائق تشير إلى وجود المدرسة في سنة ١٨٧٣ (دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ٨ رقم

١٠٠ إلى ناظر مكتب القريبة في ٢٦ شعبان ١٢٩٠ . بارسال الجوارى بالمدرسة إلى الحمام — ،

دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ١٦٣ رقم ٢٥٨ إلى إبراهيم أفندي منصور (بتعيينه

ناظراً على المدرسة) في ١٦ ذى القعدة ١٢٩٠ (ديسمبر ١٨٧٣) وقد يرجع هذا

الاضطراب في التواريخ إلى أن تلميذات القريبة أرسلن لفترة قصيرة إلى مدرسة السيوفية .

(٣) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربي) ص ١٦٣ رقم ٢٥٨ إلى إبراهيم أفندي منصور في

١٦ ذى القعدة ١٢٩٠

(٤) مقال جريدة Courrier de Port-Said السابق ذكره .

(٥) Me. Coan. op. cit. p. 218. ويذكر أن مدرسة القريبة كانت تنفق عليها

الزوجة الأولى للخديو . ولكن الحقيقة ما ذكرنا من أنه كان ينفق عليها من ديوان الأوقاف .

ولهذا فقد طلبت المدرسة السيوفية أن تنقل بعض تلميذاتها القدرات إلى القرية ،
ولكن ديوان المدارس رفض قائلا : « إن أمر النظافة مطلوب بالمدرستين »^(١) ،
وأرسلت إلى مدرسة القرية جوارى سودانيات ، « حتى يستعدوا (كذا) للدخول
بمدرسة السيوفية »^(٢) .

ولكن مدرسة القرية كان يعوزها الاستمرار في بدء حياتها : فإنها لم تنتظم سوى
٣٠ تلميذة ثم ٥٠ بعد أشهر ، ولم يكن لها خدام خاصون بها ، بل كان يحمل الطعام
إلى تلميذاتها خدام المدرسة التجبيزية ، وينسل ملاسمن غسلوها^(٣) . ويظهر أن الأوقاف
كانت ترضى بالصرف عليها . وفي أغسطس ١٨٧٤ — ولما يعض على افتتاحها عام
واحد — نقل ما كان بها من الجوارى والتلميذات إلى مدرسة السيوفية^(٤) وفصل ناظرها^(٥) .
ولكن مدرسة القرية ألغيت — كما تفتتح من جديد رعاية الخديو وتشجيعه المادى^(٦) .

-
- (١) دفتر ٤٦٧ (مدارس عربى) ص ١٤٠ رقم ٩٥ إلى مدرسة السيوفية فى
١٢ المحرم ١٢٩١
- (٢) دفتر ٢٦٩ (مدارس عربى) ص ١٢ رقم ٦٥٠ إلى مدرسة القرية فى
٤ ربيع الأول ١٢٩١
- (٣) دفتر ٤٧٦ (مدارس عربى) ص ٣٢ رقم ١٤٦ من المدرسة التجبيزية فى
١٧ ربيع الأول ١٢٩١
- (٤) دفتر ٤٧٢ (مدارس عربى) ص ١٧٥ رقم ٣٠٨ إلى مدرسة السيوفية فى
٢٦ رجب ١٢٩١
- (٥) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ٤٨ رقم ١٤ إلى الأوقاف فى ٩ شعبان ١٢٩١
- (٦) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٣ رقم ٤ إلى المعية السنية فى ٩ رمضان ١٢٩١
إشعار بتسلم ١٤٨,٥٢٥ قرشا و ٢٤ بارة لشراء أشياء لازمة لافتتاح المدرسة .

وافتححت المدرسة من جديد فى ٢٦ شوال ١٢٩١ (ديسمبر ١٨٧٤) ، وعينت مدام سيسيل نجار « ضابطة » لها ^(١) ، وأعيد إلى الخدمة ناظرها السابق إبراهيم افندى منصور بوظيفة « معاون أشغال » المدرسة ^(٢) . وقدّر لها فى السنة مبلغ ٨ بارات و ٣٩ قرشا و ٢٧٧٦ جنيتها لمصروفاتها ومرتبات موظفيها وخدمها ، ويصرف هذا المبلغ من ديوان الأوقاف ^(٣) ، وهو أقل من نصف المبلغ الذى كان مخصصاً لزميلتها السيوفية .

واجتمع بمدرسة القرية للبنات فى عامها الأول ١٤٧ تلميذة ٧٦ بالقسم الداخلى ٧١ بالقسم الخارجى وتسعة من المعلمين والمعلمات ^(٤) ، وامتحان من تلميذاتها ١٤٤ تلميذة كن موزعات على الفرق الآتية ^(٥) :

(١) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٧٦ رقم ٤٨ إلى الأوقاف فى ٣ ذى القعدة ١٢٩١

(٢) دفتر ٤٧٩ (مدارس عربى) ص ١٧٦ رقم ٤٩ إلى الأوقاف فى ٥ ذى القعدة ١٢٩١

(٣) دفتر ٤٨٠ (مدارس عربى) ص ١٨٠ رقم ١٢١ إلى الأوقاف فى ١٩ المحرم ١٢٩٢
Ecoles aux frais des Wakfs (s.d) : وثيقة بالمحفوظات الاوروية بعابدين .

(٤) Minist. de L' Inst. Publique. Statistique des Ecoles Civiles. 1875 .p.14. (٤)
(٥) دفتر ٢٢ (امتحانات القرية) بدفترخانة المعارف . وفيما يلى أسماء معلمى ومعلمات المدرسة نقلا عن بعض وثائق الديوان والإحصاء العام لسنة ١٨٧٥ ودفتر امتحانات المدرسة :
معلمو القرآن : المشايخ أحمد الصفقى وأحمد القباني وحسانين جاد وأحمد سنجر وحسن الليبى .

حكيمة وملاحظة الأشغال ومعلمة : الست أمونة .
معلمات الأشغال : سارة (أشغال الإبرة) عائشة (المنسج العربى) روشيه وأسماء (الأشغال) صفية نقولا (السكى والغسيل) ولينز (معاونة خياطة) .

الفصل الثامن

التعـليم في السودان

يشغل السودان من إسماعيل جانبا كبيرا من عنايته المستمرة وتفكيره الدائب ، وما كان عجبا أن يهتم إسماعيل ببلاد السودان وأهليه منذ تولى الحكم في مصر ، بل مذ كان وصيا على الحكم حين كان عمه سعيد يشخص إلى بلاد الحجاز أو إلى البلاد الأوروبية . وإذا كان محمد علي ^(١) قد ربط بين فتوح السودان والاتساع المصري — أو العثماني في حقيقته — في بلاد العرب والبحر الأحمر ، إلا أنه فعل أكثر من هذا : إنه استنقذ للعالم الاسلامي وللحضارة الاسلامية شعوبا كانت ظروف الحياة قد أدت بها إلى اعتزال التيارات التي كان يضطرب بها العالم الاسلامي ، وولت وجهها شطر « الجنوب » ، وقنعت بالمحافظة على بقايا التراث العربي الاسلامي تستمد منها ما يعينها على البقاء بين مسيحي الحبشة من جهة وزنوج إفريقيا الوسطى من جهة أخرى ، ولم يستطع الاتصال التجاري والديني — المتقطع — بين هذه الشعوب الاسلامية العربية — فيما نسميه في الوقت الحاضر بلاد السودان وبين الشعوب الإسلامية العربية الأخرى في الشطر الشمالي من وادي النيل أو في بلاد الحجاز أو اليمن أو إفريقيا ، هذا الاتصال المائل في خروج القوافل التجارية في مواسم التجارة أو خروج الحجيج السوداني في

(١) انظر في سياسة محمد علي في السودان كتاب « محمد علي الكبير ، للأستاذ شفيق بك

مواسم الحج من كل عام — لم يستطع هذا الاتصال أن يخرج شعوب السودان الإسلامية العربية من عزلتها ويربط ما بينها وبين العالم الاسلامي وما يضطرب فيه من أسباب الحياة . حتى كانت فتوح السودان في عهد محمد علي : ومنذ ذلك الوقت بدأت حياة جديدة تدب في تلك الأقاليم ، حياة جديدة ليس مبعثها الحكم أو الاستعمار أو الاستغلال فقط وإنما مبعثها فوق ذلك الرغبة في التمدن والنهوض و«العمارة» على حدّ تعبير ذلك الوقت . والحق إن خلفاء محمد علي جميعا قد نظروا إلى بلاد السودان وشعوبها هذه النظرة ، وإذا كانت أداة الحكم المصري في السودان في القرن التاسع عشر لم تستطع أن تسمو إلى الأغراض السامية التي كانت تهدف إليها السياسة المصرية « العليا » في حكم القطر الشقيق ، فإن هذه الأداة — على قصورها وفسادها في أحوال كثيرة في مصر نفسها — قد استطاعت حتى في عهد عباس الأول وسعيد أن تحتفظ بالتراث الخالد من فتوح السودان في عهد محمد علي ، فاحتفظ بهذه البلاد وشعوبها في نطاق العالم الاسلامي الذي يضطرب بالحياة وحالت دون عودتها إلى حياة العزلة والركود التي كانت تحياها ، حتى إذا تولى إسماعيل الحكم في الأيام الأولى من سنة ١٨٦٣ كان مجال العمل أمامه متسعا للاحتفاظ بتراث محمد علي في مصر والسودان من ناحية والعمل على تحسينه وترويقه من ناحية أخرى .

في عهد إسماعيل تم — أو كاد — انضمام الشعوب والقبائل العربية في الجهات الشرقية والغربية من النيل : جهات النيل الأزرق والنيل الأبيض وكردفان ودارفور ، ووصلت الفتوح إلى حدود الحبشة من ناحية وإلى حدود الصحراء الكبرى من ناحية أخرى ، وامتدت الفتوح إلى الجنوب فتكونت مديرية خط الاستواء ، ورفع العلم المصري في أوغندة ، وبذلك تمت الوحدة (الإدارية) لبلاد السودان وتها السيل لنمو وحدة قومية كان الدين — لاشك — من أعظم مقوماتها .

وإلى جانب الفتح العسكرى سارت الكشفوف الجغرافية جنباً إلى جنب فى رعاية من إسماعيل وبارشاد من علم الغرب ، فخلت مسألة منابع النيل على حقيقتها ، وعرف الكثير عن النيل وروافده وبحيراته وشعوبه ، وكسب العلم من ذلك كله كسباً محققاً .

وإلى جانب الفتح العسكرى والفتح العلمى اطردت (عملية) التمدين و « العمارية » ، بتنظيم الزراعة وتشجيع زراعة القطن وتعويد القبائل على الاستقرار وتنمية التبادل التجارى ومقاومة النخاسة . وكان من الواضح أن نشر التعليم والدين الصحيح فى تلك الأرجاء الشاسعة من أقوى الوسائل لتمدين هذه البلاد و « عماريتها » . والحق أن أكثر حكام السودان أو « حكامداريهم » لم يقصروا فى الدعوة إلى هذه الغاية والعمل على بلوغها . فقد كانوا يرون أن نشر التعليم والدين الصحيح عن طريق إنشاء المدارس وتشديد المساجد وتشجيع الفقهاء والعلماء والطلاب يؤلف القلوب النافرة ويطامن النفوس القلقة الحائرة ، ويخضع العاصى ، ويقوى أسباب الود والتعاطف ، وهولذلك — بالإضافة إلى فائدته فى حد ذاته — مما يوطد للحكم المصرى ويقوى أوامره ، فضلاً عن أنه — بالمدارس التى ستنشئها الحكومة أو تشجع على إنشائها — يمدُّ أداة الحكم بما تحتاج إليه من صغار الموظفين والمشايخ والقضاة والمفتين الذين تحتاج إليهم محاكم السودان ومجالس الفتيا ، إذ كانت الحكومة تلقى أكبر مشقة فى تخيير الموظفين الذين تبعث بهم من مصر إلى العمل فى السودان ، فقد كان عليها أن تقاوم فيهم الرغبة عن التغرب بشتى صنوف الإغراء^(١) ، فضلاً عن حاجة مصر نفسها إلى المتعلمين من أبنائها ، وكانت الحكومة — فى الوقت نفسه — حريصة على أن تعلم أبنها السودان

(١) كان رفاعة بك رافع ومن معه من مدرسى المدرسة التى أنشأها عباس الاول بالخرطوم يعدون إقامتهم بالسودان كأنهم فى منفى .

في مدارس السودان أوفى مصر ، ليتقلدوا وظائف القضاء والتعليم والوظائف الإدارية الصغرى في بلادهم إشاعة للمدنية وتشجيعاً لنشر العلم من ناحية وتأليفاً للقلوب من ناحية أخرى .

ولم يكن العلم غريباً عن بلاد السودان وأهليه : فقد لاحظ عليهم رفاة بك رافع^(١) — وقد أقام بالخرطوم عدة سنوات ناظراً لمدرستها — « قبولهم للتمدن الحقيقي لدقة أذهانهم فإن أكثرهم قبائل عربية » ، ولاحظ أيضاً أنهم يشتغلون « بما ألفوه من العلوم الشرعية شغل رغبة واجتهاد ولهم ما أثر عظمة في حسن التعلم والتعليم ، حتى أن البلدة إذا كان بها عالم شهير يرحل إليه من البلاد الأجنبية للهجورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير ، فيعيّنه أهل بلده على ذلك بتوزيع المجاورين على البيوت بحسب الاستطاعة ، فكل إنسان من الأهالي يخصه الواحد أو الاثنين فيقيمون بشؤونهم مدة التعلم والتعليم » .

ونوه رفاة بك بسيدة عرفها بمديرية دنقلة تدعى السيدة أمونة « تقرأ القرآن الشريف ومؤسسة مكتبتين أحدهما للعلماء والثاني للبنات كل منهما لقراءة القرآن وحفظ المتون تنفق على المكتبتين من كسبها بزراعة القطن وحلجه وغزله وتشغيله ولا ترضى أن يشوبه شيء من مال زوجها ، وبجانب المكتبتين خلوات لمن يختل من العباد والزهاد الحاضرين من أقصى البلاد لأداء فريضة الحج الشريف ، ومنزلها كالتسكية للفقراء وأبناء السبيل والقاصدين بيت الله الحرام . وأمثال ذلك كثير هناك في ظل الحكومة المصرية » .
وجاب رفاة بك كثيراً من قرى السودان ، ولاحظ أنها لا تخلو « عن نوع

التقدم في الحضارة مع مساعدة الوارد والمتردد إليها في هذه الأيام لقصد الزيارة أو التجارة ، فإنها أقرب للتمدن من أقاليم أمريقة بكثير ، وجميع أهلها ماعدا بعض الجبال لسانهم عربي فصيح ، حيث أن جلهم من نسل العرب المنتجة القبائل قديماً يحفظون أجسامهم وأنسابهم وفيهم كمال الاستعداد وذكاء الفطنة .

ورسم رفاة بك سبيل النهوض بالسودان وأهليه : فهم « إنما يحتاجون في حصول المطلوب إلى اطمئنان النفوس وتأليف القلوب من حكام أرباب صداقة وعفاف وعدل وإنصاف ، لا تحملهم المطاعم الدنيوية على محض الالتفات إلى الأمور الدنية بل توجد القابلية أيضاً في الأهالي المتأصلين » . « وبالجمله فتى زالت من السودان وسائل الوخامة والسقامه ودخلت أهاليها بحسن الإدارة في دائرة الاستقامة صارت هي وديار مصر في العمار كالتوأمين وفي إيناع الأثمار صنوين حتى يشهد لسان حالهما :

نحن غصنان ضمنا عاطف الوجد جميعاً في الحب ضم النطاق
في جبين الزمان منك ومنى غرة كوكبية الانفلاق

ولذلك قدّر رفاة أن إنشاء حكومة إسماعيل للمدارس الخمس بالسودان وإرسال البعوث الهندسية والجغرافية دليل على أنه « قد لاح على قرب عماريتها علامة ظاهرة »^(١).
ووصف رحالة أوروبى زار بلاد السودان ووسط إفريقية ونشر رحلته إليها في سنة ١٨٩١^(٢) قرية من قرى السودان والمكتب الذى يقوم بها وهو أشبه ما يكون بالمكتب فى القرية المصرية ، قال : فى مركز متوسط من القرية توجد « ركوبة » وهى

(١) المصدر السابق : ص ٢٨٠

(٢) Petherick, F: Egypt, the Sudan and Central Africa, being sketches from 16 years travel. London, 1861. p. p. 216—220.

مدرسة يتلقى فيها الصبية فقط القرآن ويحفظونه عن ظهر قلب ، حتى إذا أتموه وتعلموا القراءة والكتابة انتهى تعليمهم ، وقليل جداً من يستطيع حفظ القرآن كله أو يجيد الكتابة . ويدير المدرسة فقير (ولعله يقصد الفقيه) ويدفع له كل تلميذ قرشين في الشهر ويذهب التلاميذ إلى المدرسة في الصباح من الرابعة إلى السادسة وفي المساء من السابعة إلى التاسعة ، حتى لا يصرفهم التعليم عما يشتغلون به . ويجتمع التلاميذ في المساء حول النار ويرددون عبارات الفقير (؟) في صوت مرتفع ، ويبدءون كل درس بتلاوة ما حفظوه في الدروس السابقة بصوت مرتفع معاً ، ولكل تلميذ لوح يسطر عليه بالممداد آيات القرآن ، ويأخذ الولد معه الى بيته وفي وقت فراغه يعيد نسخه . وبعد أن يقضى الصبي في هذه المدرسة سنتين أو ثلاث سنوات يتم تعليمه ، وينسى التلاميذ غالباً ما تعلموه بعد فترة وجيزة . وهذا الفقير (؟) هو كاتب الخطابات في القرية وواعظها ومستشارها في الشؤون الخطيرة وكاتب ما يحتاجه أهلها من الأحجية والتائم .

وكان للسودان شيوخه وفقهائه في المساجد على قلتهم بالنسبة لأقاليمه المتسعة : فهذا شيخ «ورع انقطع لتدريس العلوم وله من التلاميذ ٥٤ نفراً» ، وهذان شيخان «مواظبان على تدريس العلوم لتلاميذهما ، والأول منهم يدرس لمائة وثلاثة وخمسين تلميذاً ، والثاني لسبعة وخمسين تلميذاً» (١) .

هذا هو نوع التعليم الذي كان موجوداً بالسودان . وهو تعليم من نوع التعليم الذي كانت تقدمه المكاتب والمدارس الملحقة بالمساجد في مصر ، نستطيع أن نسميه التعليم « العربي » أو التعليم « الديني » ، وقد قدرت حكومة إسماعيل في السودان أهمية

(١) محفظة ٣٤ (معية تركي) رقم ٢٠٢ من شريف باشا ناظر الخارجية والداخلية إلى صاحب السعادة الأفندي بالمعية في ٢٥ ربيع الثاني ١٢٨٢

هذا التعليم وإمكان استخدامه لنشر الإسلام بين القبائل التي دخلت في الإسلام حديثاً ، ولتخريج القضاة والأئمة والمفتين ^(١) ، فعملت على الاحتفاظ به وتشجيع القائمين عليه بإجراء المرتبات الشهرية من النقود والذرة على الشيوخ والفقهاء والطلاب ^(٢) ، وتشجيع الطلاب على الانقطاع لطلب العلم بإعفاثهم من دفع الضرائب والأموال و (المطلوبات) الأميرية الأخرى إذا ما تركوا الاشتغال بالزراعة والتجارة ، وحرصت الحكومة — أو الحكمدارية — على أن تتخذ من وسائل التشجيع هذه أداة للإشراف على هذه (المدارس) الدينية : فاقترحت تعيين أحد العلماء المبرزين في الخراطوم ليكون ناظراً وملاحظاً على هذه المدارس ، ويمنح لقب « شيخ العلماء » راتباً قدره ٥٠٠ قرش وثلاثة أرباب من الذرة في كل شهر ، كما اقترحت تعيين أحد الفقهاء المتقدمين ليكون « قارئاً وحافظاً » ويمنح لقب « شيخ الفقهاء » وراتباً قدره ٣٠٠ قرش وأردين من الذرة في كل شهر ، على أن يكون لحكمدار السودان الحق في التفتيش عن هذه المدارس وشيوخها والفحص عن مؤهلاتهم العلمية وقطع مرتبات من لا علم لهم ونقلها إلى من يفوقونهم علماً ^(٣) .

وعملت الحكومة على وصل هذه (الثقافة) الدينية القاصرة بالثقافة الإسلامية

(١) محفظة ٤٦ (معية تركي) رقم ٤٠ من جعفر باشا حكمدار السودان إلى مهردار الخديوي في ١٠ جمادى الأولى ١٢٨٦

(٢) محفظة ٣٤ (معية تركي) رقم ٢٠٢ من شريف باشا ناظر الخارجية والداخلية إلى صاحب السعادة الأتندي في ٢٥ ربيع الثاني ١٢٨٢

(٣) محفظة ٤٦ (معية تركي) رقم ٤٠ من جعفر باشا حكمدار السودان إلى مهردار الخديوي في ١٠ جمادى الأولى ١٢٨٦

في منبعها الأصل وهو الأزهر ، فقامت « ببذل ضروب الترغيب لحمل بعض الذين حفظوا القرآن من أهالي السودان وحصلوا على بعض المبادئ النحوية والفقهية للانتساب إلى الجامع الأزهر لمدة ثلاث سنوات لإكمال علومهم وثقافتهم » (١) حتى إذا انقلبوا إلى أهلهم كانوا رسل الثقافة الدينية السليمة ودعاة الدين القويم . ولا شك في أن دوائر الحكومة في مصر والأزهر حققت أمل الحكمدارية ، فأحسنست استقبال هذا الفوج الأول من شباب السودان ، وكان يتألف من طالبين استصحبهما جعفر باشا حكمدار السودان حين حضر إلى القاهرة في سنة ١٨٦٧ ، « وقد حفظا القرآن حفظاً تاماً وأحاطا ببعض المسائل الفقهية » (٢) .

هذا بعض ما فعلته حكومة إسماعيل لتشجيع التعليم الديني أو العربي في السودان . وقد وجد هذا التعليم أكبر داعية ونصير في شخص حكمدار السودان « جعفر مظهر باشا » (٣) ، وقد عرفت عنه الثقافة والاستنارة والحماسة في الدعوة إلى الإسلام في ربوع السودان ونشر التعليم بين أهلهم ، كما وجد فيه التعليم الحديث بالسودان أيضاً راعيه وناشره . ولم يكن هذا أول اتصال بين السودانيين والتعليم (الحديث) : فقد أدخل محمد علي نفراً من أبناء عمه السودان وأعيانه في المدارس التي أنشأها بمصر : ك مدرسة

(١) محفظة ٤٢ (معية تركي) رقم ٢٩٨ من جعفر باشا حكمدار السودان إلى سكرتير خاص الخديوي في ٢٧ رجب ١٢٨٤ .

(٢) وقد التمس الحكمدار أن يمنح كل منهما في كل يوم قرشين علاوة على رغب (الجراية) « منعاً لنفورهما وتثبيط عزائمهما وخوفاً من عدم رغبة غيرهما في الالتحاق ... وإعانة لهما على المعيشة » — الوثيقة السابقة

(٣) انظر عن حكومة جعفر مظهر باشا بالسودان كتاب : Douin: Histiore du règne du Khedive Ismail, Tome III, 1 re. & 2 me. parties.

الزراعة ومدرسة الألسن ، وكان « القصد من ذلك — على حد تعبير رفاعه بك — أن يذوقوا طعم المعارف التمدنية لينشروها في بلادهم » (١). وعند ما عادوا إلى وطنهم عينوا في وظائف إدارية (٢).

أما عباس الأول فقد افتتح مدرسة ابتدائية بالخرطوم ، ونصب رفاعه بك رافع الطهطاوى ناظرا عليها . ولم تنجح مدرسة الخرطوم ، لأن رفاعه وزملاءه من الأساتذة والأطباء كانوا برمين بحياتهم في السودان دائمى الرغبة والإلحاح فى العودة إلى مصر ، حتى إذا بدأت المدرسة تجمع التلاميذ وتبدأ عملها فاجأها أمر سعيد بالإلغاء (٣).

ولم نر لسعيد — على ما قيل من شدة عنايته بالسودان إلى حد السفر إليه لتفقد ربوعه — اهتماما بأمر التعليم فى السودان . حتى إذا تولى إسماعيل كان مجال العمل فى هذه الناحية — كما كان فى كل النواحي الأخرى فى مصر والسودان — متسعا لنشاطه واستنارته . وإذا كان إسماعيل قد بدأ يهتم بتجديد المدارس فى مصر منذ الأيام لولايته ، فكذلك فعل للسودان .

بدأ التفكير بإنشاء المدارس الحديثة فى السودان بدافع من الرغبة فى توفير العدد الكافى من السودانيين المتعلمين لدوائر الحكومة ، اقترح حكمدار السودان فى ذلك الوقت « موسى حمدى باشا » الإذن بإلحاق كل من يود من أبناء العمدة والأعيان والأهالى بدواوين المديريات والحكمدارية « بقصد تعلم فن الكتابة من حسابات وتحريرات » ،

(١) منهاج الطالب . . . ص ٢٦٣

(٢) المصدر السابق .

(٣) تكلمنا على مدرسة الخرطوم تفصيلا فى الجزء الأول : عصر عباس

وتربط لهم مرتبات شهرية، حتى إذا تعلموا أخذ منهم ما يلزم لوظائف الكتاب والمعاونين. وافق إسماعيل على طلب حكام السودان، ولكنه رأى أن هذا الأسلوب في تعلم أبناء السودان لا يكفي. وكان « من أقصى آماله انتشار حال التمدن والرفاهية وحسن التوطن والعمارة... ومن لزوم ذلك استحصال الرعايا على اكتساب العلوم ليتزوا بها ويكونون دائماً مجبولين على حب الوطن ومشوقين لنوال ثروة الامتياز والتقدم في المعارف والفنون ». وتنفيذا لهذا رأى أن يعهد الى الحكمدار أمر إنشاء مدرسة بالخرطوم أو مدرستين الخمسمائة تلميذ « مع إشهار ما يلزم من التشويق والترغيب إلى الأهالي في استحصال هذه الثمرات المدنية » وإلحاق من يود من أبناء الترك المقيمين بالسودان أيضا، وأبدى استعدادده لإرسال العدد اللازم من الأساتذة للغتين العربية والتركية من مصر (١).

وكان موسى حمدى باشا — على صرامته وشدته — يميل إلى تعليم السودانيين، فكتب إلى الخديو بأن « بلاد السودان عبارة عن ديار متسعة وأن المديريات بعيدة بعضها عن بعض وأن قصر الخمسمائة تلميذ على مدرسة أو مدرستين يوجب تمتع أهل المديرية التي بها تلك المدرسة فحسب بثمران التمدن وحرمان أهل غيرها من تلك الثمرات النافعة »، واقترح إنشاء خمس مدارس صغيرة في مديريات الخرطوم وبربر ودنقلة وكردفان والتاكة، على أن يتعلم بكل مدرسة منها مائة تلميذ، « كي تشمل ثمرات التمدن وانتشار العلوم أهالي عموم بلاد السودان ومتوطينيها ويمتازوا بتحصيل العلوم والفنون النافعة » (٢).

(١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعمر إسماعيل م ٢ ج ٣ ص ٤٥٢ أمر إلى حكمدارية السودان في ٦ شعبان ١٢٧٩

(٢) محفظة ٢٩ (معية تركي) رقم ٥٠٨ من موسى حمدى حكام السودان إلى باشمعاون الخديوى في ٢٠ رمضان ١٢٧٩

وصادف اقتراح موسى باشا هوى من الخديو، فأصدر أمره بالموافقة عليه^(١)، ووضعت ميزانية لهذه المدارس تشمل مرتبات خمسة معلمين و ٥٠٠ تلميذ والخدم وأثمان التعيينات والأدوات... الخ وقد بلغت ٣٨ بارة و ١٩,٩٠٦ قروش^(٢)، وعهد إلى ديوان المدارس بتخير المدرسين « بحيث يكونوا من أرباب المعارف في تعليم التركي والنحو والصرف والخط الثلث والرقعة »، وقدر لكل منهم في الشهر عشرة جنيهات، وجمعت الأدوات والكتب وكانت مما يقرؤه تلامذة المدارس الابتدائية في النحو والصرف وهى : شرح الكفراوى وشرح الشيخ خالد وشرح الأزهرية وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وكتاب تاريخ واصف (فى اللغة التركية)^(٣).

أنشئت مدارس السودان الخمس فى سنة ١٨٦٣، وعين لها المعلمون وجمع لها الطلاب، ثم أضيفت إليها فى سنة ١٨٧١ مدرسة بسواكن وأخرى بمصوع، ويتعلم فى كل منهما ٥٠ تلميذاً^(٤). ولسكننا لا نملك من أخبار هذه المدارس سواء فى الكتب المطبوعة أو وثائق الحكومة ما يلقى ضوءاً على حياة التلاميذ فيها ومواد الدراسة التى كانوا يتعلمونها

-
- (١) أمين باشا سامى : تقويم النيل وعصر إسماعيل م ج ٢ ص ٣٤٦ — ٤٧٧ أمر إلى حاكم دار السودان فى ١٠ ذى القعدة ١٢٧٩
- (٢) دفتر ١٩٠٤ (أوامر) ص ٦٤ رقم ٢٣ أمر إلى حاكم دارية السودان فى ٥ ربيع الأول ١٢٨٠
- (٣) دفتر ٣٤٨ (مدارس عربى) ص ٣٤ رقم ١ إلى المعية فى ٥ ربيع الثانى ١٢٨٠، ص ٩٤ رقم ٥ فى ٢٣ منه، ص ١٦٨ رقم ١٤٠ فى ١٩ جمادى الأولى ١٢٨٠
- (٤) دفتر ٣٧٧ (مدارس عربى) ص ٦٤ رقم ٤٣٥ إلى مدرسة التجهيزية فى ٥ المحرم ١٢٨٣

سوى أخبار متناثرة تحملها إلينا بعض الوثائق من آن لآخر .

وكانت هذه المدارس تابعة — من الناحية المالية — للحكمدارية السودان ، ولكنها كانت — من الناحية الفنية — وثيقة الصلة بديوان المدارس بالقاهرة . فهو الذى ينظم ميزانيتها ويعين أساتذتها ويجمع لها الكتب والأدوات وينظر فى جداول امتحاناتها ^(١) ، والتماس طلابها للترقى ^(٢) ، حتى إذا حضر نفر منهم إلى القاهرة قام على شؤونهم وأشرف على توزيعهم على مدارس القاهرة أو الاسكندرية ^(٣) .

وكان يؤذن لطلبة هذه المدارس (بالتحول) إلى المدارس المصرية ، لأن « المدارس بالسودان وبجهة بحرى على حد سوى » . . وقد وجد نفر منهم « موافقين » فى القراءة والكتابة فألحقوا بالمدرسة التجهيزية بالقاهرة ^(٤) .

ولاشك فى أن دوائر الحكومة — سواء ديوان الحكمدارية بالخرطوم أو ديوان المديرية — قد استوعبت العدد الأكبر من طلاب هذه المدارس ، فقد كانت حاجة هذه الدوائر الى السودانيين المتعلمين أول ما دعا الى إنشاء هذه المدارس . وقد حاول جعفر باشا حكمدار السودان أن يستغل قيام هذه المدارس (الابتدائية) للتوسع فى

(١) دفتر ٤٦٦ (مدارس عربى) ص ٦١ رقم ٢٠ إلى مفتش المدارس فى

٦ شوال ١٢٩٠

(٢) دفتر ٤٦٣ (مدارس عربى) ص ٨ رقم ١٣١ من مديرية كردفان فى

٢٢ شوال ١٢٨٩

(٣) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربى) ص ١٣٩ رقم ٤٢ إلى الداخلية فى ٢٨ ربيع الثانى ١٢٨٩

(٤) دفتر ٤٤٣ (مدارس عربى) ص ٩٢ رقم ٦٣ من الداخلية فى ٢٣ ربيع

الأول ١٢٨٨

تعليم تلامذتها بعض العلوم العملية والفنية ، فاختار نفرأ منهم علمهم فن التلغراف فأتقنوه في ثلاثة أشهر ووزعوا على محطات التلغراف بالسودان ، واختار نفرأ آخر علمهم الهندسة والحساب بضعة أشهر ثم وزعهم على البواخر ليتعلموا هندسة البواخر ، وأكثر من ذلك أنه تخير عشرين من طلاب هذه المدارس ودفع بهم الى طبيب مستشفى الخرطوم ليدرس لهم الطب والصيدلة في وقت قصير ^(١) ، وإذا كان الخديو قد ارتاح لتعلم تلاميذ المدارس الابتدائية بالسودان فن التلغراف أوهندسة البواخر ، الا أنه رفض أن يكل أمر الصحة والصيدلة في السودان إلى هؤلاء الصبية وأستاذهم ، فأمر بوقف هذه الدراسة وإرسال العدد اللازم للسودان من الأطباء والصيدالة ^(٢) .

ورأى جعفر باشا أن مجال التعليم بالسودان لا يمكن تلامذة مدارسه من متابعة دراسة التخصص : فأرسل في سنة ١٨٧٢ بعثة كبيرة منهم بلغت ٨٠ طالباً ليوزعوا على المدارس المصرية وخاصة مدرسة العمليات ومدرسة الزراعة ، ليتعلموا الهندسة الميكانيكية والعلوم الزراعية ^(٣) ، ولكن الخديو إسماعيل — مع ترحيبه بالطلاب السودانيين في مصر وإصدار أوامره بالحاقهم بالمدارس المصرية — كان لايشجع كثيراً على إرسال هؤلاء الطلاب الى مصر ، كان يرى أن هذه المدارس أنشئت ببلاد السودان « لتعليم أهاليها القراءة والكتابة وتمنهم ، وإذا صار حضور التلامذة بالمحروسة ضرورة الأهالي تنفر طبيعتهم ولا يرغبوا دخول أولادهم خوفاً من تفريقهم منهم » ؛

(١) محفظة ٤٧ (معية تركي) رقم ٦٥٨ من جعفر مظهر حكمدار السودان إلى مظهر دار

الخديوى في ١٩ شعبان ١٢٨٧

(٢) دفتر ٥٨٤ ص ٥٨ أمر في ١٦ يناير ١٨٧١

(٣) دفتر ٤٥٠ (مدارس عربي) ص ١٣٩ رقم ٤٢ إلى الداخلية في ٢٨

ربيع الثاني ١٢٨٩

ولهذا ينبغي إبقاؤهم بمدرسهم وإرسال المدرسين لتعليمهم « جانب من مبادئ علوم الفقه والنحو والصرف والحساب حسب ما يلزم بالمبتدیان » (١).

أما مصير هذه المدارس فلا نعلمه على وجه التحقيق : روى سرهنك باشا (٢) أن غوردن باشا — عندما عاد إلى السودان في سنة ١٨٧٧ حكماً داراً عاماً — أقفل هذه المدارس « بدعوة أنها تكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة لا وجوب لها . . . وأمر أيضاً فأبطل إرسال الطلبة الناجحين بمدارس الحكومة بالخرطوم إلى مصر ».

(١) دفتر ٤٦٣ (مدارس عربي) ص ١٦٠ رقم ١٩٣ من المالية في ١٧ ربيع

الأول ١٢٩٠

(٢) سرهنك باشا : حقائق الأخبار . . . ج ٢ ص ٣٣٥

DATE DUE

~~JAVET LIB.~~



~~JAVET LIB.~~

~~27 JAN 1983~~

~~J. Lib.~~

~~1983~~

~~J. Lib.~~

~~20 DEC 1983~~



~~J. Lib.~~

~~6 MAR 1986~~

370.962:T92mA:v.2:pt.1:c.1

عبد الكريم ، احمد عزت

تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم م

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01022542

A. U. B. LIBRARY

370.962

A13A

V.2

Pt.1

